تاريخ نجد

للشيخ الإمام حسين بن غنام

حرره وحققه

الدكتور ناصر الدين الأسد

دار الشروق

تاريخ نجد

الطّبعَة الـرّابعَة

١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٤م

بيروت: ماداليّاس - شارع سيّدة صيدنايا - بناية صمدنا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقيًا: داشروق - تلكس ٢٠١٧٥١٤
[illegible] - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ت: ٣٩٢٤٥٧٨ / ٣٩٣٤٥٧٨
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ - تلكس ٩٣٠٩١ [illegible]
٨ شارع سيبويه المصري - مدينة نصر - ت: ٢٦٣٣٩٨
٢٦٣٥٤٨ - فاكس ٦١٧٥٦٧

تاريخ نجد

للشيخ الإمام حسين بن غنام

حرّره وحقّقه
الدكتور ناصر الدين الأسد

قابله على الأصل
عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الشيخ

دار الشروق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه الأمين وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد؛ فلما كان تاريخ نجد المسمى «روضة الأفكار والأفهام» للشيخ العلامة حسين بن غنام رحمه الله هو من التواريخ التي يعتمد عليها في تاريخ نجد زمن حركة الإمام المصلح الكبير شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، تلك الحركة المباركة التي تمخضت عن ميلاد الدولة السعودية خلد الله ملكها وأصلح شأنها، وكانت حاجة العلماء، بله طلبة العلم، ماسة وجدّ شديدة إلى ذلك التاريخ المهم المشتمل على كثير من حقائق التاريخ وعلى مسائل علمية نافعة قلّ أن تجدها في كتاب سواه ــ رأيت خدمة للعلم أن أقوم بطبع هذا الكتاب القيم. ولكن كيف يمكن الانتفاع به من قِبَل شباب العصر، وقد صيغ بأسلوب مسجوع سجعاً مملاً ينفر القارئَ الذي استمرأ حلاوة الأسلوب وتعشق طلاوة التعبير؟ لذلك فكرت في تهذيب عباراته وترتيب فصوله بأسلوب رائع سهل يستهوي القارئَ، ولكن أنّى لي ذلك والتأليف ليس لي بصنعة، ولم يسبق أن مرن قلمي في مثل هذه الموضوعات والمجالات ذات الميدان الفسيح؟ فرأيت أنه يحسن أن أدع القوس لباريها.

فاستشرت صديقي الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله فيمن ينبغي أن أسند إليه هذه المهمة التي تبنَّيْتُ فكرتها فأشار عليَّ بالأستاذ الدكتور ناصر الدين

الأسد وأثنى عليه خيراً. فسألت صديقي الشيخ أحمد أن يراجع الدكتور في ذلك، فراجعه، واتفقا، وباشر الدكتور عمله. فلما أتمَّه أجلتُ فيه نظري وقابلت بعض فصوله على أصله «روضة الأفكار والأفهام» مستعيناً ببعض المراجع التاريخية لتلك الحقبة من الزمن. فألفيتُ الدكتور قد أدَّى الأمانة على وجهها، وبذل غاية الجهد في تحرير النصوص وتحقيقها، وتهذيب عبارات المؤلف وصياغتها بأسلوب سهل مأنوس، حتى جلا الكتاب في هذه الحلَّة، وقرَّبه إلى القارىء ويسَّره لطالب العلم، فأصبح الكتاب بذلك منهلاً عذباً ومرجعاً رحباً لمريدي تاريخ نجد في تلك الحقبة.

ولعلنا بهذا قد حققنا رغبة المؤلف الشيخ ابن غنام رحمه الله بامتداد الانتفاع بهذا التاريخ حينما أخرجناه في أسلوبه الحديث، فما أردنا إلا الحق، وما عملُنا هذا إلا خدمة له؛ والله من وراء القصد وهو المستعان.

الرياض في ١٣٨٠/٩/١٧ **عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ**

منهج العمل
في هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب «تاريخ نجد» المسمَّى «روضة الأفكار والأفهام» لِمُرْتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» لمؤلفه الشيخ حسين بن غنَّام، يُعَدُّ وثيقة تاريخية أصيلة، ذات قيمة كبيرة للباحث في تاريخ هذه البلاد خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر والعقد الأوّل من القرن الثالث عشر للهجرة. فمؤلف الكتاب معاصر للإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكان من أتباعه المقرَّبين إليه، ولذلك كان تأليفه هذا الكتاب بطلب من الإمام نفسه، فجاء أكثر ما ورد فيه عن مشاهدة وعِيان، ومعرفة شخصية ودراية؛ ومن هنا كانت قيمة الكتاب العلمية للمؤرخين وطلاب العلم، مهما تختلف منازعهم ومذاهبهم وتفترق آراؤهم ومعتقداتهم.

وقد وضَّح المؤلف هدفه من تأليف الكتاب، وكشف عن منهجه فيه، وذكر طلب الإمام منه ذلك، وبيَّن أقسامه، وذلك في قوله[1]:

«ولما كانت منزلة العلم أعلى المنازل، والتحلّي بِحُلاَه من أفخم الفضائل، لا سيما للأفاضل والأماثل، ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل....

(١) مقدمة الكتاب ــ مطبعة الحلبي بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٩م.

أردتُ أن أصنّفَ فيما أشرق ضياؤه وانتشر، وشاع في غالب الأقطار واشتهر، من الغزوات التي هي في مُحَيّا الدهر كالغُرَر، والفتوحات الإسلامية التي مبدؤها العقد السادس من القرن الثاني عشر. فرأيتُ العوم في تيّاره خطيراً، وركوب زاخر أمواجه حظيراً... وتحقّقتُه أمراً عسيراً... والإمام أيّده الله تعالى يعزم عليَّ في ذلك و يشير... فشرعتُ فيه حتى أتقنتُه تصحيحاً وتحريراً، وتلقّتْ تلك المغازي ممّن حوى في الصدق رياسةً وتصديراً. ولم أذكر في هذه الغزوات المسطورة، والسِّيَر المقرَّرة المزبورة، إلا الكبيرة الواضحة المشهورة، وهجرتُ ما ليس واضحاً وشهيراً. وذكرتُ بعض حوادث السنين، مما هو مستفيض من المسلمين، خصوصاً بلدان الموحّدين. وذكرت وفاة بعض الأعيان ممَّن كان بالدين مذكوراً، وتركتُ من ليس منهم معروفاً ولا مسبوراً، ورتّبته في كتاب وخمسة فصول...».

وهذه الفقرة التي اختصرنا بعض جملها تكشف — فضلاً عمَّا قدمنا — أسلوبَ المؤلف وطريقته في صياغة عباراته.

ولما كان الكتاب في صورته هذه عسيراً على القارئين وطلاب العلم في عصرنا هذا، بعيداً عن أذواقهم، مجافياً لما ألفوه من أساليب الكتابة وطرق التأليف، فقد اتجهت النيَّة — على ما ورد في المقدمة السابقة التي كتبها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ — إلى إخراجه في صورة جديدة اتَّبعنا فيها النهج التالي:

أولاً — أعدنا تقسيم الكتاب فجعلناه أربعة أقسام، يتضمن بعضها عدة فصول، جمعنا في كل قسم ما يندرج فيه من موضوعات، كان بعضها متفرقاً في مواطن متعددة من الكتاب: في الجزء الواحد أو الجزئين معاً.

ثانياً — جرَّدنا الأسلوب من السجع والعبارات المتكررة والحشو، وأعدنا صياغة بعض جمله، بحيث يستسيغ القارئُ الحديث مطالعته، و يسهل عليه المضيُّ

فيه. وحافظنا ــ في غير ذلك ــ على أكثر عبارات المؤلف وألفاظه، وعلى روحه العامة في طريقة أدائه.

ثالثاً ــ قابلنا ما ورد في الكتاب من حوادث وأسماء بما ورد في بعض المراجع الأخرى وخاصة «عنوان المجد»، وأثبتنا بعض الفروق والاختلافات ذات القيمة، وتجاوزنا عن بعضها توخياً للاختصار وحرصاً على عدم التزيد فيما لا غَناء فيه.

رابعاً ــ خرَّجنا كثيراً مما تضمّنه الكتاب من أحاديث شريفة ومن أقوال السلف الصالح والمقتطفات التي اقتبسها من غيره من المؤلفين، وأشرنا إلى مواطنها ومراجعها، وصحَّحنا بعضها.

خامساً ــ عنينا عناية خاصة بالقسم الرابع الذي يضمُّ بعض رسائل الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومسائله وفتاواه، وبذلنا الجهد في تحقيقها وضبطها.

وقد رجعنا في كل ذلك ــ فضلاً عن الكتب المطبوعة ــ إلى مخطوطتين لهذا الكتاب في دار الكتب بالقاهرة: الأولى برقم (ح ٧١٠١) وهي مصورة عن نسخة الأب أنستاس ماري الكرملي، كتبها له سنة ١٣٣٢هـ مثلُ بن ناصر الحيِّ، وهذه منقولة عن نسخة كتبها محمد بن عثمان بن عيدان سنة ١٣١٣هـ وقابلها على الأصل وصحَّحها صالح الدخيل وفوزان بن سابق.

والثانية مخطوطة برقم (تاريخ ٢٢٦٣) وليس عليها اسم كاتبها ولا سنة كتابتها، ولكنها تشبه أن تكون قد كتبت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، فهي ــ فيما نرى ــ أقدم من النسخة السابقة، ولعلها الأصل الذي نُسخت منه، أو لعلهما قد كُتبتا من أصل واحد: فهما تبدآن بداية واحدة تنقص عن المطبوع سطراً واحداً، وتنتهيان في الجزء الثاني نهاية واحدة كذلك، تنقص بضع كلمات. وبين النسختين اختلافات يسيرة لعلها من الناسخين.

وقد اعتمدنا المطبوع أصلاً لأن ناشره قد ذكر في آخره أنه قابله على عدة نسخ، وصححه «على نسخة مقروءة على حجة نجد الشيخ الثبت صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ...».

والحمدلله على ما وفَّق أوّلاً وآخراً.

ناصر الدين الألباني

القِسْمُ الأول

فصُول تمهيدِيّة

الفصل الأول : حال المسلمين قُبَيْل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة.

الفصل الثاني : اختلاف المسلمين وانقسامهم شيعاً وطوائف.

الفصل الثالث : غربة الإسلام: معناها والأحاديث الواردة فيها.

الفصل الرابع : اضطهاد الأخيار وتعذيبهم ــ التزام السُّنَّة ــ معنى العلم والرأي ــ الفرق بين الاجتهاد والتقليد والاتِّباع.

الفصل الخامس: معنى التوحيد.

الفصل السادس: إنكار العلماء تعظيم القبور وبناء المشاهد والاستغاثة بالصالحين أمواتاً وأحياء.

الفصل السابع : نهي الرسول عن اتخاذ قبره وقبور الأنبياء والصالحين أعياداً وأوثاناً.

حال المسلمين
قُبيْل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة

كان أكثر المسلمين ـــ في مطلع القرن الثاني عشر الهجري ـــ قد ارتكسوا في الشِّرْك، وارتدُّوا إلى الجاهلية، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى، لغلبة الجهل عليهم، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال. فنبذوا كتاب الله تعالى وراء ظهورهم، واتَّبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة، وقد ظنوا أن آباءهم أدرى بالحق، وأعلم بطريق الصواب.

فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين: أمواتهم وأحيائهم، يستغيثون بهم في النوازل والحوادث، ويستعينونهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد. بل إن كثيراً منهم كان يرى في الجمادات: كالأحجار والأشجار، القدرةَ على تقديم النفع ودفع الضرر؛ وقد زيَّن لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك ثواباً لتقرُّبهم به إلى الله عزَّ وجلَّ.

وظلوا يعكفون على أوثانهم تلك حتى صدق فيهم قوله تعالى ﴿نَسُوا اللهَ فأنساهم أنفسَهم، أولئك هم الفاسقون﴾. وأحدثوا من الكفر والفجور، والشرك بعبادة أهل القبور، وصرف النذور إليهم، والابتهال بالدعاء لهم ـــ ما زادوا به على أهل الجاهلية، فشرع لهم شياطينهم ﴿مِنَ الدِّينِ ما لم يأذَنْ به الله﴾ وجعلوا لغيره ـــ عزَّ وجلَّ ـــ ما لا يجوز صرفُه إلا إليه.

* * *

ولقد حدث الغيُّ والضلال والتغيير في الدين منذ زمن قديم، ثم تعاقبت العصور، وتوالت السنون، والغيُّ يزداد، والضلال ينتشر، حتى جاء مَنْ ظنَّ أن الدين هو ذلك الضلال والإسراف لأنهم وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم. وقد نص على ذلك كثير من العلماء في كتبهم المصنَّفة فيما حدث من البِدَع والحوادث وما غُيِّر من منار الدين وشعائر الإسلام.

عكف إذن أكثر الناس على دعوة الأولياء والصالحين: أمواتهم وأحيائهم وفُتِنُوا بالاعتقاد بقدرتهم على تقديم النفع وصرف السوء من دون الله، فغدوا عليهم يبتهلون لقضاء حاجاتهم، وأحلُّوا بذلك ما حرَّم الله، ونسوا قوله تعالى: ﴿وقال الله: لا تَتَّخِذُوا إلٰـهين اثنين، إنما هو إلهٌ واحدٌ فإيايَ فارهبون﴾. وقوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمةٍ فمن الله، ثمَّ إذا مسكم الضُّرُّ فإليه تجأرون﴾. وقوله تعالى: ﴿قلْ إنَّما حرَّمَ رَبِّي الفواحشَ ما ظَهَرَ منها وما بطن، والإثمَ والبَغْيَ بغير الحق، وأن تُشْرِكُوا بالله مالم ينزِّلْ به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لاَ تعلمون﴾.

ولقد انتشر هذا الضلال حتى عم ديار المسلمين كافةً:

فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم وهول مقيم؛ كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في الجُبَيْلَة: يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوَب، وقضاء الحاجات.

وكانوا يزعمون أن في قريوة في الدرعيَّة قبورَ بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة، فتقربوا إليهم وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله؛ فكأنما عناهم الله تعالى بقوله: ﴿أإفكاً آلهةً دون الله تريدون﴾، وكأنما كان جوابهم دائماً: ﴿إنَّا وجدنا آباءنا على أمَّةٍ وإنَّا على آثارهم مهتدون﴾.

وكانوا يأتون في شعيب غبيرا من المنكر مالا يُعْهَد مثله: يزعمون أن فيه قبر ضِرَار بن الأزْوَر، وذلك كذب محضٌ وبهتان مَثَّله لهم إبليس وصوَّره، ودلَّسه عليهم من غير أن يشعروا.

وكان النساء والرجال يأتون بليدة الفدا، حيث يكثر ذَكَر النخل المعروف بالفحَّال، و يفعلون عنده أقبح الأفعال، و يتبركون به و يعتقدون فيه. فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، فتضمه بيديها ترجو أن يفرِّج عنها كربها، وتقول: يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول!!

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية، فيتبركون بها و يعلِّقون الخرَق عليها ـــ إذا ولدت المرأة ذكراً لعله يسلم من الموت.

وفي أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفَسَقة أن يظلمها، فصاحت، ودعت الله، فانفلق لها الغار بإذن العليّ الكبير، فأجارها من ذلك السوء؛ فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز و يبعثون بصنوف الهدايا؛ وقد نسوا قوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تَنْحِتُون؟ والله ُخلقكم وما تعملون﴾.

وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه «تاج» سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور، وتوجَّهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر. وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجاً، وكان هو يأتي إليهم من بلده الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج. وكان أهل البلاد المجاورة جميعهم يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً؛ فخافه الحكَّام، وهاب الناس أعوانه وحاشيته، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، و يدَّعون فيهم دعاوى فظيعة، و ينسبون إليهم حكايات قبيحة، وكانوا ـــ لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها ـــ يصدقون ما فيها من مَيْنٍ وزُور؛ فزعموا أنه أعمى وأنه يأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده؛ وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم،

وأعرضوا بها عن إخلاص الدعاء لله وحده رب العالمين الذي﴿ يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه و يكشفُ السُّوءَ ويجعلُكم لُفَاء الأرض، أإلهٌ مع الله؟ قليلاً ما تذكرون﴾.

وأما ما يفعل الآن في الحرم المكي الشريف ــ زاده الله رفعة وتشريفاً ــ فهو يزيد على غيره كثيراً. ففي تلك البقاع المطهرة تأتي جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان، ما يملأ القلب أسى وحزناً. فلقد انتُهِكت فيه المحرمات والحدود، وكان لأهل الباطل فيه جولات، فأين قوله تعالى:﴿ وإذْ بوَّأنا لإبراهيمَ مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهِّرْ بيتي للطائفين والقائمين والرُّكَّع السُّجُود﴾. وقوله تعالى﴿ ومَنْ يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلْم نُذِقْهُ من عذاب أليم﴾.

ولقد جهروا بكل ذلك، وتظاهروا به عِياناً، ولم يَنْبَرِ من أهل العلم من يزيل هذا الضلال، بل تألَّبوا على مخالفة الحق، وحاولوا تغيير الصواب﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾.

فمن ذلك:

ما يفعل عند قبَّة أبي طالب، وهم يعلمون أنه حاكم متعدّ غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد و يضع عليهم خراجاً من المال، فإن أعطِي ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم. فصاروا يأتون قبره بالسماعات والعلامات يستغيثون به عند حلول المصائب ونزول الكوارث.

وكذلك ما يفعل عند قبر المحجوب: فكانوا يعظِّمون أمره، ويحذرون سرَّه، و يلتمسون عنده الشفاعة لتُغفَر ذنوبهم. فإن التجأ متعّدٍ أو سارق أو غاصب مالٍ إلى أحد هذين القبرين لم يتعرض له أحد بما يكره ولا يتوصَّل إليه بعقاب، فلا يخشى مغبَّة ما يقترف. أما إن تعلَّق جانٍ ــ مهما تكن جنايته صغيرة ــ بالكعبة، فإنه يسحب منها بالأذيال، تفريطاً منهم بحقِّها.

ومن ذلك أيضاً:

ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث، أم المؤمنين رضي الله عنها، في سَرِف، وعند قبر خديجة رضي الله عنها في المِعْلاة — من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات، وارتفاع الأصوات عندهما بالدعاء والاستغاثة، وتقديم الفدية، مما لا يسوغ لمسلم أن يبيحه ويحلّه، فضلاً عن أن يرى فيه قُرْبةً يدرك بها أجراً وفضلاً.

وما يأتونه كذلك عند قبر عبد الله بن عبّاس، رضي الله عنهما، في الطائف، من الأمور التي تشمئز منها نفس الجاهل، فكيف بالعالم؟ فيقف عند قبره المكروبُ والخائف متضرِّعاً مستغيثاً. وينادي أكثرُ الباعة في الأسواق: «اليوم على الله وعليك يا ابن عباس». ثم يسألونه الحاجات ويسترزقون به — من غير أن يزجرهم أحد أو ينكر عليهم ما يصنعون.

وأما ما يُفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور العظيمة المحرَّمة: كتعفير الخدود، والانحناء والسجود خضوعاً وتذللا، واتخاذ ذلك القبر عيداً — فهو أعمّ من أن يخفى، وأعظم من أن يُذكَر، لشهرته وشيوعه. وقد لعن عليه الصلاة والسلام فاعلَه، وكفى بذلك زجراً ووعيداً، ونهى عما يُفعَل عنده الآن غالبُ العلماء وغلّظوا في ذلك تغليظاً شديداً.

ويَكِلُّ اللسانُ عن وصف ما يُفعل عند قبر حمزة، وفي البقيع، وقبا، ويعجز القلم عن بيانه، مهما يكتفِ بذكر القليل منه:

وليس يصحُّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهارُ إلى دليل

وأما ما يفعل في جدّة فقد عمّت به البلوى، وبلغ من الضلال والفحش غاية ما بعدها غاية: ففيها قبر طوله ستون ذراعاً عليه قبّة، يزعمون أنه قبر حوّاء، وضعه بعض الشياطين من قديم وهيّأه وسوّاه فيجبِي عنده السَّدَنَة من الأموال

كلَّ سنة ما لا يكاد يخطر على البال، ولا يدخل إنسان ليسلّم على أمّه إلا عجّل بتقديم الدراهم، وكيف لا! أيبخل أحد من اللئام، فضلاً عن الكرام، ببذل بعض حطام الدنيا في سبيل الدخول على أمه والسلام عليها!!

وعندهم معبد يسمّى العلوي، فاقوا في تعظيمه جميع الخلق، وأرْبَوْا في الغلو فيه على جميع ما ذكرنا: فلو دخل قبره سارق أو غاصب أو قاتل لم يعترضه مؤمن ولا فاسق بمكروه، ولم يجرؤ أحد أن يخرجه منه. فمن استجار بتُرْبَته أجير، ولم ينله أحد من الحُكّام بأذى. وفي سنة ١٢١٠هـ عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جدّة مالاً كثيراً يزيد على سبعين ألف ريال من بعض التجار الوافدين من أهل الهند وأهل الحسا، فانكسر بعد أيام وأفلس وتغيّرت حاله، ولم يبق عنده ما يقابل نصف الذي عليه، فهرب إلى ذلك المعبد مستجيراً، فلم يتقدّم إليه من الناس شريف ولا وضيع، ولا كبير ولا صغير، وترك بيته وما فيه من مال، ولم يُرْزَأ بقليل ولا كثير، حتى اجتمع التجار ورأوا أن يُنْظِروه و يُيَسّروا عليه، وجعلوا المال عليه نجوماً في سنين، وكان بعض أهل الدّين من المشيرين بذلك.

* * *

وأما ما في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التي ينزّه الإنسان عن ذكرها وتعدادها، خصوصاً عند قبور الصُّلحاء والعُبّاد، كما ذكرها الثّقات في نقل الأخبار وروايتها ــ فأكثر من أن يُحصَى. فمنها: أنهم يأتون قبر أحمد البدوي وقبور غيره من العُبّاد والزهّاد والمشهورين بالخير، فيستغيثون و يندبون و يسألونهم المَدَد و يستحثّونهم على كشف المصائب، و يتداولون بينهم حكايات، و ينسبون إليهم كرامات، ويحكون في محافلهم أموراً من أفحش المنكر والضلال؛ فيقولون: فلان استغاث بفلان، فسارع إلى إغاثته؛ وفلان شكا لصاحب ذلك القبر حالَه، فأغاثه وكشف عنه ضره؛ وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره.. وأمثال هذا الهذيان المليء بالزور والبهتان. و يصدر هذا الكلام في تلك البلاد وهي مملوءة

بالعلماء وذوي التحقيق والعرفان، ويبقى ذلك المنكر لا يقوّمه أحد، بل ربما تنشرح له صدورهم.

* * *

وأما ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفِتَن، فأكثر من أن يستقصَى. فمن ذلك: ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمَّى «الهادي»: كانوا يغدون عليه جميعاً ويروحون، يدعونه ويستغيثون به، فتأتيه المرأة إذا تعسَّر عليها الحمل أو كانت عقيما، فتقول عنده كلمة عظيمة قبيحة؛ فسبحان من لا يعاجل بالمعاقبة على الذنوب.

وأما أهل بلد «برع» فعندهم «البرعي»، وهو رجل يرحل إلى دعوته كل دانٍ وقاصٍ، ويوتىَ إليه من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال؛ ويقيمون عند قبره للزيارة، ويتقربون إليه بالذبائح — كما حقق أخباره من شاهدها عياناً.

وأما أهل الهجرية ومن جاورهم وحذا حذوهم فعندهم قبر يسمى «ابن علوان»، أقبل عليه العامة يستغيثون به من نوائب الأيام، ويلجأون إليه كلما حزبهم أمر. ويسميه بعضهم «منجي الغارقين» — كما حكاه بعض من سمع ذلك. وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره، ويستغيثون به وإن كانوا بعيدين عنه، وينذر له في البحر والبر، وتعظيمه عند أهل بلده يفوق الوصف، ويفعلون عند قبره السماعات والموالد، ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والفساد. فليس في أقطار اليمن في هذا الزمن من يساويه في الشهرة، بل ولا في سائر الأقطار. ولهم في حضرته أمور يفعلونها تديناً، ويكررونها بين حين وحين، وقد جعلها الشيطان لهم عبادة: يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، ويقولون — وهم يغنون ويرقصون وقد ملأ الوجد والطرب ألبابهم: ياسادتي قلبي بكم معنى.

وأما حال حضرموت والشحر و يافع وعدن، فقد ثوى فيها الغيُّ وطمى الفساد، وعندهم «العيدروس» يُفْعَل عند قبره من السفه والضلال ما يغني بجمله عن التفصيل، و يقول قائلهم: شيء لله يا عيدروس، شيء لله يا محيي النفوس.

وأما بلدان الساحل فعندهم من ذلك شيء كثير؛ فعند أهل المخا: علي بن عمر الشاذلي، انصرف أكثرهم إلى دعوته والاستغاثة به، يقصدون قبره زرافات ووحداناً، لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعوداً وقياماً.

وأما أهل الحديدة فعندهم: الشيخ صِدّيق، أقبل الناس جميعاً على تعظيمه والغُلوّ فيه، لا يركبون البحر ولا ينزلون البر حتى يجيئوا إليه و يسلِّموا عليه و يطلبوا منه العون والمَدَد فيما يقصدون.

وأما أهل اللحيَّة فعندهم «الزيلعي»، وهم يسمُّونه: الشَّمس، لأن قبره مكشوف ليست عليه قبَّة. وكانوا يصرفون إليه النذور جميعها، وقد بلغوا أقصى الجهل والضلال والبغي في تعظيمه ودعوته. وأهل البادية منهم يروون حكاية عنه وهي: أنه كان رسولاً في حاجة، فأراد أن يدخل بلده، والشمس توشك أن تغيب، وكان يريد أن يدخل البلد قبل غيابها، فقال لها: قفي. فوقفت وأطاعته امتثالاً لقوله. هكذا رووا والله أعلم بحقيقة الحال.

وعندهم قبر رابعة، وهو مشهور، لا يحلفون ـــ إن أرادوا الصدق في اليمين ـــ إلا بها.

وعندهم الطامة الكبرى والمعضلة الجسيمة، في أراضي نجران وما يليها من البلاد ومَنْ حولها من الأعراب. فلقد أتوا من تعظيم الرئيس المسمَّى عندهم «السيِّد» المتقدِّم في رياستهم وسياستهم والمتصرف بجميع شؤونهم، ومن توقيره وتقديمه وقبح الغلو في الاعتقاد فيه ـــ ما أفضى بهم إلى الضلال والإلحاد، فصرفوا

له نصيباً من العبادة، وجعلوا فيه بعض صفات الألوهية، حتى كادوا أن يجعلوه لله نِدًّا؛ وكان مشهوراً بكل ذلك عندهم. فتعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيراً.

* * *

وأما ما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فيفوق الوصف ويتجاوز الحصر — كما يذكر مَنْ شاهَده:

فقد بلغ أهل تلك البلاد من العكوف على عبادة القبور، وتقديم القرابين والنذور إليها، والمجاهرة بالفجور والفسق، ووضع الخراج على البغايا، وأخذ المكوس — منزلة لا يوقف لها على حد.

* * *

وفي الموصل وبلاد الأكراد وما يليها، وفي العراق — وخاصة بغداد والمشهد — من المنكر ما لا يحتاج إلى بيان:

فالناس هناك يؤمُّون قبور الإمام أبي حنيفة؛ ومعروف الكرخي، والشيخ عبد القادر — رضي الله تعالى عنهم — ويتوجهون إليهم بالدعاء والاستغاثة، وهم يبكون ويتضرعون، ويُظهِرون من التعظيم والخضوع أعظم مما يتوجَّهون به إلى الله في الصلاة. وما ذلك إلا لاعتقادهم بأن كل ذلك وسيلة ناجعة.

وأما مشهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقد صيَّرته الرافضة وثناً يُعْبَدُ من دون الله خالق الخلق. فيتوجهون إليه بخالص الدعاء، ويصلُّون له في قبَّته المذهَّبة التي زخرفوها على قبره. وهؤلاء الجهَّال يستشعرون في صدورهم من الهيبة والإجلال لعليّ رضي الله عنه ما لا يستشعرون معشاره بين يدي الله. فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله، لا يخشونه ولا يراقبونه سراً ولا جهراً، ولكنهم لا

يحلفون بعليّ كذباً أبداً، ويقدّسون مشهده فلا ينتهكونه، ويزعمون أن عنده مفاتح الغيب، ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حَجّة.

وكفى بما ذكرناه حُجّة عليهم في خروجهم عن الإسلام، فلقد غلَوْا فيه وأتوا من الشرك أعظم مما فعل النصارى بالمسيح ــ سوى دعوى الوَلَديَّة التي لم يجرؤوا عليها ــ وساووهم بل زادوا عليهم في غيرها من الرذائل. فخالفوا بكل ذلك هَدْيَ عليّ نفسه رضي الله عنه، فقد حرق في حياته أناساً كثيرين ممن غلَوْا فيه. فما كان أغناهم عن انتهاج منهج الضلال.

ومثل ذلك ما يفعل عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين من الشرك المنكر والكفر القبيح، فشبَّ عليه الأطفال وشاب عليه الرجال من الجُهّال، حتى لا يكاد يُسمَع بين هؤلاء الضالّين ذكرٌ لله، وإنما ديدنهم ترديدُ ذكرِ عليّ والحسين وبقية الآل.

ومثل ذلك أيضاً ما يفعل في جميع قرى الشط والمجرة وما حول البصرة وما توسَّط فيها من قباب ومشاهد، ولا سيما قبر الحسن البصري والزبير رضي الله عنهما. فترى الناس يقصدون هذه القبور ويصرفون لها العبادة والدعاء والاستغاثة وليس لهذا منكِرٌ ولا جاحد.

* * *

وأما ما في القطيف والبحرين من بِدَع الروافض، والشرك القبيح، والمشاهد الوثنية، ومظاهر الضلال ــ فلا يكاد يخفى على أحد من الناس لكثرته وشيوعه.

الفصل الثاني

اختلاف المسلمين

وكل مؤمن يرى أفعال أكثر المسلمين في هذه البلاد تتبين له غربة الدين في هذا الزمان، و يزداد بصيرة في دينه، ويحمد الله على ما أنعم عليه به من فضل الإيمان.

لذلك كان على كل مؤمن يعمل لآخرته أن يمتثل لما كلفه الله تعالى، وأن يخلِّص نفسه من أدران الشرك، وذلك بأن يجرِّد التوحيد لله وحده؛ و يعتبر بما وقع من التفرق في الدين والاختلاف بين المسلمين، وما جرَّهم اليه الشيطان وأعوانه باستدراجه لهم حتى أوقعهم في الغواية وطوح بهم في الضلال، فاتبعوا ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم، واقترفوا المحرمات، وانتهكوا الحدود، واستمسك أكثرهم بالبدع والأهواء، وهجروا حبل الله المتين.

وقد صار ذلك من الله تعالى حتماً مقضيًّا وقدراً مقدوراً، ومصداقاً لما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن أمته ستتبع سَنَن من كان قبلهم: كاليهود والنصارى وفارس والروم — كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث:

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقذة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ ».

وخرَّج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها: شبراً بشبر وذراعاً بذراع. فقيل: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: ومَنِ الناسُ إلا أولئك؟ ».

فأخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى أن أمته تفعل كفعل اليهود والنصارى — وهم أهل الكتاب، وفارس والروم — وهم الأعاجم. وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وأنهم عبدوا العجل، وآمنوا بالجِبْت والطاغوت، ﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ من كتب السحر، «وأنهم قالوا: سمعنا وأطعنا — وقلوبنا غُلْف» وأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعادَوْه وأبغضوه بعد معرفته «ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون»، وأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وأنهم يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

ولقد كانوا يستفتحون على كفار العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويقولون: هذا أوان نبي قد أظلَّ زمانهُ فنتَّبعه ونقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَم — كما ذكر ذلك ابن إسحق[1] وغيره من أهل السير والمغازي. فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم من العرب، وصار أتباعه من العرب، كفروا به وأبغضوه بغياً وحسداً للعرب أنْ خصَّهم الله تعالى بهذه الفضيلة العظيمة.

ثم أصبح في هذه الأمة من يفعل فعل اليهود والنصارى وفارس والروم: ففي حديث الثوري وغيره، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم الإفريقي، عن عبدالله ابن يزيد، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليأتيَنَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إنْ كان منهم من أتى أمَّهُ علانيةً كان في أمتي من يفعل ذلك. وإن بني

(١) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة ١٣٥٥هـ، ج١: ٢١٣—٢٤٨.

إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

رواه أبو عيسى الترمذي وقال: هذا حديث غريب مفسَّر لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وهذا الافتراق مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف الأشجعي، وغيرهم:

فعن محمد بن عمرو عن أبي سَلَمة عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ـــ أو اثنتين وسبعين فرقة ـــ والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

رواه أبو داود، وابن ماجة، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ـــ يعني أهل الأهواء ـــ كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة».

وقال:

«إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه عِرْق ولا مفصل إلا دخله. والله يا معشر العرب لئن لم

تقوموا بما جاء به محمد لَغَيْرُكم من الناس أحرى أن لا يقوم به»[1].

هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، وعن أبي عامر عبد الله بن يحيى عن معاوية. ورواه عنه غير واحد، منهم: أبو اليمان، وبقية، وأبو المغيرة. رواه أحمد وأبو داود في سُننه. وقد روى ابن ماجة هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك الأشجعي. ويروَى من وجوه أُخَر.

* * *

فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، والثنتان والسبعون لا ريب أنهم هم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم، قال الله تعالى: ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشدَّ منكم قوَّةً وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا، أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾.

وقد ذكر أهل التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

« ما أشبه الليلة بالبارحة، هؤلاء بنو إسرائيل شُبِّهنا بهم، والذي نفسي بيده لتتبعُنَّهم حتى لو دخل الرجل منهم جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه ».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه:

« أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سَمْتاً وهَدْياً، تتبعون أعمالهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، غير أني لا أدري أتعبدون العِجْلَ أم لا؟ ».

(١) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٦٩، ص: ٣٢.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال:

« المنافقون الذين منكم اليوم شرٌ من المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. قلنا: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه ».

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في كتابه: « اقتضاء الصراط المستقيم »[1]:

هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا معاً، ثم قد يؤول إلى سفك الدماء؛ وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط. وهذا الاختلاف الذي وردت به هذه الأحاديث هو مما نهى الله تعالى عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيِّنات.. ﴾ الآية، وقوله: ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شِيَعاً لست منهم في شيء ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾.

ومنشأ هذا الاختلاف إما من ترك العمل بالعلم: كالذي يعرف الحق من الباطل ويميِّز بينهما ولا يتَّبع ذلك عملاً ولا قولاً؛ وإما من العمل بلا علم: فيجتهد في أصناف العبادة بلا شريعة من الله، و يقول على الله تعالى بلا علم.

﴿ فالأول من مشابهة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون ﴾.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٦٩هـ ــ ١٩٥٠م، ص: ٣٣.

والثاني من مشابهة النصارى الغالين في الدين والقائلين فيه غير الحق والضالين عن سواء السبيل.

وقد ابتلى الله تعالى طوائف من هذه الأمة من المنتسبين إلى العلم بما ابتلى به اليهود من حب الدنيا وإيثارها وكتمان الحق فإنهم تارة يكتمون العلم بُخْلاً به وكراهةَ أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه؛ وتارة اعتياضاً عنه برئاسة أو مال ويخاف من إظهاره انتقاصَ رئاسته أو نقص ماله؛ وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حُجَّة لمخالفه، وإن لم يتيقَّن أن مخالفه مُبْطِل[1].

ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم».

وكان السلف رضي الله عنهم كسفيان بن عُيينة وغيره يقولون: «إنَّ مَنْ فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارى».

* * *

وليس الغرض استيعابَ ما وقع من الاختلاف والافتراق، واستقصاء ما حدث فيه النزاع، وما حصلت فيه المشابهة ــ فإن ذلك أمر لا سبيل إلى استيفائه إلا على وجه الإجمال، وخاصة حين يضاف إليه ما أحدثوه من تأويل التنزيل ومن تحريف ذلك التأويل. وإنما نقصد إلى ذكر شذرات يُمْعِن فيها اللبيب فكره، ويستمد منها العظة والاعتبار، في هذا الزمان الذي أصبح فيه المستمسك بدينه كالقابض على الجمر. فقد، والله، تفاقم الأمر وعظم، وأطلّت الفتن، وانتشر الضلال، وعمَّت البدع، وقلّ الاكتراث بالدين، وكثر المبطلون الذين

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم. ص: ٥-٧٠

يحكمون — من غير برهان — بضلال الداعين إلى تجريد التوحيد وتخليص الدعوة إلى الله رب العالمين بنفي الوسائط من دونه.

* * *

ولقد أجمع الأئمة واتفقت كلمتهم على أن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على ضلالة ولا يعمُّها بالسفاهة والجهل، فعصمتها مستمرَّة إلى انقضاء الزمان، لا ينكر ذلك مُنِكر، لثبوته في صحيح الأخبار، ولأن العدول قد نقلوه عن رسول الله:

فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن في أمته أناساً لا يزالون يستمسكون بهديه، وفيها — بل إن أكثرها — مخطئون ينحرفون عن هديه صلى الله عليه وسلم وعن منهاجه. وقد زيَّن الشيطان هذا الاختلاف والانحراف للنفوس فأسرعت إليه، حتى إن بعض العلماء، المنتسبين إلى مذاهب بعينها، يتعصَّبون لها، ولا يقبلون من الدين رأياً ولا رواية إلا ما وافق رأي أصحابه ولو تبين له أن الحق مع غير مذهبه. وبذلك يترك السُّنَّة التي أمر جميع الناس بالاستمساك بها، ويأخذ بهَدْيِ بعض الأتباع.

والواجب على كل مؤمن أن يقبل الحق ممَّن كان وأن يعمل به، لا يصرفه عن ذلك هوى ولا شهوة ولا عصبية، كما يفعل بعض أهل المذاهب الطاعنين على الأئمة الهُدَاة، والعياذ بالله.

وكثير ممَّن يدَّعي العلم، ومن المتعبِّدة المتصوِّفة، لا يسلم بعضهم من بعض. والعابد يرى طريقة العلم سفاهةً وضلالا، ويدَّعي أن العلماء لم يشربوا من صافي الشريعة، ولم يقدروا على الاتصال بالحضرة؛ وذلك ضلال بعيد.

وإنما الحق ما جاء به كتاب الله وسُنَّة رسوله، وما قاله الصحابة وعملوا به، وما اختاره الأئمة الأربعة. فقد انعقد الإجماع على صحة ما قالوه، ولا يخرج

عنهم إلا مبتدع. فمن اهتدى بهم بعد الكتاب والسُّنَّة، فقد رشد واهتدى، ومن فارقهم فقد ضل واعتدى.

وللإمام أبي عمر يوسف بن عبد البَرّ مصنَّف سمَّاه «كتاب العلم» أوعب الكلام فيه على السُّنَّة والقرآن ووجوب التمسُّك بهما، ولم يرَ التقليد منهجاً سديداً إلا فيما لا بدَّ منه ولا غنى عنه، حين يُفتَقَد الدليل.

ولشمس الدين بن القيِّم في «إعلام الموقِّعين» كلام شافٍ في الدعوة إلى الاجتهاد وردّ حجج المقلّدين.

الفصل الثالث

غربة الإسلام

وما وصفناه من حال المسلمين هو غربة الإسلام التي أخبر بوقوعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإلهام من الله تعالى له:

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ».

وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره، وهي: «قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس».

وخرَّجه غيره، وعنده: «قال: الذين يفرُّون بدينهم خوف الفتن».

وخرَّجه الترمذي من حديث كثير بن عبدالله المزني، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم:

« إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سُنَّتي ».

وخرَّجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حديثه:

« قيل: ومن هم يا رسول؟ قال: الذين يصلحون حين فسد الناس ».

وخرجه أيضاً من حديث شريك بن سعد بنحوه. وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حديثه:

« فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس ».

وخرَّج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« طوبى للغرباء. قلنا: وما الغرباء؟ قال: قوم صالحون قليل في ناس سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ».

وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وموقوفاً في هذا الحديث:

« قيل: ومن الغرباء؟ قال: الفرّارون بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم عليه سلام ».

* * *

ومعنى ظهور الإسلام غريباً أن الخلق — قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم — كانوا على ضلالة؛ فدعا إلى الإسلام فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة. وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته: يؤذَى ويشرَّد ويعذَّب ويُقتَل، فيهربون إلى البلاد النائية كالحبشة، ثم إلى المدينة بعد الهجرة.

فصار الداخلون في الإسلام قبل الهجرة غرباء. ثم أتم الله تعالى نعمته على المسلمين، وأكمل لهم دينهم. فلما قُبِض سيد المرسلين استمروا على الاستقامة والتعاضد والنُّصرة في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى أعمل الشيطان مكايده على المسلمين، وألقى بأسهم بينهم. وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات، فأضلَّ أكثر المسلمين بهما معاً أو بإحداهما. فكان ذلك كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح البخاري: عن عمرو بن عوف، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبْسَط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم ».

وفي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال.

« كيف أنتم إذا فُتحت عليكم حزائن فارس والروم؟ أيُّ قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمر الله تعالى. قال: أو غير ذلك، تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ».

وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه أيضاً.

ولما فتحت كنوز كسرى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكى وقال: « إن هذا لم يُفتَح على قوم قط إلا جعل بأسهم بينهم » ـــ أو كما قال.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى على أمته هاتين الفتنتين، كما في مسند الإمام أحمد، عن أبي برزة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومُضِلاَّت الفِتَن » ـــ وفي رواية: « ومُضِلاَّت الهوى ».

* * *

فلما عمَّت فتنة الشهوات وأصبح همُّ الخلق منصرفاً إلى الدنيا وزينتها، ارتكبوا المعاصي والكبائر، وأصبحوا متباغضين متدابرين، بعد أن كانوا إخواناً متناصرين.

وأما فتنة الشبهات والأهوال المضلّة، فسببها تفرُّق المسلمين، فصاروا شيعاً وفرقاً وأحزاباً: يعمهون في الضلال، ويفتحون أبواب البدع والغي. فتحاسدوا وتباعدوا وتقاطعوا، بعد أن كانوا على قلب رجلٍ واحد. ولم ينجُ منهم إلا الفرقة الناجية، وهم المذكورون في قوله صلى الله عليه وسلم:

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم مَنْ خَذَلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ».

وهم الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يَصْلُحون إذا فسد الناس، ويُصْلِحون ما أفسد الناس؛ وهم الذين يفرُّون بدينهم من الفتن، وهم النُّزَّاع من القبائل.

وخرَّج الطبراني من حديث ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة قال: « وإن من أشراطها أن يكون المؤمن في القبيلة أقل من النقد » ــ أي صغار الغنم.

وفي مسند الإمام أحمد: عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه: « يوشك إنْ طالت بكم حياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فأعاده وأبدأه، فأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه، ونزل عند منازله، ما يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار».

ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه: « سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذلَّ من الأمَة ».

وإنما ذَلَّ المؤمن في آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد والضلال، ومباينته لهم في قصدهم، ومخالفته طريقَهم.

قال أحمد بن أبي عاصم ــ وكان من كبار العارفين في زمن أبي سليمان الداراني: «إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً، وعاد وصف الحق غريباً كما بدأ؛ إنْ ترغب فيه إلى عالم وجدتَه مفتوناً بحب الدنيا يحب التعظيم والرياسة؛ وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلاً في عبادته، مخدوعاً، صريع عدوِّه إبليس، قد صعد به إلى أعلى درجات العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها...» إلى آخره. خرَّجه أبو نُعَيْم في «الحلية».

وخرج أبو الشيخ الأصبهاني[1]، بإسناده إلى الحسن قال: لو أن رجلاً من الصدر الأول بُعِث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة. ثم قال: أما والله لئن عاش على هذه المنكرات فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته، وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه، فعصَمه الله تعالى، وقلبه يحنُّ إلى ذكر السَّلَف فيتبع آثارهم و يستنُّ بسُنَّتهم و يتبع سبيلهم ــ كان له أجر عظيم.

ولقد مدح كثير من السلف السُّنَّةَ، ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقِلَّة: فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول لأصحابه: يا أهل السُّنَّة ترفَّقوا رحمكم الله، فإنكم من أقلِّ الناس.

وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرب من السُّنَّة، وأغربُ منها من يعرفها.

وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء.

* * *

والمراد بالسُّنَّة عند هؤلاء الأئمة طريقةُ النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه، السالمةُ من الشبهات والشهوات، وهي التي ورد أن للمتمسِّك بها والعامل أجرَ خمسين ممن قبلهم، والمتمسك بدينه كالقابض على الجمر.

(١) هو الحافظ أبو محمد، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني، توفي سنة ٣٦٩.

ثم صارت السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات، خاصةً في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم لآخر؛ وكذلك في مسائل القَدَر وفضائل الصحابة.

وصنَّفوا في هذا الباب تصانيف سموها «كتب السُّنَّة». وإنما خصُّوا هذا العلم باسم السُّنَّة لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شَفَا جُرف.

* * *

والغربة عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنة.

فالظاهرة: غربة أهل الصلاح بين الفُسَّاق وأهل الرِّياء، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سُلِبت الخشية من قلوبهم، وغربة الزاهدين بين الراغبين في عَرَض الدنيا الفاني.

وأما الغربة الباطنة فغربةالتَّهمة. وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والزُّهَّاد؛ فإن أولئك واقفون مع عبادتهم وعلمهم وزهدهم، وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يعرجون عنه.

اضطهاد الأخيار ـ التزام السُّنَّة ـ معنى العلم والرأي

ومن أجل هذا كلِّه كان على كل مؤمن موحِّد أن يسأل الله دوام الهداية، وأن يحمده على ما حباه من نعمة الإيمان الخالص والتوحيد المجرَّد له وحده، وأن يستمدَّه الصبر على ما يتعرَّض له من ضروب الابتلاء؛ فقلَّما سَلِم المؤمنون من عوارض الامتحان ونوائب البلايا والفتنة في كل قطر وفي كل زمان.

وخير سلوانٍ ينفي به المؤمن الموحِّد عن نفسه الحزن والهمَّ، وأفضل عزاء يشيع في نفسه الراحة والطمأنينة، أن يجيل بصره وفكره فيما لاقاه الأتقياء البَرَرَة من الفَجَرة الكَفَرة، وأن يستمدَّ العظة والعبرة بما وقع على المصطفَين الأخيار من الاضطهاد والتعذيب والقتل، وخاصةً ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولصحابته وآله.

فإذا تأمَّل المؤمن ذلك ازداد سكوناً وصبراً ـ تأسِّيًا واقتداءً بهولاء السلف الصالح، وعلم أنَّ في ابتلاء الله لخاصّته وأوليائه سرًّا عظيماً ينصر به دينه، وينشر كلمته، ويثبِّت به قلوب المؤمنين، ويزيد من إقبال الناس جميعاً، فهو في الحقّ حكمة بالغة ومِنَّة على المؤمنين سابغة.

وقد جاء في بعض الأحاديث: أن الله ذكر في التوراة لموسى: إني أقسِّي قلب فرعون لتظهر آياتي وتظهر عجائبي.

فمن ثبَّت الله في قلبه الايمان وأكمل له الدين، صبر على الأذى، وتحمَّل مشقَّة الاختبار، وأيقن أنْ ستكون له العاقبة، وقد قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجَنَّة ولمَّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم و يعلمَ الصابرين﴾. وقال: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا مِنْ قَبْلِكم مَسَّتْهُمُ البأساءُ والضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حتَّى يقولَ الرسولُ والذين آمنوا معه متى نَصْرُ الله، ألا إنَّ نَصْرَ الله قريب﴾

وليس بعد الصبر إلا لذة النصر و بهجة الفوز ومضاعفة الثواب. وكل ذلك لحكمة من الله تعالى واضحة، وإلاَّ فهو جلَّ ثناؤه يعلم الأشياء قبل وقوعها جملةً وتفصيلاً، وكيف لا يعلمها وهو الذي أوجدها وقدَّرها وصرَّفها، ولا تقع إلا على وفق ما أراده. ومن عظيم عدله تعالى و بالغ فضله وإحسانه أن لا يؤاخذ أحداً بعلمه، ولا يعاجل بالعقوبة حلماً منه وفضلاً.

وما قاساه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الاختبار والامتحان، وعاناه من الابتلاء من أولئك الذين يدَّعون رفعة الشأن والقدم الراسخة في العلم حين وقعوا في الفتنة ــ إنما هو جارٍ على سُنَّة الله، ومماثلٌ لما وقع فيه الناس من قبل، كما قال تعالى: ﴿وكذلك فَتَنَّا بعضَهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا أليس الله بأعلمَ بالشاكرين﴾ وأكثر الذين اقترفوا هذا الإثم أقرُّوا على أنفسهم بأن ما أتى به الشيخ هو الحق والصواب، واعترفوا بأنه هو التوحيد المجرَّد الصحيح، غير أنهم ركبوا رؤوسهم، وأنِفَتْ من الرجوع إلى الحق نفوسُهم، وخشُوا أن يضيع منهم جاهُهم وتُسْلَبَ منهم دنياهم ورئاستهم. وقد صرَّح كثير منهم في المحافل بأن ما يُفْعَل عند القبور والأشجار والطواغيت والأحجار إنما هو الشرك القبيح الذي لا تمحوه إلا التوبه وغفران الله.

غير أن بعضهم كان يقرُّ بذلك في سرِّه ومجالسه الخاصة، ثم ينكر ما يعرف في الجهر والمحافل العامة، فصُرِفت وجوههم عن الحق، ونكَّروا من الشرع الأمور

الواضحة المعروفة. فجاهروا بالإنكار على عثمان بن معمر جبايته الزكاة، وتأديبه من تخلّف عن الصلاة جماعةً، ومن لم يصلّ جملةً، وغير ذلك من أمور الدين.

وكان كثير من علماء نجد يأتون رؤساء البدو يحذّرونهم إقامة الصلاة في حيّهم وسماع الأذان، ويحثّونهم على التمسك بفسقهم وعصيانهم، كل ذلك بغياً على الحق، وبغضاً وحسداً للشيخ، ولدعوة التوحيد، ولمّا نادى به من الاعتصام بالكتاب والسُّنّة، والعمل بما جاء من هدى الصحابة، وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم في الأمة.

والشيخ ــ وإن كان قد التزم مذهباً بعينه ــ فإنه لم يقدّمه على النص القاطع ولم يتعصّب له، فإن لم يلق من النصوص القاطعة دليلا اختار ما هو إلى الدليل أقرب، والتزم من الأقوال أصوبها ومن الأحكام أنسبها بالشريعة وأوفقها.

فلما أسفر نور الحق من كلامه، وسطع البرهان الواضح، وتجلّت أحكام الله التي أوجبها على الخلق كافةً، طارت قلوب بعض أدعياء العلم فرَقاً، وسَعَوْا إلى تغيير الحق المبين بحثّ الناس على التمسك بما هم فيه من ضلال وبهتان، وتعاوَنَ على ذلك صغيرهم وكبيرهم، وقد تغافلوا عما ورد في ذلك من الأحكام البيّنة والآيات المحكمة:

قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً﴾.

قال العلامة شمس الدين بن قيّم الجوزية في كتابه «إعلام الموقّعين»[1]: أجمع المسلمون على أنّ الردّ إلى الله سبحانه هو الردُّ إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سُنّته بعد وفاته.

---

(١) مطبعة النيل بمصر، ١: ٥٦ وانظر كذلك ص: ٢٧٥.

قال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتَّبعون أهواءهم، ومَنْ أضلُّ ممن اتَّبع هواه بغير هُدًى من الله إن الله لا يَهْدِي القومَ الظالمين﴾.

فقسم تعالى الأمر إلى اثنين: إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتِّباع الهوى — وكل ما لم يأتِ به الرسول فهو من الهوى. وقد حرَّم سبحانه القولَ عليه بلا علم، وجعل ذلك أعظم من الشرك لأنه جعله في المرتبة الرابعة، فقال تعالى: ﴿وأنْ تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ وقال: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ فلا يجوز أن يقول العبد: هذا حلال وهذا حرام، إلا لِمَا علم أن الله أحلَّه وحرَّمه[1].

قال الشافعي قدَّس الله تعالى روحه[2]: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن له أن يَدَعَها لقول أحد من الناس.

قال أبو عمر بن عبد البرّ وغيره من العلماء[2]: أجمع الناس على أن المقلَّد ليس معدوداً من أهل العلم وأنَّ العلم معرفة الحق بدليله. وهذا أيضاً كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى: فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد. فقد تضمَّن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء... فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر. وكيف يكون من ورثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من يجهد ويكدح في ردِّ ما جاء به إلى قول مقلَّده ومتبوعه، ويضيع ساعات عمره في التعصب والهوى، ولا يشعر بتضييعه! تالله إنها فتنة عمَّت فأعْمَتْ، ورَمَتِ القلوبَ فأصْمَتْ.

(١) من كلام ابن القيم في «إعلام الموقعين» انظر ١: ٤٢-٤٣.
(٢) المرجع السابق: ٧-٨.

قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف[1]: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس؛ قيل: من هم؟ قال: الملوك والعلماء.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

رأيت الذُّنوب تُميتُ القلوبَ ... وقد يُورِثُ الذُّلَّ إدمانُها
وتَرْكُ الذُّنوب حياةُ القلوب ... وخيرٌ لنفسك عصيانُها
وهل أفسدَ الدِّينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

قال أبو عمر بن عبد البر: قال أهل العلم والنظر: حدُّ العلم التبيين وإدراك المعلوم على ما هو به، فمن بان له الشيء فقد علمه. قالوا: والمقلِّد لا علم له؛ لم يختلفوا في ذلك. ومن هنا — والله أعلم — قال البحتري[2]:

عرف العارفون فضلَك بالعلْـ ... ـم وقال الجُهَّالُ بالتقليدِ
وأرى الناس مجمعين على فضْـ ... ـلكَ من بين سيِّدٍ ومسود

وقال أبو عبدالله بن خُويْزِ مَنْداد[3] البصري المالكي: التقليد معناه في الشرع الرجوعُ إلى قولٍ لا حُجَّةَ لقائله عليه؛ وذلك ممنوع في الشريعة. والاتِّباع: ما ثبت عليه حجة.

وقال في موضع آخر من كتابه: كلُّ من اتَّبعت قوله — من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك — فأنت مقلِّده، والتقليد في دين الله غير صحيح؛

(١) المرجع السابق: ١١.
(٢) ديوانه — مطبعة الجوائب ٢: ١٩٥ وفيه اختلاف في الألفاظ.
(٣) انظر ضبط الاسم والتعريف به في: تاج العروس ٢: ٣٤٣.

وكلُّ من أوجب الدليلُ عليك اتِّباعَ قوله فأنت متَّبعه. والاتّباع في الدين مسوغ، والتقليد ممنوع[1].

وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم، وذمُّوا من أخذ قولهم بغير حجة: فقال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليلٍ يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه وهو لا يدري ــ ذكره البهيقي.

وقال إسماعيل بن يحيى المزني في أول مختصره[2]: اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، ومن معنى قوله لأقرِّبه على من أراده مع إعلاميهِ نهيَه عن تقليده وتقليد غيره، لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه.

وقال أبو داود: قلت لأحمد: الأوزاعي هو أتبع من مالك؟ قال: لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخُذْ به، ثم التابعين بعدُ الرجلُ فيه مخيَّرٌ.

وقد فرَّق أحمد بين التقليد والاتِّباع. قال أبو داود: سمعته يقول: الاتباع أن يسمع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثم هو في التابعين مخيَّر.

وقال أيضاً: لا تقلِّدني ولا تقلِّدْ مالكاً ولا الثَّوريَّ ولا الأوزاعيَّ، وخذْ من حيث أخذوا.

وقال: من قِلَّة فقه الرجل أن يكون يقلِّد في دينه الرجال.

وقال بشر بن الوليد: قال أبو يوسف: لا يحلُّ لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا.

---

(١) أنظر جامع وبيان العلم فضله، لابن عبد البر، المطبعة المنيرية ٢:١١٧.

(٢) على هامش كتاب «الأم» للشافعي ص: ١، بولاق ١٣٢١.

وقد صرَّح الإمام مالك بأنَّ من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي فإنه يستتاب، فكيف من ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم أو مثله؟

وقال جعفر الفريابي: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني الهيثم بن جميل قال، قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً وضعوا كتباً، يقول أحدهم: حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكذا وكذا، وفلان عن إبراهيم بكذا، أوَ يأخذ بقول إبراهيم؟ قال مالك: وصحَّ عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية كما صحَّ عندهم قول إبراهيم. فقال: هؤلاء يُستتابون.

وقال الطحاوي: حدثنا محمد بن عبد الحكم، حدثنا عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا أشهب بن عبد العزيز، قال: كنت عند مالك، فسئل عن البتة،فأخذت ألواحي لأكتب ما قال. فقال لي مالك: لا تفعل فعسى في العشي أنها واحدة.

وقال معن بن عيسى القزَّاز: سمعت مالكاً يقول: إنما أنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا في قولي فكلُّ ما وافق الكتاب والسنَّة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

وقال بَقِيُّ بن مَخْلدْ: حدثنا شمعون والحارث بن مسكين عن ابن القاسم أنه كان يكثر أن يقول: ﴿إن نَظنُّ إلا ظنّاً وما نحن بمستيقنين﴾.

وقال القَعْنَبي: دخلت على مالك بن أنس في موضعه الذي مات فيه فسلَّمت عليه ثم جلست فرأيته يبكي، فقلت: ياأبا عبد الله ما يبكيك؟ قال: يا ابن قعنب مالي لا أبكي؟ ومن أحقُّ بالبكاء مني، والله لَوَددْتُ أني ضُربت بكل مسألة أفتيت بها بالرأي سوطاً، وقد كانت لي السَّعة فيما سُبِقتُ إليه، وليتني لم أفْتِ بالرأي.

وقال ابن أبي داود، حدثنا أحمد بن سنان قال، سمعت الشافعي يقول: مثل الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه مثل المجنون الذي عولج حتى برىء فأعقل ما يكون.

وقال ابن أبي داود، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال، سمعت أبي يقول: لا يكاد أحد نظر في الرأي إلا وفي قلبه دغل.

وقال الأصمُّ، أنبأنا الربيع بن سليمان: لنعطينَّك جملة تغنيك إن شاء الله: لا تَدَعْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً أبداً إلا أن يأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه، فتعمل بما قلت لك في الأحاديث إذااختلفت.

قال الأصم، وسمعت الربيع يقول، سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلافَ سُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت.

وقال أحمد بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي، سمعت الربيع يقول، سمعت الشافعي يقول: كل مسألة تكلمت فيها صحَّ الخبر فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ماقلت، فإني راجع عنها في حياتي وبعد موتي.

وقال الحاكم، سمعت الأصمَّ يقول، سمعت الربيع يقول، سمعت الشافعي يقول — وروى حديثاً، فقال له رجل: هل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رويتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب؛ وأشار بيده على رؤوسهم.

وقال الحميدي: سأل رجل الشافعي عن مسألة فأفتاه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا. وقال الرجل: تقول بهذا؟ قال: رأيت في وسطي زنَّاراً، أتراني خرجت من كنيسة؟ أقول قال النبي صلى الله عليه وسلم، وتقول لي أتقول بهذا؟ أروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أقول به؟

وقال الحاكم، أنبأني أبو عمرو بن السماك مُشافهةً أن أبا سعيد الجصاص حدثهم قال، سمعت الربيع بن سليمان يقول، سمعت الشافعي يقول ــ وسأله رجل عن مسألة فقال: رُوِي عَن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفرَّ وحال لونه وقال: ويحك، وأيُّ أرض تُقِلُّني وأيُّ سماء تُظِلُّني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فلم أقلْ به نعم على الرأس والعينين، نعم على الرأس.

وقال، سمعت الشافعي يقول: مامن أحد إلا وقد يذهب عنه سُنَّةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه، فمهما قلتُ من قول أو أصَّلتُ من أصل ــ فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافُ ما قلتُ ــ فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو قولي ــ يردّد هذا الكلام.

وقال الربيع، قال الشافعي[1]: لم أسمع أحداً نَسَبَتْهُ عامَّةٌ أو نسب نفسه إلى علم، يخالف في أنَّ فَرْضَ الله عز وجل اتِّباعُ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتسليم لحكمه؛ فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتِّباعَه، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله وأن ما سواهما تَبَعٌ لهما؛ وأن فَرْضَ الله علينا وعلى مَنْ بَعْدَنَا وقَبْلَنا ــ في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ واحد. لا يختلف في أن الفرضَ والواجبَ قبولُ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ إلا فِرْقةٌ سأصف قولها إن شاء الله تعالى.

قال الشافعي[1]: ثم تفرّق أهل الكلام في تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقاً متبايناً، وتفرّق غيرُهم ممن نسبته العامَّةُ إلى الفقه فيه تفرُّقاً. أما بعضهم فقد أكْثر من التقليد، والتخفيف من النظر، والغفلة، والاستعجال بالرياسة.

وتواتر عنه أنه قال: إذا صحَّ الحديث فاضربوا بقولي الحائط.

---

(١) انظر كتاب «جماع العلم» للشافعي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ــ دار المعارف بمصر سنة ١٣٥٩هـ ــ ١٩٤٠م ص: ١١ ــ ١٢.

الفَصْــل الخامِس

معنى التوحيد

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل هو شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ الإلهية كلَّها بجميع أنواعها لله وحده، لايصلح منها شيء لا لملك مُقَرَّب ولا نبيٍّ مُرسَل، ثم تدبُّرُ ما ذكره الله في كتابه من بيان هذا الاصل وتوضيحه وتقريبه للأذهان بالأمثال العظيمة التي لا يعقلها إلا من أراد الله هدايته.

فإن هذا الأصل العظيم هو الذي خلق الله لأجله جميع الخَلْق، وأرسل لأجل معرفته والعمل به جميعَ المرسَلين؛ قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كلِّ أمَّةٍ رسولاً أنِ اعْبُدُوا الله واجْتَنِبُوا الطاغوت) وقال تعالى: ﴿ وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلا لِيَعْبُدون ﴾ وقال تعالى: ﴿ واسْألْ مَنْ أرْسَلنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أجَعَلْنا مِنْ دُونِ الرحمن آلهةً يُعْبَدُون ﴾ وقال لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قِيَمًا مِلَّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومَماتي لله ربِّ العالمين، لا شريك له ﴾ وقال تعالى: ﴿ إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾.

والإله هو الذي تألهه القلوب عبادةً له، واستغاثةً به، ودعاء له، ورجاء له، وتوكلاً عليه، وخشيةً له وإجلالاً وإكراماً. فمن أخذ شيئاً من أنواع الإلهية والعبادة التي لا تصلح إلا لله وجعله لمخلوق فقد اتخذه إلهاً مع الله ــ وإن لم يزعم أنه إله، فإذا فعل ما يفعل أهل الشرك وعُبَّاد الأوثان بآلهتهم فقد عبدهم، وصار له إله مع الله، فكان ممن اتخذ إلهين اثنين.

قال العلماء رحمهم الله: من غلا في نبيٍّ أو رجل صالح أو غير صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغِثْني، واجبُرْني وانصرني، أو اقضِ ديني، أو أنا فقير إليك، أو أنا في حسبك، أو متوكل عليك؛ أو يذبح له، أو ينذر له، أو يرجوه أو يخافه ـــ فهذا كله شرك وضلال وجنون وخبال، يُستتاب صاحبه، وتقام عليه الحجّة، فإن تاب وإلا ضُرِبت عنقه. وإن زعم أنه إنما يريد شفاعته له عند الله، وتقريبه زُلْفَى ـــ فإن المشركين عَبَدَةَ الأوثان إنما غرَّهم الشيطان وكادهم واصطادهم بذلك، كما هو صريح في محكم آيات التنزيل لمن تدبره وعقل عن ربه العظيم.

وقد روى الترمذي وغير واحد من أهل الحديث، عن أبي واقد الليثي أنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنَيْن، ونحن حديثو عهد بكُفْر، وللمشركين سدْرة يعكفون عليها و ينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط؛ فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال: الله أكبر، إنها السنن، قلتم ـــ والذي نفسي بيده ـــ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً.

فتدبَّر ـــ رحمك الله ـــ هذا الحديث، وتفكر فيه، وتأمل كيف أفتى صلى الله عليه وسلم ـــ وحلف على هذه الفتيا ـــ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾، مع أنهم لم يتلفظوا بذلك،وإنما قالوه بالمعنى، مع أنهم مجتهدون في ذلك لم يشعروا أن هذا كقول بني إسرائيل؛ ولهذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين له ذلك جهلاً منهم، ومع هذا كله أخبر الصادق الصدوق ـــ وحلف على هذا الخبر ـــ أن هذا كقول بني إسرائيل لموسى سواء بسواء.

فإذا كان هذا الأمر العظيم خَفِيَ على أولئك السادة وجهلوه، فكيف لا يخفى على غيرهم في هذه الأزمان التي خفيت فيها أعلام الإسلام واشتدّت فيها

غربته بين الناس، حتى صار المعروف مُنْكَراً، والمنكرُ معروفاً، والمجرِّد للتوحيد يخرج عن الإسلام؟ وكان الشيطان قد اصطاد كثيراً من الناس بأن هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والصالحين توسُّلٌ واستشفاعٌ إلى الله بهم في إجابة الدعوات وقضاء الحاجات وتفريج الكروب، وهم ـ مع ذلك ـ باقون على شهادة أن لا إله إلا الله، والقول أن أمة محمد لا تشرك بالله، ولا يقع الشرك في جزيرة العرب أصلاً، ولم يقولوا إن هؤلاء آلهة مع الله ـ كما قاله عُبَّاد الأوثان، وإنما قالوا إنهم عِبَاد صالحون وأنهم هم عِبَاد مذنبون مخطئون، فيجعلونهم وسائط بينهم وبين الله، يتقربون إليهم، ويستشفعون بهم ويتوسلون، لأنهم أقرب منهم إلى الله. وهذا فِعْلُ الناس قبلهم غرَّهم الشيطان هو وإخوانه من شياطين الجن والإنس، فتصغي إلى ذلك أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة فيقترفون ما هم مقترفون. ثم يغريهم بعداوة أهل التوحيد والإخلاص، فيستهزئون منهم بقلوبهم وأبدانهم، ويسعون في أذاهم، ويبغون لهم الغوائل، والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فإذا كان هذا تغليظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أولئك الصحابة لمَّا طلبوا منه مجرَّد مشابهة المشركين في جعل سدرة لتعليق الأسلحة والتبرك بها والعكوف عندها، فكيف بما هو أشد من ذلك، وهو الشرك الأكبر الذي يفعله أكثر الناس ليومنا هذا؟

الفصل السادس

إنكار العلماء تعظيم القبور وبناء المشاهد والاستغاثة بالصالحين أمواتاً وأحياء

ولقد كان العلماء رضي الله عنهم من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الأمة من تعظيم القبور وبنائها، وبناء المشاهد عليها ودعائها، وسؤال أهلها قضاء الحاجات وتفريج الكروب. وقد بيّنوا للناس أن هذا خلافُ دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه دخولٌ في عبادة الأوثان.

فليس هذا الذي بيّنه للناس الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله ــ من النهي عن دعوة أهل القبور، والتبرك بالأشجار والأحجار ــ فَهمَهُ من تلقاء نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء هذه الأمة. بل إن العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على النهي عنه والإنكار والتغليظ على من فعله من الجهال، وهم مجمعون على وجوب تغيير ما قدروا عليه من ذلك. ونقصد بالعلماء: الذين يُعتدُّ بهم في معرفة الحلال والحرام، المشهورين بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، بل يجاهدون في سبيل الله أهلَ البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم: إما باليد، وإما باللسان، وإما بالقلب ــ وهو أضعف مراتب الإيمان. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى منكم منكراً فليُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن

لم يستطع فبقلبه ــ وذلك أضعف الإيمان» وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» ــ أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو بكر الطرطوشي ــ رحمه الله ــ في كتابه المشهور الذي سمَّاه «الحوادث والبدع»:

«روى البخاري عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حُنَيْن، ونحن حديثو عهد بكُفْرٍ، وللمشركين سدرة يعكفون حولها، و ينوطون بها أسلحتهم. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال: إنكم قوم تجهلون، لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم.

فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس و يعظّمون من شأنها و يرجون البرء والشفاء من قِبَلها، و ينوطون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها».

فيتبين من هذا أنَّ من قصد قبراً أو حجراً أو شجرة أو شيئاً حيّاً أو ميتاً، وعظَّمه ودعاه واستغاث به وتبرَّك به وعكف عليه ــ فقد اتخذه إلهاً مع الله.

ومن ذلك ما ذكره الإمام محدِّث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، من فقهاء الشافعية وأئمتهم من أهل أوائل القرن السابع، في كتابه الذي سمَّاه «الباعث على إنكار البِدَع والحوادث» في فصل «البدع المستقبحة»، قال:

«ثم هذه البدعة المستقبحة تنقسم إلى قسمين: قسم تعرفه العامة والخاصة أنه بدعة محرَّمة ــ والبدعة إما محرَّمة وإما مكروهة؛ وقسم يظنه معظمهم ــ إلا من عصم ــ عبادةً وقربَى وطاعات وسنناً.

فأما القسم الأول فلا نطوّل بذكره، إذْ كُفِينا مؤونة الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين. لكن نبيِّن من هذا القسم ما قد وقع فيه جماعة من جهَّال العوام، النابذين لشريعة الإسلام، التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء؛ وهو ما يفعله طوائف من المنتمين للفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان: من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهن، واعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين يأكلون في نهار رمضان من غير عذر، ويتركون الصلوات، ويخامرون النجاسات، غير مكترثين لذلك، فهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها. ومن هذا القسم أيضاً ما قد عمَّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطان والعمد، وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شُهِرَ بالصلاح والولاية. فيفعلون ذلك ويحافظون عليه، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك. ثم يتجاوزون هذا إلى أن يَعْظُمَ وَقْعُ تلك الأماكن في قلوبهم فيعظِّمونها ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم — وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر. وفي مدينة دمشق — صانها الله تعالى — من ذلك مواضع متعددة: كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق خارج البيت الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق...

ولقد أعجبني ما فعله الشيخ أبو إسحاق الجينبائي[1] رحمه الله تعالى — أحد الصالحين ببلاد إفريقية — حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبدالله محمد بن أبي العباس المؤدب: أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، كانت العامة قد افتُتِنوا بها يأتونها من الآفاق، من تعذَّر عليها نكاح أو ولد قالت: امضوا بي إلى

---

(١) في الدرر السنية ١: ١٧٩: «الجبينائي».

العافية؛ فتعرف بها الفتنة. قال أبو عبدالله: فأنا في السَّحَر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها وأذَّن الصبح عليها، ثم قال: اللهمَّ إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً. قال: فما رُفِع لها رأس إلى الآن.

وأدهى من ذلك وأمرُّ إقدامهم على قطع الطريق السابلة، يجيزون في أحد الأبواب القديمة الثلاثة العاديَّة التي هي من بناء الجن في زمن نبيِّ الله سليمان ابن داود عليه السلام، أو من بناء ذي القرنين، وقيل فيها غير ذلك ــ ما يؤذن بالتقدم على ما نقلناه في كتاب تاريخ مدينة دمشق حرسها الله تعالى، وهو الباب الشمالي. ذكر لهم بعض من لا يوثق به في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناماً يقتضي أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت ــ وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك ــ فقطعوا طريق المارَّة فيه، وجعلوا الباب بكماله أصل مسجدٍ مغصوب. وقد كان الطريق يضيق بسالكيه، فتضاعف الطريق والحرج على من دخل ومن خرج، ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه، اتّباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في هدم مسجد الضِّرار المرصد لأعدائه من الكفار. فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجداً، وهدمه لِمَا قُصِد به من السوء والردى، وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تَقُمْ فيه أبداً﴾، أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، وأن لا يجعلنا ممَّن أضلَّه فاتخذ إلهه هواه».

وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى ــ وهو من أجلّ أئمة الحنابلة في القرن السادس ــ: «لما صعبت التكاليف على الجهَّال والطَّغام عدَلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاعٍ وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذْ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم... وهم عندي كُفّارٌ ــ بهذه الأوضاع مثل: تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها لما نهى عنه الشرع من إيقاد السُّرُج، وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرِّقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا؛

وأخْذِ تُرْبتها تبركاً بها، وإفاضةِ الطِّيب على القبور، وشدِّ الرِّحال إليها، وإلقاء الخِرَق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعُزّى.

والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف، ولم يتمسَّح بآجرّ مسجد المدينة[1] يوم الأربعاء، ولم يقل الحمّالون على جنازته: الصديق أبو بكر أو محمد أو عليّ، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجاً بالجصّ والآجرّ، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يرق ماء الورد على القبر».

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية:

جاءت السُّنَّة أن يُسأل الله بأسمائه وصفاته، فيقال: أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المَنَّان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حيّ يا قَيُّوم؛ وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وكذلك يقال: أسألك بمعاقد العزّ من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدّك الأعلى وكلماتك التامة.

مع أن هذا الدعاء الثاني، في جواز الدعاء به قولان للعلماء:

قال الشيخ أبو الحسين القُدُوري، قال بشر بن الوليد، سمعت أبا يوسف قال، قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العزّ من عرشك، أو يقول: بحقّ خلقك.

والجواز قول أبي يوسف قال: بمعقد العزّ من عرشك هو: الله تعالى، فلا أكره ذلك، وأكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام.

---

(١) مشهد الكف: انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، المجلدة الثانية ـ القسم الأول: ٥٩ و١١٣؛ أما «مسجد المدينة» ففي الأصل «مسجد الموينة»، وفي الدرر السنية: ١٨٠ «المدينة» وص: ٢٩٤ «الملموسة».

قال القُدُوري: المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حقَّ لمخلوق على الخالق[1]. وقال البلدحي في شرح المختارة:

ويُكْرَه أن يدعو الله إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

قلت: وهذا من أبي يوسف وأبي حنيفة وغيرهما يقتضي المنع أن يُسأل الله تعالى بغيره.

وأما سؤال الميّت أو الغائب ــ نبياً كان أو غيره ــ فهو من المحرَّمات المنكَرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله تعالى به ولا رسولُه، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبَّه أحد من أئمة المسلمين. وهذا ممَّا يُعلَم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن أحداً منهم ما كان يقول ــ إذا نزلت به تِرَة أو عرضت له حاجة ــ لميّتٍ: يا سيدي يا فلان، أنا في حسبك، أو اقضِ حاجتي؛ كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، ولا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها.

ولما قحط الناس في زمن عمر بن الخطاب استسقى بالعبَّاس، وتوسَّل بدعائه، وقال: اللهمَّ إنَّا كنا نتوسَّل إليك بنبيِّك إذا أجدبنا فتسقينا، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا. فيُسْقَون ــ كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

وكذلك معاوية رضي الله عنه ــ لما استسقى لأهل الشام ــ توسَّل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته في حياته، ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس وبدعاء يزيد بن الأسود. وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب الاستسقاء

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: ٤٠٧.

فقالوا: يُسْتَحبّ أن يُستسقَى بالصالحين، وإذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل.

وقد كره العلماء: كمالكٍ وغيره، أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه. وذكروا أن هذا من البِدَع التي لم يفعلها السلف.

قال أصحاب مالك: إنه إذا دخل المسجد يدنو من القبر فيسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو مستقبلَ القبلة، يولّيه ظهره ــ وقيل لا يولّيه ظهره، وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف؛ ولعلّ هذا الذي ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر، فإن ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلما نهى أن يتخذ القبر مسجداً أو قبلة، أمروا بأن لا يتحرَّى الدعاء إليه كما لا يصلَّى إليه.

قال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلِّم ويمضي، ولهذا ــ والله أعلم ــ حُرِفَت الحجرة وثُلِّثت لما بُنيت، فلم يُجعَل حائطها الشمالي على سمت القبلة ولا جُعِل مسطَّحاً.

وذكر الإمام أحمد وغيره: أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره[1]، وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسه.

وذكروا أنه إذا حيّاه وصلى، يستقبل وجهه ــ بأبي هو وأمّي صلى الله عليه وسلم ــ فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا. وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعي والزائر ما نهي عنه من تحرِّي الدعاء عند القبر.

---

(١) الضمير عائد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كره مالك رحمه الله، وغيره من أهل العلم، لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه؛ قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من السفر أو أراد سفراً ونحو ذلك. ورخَّص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها، وأمَّا قَصْدُه دائماً للصلاة والسلام عليه فما علمت أحداً رخَّص في ذلك، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً؛ وأيضاً فإن ذلك بدعة، فقد كان المهاجرون والأنصار في عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ــ رضي الله عنهم ــ يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرَّات يصلُّون ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلِّمون عليه، لعلمهم رضي الله عنهم بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه من ذلك، وما نهاهم عنه، ولأنهم كانوا يسلِّمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه وفي آخر الصلاة في التشهُّد، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته. والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك:

قال سعيد في سننه، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدَّثني أبي، عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فصلّى وسلَّم عليه، وقال: السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه. وعبد الرحمن بن يزيد، وإن كان يضعَّف، لكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائماً ولا غالباً.

وما أحسن ما قال مالك رحمه الله: لن يُصْلِح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلحَ أوَّلَها.

ولكن كلما ضَعُف تمسُّكُ الأمم بعهود أنبيائهم ونقَصَ إيمانُهم، عوَّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البِدَع والشِّرك وغيره. ولهذا كرهت الأمة استلامَ القبر وتقبيلَه، وبَنَوْه بناءً منعوا الناس أن يصلُّوا إليه.

ومما يبيِّن حكمة الشريعة، وأنها كما قيل: سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غَرِق — أن الذين خرجوا عن المشروع زيَّن لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك: فطائفة من هؤلاء يصلُّون للميت، و يستدبر أحدهم القبلة، و يسجد للقبر، و يقول أحدهم: القبلة قبلة العامَّة وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصَّة. وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادةً وزهداً، وهو شيخ متبوع، ولعلَّه أمثلُ أتباع شيخه يقوله في شيخه!

وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين، أصحابِ الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المرتدَّ — أوّلَ ما يتوب — أن يذهب إلى قبر الشيخ و يعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها.

وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقَّة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي أذِن الله أن تُرفَع و يُذكَر فيها اسمُه. وآخرون يحجُّون للقبور. وطائفة صنَّفوا كتباً وسمَّوها «مناسك حج المَشاهد»، كما صنَّف أبو عبدالله بن النعمان الملقَّب بالمفيد، أحد الشيوخ الإمامية، كتاباً في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنَّقل.

وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ، وإن لم يسمُّوا ذلك نُسكاً وحجّاً فالمعنى واحد. وكثيرٌ من هؤلاء أعظمُ قصدِه من الحجّ قصدُ قبر النبي صلى الله عليه وسلم، لا حجّ البيت. وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتاباً سماه «الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام»، وقد ذُكِر في مناقب هذا الشيخ أنه حجَّ مرَّةً وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة، وجُعِل هذا من مناقبه. فإن كان هذا مستحبّاً فينبغي لمن يجب عليه حجّ البيت، إن حجَّ، أن يجعل المدينة منتهى قصده ولا يذهب إلى مكة فإنه زيادة كلفة ومشقَّة مع ترك الأفضل — وهذا لا يقوله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين، قيل عنه: إنه كان يقول البيوت المحجوجة ثلاثة: مكة، وبيت المقدس، والبيت الذي للمشركين في الهند. وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حقٌّ ودين النصارى حقٌّ. وجاءه بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته، فقال له: أريد أن أسلك على يديك، فقال: على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين؟ فقال له: واليهود والنصارى، أليسوا كفاراً؟ فقال: لا تشدّد عليهم، ولكن الإسلام أفضل!! ومن الناس من يجعل مقرّة الشيخ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم فيعرِّفون بها كما يعرِّف المسلمون بعرفات، كما يفعل هذا في المغرب والمشرق.

ومنهم من يحكي عن الشيخ الميِّت أنه قال: كل خطوة إلى قبري كحجة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة. فأنكر بعض الناس ذلك، فتمثَّل له الشيطان بصورة الشيخ وزجره عن إنكار ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاتُهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملَّة الحنفاء، وليسوا من عُمَّار مساجد الله التي قال فيها: ﴿ إنّما يَعْمُرُ مساجدَ اللهِ مَن آمن بالله واليوم الآخِرِ وأقامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ ولم يَخشَ إلا الله ﴾.

وعُمَّار مَشاهد القبور يخشون غير الله، ويرجون غير الله، حتى إن بعضاً من أرباب الكبائر الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح، إذا رأى قُبَّة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة، يخشى من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة! فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض، وجعل أهِلَّةَ السماء مواقيت للناس والحج. وهؤلاء إذا نُوظروا خوَّفوا مُناظِرَهم، كما صنع المشركون مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وحاجّه قومُهُ قال: أتُحَاجُّون في الله وقد هَدَانِ ولا أخافُ ما تُشْركون به إلا أن يشاءَ ربِّي شيئاً، وَسِع ربِّي كلَّ شيء علماً أفلا تتذكرون،

وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً، فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ قال الله تعالى: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانَهم بِظُلْمٍ أولئك لهم الأمْنُ وهم مهتدون ﴾.

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخ الحيّ المتعلّق به كالنبي. فمن الميت يُطلبُ قضاءُ الحاجات وكشف الكربات؛ وأما الحيّ فالحلال ما حلّله والحرام ما حرّمه؛ وكأنهم في أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلهاً وعزلوا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتخذوه رسولاً. وقد يجيء القريبُ العهد بالإسلام والتابعُ لهم المُحْسِنُ الظنَّ بهم أو غيره، يطلب من الشيخ الميت إما دفعَ ظلم مَلِكٍ يريد أن يظلمه أو غير ذلك، فيدخل ذلك السّادن، فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان هنا — ألا إن هذا محض دين المشركين والنصارى، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك أو نصراني ولا يروج عليه. ويأكلون من النذور والمنذور ما يؤتَى به إلى قبورهم، ما يدخلون به في معنى قوله تعالى: ﴿ إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويَصُدُّون عن سبيل الله ﴾ يعرضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم، إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينُه، فيمتنع بسبب ذلك من الدخول في دين الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه. والله سبحانه لم يذكر في كتابه المَشاهد بل ذكر المساجد، وأنها خالصة لوجهه، قال تعالى: ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾، وقال تعالى: ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾، وقال تعالى: ﴿ في بيوت أَذِنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسمُه ﴾ وقال تعالى: ﴿ ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لَهُدِمَتْ صوامعُ وبِيَعٌ وصلوات ومساجد ﴾.

ولم يذكر بيوت الشِّرك، كبيوت النيران والأصنام والمشاهد، لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب، فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل كما أثنى على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل يؤمنون

بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات، فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئاً منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصّة مَنْ لَعَنهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى، ﴿قال الذين غُلبوا على أمرهم لنتّخذنَّ عليهم مسجداً﴾، فهؤلاء الذين اتخذوا مسجداً على أهل الكهف، كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد — وفي رواية: وصالحيهم.

ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك. وقد قدِم بعض شيوخ المشرق فتكلم معي في هذا، فبيَّنتُ له فساد هذا، فقال: كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أعْيَتْكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور؟ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم أحد من علماء الحديث. وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: لتتبعُنَّ سُنَنَ مَنْ كان قَبْلَكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبّ لدخلتموه. قالوا: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟

وهؤلاء الغُلاَة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه — ولو من كافر — لم يُقْبِل على الرسول، بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تُقْضىَ، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح — ويكون فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه كما يذهب قوم إلى الكنيسة، أو إلى مواضع يقال لهم إنها تقبل النذر؛ فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم. والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظِّم قبر من يكون في الباطن كافراً أو منافقاً، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد، لاعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلاً صالحاً. وكلا هذين عنده من جنس واحد يستغيث به. وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب، بل يقال إنه قبر كافر، كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال إنه قبر نوح، فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض

العمالقة. وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبَيّ بن كعب الذي بدمشق، اتفق العلماء أنهما كذب، ومنهم من قال إنهما قبران لنصرانيين.

وكثير من المشاهد تنازع الناس فيها، وعندها شياطين تُضِلُّ بسببها من تُضِلّ. ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه المقبور، و يكون ذلك شيطاناً تصوَّر بصورته، كالشياطين الذين يكونون بالأصنام، وكالشياطين الذين يتمثَّلون لمن يستغيثون بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره. مثل أقوام برصدون بعض التماثيل التي «بالبَرَابِي» ــ بديار مصر بإخميم وغيرها ــ يرصدون التمثال مدة، لا يتطهرون طهر المسلمين، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يقرأون حتى يتعلق الشيطان بتلك الصورة، فيراها تتحرك فيطمع فيها، فيرى شيطاناً قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه. ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفاراً يسمُّونه «البوشت» ــ وهو المخنث عندهم ــ إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه، ونصبوا له حركات عالية في ليلة ظلماء، وقرَّبوا له خبزاً وميتةً، وغنَّوا غناء يناسبه بشرط أن لا يكون عنده من يذكر الله، ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله. ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء، و يرون الدُّفَّ يطير في الهواء، و يضرب من مدّ يده إلى الخبز، و يضرب الشيطان بآلات اللهو، وهم يسمعون، و يغني لهم الأغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار. ثم قد يغيب، وكذلك الطعام وقد نُقل إلى بيت «البوشت»، وقد لا يغيب؛ و يقرِّبون له ميتة يحرقونها بالنار، و يقضي بعض حوائجهم.

ومثل هذا كثير جداً للمشركين، فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام. وقد تيقّنْتُ بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك، قد يكون عنده شياطين تَضِلُّ من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم؛ وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل

لهم من الشرك والمعاصي ما يحبُّه الشيطان. وقد ينهاه عما أمِرَ به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن، ونحو ذلك.

والشياطين تغوي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أمرته بالكفر البيِّن، وإلاّ أمرته بما هو فسق أو معصية. وإن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة. وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ــ طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة.

وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ أنه كان يستغيث بأحدهم بعض أصحابه فيرى الشيخ قد جاء في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب. وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله؛ والجن بحسب الإنس: فالكافر للكافر، والفاجر للفاجر، والجاهل للجاهل. وأما أهل العلم والإيمان فاتّباع الجن لهم كاتباع الإنس، يتبعونهم فيما أمر الله به ورسوله.

وكان رجل يباشر التدريس و ينتسب إلى الفتيا كان يقول: النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله، و يقدر على ما يقدر الله عليه، وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وقالوا: هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع.

وكان شيخ آخر معظَّم عند أتباعه يدَّعي هذه المنزلة و يقول إنه المهدي الذي بشَّر به النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يزوج عيسى ابنته، وأن نواصي الملوك والأولياء بيده يولِّي من يشاء و يعزل من يشاء، وأن الرب يناجيه دائما، وأنه الذي يمدُّ حَمَلَة العرش وحيتان البحر. وقد عزّرتُه تعزيراً بليغاً في يوم مشهود بحضرةٍ من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس، وانكسر بسببه أشباهُه من الدجاجلة.

ومن هؤلاء من يقول في قول الله سبحانه: ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزِّروه وتوقِّروه وتسبِّحوه بُكْرَةً وأصيلاً﴾ إن الرسول هو الذي يسبِّح بكرةً وأصيلاً. ومنهم من يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب الخمس التي قال صلى الله عليه وسلم فيها: خمس لا يعلمهن إلا الله: «إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيِّ أرضٍ تموت»، وقال: إنه علمها بعد أن أخْبَرَ أنه لا يعلمها إلا الله.

ومنهم من يقول: أسْقِطِ الرُّبوبية وقُلْ في الرسول ما شئت. ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله. ومنهم من يأتي قبر الميت فيقول: اغفر لي وارحمني ولا توقفني على زلّة. إلى أمثال هذه الأمور التي يُتّخذ فيها المخلوق إلهاً.

* * *

فلما استقرَّ هذا في نفوس عامتهم صار أحدهم — إذا سئل عمَّن ينهاهم: ما يقول هذا؟ — قال: فلان عنده ما ثَمَّ إلا الله، لِمَا استقرَّ في نفوسهم أن يجعلوا مع الله إلهاً آخر. وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر. وهؤلاء الضالون مستخِفُّون بتوحيد الله، ويعظِّمون دعاء غير الله من الأموات. فإذا أمروا بالتوحيد ونُهوا عن الشِّرك، استخفُّوا بمن أمرهم بتوحيد الله، كما أخبر الله تعالى عن المشركين بقوله: ﴿وإذا رأوْك إنْ يتَّخذونك إلا هُزُواً﴾ الآية. فاستهزءوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك، وقال تعالى عن المشركين: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ويقولون أإنَّا لَتارِكُو آلهتِنا لِشاعرٍ مجنونٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وعجبوا أنْ جاءهم مُنْذرٌ منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذّاب، أجَعَلَ الآلهَة إلهاً واحداً، إن هذا لَشَيْءٌ عُجَاب﴾. وما زال المشركون يسفِّهون الأنبياء، ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة، كما قال قوم نوح لنوح، وعاد لهود، عليهما السلام: ﴿قالوا أجِئْتنا لِنَعْبُدَ الله وَحْدَه﴾. فأعظم ما سفَّهوه لأجله وأنكروه هو: التوحيد.

وهكذا تجد مَنْ فيه شبهٌ من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، وأن لا يعبد الإنسان إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، استهزأ بذلك، لِمَا عنده من الشِّرْك.

وكثير من هؤلاء يخرِّبون المساجد، ويَعْمُرون المشاهد. فتجد المسجد الذي بني للصلوات الخمس معطَّلاً مُخَرَّباً، ليس له كسوة إلا من الناس، وكأنه خانٌ من الخانات؛ والمشهد الذي بُنِيَ على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام، والنذور تغدو وتروح إليه. فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله، وتعظيمهم للشرك؟ فإنهم يعتقدون أن دعاءهم للميت الذي بني له المشهد، والاستغاثة به، أنفعُ لهم من دعاء الله والاستغاثة به في البيت الذي بُني لله عز وجل. ففضلوا البيت الذي بُني لدعاء المخلوق على البيت الذي بُني لدعاء الخالق. وإذا كان لهذا وَقْفٌ ولهذا وقفٌ كان وقف الشرك أعظم عندهم، مضاهاةً لمشركي العرب الذين ذكر الله حالهم في قوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم﴾ الآية. كانوا يجعلون لله زرعاً وماشية ولآلهتهم زرعاً وماشية، فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه، وقالوا: الله غنيٌّ وآلهتنا فقيرة. فيفضِّلون ما يجعلون لغير الله على ما يُجْعَل لله. وهكذا حال هؤلاء في الوقف والنذور التي تُبْذَل عندهم للمشاهد أعظم مما يبذل عندهم للمساجد، ولعمار المساجد، والجهاد في سبيل الله.

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظِّمه بكى عنده وخضع، ويدعو ويتضرع له، ويجعل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن. فهل هذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحِّدين المخلصين المتَّبعين لكتاب الله وسنة رسوله؟

ومثل هؤلاء إذا سمع أحدهم الأبيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين. بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها واستهزءوا بها وبمن يقرأ بها، فيحصل لهم أعظم نصيب من قوله تعالى: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟﴾.

وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألْسُنٍ لاغية، كأنهم صُمٌّ عُمْيٌ، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم وسكتت ألسنتهم وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم.

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذَّن المؤذن قالوا: نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه. ومنهم من يقول: كنا في الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب. وقد سألني بعضهم عمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضُّلَّال، فقلت: كذب، كان في حضرة الشيطان فصار على باب الله؛ فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فُصِّل في غير هذا الموضع.

والذين جعلوا دعاء الموتى: من الأنبياء والأئمة والشيوخ ــ أفضل من دعاء الله، أنواع متعددة، منهم مَنْ تقدّم، ومنهم من يحكي أنواعاً من الحكايات، منها:

أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يُغِثْه واستغاث بشيخه فأغاثه.

وحكاية:

أن بعض المأسورين في بلد العدو دعا الله فلم يخرجه ودعا بعض المشايخ المَوْتَى فأخرجه إلى بلاد الإسلام.

وحكاية:

أن بعض المشايخ قال لمريده: إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعالَ إلى قبري. وآخر قال: فتوسل إلى الله بي. وآخر قال: قبر فلان هو الترياق المجرَّب.

فهؤلاء وأشباههم يرجِّحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله، مضاهاةً لسائر المشركين. وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعوه فيظنُّه إيّاه أو مَلَكاً على صورته؛ وإنما هو شيطان أغواه.

ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدّة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لهج به كما يلهج الصبيُّ بذكر أمه... وقد قال الله للمؤمنين: ﴿فإذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فاذكروا الله كذِكْرِكُمْ آباءكم أو أشدّ ذِكْراً﴾.

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيَصْدُق، فيكون شيخه عنده وفي صدره أعظمَ من الله. فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين يتضمَّن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، فأيُّ الفريقين أحقُّ بالاستهزاء: من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم مع ما يترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أمَرتْ رُسُلُه، ويوجب طاعةَ الرسول ومتابعتَه في كل ما جاء به؟

وهؤلاء الموحِّدون من أعظم الناس رعايةً لجانب الرسول، وتصديقاً له فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناءً بمعرفة ما بُعِثَ به، والتمييز بين مارُوِيَ عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب، واتِّباع ذلك دون ما خالفه، عملاً بقوله تعالى: ﴿اتَّبعوا ما أُنْزِلَ إليكم من ربِّكُمْ، ولا تَتبِعُوا مِنْ دُوْنِـهِ أولياء قليلاً ما تذكرون﴾.

وأما أولئك الضُّلاَّل أشباهُ المشركين والنصارى فعُمْدَتُهم إمَّا أحاديث ضعيفة أو موضوعات أو منقولات عمَّن لا يُحْتَجُّ بقوله: إما أن تكون كذباً عليه، وإما أن يكون غلطاً منه، إذ هي نقل غير مصدّق عن قائلٍ غير معصوم. وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول حرَّفوا الكَلِمَ عن مواضعه، وتمسَّكوا بمتشابهه، وتركوا مُحْكَمَه ــ كما فعله النصارى. وهذا ما علمتُه يُنْقَل عن أحد من العلماء، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل: الشيخ يحيى الصَّرْصَرِيّ ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان، وكتاب المستغيثين بالنبي عليه السلام في اليقظة والمنام. وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكن ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم دليل شرعي ولا نقل عن عالِم مَرْضِيّ، بل عادة جُرِيَ عليها كما جرت عادة كثير من الناس أن يستغيث بشيخه في الشدائد و يدعوه.

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ــ ولهم صلاح وعلم وزهد ــ إذا نزل به أمرٌ خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس.

ولهذا لما نُبِّه مَن نُبِّه من فضلائهم تنبَّهوا، وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام بل هو مشابهةٌ لعُبَّاد الأصنام؛ ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يَدْعُوا أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا غيرهم، ولا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها؛ كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت، ونحو ذلك؛ بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرَّمه الله ورسوله. لكن ــ لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين ــ لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يُبَيَّن لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه. ولهذا ما بيَّنتُ هذه المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطَّن لها، وقال: هذا أصل دين الإسلام.

وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذه أعظم ما بيَّنْتَهُ لنا؛ لعلمه بأن هذا أصل الدين. وكان هذا وأمثاله يدعون الأموات و يسألونهم و يستجيرون بهم و يضرعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم، لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعون دعاء المضطر، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه، أو الدعاء به، أو الدعاء عند قبره؛ بخلاف عبادتهم لله ودعائهم إياه، فإنهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكليف، حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام ـــ لما قدم دمشق ـــ خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضُرِّهم.

قال بعض الشعراء:

يــا خــائــفين مــن الـتـتـرْ لُــوْذُوا بــقـبـر أبـي عُـمَـرْ

وقال:

عــوذوا بــقـبـر أبـي عُـمَـرْ يُـنْـجِـيـكُـمْ مـن الـضَّـرَرْ

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم جماعة من المسلمين يوم أُحُد، فإنه كان قُضِيَ أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، والحكمة كانت لله في ذلك. ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به رسوله. فلما كانت بعد ذلك، جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به وأنهم لا يستغيثون بِمَلَكٍ مُقَرَّب ولا نبيٍّ مُرْسَل. فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً لم يتقدَّم نظيرهُ، ولم يُهْزَم التتار مثل هذه الهزيمة أصلاً لِمَا صحَّ من توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد، كما قال تعالى في يوم بدر: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ ورُوِي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم بدر. «يا حيُّ ياقيُّوم، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث» ـــ وفي لفظ: (أَصْلِحْ لي شأني كله، ولا تكِلْني إلى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ ولا إلى أحد من خَلْقك».

وهؤلاء يدعون الميت أو الغائب، فيقول أحدهم: «بك أستجير، أغثنا، أجرنا»، و يقول: «أنت تعلم ذنوبي»، ومنهم من يقول للميت: «اغفر لي وارحمني وتُبْ عليَّ» ونحو ذلك، ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول: «أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جور الولاة وظهور البِدَع أو جَدْبَ الزمان»... وغير ذلك، فيشكون إليه ما حصل من ضرر في الدين أو الدنيا، ومقصوده بالشكوى أن يُشْكِيَه[1] فيزيل ذلك الضرر، وقد يقول مع ذلك للميت: أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلتُه من الذنوب. فيجعل الميت أو الحي الغائب عالماً بذنوب العباد وجرائمهم التي يمتنع أن يعلمها بشرٌ حي أو ميت. وعقلاؤهم يقولون: مقصودنا أن يسأل الله لنا، و يشفع لنا. و يظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم فإنه يسأل و يشفع كما كان يسأل و يشفع النبي لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره؛ وكأن يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة، ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع ألبتةَ، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم ــ لا يطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يُطْلَب منه في حياته.

انتهى كلام الشيخ رحمه الله، ملخّصاً.

فانظر رحمك الله إلى ما ذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر الذي قد وقع في زمانه ممن يدّعي المعرفة والدين، و ينتصب للفُتْيا والقضاء. لكن نبّههم الشيخ رحمه الله على ذلك و بيّن لهم أن هذا من الشرك الذي حرّمه الله ورسوله. فتنبّه من تنبّه منهم، وتاب إلى الله، وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال، وانقاد للحق.

وهذا ما يبيّن لك غُرْبة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنام، وأن

---

(١) أشكاه: استجاب له وأزال أسباب الشكوى.

هذا مصداق ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم...» الحديث. وقوله: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ».

وبهذا يتضح بُطْلان ما عليه كثير من أهل زماننا من أنواع الشرك والبدع. فلا تغترَّ بما هم عليه، وهذه هي البلية العظيمة، والخَصْلَةُ القبيحة، وهي الاغترار بالآباء والأجداد، وما استمر عليه عمل كثير من الناس. وتلك هي الحجّة التي انتحلها أهل الشِّرك والكفر والعناد، كما قال الله تعالى عنهم في مُحْكَم تنزيله حكايةً عن فرعون أنه قال لموسى وأخيه هارون: ﴿فما بالُ القُرون الأولى؟﴾ فأجابه عليه السلام بقوله: ﴿عِلمُها عند ربِّي في كِتابٍ لا يَضِلُّ ربِّي ولا يَنْسَى﴾.

فمن أراد الصدْق، وسَلِمَ من التعصب والعناد، وتوسّط الطريق الواضح، وقَنِع في قبول الحقّ بالحُجّة... عرف صِدْق ما انتهجه شيخ الإسلام، وما بيَّنه من سُبُل واضحة، وما نشره من مطويِّ العلوم النافعة، وما رفعه للناسِ كافَّةً من رفيع الأعلام. غير أن بعض النّاس لم يرضَوْا كتابَ الله ولا صحيح السُّنَّة أدلَّةً على الحقّ، فلجُّوا في زَيْغهم وضلالهم، وغَلَوْا في تعصبهم، حين قام بالدعوة الصادقة إلى الله الشيخُ الإمام القُدْوة محمد بن عبد الوهاب، وأتوا في مخالفته بحجج واهية، بعيدة عن الحق، يتبيَّن فسادَها كلُّ مَنْ سَلِمَ من الاعتساف والعصبية، وراقب الله، ولم يداهن في الحق. فلم يُبَالِ الشيخ ــ حين أعلن دعوته ــ بما لقي من المكر والكيد، والدسّ والوقيعة، وما أُوقع فى عِرْضه من الأقاويل والتخرُّصات.

الفصل السابع

نهي الرسول عن اتِّخاذ قبره وقبور الأنبياء والصالحين أعياداً وأوثاناً

قال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ في «الإغاثة»[1]:

قال صلى الله عليه وسلم: «لا تتخذوا قبري عيداً»[2].

وقال: «اللهمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعْبَد؛ اشتدَّ غضب الله على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد».

وفي اتخاذها[3] عيداً من المفاسد ما يغضب لأجله مَنْ في قلبه وقارٌ لله وغيرة على التوحيد؛ ولكن

ما لِجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ[4]

(١) كتاب «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٢٠هـ؛ ص: ١٠١ وما بعدها.

(٢) العيد: مأخوذ من المعاودة والاعتياد، والمقصود من اتخاذ القبر عيداً أي مكاناً يجتمع فيه و يؤتى للعبادة في مواسم وأوقات معينة.

(٣) اتخاذها: أي اتخاذ القبور.

(٤) البيت لأبي الطيب المتنبي، وصدره: من يهن يسهل الهوان عليه.

منها[1]: الصلاة إليها[2]، والطّواف بها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصرَ والرزقَ والعافية وقضاء الديون وتفريجَ الكربات — التي كان عُبَّاد الأوثانِ يسألونها أوثانهم.

وكلّ من شَمَّ أدنى رائحة من العلم يعلم أنَّ من أهمَّ الأمور سدَّ الذريعة إلى ذلك، وأنه صلى الله عليه وسلم أعلمُ بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول إليه. وإذا لعن من اتخذ القبورَ مساجد يَعْبُدُ الله فيها فكيف بملازمتها واعتياد قصدها وعبادتها؟

ومن جمع بين سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثرُ الناس اليوم — رأى أحدَهما مضاداً للآخر: فنهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد! ونهى عن تسريجها[3]، وهؤلاء يوقفون عليها الوقوف على إيقاد القناديل! ونهى عن أن تُتَّخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً! ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها — كما في صحيح مُسْلم عن عليٍّ رضي الله عنه — وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القِباب! ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه — كما في صحيح مسلم عن جابر — ونهى عن الكتابة عليها — كما رواه أبو داود عن جابر — وهؤلاء يتَّخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن، ويزيدون على ترابها بالجِصِّ والآجُر والأحجار.

وقد آل الأمر بهؤلاء الضُّلاَّل المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجّاً، ووضعوا له مناسك، حتى صنَّف بعضهم في ذلك كتاباً سمّاه «مناسك حجِّ المشاهد». ولا يخفى أن هذا مفارَقَةٌ لدين الإسلام، ودخولٌ في دين عُبَّاد الأصنام.

---

(١) منها: أي من المفاسد.

(٢) إليها: أي إلى القبور.

(٣) تسريجها: إيقاد السرج عليها وإضاءتها.

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلَّم لأمَّته وبين ما شرعه هؤلاء.

والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بزيارة القبور لأنها تذكِّر الآخرةَ، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور ونهاه أن يقول هُجْراً. فهذه الزيارة التي أذِن فيها لأمَّته وعلَّمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمده أهل الشرك والبِدَع، أم تجدها مضادَّةً لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله: لن يُصْلِح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أوَّلَها.

ولكن كلَّما ضعف تمسُّكُ الأمم بعهود أنبيائهم عوَّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البِدَع والشِّرك. ولقد جرَّد السلف الصالح التوحيد، وحَمَوْا جانبَه، حتى كان أحدهم إذا سلَّم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء جعل ظهرَه إلى جدار القبر ثم دعا. وقد نصَّ على ذلك الأئمة الأربعة: أن يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة.

وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى من يدعو له، ولهذا شُرِع في الصلاة عليه من الدعاء له ما لم يشرع مثله للحيّ. ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له، وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة. فبدَّل أهل البِدَع والشرك قولاً غير الذي قيل لهم: فجعلوا الدعاء له دعاءه هو نفسه، والشفاعة له استشفاعاً به، والزيارة التي شُرِعَت إحساناً إلى الميت وإلى الزائر سؤالَ الميت والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة؛ وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد.

ثم ذكر حديث ذات أنواط، ثم قال:

فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذَ إلهٍ مع

الله وهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه، والدعاء عنده، والدعاء به؟ وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبِدَع يعملون؟ ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره، علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب. والأمرُ والله أعظمُ مما ذكرنا.

وعمَّى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضي الله عنه، ولما بلغه أن الناسَ ينتابون الشجرة التي بويع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحتَها أرسل إليها وقطعها. قال عيسى بن يونس ــ وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع: إن الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر رضي الله عنه.

فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها اللهُ في القرآن وبايع تحتها الصحابة رضي الله عنهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فماذا حكمه فيما عداها؟ وأبلغُ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضِّرار، ففيه دليل على هدْم المساجد التي هي أعظم فساداً منه كالمبنية على القبور، وكذلك قبابها. فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاعلَه؛ والله يقيم لدينه من ينصره ويذبُّ عنه.

وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسَّر الله سبحانه كَسْرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين. وكان العامة يقولون للشيء منها إنه يقبل النذر، أي: يقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة يتقرَّب بها الناذر إلى المنذور.

ولقد أنكر السلف التمسُّحَ بحجر المقام الذي أمر الله أن يتَّخذَ منه مصلًّى، قال قتادة في الآية: ﴿واتخذوا منْ مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى﴾: إنما أمروا أن يصلُّوا عنده ولم يُؤمَروا بمسحه، ولقد تكلَّفت هذه الأمة شيئاً ما تكلَّفته الأمم قبلَها. ذكر لنا من رأى أثر أصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق.

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، كما ذكر الله في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً...﴾ الآية. ذكر السلف في تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمَدُ فعبدوهم. وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع ما دعوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثاناً، فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع. ومن أصغى إلى كلام الله وتفهّمه أغناه عن البدع والآراء، ومن بعُدَ عنه فلا بدَّ أن يتعوّض بما لا ينفعه، كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكُّل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه. فالمُعْرِض عن التوحيد مُشْرِكٌ ــ شاء أم أبَى، والمُعْرِض عن اتِّباع السُّنَّة مبتدعٌ ــ شاء أم أبَى، والمعرض عن محبة الله عبد الصور ــ شاء أم أبَى.

وهذه القبور المبتدعة عند القبور أنواع: أبعدها عن الشرع أن يَسأل الميتَ حاجته، كما يفعله كثير. وهؤلاء من جنس عُبّاد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لُعبَّاد الأصنام. وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسُّح به.

النوع الثاني: أن يسأل اللهَ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة إجماعاً.

النوع الثالث: أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك. فهذا أيضاً من المنكَرات إجماعاً، وما علمتُ فيه نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله.

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام، ولم يتخلّص منها إلا الحنفاء أتباع ملّة إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قَبْلِ نوح، وهياكلها ووقوفها وسَدَنتها وحُجّابها والكتب المصنّفة في عبادتها ــ طبقُ الأرض.

قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام: ﴿واجْنُبْني وَبَنِيَّ أنْ نعبُدَ الأصْنامَ رَبِّ إنّهُنّ أضْلَلْنَ كثيراً مِنَ الناسِ﴾.

وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنّ بعث النّار مِنْ كل ألِفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون منهم.

وقد قال تعالى: ﴿فأبَى أكثرُ الناسِ إلا كُفُوراً﴾، وقال: ﴿وإن تُطِعْ أكثَر مَنْ في الأرضِ يُضِلُّوكَ عن سبيلِ الله﴾.

ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عُبَّادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، وهم يُشاهدون مصارع إخوانهم وما حلَّ بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبًّا لها وتعظيماً، و يوصِي بعضهم بعضاً بالصبر عليها.

انتهى كلام الشيخ[1] رحمه الله تعالى، ملخّصاً.

* * *

وسيأتي بقية لكلام الشيخ ابن القيم في رسائل الشيخ[2] الآتية إن شاء الله في مواضع من رسائله، رحمه الله، متفرقةٍ ــ كما ذكره في الرسالة التي كتبها حين ارتدّ أهل حريملا، وفي رسالته لعبدِ الله بن سحيم في الرد على سليمان ابن سحيم مطوع الرياض.

* * *

وقال العماد بن كَثِير[3] في تاريخه:

---

(١) أي ابن قيم الجوزية، وقد بدأ تضمين كلامه من أول هذا الفصل.

(٢) أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) هو الإمام الحافظ المفسر: عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ. وتاريخه هو: البداية والنهاية (مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥١هـ).

وفي سنة من السنين كان للناس شجرة يعظِّمونها و يربطون عليها الخِرَق، ويخرجون إليها في يوم من السنة ــ قال: لم يشعر الناس إلا والشيخ تقيّ الدِّين ابن تيمية تحزَّم، وأخذ هو وجماعته الفؤوس، وخرج إليها فقطعها. قال: فوقع الإنكار من العامّة عليه بسبب ذلك، فرحمه الله ورضي عنه على ما صنع، فإن ذلك ربما يُفْضِي إلى الشِّرك؛ وطائفة من الكفار يعبدون الشجر.

وقد ذكر ابن هشام في السيرة وغيره: أن أهل نجران ــ قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ــ كانوا يعبدون نخلةً طويلة لها عيد في السنة، إذا كان يوم ذلك العيد خرجوا إليها وألبسُوها الحُليَّ وغيره، و يعكفون عليها.

وأخبرني بعض أصحابنا أن ببلاد الهند طائفة يعبدون الشجر، يعكفون عليها، و يصلحونها، و يُلْبِسُونها.

انتهى كلامه[1]، رحمه الله.

---

(١) أي كلام ابن كثير.

القِسْمُ الثَّاني

حيَاة الشيَخ محمّد بن عَبد الوَهّاب
١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ.

حياة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ هـ ـ ١٢٠٦ هـ

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف، التميمي.

وُلد رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بلدة العُيَيْنَة، من بلدان نجد.

تلقَّى في طفولته العلم في بلدته العُيَيْنَة، فحفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة من عمره، وكان حادّ الفهم، وقَّاد الذِّهن، سريع الحفظ، فَصِيحاً فَطِناً. روى أخوه سليمان أن أباهما كان يتوسَّم فيه خيراً كثيراً، ويتعجَّبُ من فَهمْه وإدراكه مع صغر سنه، وكان يتحدَّث بذلك ويقول: إنه استفاد من ولده محمد فوائد من الأحكام.

وكتب والده إلى بعض إخوانه رسالة نوَّه فيها بشأن ابنه محمد، وأثنى فيها عليه، وعلى حفظه وفهمه وإتقانه، ذكر فيها أن ابنه بلغ الاحتلام قبل أن يكمل اثنتي عشرة سنة من عمره، وأنه رآه حينئذ أهلاً للصلاة بالجماعة لمعرفته بالأحكام، فقدَّمه أبوه ليؤمَّ الناس. وزوّجه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ـ بُعَيْد

بلوغه. ثم أذِن له بالحج، فحجَّ وقصد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأقام فيها شهرين، ثم رجع بعد أن أدَّى الزيارة.

وكان والده آنذاك قاضي العُيَيْنَة، فقرأ عليه في الفقه على مذهب الإمام أحمد وكان رحمه الله ــ على صغر سنه ــ كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، وكان ــ لسرعة كتابته ــ يكتب في المجلس الواحد كرَّاساً من غير أن يتعب، فيحار من يراه لسرعة حفظه، وسرعة كتابته.

فشرح الله صدره بمعرفة التوحيد ومعرفة نواقضه التي تُضِلُّ عن سبيله، فأخذ يُنكر تلك البِدَع المستحدَثة من الشِّرك الذي كان قد فشا في نجد، ومع أن بعض الناس كان يستحسن ما يقول، غير أنه رأى أن الأمر لن يتم له على ما كان يريد فرحل في طلب العلم إلى ما يليه من الأمصار، حتى بلغ فيه شأواً فاق فيه شيوخه:

فبدأ بحج بيت الله الحرام، ثم أقام في المدينة المنورة حيناً أخذ فيه العلم عن الشيخ عبدالله بن إبراهيم النجدي ثم المدني وأجازه من طريقين، وهو والد إبراهيم بن عبدالله مصنف كتاب «العذْب الفائض في عِلْم الفرائض»، وكذلك أخذ عن الشيخ محمد حياة السندي المدني[1].

ثم خرج من المدينة الى نجد، وقصد البصرة في طريقه إلى الشام. وفي البصرة سمع الحديث والفقه من جماعة كثيرين، وقرأ بها النحو وأتقنه، وكتب الكثير من اللغة والحديث. وكان في أثناء مقامه في البصرة يُنكر ما يرى ويسمع من الشرك والبِدَع، ويحثُّ على طريق الهدى والاستقامة، وينشر أعلام التوحيد، ويُعلن للناس أنَّ الدعوة كلَّها لله: يكفر من صَرَف شيئاً منها إلى سواه. وإذا ذَكَرَ أحدٌ بمجلسه شاراتِ الطواغيت والصالحين الذين كانوا يعبدونهم مع الله،

(١) توفي سنة ١١٦٥هـ، ومن مؤلفاته: (١) تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام (ب) تحفة المحبين في شرح الأربعين (انظر «عنوان المجد» ص: ٣٤).

نهاه عن ذلك وزجره، وبيّن له الصواب، وقال له: إن محبة الأولياء والصالحين إنما هي باتّباع هَدْيهم وآثارهم، وليست باتّخاذهم آلهةً من دون الله؛ وكان كثيرٌ من أهل البصرة يأتون إليه بشبُهات يُلْقُونها عليه، فيجيبهم بما يزُيل اللبْس، ويوضّح الحقّ، ويكرّر عليهم دائماً أن العبادة كلّها لا تَصْلُح إلا لله. وكان بعض الناس يستغربون منه ذلك، ويَعْجَبون لما يُظْهِر لهم من شدة إنكاره لعبادة الصالحين والأولياء والتوسّل بهم عند قبورهم، ومشاهدهم، وكانوا يقولون: إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً فالناس ليسوا على شيء.

فلما تكرّر منه ذلك آذاه بعضُ أهل البصرة أشدَّ الأذى، وأخرجوه منها وقت الهجيرة، فاتجه الى الشام، ولكنَّ نفقَته التي كانت معه ضاعت منه في الطريق، فانثنى عائداً الى نجد. ومرّ في طريقه إليها بالأحساء ونزل فيها على الشيخ العالم عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي. ثم اتجه منها إلى بلدة حريملا — وكان أبوه عبد الوهاب قد انتقل إليها من العُيَيْنَة سنة تسع وثلاثين ومائة وألف، بعد أنْ توفي حاكمها عبدالله بن معمر، وتولّى بعده ابنُ ابنه محمد بن حمد الملقب خرفاش، فعزَل الشيخَ عبد الوهاب عن قضاء العيينة لنزاعٍ بينهما.

فأقام الشيخ محمد في حريملا مع أبيه يقرأ عليه سنين، إلى أن توفي أبوه سنة (١١٥٣) ثلاث وخمسين ومائة وألف. فأعلن دعوته، واشتدّ في إنكاره مظاهرَ الشرك والبدع، وجدّ في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصح للخاصّ والعام، ونشر شرائع الإسلام، وجدّد سُنَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يخشَ في الحقّ لَوْمة لائم، وحذّر الناس، والعلماءَ منهم خاصةً، تحقُّقَ وعيد الله في قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين يكْتُمون ما أنْزَلْنا من البيِّناتِ والهدى مِنْ بَعْدِ ما بيَّنَّاه للناس في الكتاب أولئك يلْعَنُهم اللهُ ويلعنهم اللاعنون﴾.

فذاع ذكره في جميع بلدان العارض: في حريملا والعُيَيْنة والدِّرْعية والرياض ومنفوحة. وأتى إليه ناس كثيرون، وانتظم حوله جماعةٌ اقتَدَوْا به، واتَّبعوا طريقه، ولازموه، وقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير. وصنَّف في تلك السنين «كتاب التوحيد».

وانقسم الناس فيه فريقين: فريق تابعه وبايعه وعاهده على مادعا إليه، وفريق عاداه وحاربه وأنكر ذلك عليه ـــ وهم الأكثر.

وكان رؤساء أهل حريملا قبيلتين، أصلهما قبيلة واحدة، وكان كل فريق يدَّعي لنفسه القوَّة والغَلَبَة والكلمة العليا، ولم يكن لهم رئيس واحد يَزَعُ الجميع. وكان في البلد عَبيدٌ لإحدى القبيلتين، كثُر تعدِّيهم وفسقهم، فأراد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب أن يُمْتَعُوا عن الفساد وينفِّذَ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهمَّ العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه سرًّا بالليل، فلما تسوَّروا عليه الجدار علم بهم الناس فصاحوا بهم فهربوا.

فانتقل الشيخ من حريملا إلى العُيَيْنة، ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فأكرمه وتزوَّج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر.

ولما عرض على عثمان دعوته اتَّبعه وناصَرَه، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره. وكان في العيينة وما حولها كثير من القباب والمساجد والمشاهد المبنيَّة على قبور الصحابة والأولياء، والأشجار التي يعظِّمونها ويتبرَّكون بها: كقُبَّة قبر زيد ابن الخطاب في الجُبَيْلة، وكشجرة قريوة وأبي دجانة والذيب.

فخرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومعه عثمان بن معمر وكثير من جماعتهم، إلى تلك الأماكن بالمعاول، فقطعوا الأشجار، وهدموا المشاهد والقبور، وعدلوها على السُّنَّة، وكان الشيخ هو الذي هدم قبَّة قبر زيد بن الخطاب بيده، وكذلك قطع شجرة الذيب مع بعض أصحابه، وقطع شجرة قريوة: ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وأحمد بن سويلم وجماعة سواهم.

وهكذا لم يبقَ وثن في البلاد التي تحت حكم عثمان، وعَلَت كلمةُ الحق، وأحْيِيَتْ سُنَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما شاع ذلك واشتهر، وتحدَّثت به الرُّكبان، أنكرته قلوبُ الذين حقَّت عليهم كلمة العذاب، وقالوا مثل ما قال الأولون: ﴿ أجَعَل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عُجاب ﴾ فتجمعوا على ردِّه، والإنكار عليه ومخاصمته ومحاربته. فكتبوا إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين يؤلِّبونهم عليه، فناصرهم في ذلك أهلُ الباطلِ والضلال من علماء تلك البلاد، وصنَّفوا المصنَّفات في تبديعه وتضليله وتغييره للشَّرْع وَالسُّنَّة، وجهلِهِ وغَوايته. وأغْرَوْا به الخاصة والعامّة، خصوصاً السلاطين والحكّام، وادَّعوا أنْ ليس للشيخ وأصحابه عهد ولا ذمام، لرفضه سنَّة الرسول وتغييره أحكامَ الدِّين، وخوَّفوا الحكَّام والوُلاةَ منه، وزعموا أنه يملأ قلوب الجهَّال والطَّغام بكلامه ويُغويهم بطريقته، فيخرجون على حكَّامهم وولاتهم ويعلنون العصيان.

والشيخ ـ رحمه الله ـــ صابر على ما يقولون، مُحتَسِبٌ أجْرَهُ عند الله، يتعزَّى بما قاساه قَبْلَه الموحِّدُون، وما لَقِيَهُ المؤمنون مِنْ أنواع البلاء، وما سعى لهم به أهلُ الشِّرْك والضلال. وهذه سُنَّة الله تعالى في عباده جاريةٌ في جميع الأزمان، يختبر بها المؤمنين ويمتحن بها الصابرين، فقد قال تعالى: ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أنْ يَقُولوا آمَنَّا وهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ولقدْ فَتَنَّا الذينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبينَ ﴾.

* * *

ولم يزل الشيخ رحمه الله مقيماً في العُيَيْنَة: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وُيعلِّم الناس دينهم، ويزُيل ما قدر عليه من البِدَع، ويقيم الحدود، ويأمر الوالي بإقامتها ـــ حتى جاءته امرأة من أهل العُيَيْنَة زَنَت، فأقرَّتْ على نفسِها بالزِّنا، وتكرَّر ذلك منها أربعاً. فأعرض الشيخُ عنها، ثم أقرَّت وعادت إلى الإقرار مِراراً. فسأل عن عقلها، فأخْبِر بتمامه وصحَّته، فأمْهلها أياماً، رجاء

أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل مستمرّة على إقرارها بذلك، فأقرّت أربع مرات في أيام متواليات. فأمر الشيخ رحمه الله الواليَ برْجمِها لأنها مُحصنَة: بأن تُشَدّ عليها ثيابها وتُرجَمَ بالحجارة على الوجه المشروع. فخرج الوالي عثمان ابن معمر وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان نفسه. فلما ماتت أمر الشيخ أن يغسّلوها وأن تُكفَّن و يُصَلّى عليها.

فلما جرت هذه الحادثة كثُرت أقاو يل أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفاً وفزعاً، وانخلعت ألبابهم رهباً وجزعاً. وتطاوَلت ألْسنةُ العلماء عليه يُنكرون مافعل مع أنه لم يَعْدُ الحكم المشروع بالسُّنّة والإجماع.

فلما أعياهم ردُّ ما أفحمهم به الشيخ من حُجَجٍ، عدلوا إلى ردّها بالمكر والحيلة، فشكوه إلى شيخهم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والأحساء، فأغْرَوْه به، وصاحوا عنده وقالوا: إن هذا يُريد أن يخرجكم من مُلْكِكم، و يسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور، و يُبطِل العشور والمُكوس.

فلما خوّفوه بذلك كتب إلى عثمان بن معمر يأمره بقتله أو إجلائه عن بلده، وشدّد عليه، وهدّده بأنه إن لم يفعل ذلك قطع عنه خراجه الذي عنده في الأحساء ــ وكان خراجاً كثيراً ــ وأوعده باستباحة جميع أمواله لديه.

فلما ورد على عثمان كتاب سليمان استعظم الأمر فآثر الدنيا على الدّين، وأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالخروج من العُيَيْنة.

فخرج الشيخ سنة سبع أو ثمان وخمسين ومائة وألف من العُيَيْنَة إلى بلدة الدّرْعية. فنزل في الليلة الأولى على عبدالله بن سو يلم، ثم انتقل في اليوم التالي إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سو يلم.

فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود، قام من فوره مسرعاً إليه ومعه أخَواه: ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلّم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده.

فأخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دعا إليه، وما كان عليه صحابته رضي الله عنهم من بعده، وما أمروا به وما نهوا عنه، وأن كل بدعة ضلالة، وما أعزَّهم الله به بالجهاد في سبيل الله وأغناهم به وجعلهم إخواناً. ثم أخبره بما عليه أهل نجد في زمنه من مخالفتهم لشرع الله وسنة رسوله بالشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والظلم.

فلما تحقق الأمير محمد بن سعود معرفةَ التوحيد، وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، قال له: يا شيخ إن هذا دينُ الله ورسوله الذي لا شكَّ فيه، فأبْشِرْ بالنُّصْرة لك ولِمَا أمرتَ به، والجهادِ لمن خالف التوحيد؛ ولكنْ أريد أن أشترط عليك اثنتين: نحن إذا قمنا في نصرتك، والجهاد في سبيل الله، وفَتَحَ الله لنا ولك البلدان ــ أخاف أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا؛ والثانية: أنَّ لي على الدرعية قانوناً[1] آخذه منهم في وقت الثِّمار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً. فقال الشيخ: أما الأولى فابْسُطْ يدك: الدم بالدم والهدم بالهدم؛ وأما الثانية فلعلّ الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوِّضك الله من الغنائم ما هو خير منهم.

فبسط الأمير محمد يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقرَّ عنده. ومن أشهر الذين عاونوه وناصروه من إخوان الأمير محمد ووزرائه وأعوانه من أهل الدرعية: ثنيان بن سعود، ومشاري بن سعود، وفرحان ابن سعود، والشيخ أحمد بن سويلم، والشيخ عيسى بن قاسم، ومحمد الحزيمي، وعبدالله بن دغيثر، وسليمان الوشيقري، وحمد بن حسين، وأخوه محمد، وغيرهم.

---

(١) هو ما يدفعه الضعيف للقوي ليحميه ويدافع عنه، ويسمى: الخفارة والقانون في كلام أهل نجد.

وقد بقي الشيخ رحمه الله سنتين في الدّرعية: يناصح الناسَ و يهديهم إلى سبيل الحقّ. وفي خلالهما تسلّل إليه شيعته الذين في العُيَيْنَة، منهم: عبدالله بن محسن، وأخواه: زيد وسلطان ـــ المعامرة[1]، وعبدالله بن غنّام، وأخوه موسى. وهاجر معهم خلق كثير من رؤساء المعامرة المخالفين لعثمان بن معمر في العُيَيْنَة، ومعهم أناس ممن حولهم من البلاد، حين علموا أن الشيخ استقرّ في الدّرعية ومُنِع ونصِر.

فلما علم عثمان بن معمر بكل ذلك ندم على ما فعل من إخراج الشيخ، وعدم نصرته، وخاف منه أموراً. فركب في عدة رجال من أهل العُيَيْنَة ورؤسائها، وقَدِم على الشيخ في الدّرعية، وأراده على الرجوع معه، ووعده النصر والمنعة، فقال الشيخ: ليس هذا إليّ، إنما هو إلى محمد بن سعود، فإن أراد أن أذهب معك ذهبتُ، وإن أراد أن أقيم عنده أقمت، ولا أستبدل برجلٍ تلقّاني بالقَبول غيرَه، إلا أن يأذن لي. فأتى عثمان إلى محمد بن سعود، فأبى عليه، ولم يجد إلى ما أتى إليه سبيلاً، فرجع إلى بلده مضمراً العداوة والشرّ والغدر، وإن كان يُبدي مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد. إلى أن تكرّر منه المكر، وظهر نفاقُه، وانكشف أمره، فقام بقتله جماعة من أهل التوحيد، بعد أن انقضت صلاة الجمعة في مُصلاّه بمسجده بالعُيَينة سنة ثلاث وستين بعد المائة والألف ـــ على ما سيأتي تفصيله بعد قليل.

* * *

وكاتَبَ الشيخُ بدعوته أهلَ البلدان ورؤساءَهم ومُدَّعي العلم فيهم، فمنهم من قَبِل الحقّ واتّبعه، ومنهم من اتّخذه سِخْرِيًّا واستهزأوا به، ونسبوه إلى الجهل تارة، وإلى السّحْر تارةً أخرى، ورموه بأشياء هو بريء منها جميعاً.

---

(١) المعامرة: بنو معمر.

وبقي رحمه الله يدعو إلى سبيل ربّه بالحُجّة الواضحة، وبالموعظة الحسنة، فلم يُبادر أحداً بالتكفير، ولم يبدأ أحداً بالعدوان، بل توقّف عن كل ذلك ورعاً منه وأملاً في أن يهدي الله الضالين. إلى أن نهضوا عليه جميعهم بالعدوان، وصاحوا في جميع البلاد بتكفيره هو وجماعته وأباحوا دماءهم، ولم يثبتوا دعواهم الباطلة بحجّة من كتاب الله أو سُنّة رسوله، ولم يكْتَرِثوا بما ارتكبوا بحقّه من الزور والبهتان، وما اتّبعوه من وسائل لإجلائه وجماعته عن البلاد، ومطاردتهم بالتعذيب والاضطهاد. أجل، لم يأمر رحمه الله بسَفْك دمٍ ولا قتال، على أكثر أهل الضلال والأهواء، حتى بدأوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير، فأمر الشيخُ حينئذ جماعته بالجهاد، وحضّ أتباعه عليه، فامتثلوا لأمره.

وكان دائماً يتضرّع إلى الله الذي خصّه بهذا الفضل أن يشرح للحق صدور قومه، وأن يكفيه بحَوْله وقوّته شرورهم، ويصرف عنه أذاهم. وكان يسير معهم دائماً بسيرة الصفح، ويشملهم بالعفو، ولم يكن أحبَّ إليه من أن يأتيه أحدهم بالمعذرة فيبادره بالمغفرة. ولم يعامل أحداً بالإساءة بعد أن غلب وظهر، ولو مكّنهم الله تعالى منه لقطّعوا أوصاله، وأوقعوا به أقبح المُثْلة والنّكال. ولقد كان رحمه الله يعلم ذلك، ولكنه لم ينتصر لنفسه بعد التمكّن والظهور حين جاؤوا وافدين عليه، منقادين قسراً أو طوعاً إليه، بل أخذته الرحمة بهم، فأعرض عما أتوه بحقّه، وكأنه لم يصدر عليه منهم شيء، وأبدى لهم البشاشة والملاطفة، ومنحهم بِرَّه ومعروفَه وإكرامه. وهذا الشأو لا يدركه إلا البَرَرَةُ الكرام، والعلماء الأعلام ممن جمّلهم الله تعالى بالتقوى والمعرفة والهداية.

* * *

وقد بقي الشيخ بيده الحلّ والعقد، والأخذ والإعطاء، والتقديم والتأخير، ولا يركب جيش ولا يصدر رأي من محمد بن سعود ولا من ابنه عبد العزيز إلا عن قوله ورأيه. فلما فتح الله الرياض ــ على ما سيُبَيَّن بعد قليل ــ واتسعت ناحية

الإسلام، وأمنت السُّبُل، وانقاد كل صعب من بادٍ وحاضر، جعل الشيخ الأمر بيد عبد العزيز بن محمد بن سعود، وفوّض أمور المسلمين وبيت المال إليه، وانسلخ منها، ولزم العبادة وتعليم العلم، ولكنَّ عبد العزيز لم يكن يقطع أمراً دونه، ولا ينفِّذه إلا بإذنه.

وكان رحمه الله يُحْيِي غالب الليلِ قائماً: يصلّي ويتهجّد ويقرأ القرآن، وكان من دأبه التأنّي والتثبُّت في تنفيذ الأحكام، لا يُميله الهوى عن الشرع، ولا تصدُّه عداوة عن الحق، بل يحكم بما ترجَّح له وجه الصواب فيه، فإنْ وجد نصًّا في كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ـ التزَمه ولم يعدِل عنه، وإلا رجع إلى كتب الأئمة الأربعة، وأخذ نفسه بدقة المراجعة والتحقيق للنص، وشدَّة البحث والكشف والتنقيب.

ومع ما أفاض الله على بيت المال من الأموال التي كانت تجْبى، فقد كان رحمه الله زاهداً متعفِّفاً، لا يأكل من ذلك المال إلا بالمعروف؛ وكان سمحاً جواداً لا يردُّ سائلاً، فلم يُخلِّف رحمه الله شيئاً من المال يُوزَّع بين وَرَثَتِه، بل كان عليه دَيْن كثير، أوفاه الله عنه.

وقد اختاره الله تعالى إلى جواره في يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ستّ بعد المائتين والألف، وله من العمر نحو اثنين وتسعين عاماً. فرحمه الله تعالى رحمةً واسعة، وأدخله جنانه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، كِفاء ما أحيا من شَرْع الله، وجدَّد من سُنَّة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

مؤلفاته:

كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد
كتاب الكبائر
كتاب كشف الشبهات
كتاب السيرة المختصرة

كتاب السيرة المطولة
كتاب مختصر الهدي النبوي
كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه
كتاب مختصر الشرح الكبير
كتاب مختصر الإنصاف

وله ــ غير هذه الكتب ــ رسائل كثيرة: بعضها مُطوَّل، وبعضها مُخْتَصَر، وسنعقد في هذا الكتاب فصلاً لها نستوعب فيه ما وقفنا عليه منها.

القِسْمُ الثَالِث

الغـزوات[٧]

الغزوات

حين بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يكاتب ــ من بلدة الدّرعية ــ أهلَ البلاد المجاورة ورؤساءها وعلماءها، بدعوته ويحضّهم على اتباع شرع الله وسُنّة رسوله ــ أرسل هو والأمير محمد بن سعود إلى دهام بن دوّاس رئيس بلدة الرِّياض، لِيَتَّبع طريق الحق و ينضَمَّ إلى الجماعة، واجتهدا في نصحِه ما وسعهما الاجتهاد؛ وكان دهام يظهر للأمير محمد بن سعود الصداقة والإخلاص لِما للأمير عليه من أفضال سابقة[1].

(١) كان دواس، والد دهام، رئيساً في بلدة منفوحة متغلباً عليها، فقتل أناساً من جماعته من المزاريع (بني مزروع) ظلماً وعدواناً. فبقي بعد ذلك زماناً ثم مات. وتولى بعده ابنه محمد، فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس ــ هو و بعض أهل منفوحة ــ فقتلوه وأجلوا إخوانه، ومن جملتهم: دهام؛ وإخوته عبدالله وتركي ومشلب وفهد.

فاستوطنوا الرياض، وكان واليها إذ ذاك زيد بن موسى أبا زرعة. فلم يمض زمن حتى قتل زيداً هذا أحد بني عمه ــ وكان معتوه العقل، صعد إليه وهو نائم في علية له فذبحه بسكين.

فجاء عبد لزيد اسمه خميس، فقتل قاتل زيد ورماه من رأس العلية، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض. وكان أولاد زيد إذ ذاك صغاراً فزعم أنه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك.

فأقام والياً عليها نحو ثلاث سنين، ثم هرب من الرياض خوفاً من أهلها لأمور جرت منه؛ فقتله في منفوحة بعد زمن رجل من أهلها كان العبد قتل أباه زمن رياسته على الرياض.

و بقيت الرياض زمناً بلا رئيس؛ وكان دهام بن دواس ــ أثناء رئاسة العبد خميس ــ خادماً له. فلما هرب العبد ترأس في الرياض دهام بحجة أن ابن واليها السابق: زيد بن موسى، هو ابن أخت دهام. فزعم أنه سيكون نائباً عنه في ذلك حتى يكبر و يعقل ثم يتخلى له حينئذ عن الولاية. =

غير أن دهاماً أبى، وأعرض عن الحق واستكبر، وكانت الدعوة إلى الحق قد انتشرت في بلدة الرياض، ودخل في الجماعة كثير من أهلها؛ فأظهر دهام عداوته، وأخذ يضطهد كل من اتبع التوحيد من أهل بلده، و يسعى لهم بالمكايد و يتربص بهم الدوائر.

وكان أوّل عدائه غَدْرُه بأهل منفوحة سنة ١١٥٩هـ؛ وكانوا قد لبُّوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودخلوا في طاعة الأمير محمد بن سعود.

فعدا عليهم صباحاً على غِرَّةٍ، ومعه بعض أهل الرياض و بعض سكان البوادي من آل ظفير. فكمن لهم قُرب البلد، وأمر البوادي والخيل أن تغير على زرعهم ونخيلهم في أطراف البلدة؛ فلما رأى ذلك أهلُ منفوحة فزعوا إليهم وخرجوا من بيوتهم يريدون إبعادهم عن زرعهم، فلم يبق في البلدة أحد من المقاتلة. فخرج حينئذ الكمين ومعهم دهام، واستولوا على قصر الإمارة، وقهروا البلد، وكادت تتم لهم الغَلَبَة، لولا أن عليَّ بن مزروع وطائفة معه من أهل الدين ثبَّت الله اقدامهم، فكَرُّوا راجعين، وصعدوا إلى أعْلَى بعض البيوت المشرفة

= ولكنه لم يلبث أن أجلى ابن أخته هذا عن البلاد، فلما عرف أمره كرهه أهل الرياض وسعوا في قتله أو عزله، فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصره وحصروه فيه. فأرسل دهام أخاه مشلباً على فرس إلى محمد بن سعود أمير الدرعية يطلب منه النجدة والنصرة، فأجابه الأمير محمد، وأرسل إليه أخاه مشاري بن سعود على رأس جند؛ فلما وصلوا الرياض ورأتهم تلك الجموع فروا، بعد أن قتل منهم ثلاثة أو أربعة رجال.

ثم استتب بعد ذلك الأمر لدهام وأقام والياً على الرياض، ومكث عنده مشاري بن سعود شهوراً، ولم يكن يتوقع أن يصدر منه ما صدر من الشرور الخبيثة، والفجر المتعاظم، فمن ذلك:

أنه غضب يوماً على امرأة فأمر بفمها أن يخاط، و يتكرر في شفتيها تردد الخيط. ومنها: أنه غضب يوماً على رجل فقطع من فخذه قطعة، وأمره أن يسيغها مضغة مضغة، فحاول الرجل أن تشوى له قبل الأكل، فرفض طلبه، فأكلها ـــ نعوذ بالله من البلوى. ومنها: أنه غضب يوماً على رجل مسجون فك بأسنانه قيد الحديد، فأمر بمقمعة من حديد فضربت بها أسنانه حتى تساقطت...

فلم يزل على تلك الحال إلى أن اتصل به الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود يدعوانه دعوة الحق، على ما هو وارد في أصل الكتاب.

على قصر الإمارة، وأخذوا يرمونهم من مواقعهم تلك حتى قتلوا منهم أناساً. فلما خابت آمال دهام وجماعته، وأدركوا أنهم مقتولون لا محالة إنْ لم يهربوا، رموا بأنفسهم من وراء الجدار، وفَرُّوا، بعد أن جُرِحَ دهام جرحين، وقُتِلَت فرسه، وقتل من جماعته أحد عشر رجلاً، منهم: درع الصمعر، وخضير الصمعر، وزهلول الفضيلي[1].

فلما جَهَر دهام بالعداوة، وانكشف غدره، انتدب محمد بن سعود لحربه. فوجَّه ليلاً جماعةً إلى الرياض فدخلوها، وأتَوْا باب القلعة التي فيها قصر دهام، فشذبوا الباب بالمنشار، ودخلوا بيت ناصر بن معمر، وتركي بن دواس، فعقروا فيهما إبلاً كثيرة، ورموا دهاماً بالرصاص وهو في عِلِّيَّته، ثم عادوا سالمين.

ثم بعد ذلك بيسير عدا ابنُ دواس على العمارية، فقتل عبدالله بن علي وعقر إبله. فلما بلغ ذلك محمد بن سعود جمع أهلَ الدّرعية وأهل عرقة. وأراد أن يرصدهم وينصب لهم كميناً في غَيْضةٍ هناك لأنها طريقهم الذي يرجعون منه، وكان ابن دواس قد كَمَنَ في الموضع نفسه، ولم يشعر بذلك محمد بن سعود وجماعته. فالتقى الفريقان واقتتلوا قتالا شديداً، فانهزم دهام وجماعته والمسلمون بأثرهم، حتى طلعت عليهم عدوة[2] ابن دواس التي صدرت من العمارية، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم فانكسروا. وقُتِلَ من الفريقين عدة قتلى، ثم رجع كل فريق إلى بلاده.

ثم جرت وقعة شهيرة تُدعى وقعة الشيَّاب[3]، وسُميت بذلك لأنه قُتِل فيها شياب من آل شمس من أهل الرياض.

---

(١) في ابن غنام «زهمول الفضلي»، وما أثبتناه من عنوان المجد.

(٢) العدوة: السرية أو الجماعة التي تذهب للهجوم، أو السطو. (انظر: عنوان المجد، ص: د).

(٣) في كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» ص: ٢٦ مايلي «وقعة الشياب، وهما رجلان من آل شمس قتلا في هذه الوقعة فسميت بهم!».

وذلك أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العُيَيْنة ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدّرعية ــ ساروا جميعاً إلى أهل الرِّياض، فلما اقتربوا من البلد أغار بعضُهم على نواحيها، وكمن بعضهم. فخرج دهام مع أهل الرياض، فالتقوا بمكان يُسمَّى «الوشام» خارج السور ــ وهو جبل منبطح جانب البلد. فلما التحم القتال خرج عليهم الكمين فانهزم دهام وقومه، وقُتل منهم نحو عشرة رجال، منهم: أحمد بن علي بن ناصر، وشايبان من آل شمس.

ثم خرج محمد بن سعود في أهل الدرعية وقراها، وسار الى الرياض، فلما اقتربوا من البلد جعل كميناً في جرف يقال له: جرف عبيان، ثم أغار على البلد. فخرج ابن دواس ومن معه من المقاتلة خارج السور، فلما التقى الفريقان خرج الكمين فانهزم دهام ومن معه، وقتل من أهل الرياض نحو عشرة رجال أغلبهم من العبيد، ولهذا سميت «وقعة العبيد»، وتسمَّى أيضاً وقعة «غيبة» لأن القتلى بقوا فيها أياماً بلا دفن.

وقد بقي ابن دواس بعد وقعة العبيد متحسِّرًا، يتأهب للحرب ويجمع الأمداد للأخذ بالثأر. فسار[1] بجموع جمعها من الحضر والبدو وقصد الدّرعيَّة، وجعل كميناً في حفير خفيٍّ. ثم أغار على البلد فخرج إليه أهل الدرعية، فلما رآهم انهزم وولَّى هارباً. فطمعوا فيه وتبعوه، فأشار عليهم الأمير محمد بن سعود بالرجوع خشيةَ أن يكون ثمَّة كمين ــ حين رأى أن ابن دواس قد انهزم وباء بالخيبة. ولكنَّ قضاء الله جعلهم يطاردون ابن دواس وجماعته، فظهر عليهم الكمين فانكشف أهل الدرعية وولَّى أكثرهم منهزمين، وقتل منهم خمسة، من مشاهيرهم: فيصل وسعود ابنا محمد بن سعود.

فاشتدت الحرب بعد هذه الوقعة، فسار محمد بن سعود بأهل العُيَيْنة وأهل حريملا وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة ــ وذلك في ربيع الأول سنة ١١٦٠

---

(١) في ابن غنام أن هذه الوقعة حدثت سنة ١١٥٩، وفي «عنوان المجد» سنة ١١٦٠.

وتوجهوا إلى الرياض. فانفلت رجل من أهل حريملا يقال له أبو شيبة من آل داود، فأنذر دهاماً وجماعته، فصبَّحهم محمد بن سعود وجماعته فإذا هم مستعدُّون، والتقوا في جوف البلد ــ ولهذا سميت وقعة دلقة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وحمي القتال عند باب القصر، والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس ــ وكان فاتكاً ــ فتقاتلا راجِلَيْن، فضرب حمد بن محمد دهاماً ضربات بالسيف في جسده ورأسه، حتى أتى موسى بن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه فقتله، فنجا بذلك دهام بعد أن أشرف على الموت.

ومع ذلك فلم يكن جزاء موسى من دهام إلا المعاقبة والتنكيل، لأنَّ موسى بعد ذلك اهتدى وأراد الهجرة إلى الدرعية، فذكر ذلك لدهام، فأمر بقطع يده ورجله، فقطِعتا، ونفاه إلى الدرعية فلم يبرح إلا ثلاثة أيام ثم مات.

وقتل في وقعة دلقة من أهل الرياض: محمد بن سوداء، وسرحان البكاي، وابن مسيفر، وثمانية[1] غيرهم.

واستشهد من الجماعة: حمد بن محمد، وحمود بن حسين بن داود، وسليمان الزير، وحسن الشميري، وغيرهم.

وأما الجراحات في الفريقين فكثيرة.

وكانت تلك الوقعة من غير رضاء عثمان بن معمر ومشورته، فلم يحضرها، ولكنه حين رأى عودة الجماعة من الحرب خشي أن ينكشف نفاقه وأن تظهر خيانته، فأرسل إلى الشيخ وإلى محمد بن سعود يستشفع إليهما، ويطلب منهما الصفح عن تخلفه؛ فقبلا عذرَه رجاء منهما ألاَّ يعود إلى مكره. ثم قدم عليهما ومعه وجوه أهل حريملا والعيينة، وعاهدهما على الجهاد والقيام بنصرة الدين ولو في أي مكان. فتوهَّما فيه الصدق والوفاء، فرأسوه ورفعوه على المسلمين وأمَّروه،

(١) في عنوان المجد: «وأربعة غيرهم».

وصار محمد بن سعود نفسه له منقاداً، لا يخالفه في شيء بل يتابعه و يوافقه في السفر والغزو والجهاد.

وكان من أعظم ما أظهر نفاقَ عثمان بن معمر أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته، و يزيِّن له الاتفاق مع عثمان، والقدوم عليه إلى العيينة، على أن يظهر في أحاديثه بمجالسه أنه اهتدى، وانضمَّ إلى الجماعة. فقدم دهام مع إبراهيم على عثمان، وكان ذلك كله من غير مشورة الشيخ وابن سعود، فحين رأى أهل البلد دهاماً وعلموا بما حدث شقَّ عليهم ذلك، واجتمعوا جميعاً وساروا إلى عثمان. فلما رأى حالهم موَّه عليهم، وقال لهم: ليس لي مُرَاد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح و يدخل دهام في دائرة الإسلام، فاطمأنت نفوس القوم.

ثم أرسل عثمان إلى الشيخ وألحَّ عليه في القدوم، ولكن الله ألقى في رُوع الشيخ ما استبان به خيانة عثمان وغدره، فامتنع عن الذهاب. فلما رجع الرسول وأخبرهم بذلك، عرف المسلمون من أهل البلد مكر عثمان، فحصروا ابن دواس في القصر وهمُّوا أن يفتكوا به، ولكن دهاماً هرب منهم تحت جنح الظلام. وعاد إبراهيم بن سليمان إلى ثرمدا وفارق منهج الحق.

وكان هذا كله قبل أن يفد عثمان على الشيخ وابن سعود و يأخذ منهما العهد المجدَّد. ولكنه مع ذلك لم يُخْلص النيَّة، ولم يعقد العزم على الوفاء، وسيتبين غدره بعد قليل.

* * *

فلما أعطي عثمان بن معمر العهد خرج في سنة ١١٦١هـ بمن معه من أهل العيينة وأهل حريملاء، وخرج معه محمد بن سعود[1] بأهل الدرعية وقراها وأهل

---

(١) في عنوان المجد ص: ٢٩: «عبد العزيز بن محمد بن سعود».

ضُرْمَى — والأمير على الجميع عثمان. فساروا إلى الرياض، فأتوها من شرقيها يمشون في وادي الوتر حتى نزلوا بين العود والبنية.

ولم يجرِ ذلك اليوم قتال إلا أن رجالاً من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعيد، فقتل من أهل الرياض: سليمان بن حبيب وأناس معه، وأصيب كثيرون بجراح. واستشهد من الجماعة: عبدالله بن عبيكة، وابن عقيل.

فلما كان آخر اليوم رجعت الجماعة إلى منفوحة وأقاموا بها ثلاثة أيام يتداولون الرأي، حتى عزموا على المسير كرّةً أخرى إلى الرياض.

فتعبَّأوا للقتال، وانقسموا فرقتين: اتجهت فرقة إلى صياح، واستولوا على ما فيه من الأموال بعد قتال شديد.

وسارت الفرقة الأخرى إلى مقرن فدخلوها، وكان أهل البلد قد اجتمعوا عند قصر دهام بن دواس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان حيناً، ثم انهزم المسلمون بعد أن قتل منهم خمسة وعشرون رجلاً.

فأسرع دهام وقومه — بعد أن فرغوا من قتال هذه الفرقة — إلى صياح، وكان من استولى عليها من المسلمين إذ ذاك متفرقين في البيوت والنخيل، فباغتهم دهام، وهزمهم وقتل منهم عشرين رجلاً.

فكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعين.

ثم سار عثمان بن معمر بأهل العيينة وحريملا، وعبد العزيز بن محمد بن سعود بأهل الدرعية وقراها وأهل ضُرْمَى، وعثمان أمير الجميع، فقصدوا الرياض ونزلوا بموضع في صياح يسمى الخريزة[1]، فخرج إليهم أهله واقتتلوا قتالاً شديداً؛

(١) في ابن غنام: «الحزيزة»، وأثبتنا ما في عنوان المجد.

فقتل من أهل الرياض ستة تقريباً، وقتل من أهل العيينة نحو عشرة، ومن أهل الدرعية ومنفوحة ستة. وصرم المسلمون من الرياض أربعة نخيل.

ثم سار عثمان بن معمر بأهل العيينة وحريملا، وعبد العزيز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرمى ـــ والأمير على الجميع عثمان. فنزلوا ليلاً في موضع قريب من ثرمدا يقال له: البطين، من بلدان الوشم. وجعلوا لهم كميناً خارج البلد يعينهم إذا نشب القتال. فلما أصبحوا خرج عليهم أهل البلد، فاشتد بينهم القتال، فلما خرج الكمين انهزم أهل ثرمدا ـــ بعد أن قتل منهم سبعون رجلاً ـــ ثم التجأوا إلى قصر خارج البلد يسمى قصر الحرّيص، فتحصنوا فيه. فخلا البلد من المقاتلين، فأراد عبد العزيز أن يدخلوا البلدة فيأخذوها عنوة، فأبى عثمان ذلك وارتحل بمن معه، ولم يبق مع عبد العزيز إلا عدد قليل، فتردد في دخول البلد، ثم عزم على العودة واللحاق بعثمان. وحين عاد أخبر أباه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بما حدث من عثمان؛ فزاد ما في نفسيهما عليه.

وقد غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية في السنة نفسها ـــ والأمير عليهم عثمان. ولم يقع قتال إذْ لم يخرج من أهل البلد أحد لقتالهم، فدمَّر المسلمون المزارع وانقلبوا راجعين.

ثم غزا المسلمون ثادقاً، فلما اقتربوا منه ليلاً، عبَّأوا الجيش، وأعدوا الكمين، فلما ظهر مقاتلة البلد عاجلهم الكمين فولوا هاربين، وقتل منهم: محمد ابن سلامة وستة آخرون. وأخذ المسلمون أغنامهم.

ثم سار المسلمون في سنة ١١٦٢ إلى الرياض، وأميرهم محمد بن سعود، فوصلوا وقت الصبح إلى نخل هناك يعرف «بالحبونية». فخرج إليهم أهل الرياض، وتراموا من بعيد بالرصاص. وقد قتل من أهل الرياض سبعة منهم: عبدالله بن سبيت. وقتل من المسلمين ثلاثة: عبدالله بن شوذب، وعبدالله بن

حمود، وغنام بن دعيج. وهدم المسلمون ما بالمكان من جدار، ثم عادوا في المساء إلى منفوحة.

* * *

لما تزايد شرّ عثمان بن معمر على أهل التوحيد، وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل، وتبيَّن الشيخُ محمد بن عبد الوهاب صِدْقَ ما كان يُروَى عنه، وجاءه أهل البلاد كافّةً وشكوا إليه خشيتهم من غدره بالمسلمين ــ قال الشيخ حينئذ لمن وفد عليه من أهل العيينة: أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، وعلى موالاة من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه، ولو أنه أميركم عثمان.

فأعطوه على ذلك الأيمان، وأجمعوا على البيعة. فملىء قلب عثمان من ذلك رعباً، وزاد ما فيه من الحقد، وزيّن له الشيطان أن يفتك بالمسلمين، ويجليهم إلى أقصى البلدان. فأرسل إلى ابن سويط وإبراهيم بن سليمان ــ رئيس ثرمدا المرتدّ ــ يدعوهما إلى المجيء عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع بالمسلمين.

فلما تحقق أهلُ الإسلام ذلك تعاهد على قتله نفر، منهم: حمد بن راشد، وإبراهيم بن زيد. فلما انقضت صلاة الجمعة قتلوه في مُصلاّه بالمسجد، في رجب سنة ١١٦٣ هـ.

فلما علم بذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عجّل بالمسير إلى العيينة، خشية اختلاف الناس وتنازعهم. فقدم عليهم في اليوم الثالث بعد مقتله، فهدأت النفوس، وتجاذبوا عنان الرأي والمشورة فيمن يتولى الرئاسة والإمارة بعده. وأراد أهل التوحيد ــ وخاصة من اشترك منهم في قتل عثمان ــ ألاَّ يولّى عليهم أحد من آل معمر. فأبى عليهم الشيخ ذلك، ووضّح لهم طريق الصواب بالحجّة المُقْنِعة، وأمّر عليهم مشاري بن معمر. وكان ذلك في منتصف رجب.

* * *

ثم حدثت وقعة البطحاء، وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض ليلاً، فوصلوا إلى المكان المعروف بالمروة، ومع المسلمين رجال مشهورون بالشجاعة، منهم: علي بن عيسى الدروع، وسليمان بن موسى الباهلي، ومحمد بن حسن الهلالي، وعلي بن عثمان بن ريس، وعبدالله بن سليمان الهلالي، وإبراهيم الحر.

فخرج إليهم أهل الرياض، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل من أهل الرياض سبعة، منهم: ناصر بن معمر، وجنيدل. ولم يقتل من المسلمين إلا اثنان: عبدالله بن سليمان، وسليمان بن جابر.

ثم سار المسلمون، وأميرهم عبد العزيز، إلى ثرمدا. وكان النذير قد جاء أهل ثرمدا بذلك، فاستعانوا بأهل وثيثيا ومرات، فالتقى بهم جيش المسلمين وهم مستعدون للقتال في موضع قريب من ثرمدا يسمى «الوطية». وكان المسلمون قد أعدُّوا كميناً، فلما نشب القتال خرج عليهم الكمين، فولَّوا مدبرين، وقتل منهم خمسة وعشرون، منهم علي بن زامل أمير وثيثيا، وابن سبهان[1].

وفي سنة ١١٦٤ هـ سار المسلمون إلى الرياض، فاقتتلوا داخل البلد ، ولكن الجموع تكاثرت عليهم، فانهزموا. وقتل من أهل الرياض أناس، وقتل من المسلمين نحو ثمانية، منهم: علي بن عيسى الدروع، وكان مشهوراً بالشجاعة والثبات، فلم يفرّ حين تكاثرت الجموع.

وفي هذه السنة ارتدّ إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أمير ضرمى، ونقض عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود. وقتل من أشراف بلده وقومه جماعة، هم: عمر الفقيه، ورشيد العيزار[2]، وابن عيسى، لأنهم من أهل الدين ومن دُعاة الإسلام، وأخذ أموالهم.

---

(١) في ابن غنام: «سيهان» بدون ابن و بالياء، وأثبتنا ما في عنوان المجد.

(٢) في عنوان المجد: «العزاري».

وكان رشيد العيزار أخاً لآل سيف من أمهم، فتعاهد آل سيف: صقر وإخوانه، وإبراهيم بن سلطان آل ذباح — على الفتك به حين ارتدّ وخان، وقتل أخاهم لأمهم.

فأتوه ومن انتسب إلى الدين في ضُرمَى —بعد ارتداده بأربعة أشهر— وقتلوه وهو في مجلسه مع جماعته. ثم ولّى الأميرُ محمد بن سعود: عبدالله بن عبد الرحمن إمارة ضرمى.

ثم غزا المسلمون بلدة «الزلفى»، وأميرهم عبد العزيز. فلما وصلوا الأحساء حُمَّ عبد العزيز فأمَّر على الغزو عبدالله بن عبد الرحمن، وانقلب راجعاً. فأغار عبدالله على الزلفى فأخذ أغناماً كثيرة، وعاد سالماً.

وفي سنة ١١٦٥ هـ اجتمع أهل سدير والوشم وجرَّدوا معهم آل ظفير، واتجهوا إلى «رغبة» وكان أهلها قد اهتدوا إلى التوحيد. فحصرتهم تلك الجموع في البلد أياماً، فجنح بعض أهلها إلى الضلال فأدخلوا تلك الأجناد، فنهبوا جميع الأموال؛ ولكن الله حقن دماء المسلمين.

ثم اجتمع أهل الوشم وسدير وأهل الجنوب وآل ظفير وجلوية ضرمى، واتجهوا إلى ضرمى، وحصروا أهلها أياماً، ونصبوا السلالم على سورها، وصعد منهم السور نحو الثلاثين رجلاً قتلوا جميعاً، ثم قتل آخرون غيرهم يزيدون على العشرين — وغالب القتلى من أهل الحريق، ومنهم: حمد بن عثمان الهزاني. ثم رجعوا بعد ذلك خائبين.

ثم غزا المسلمون «الخَرْج» — وأميرهم مشاري بن معمر، فأغاروا على أهل «الدَّلَم» وأخذوا أغنامهم، ثم انقلبوا راجعين. فلحقهم أهل «الخرج» والتقوا بهم في «عفجة الحاير» ولم يكن عدد المسلمين يزيد على الأربعين، وكان عدد أهل الخرج أكثر من مائة. فصبر لهم المسلمون، فبدأ القتال بالترامى بالبنادق

من بعيد، ثم نهض عليهم المسلمون، فلما عاين أهلُ الخرج الموت انهزموا بعد أن قتل منهم المسلمون نحو ثلاثين رجلاً.

ثم أغار المسلمون ــ وأميرهم عبد العزيز ــ على فريق من البدو يقال لهم: «دهيمان» فأخذوهم أجمعين، وقتل من المسلمين اثنان: علي بن عثمان بن ريس، وعمران بن جري.

وفي شوال من هذه السنة (١١٦٥ هـ) ارتد أهل «حريملا» ــ وكان قاضيها سليمان بن عبد الوهاب، أخا الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وكان الشيخ حين علم أن أخاه يسعى في الفتنة ويُلقي على الناس الشبهات ــ قد أرسل إليه كتباً ينصحه فيها، ويؤنِّبه على ما كان يصنع، ويحذِّره العاقبة، فأرسل سليمان إلى الشيخ رسالة زخرف فيها القول، وأكّد فيها العهد، وذكر له أنه لن يقيم في حريملا يوماً واحداً إن ظهر من أهلها ارتداد.

ولكنه لم يلبث أن كشف عن غدره ومكره، وحسده لأخيه، وغيرته منه، فنقض العهد. وتألّب أهل حريملا على من فيها من أهل التوحيد والإيمان فحاربوهم، وعزلوا والي البلدة وأميرها: محمد بن عبدالله بن مبارك، بعد أن أصابه منهم رجل اسمه ابن وحشان، ثم أخرجوه من البلد مع أولاده، وفرَّ معه غيره من أهل الدين، منهم: عدوان بن مبارك، وابنه مبارك بن عدوان، وعثمان ابن عبدالله أخو الأمير، وعلي بن حسن، وناصر بن جذيع، وغيرهم.

فأتوا إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود فأخبروهما بما حدث، وشرحوا لهما الأمر.

وبعد ذلك بأيام أرسلت قبيلة محمد بن عبدالله بن مبارك ــ وهم آل حمد الذين في حريملا ــ إليه أن يعود، وتعهدوا بنصرته والقيام معه: فاستشار الشيخَ والأمير ابن سعود، فلم يستحسنا عودته، وقال له الأمير: إن كنتَ لا بدَّ فاعلاً فخذ معك مدداً مني يعينونك إن تكشَّف لك الغدر.

ولكن محمد بن عبدالله بن مبارك أبى ذلك وعاد بمن معه، وكان دخوله حريملا ليلاً، فلما تبيَّن أهل البلد في الصباح عودته اجتمعت عليه القبيلة الأخرى في البلد المعروفة بآل راشد ومعهم أهل حريملا وحصروهم في البيت. ثم قتلوا الأمير وقتلوا معه ثمانية آخرين؛ وهرب منهم مبارك بن عدوان إلى الدرعية.

ثم جدَّ أهل حريملا بعد ذلك في الاستعداد للحرب، ولم يكن لهم همٌّ بعد إتيانهم ذلك المنكر إلا البناء حول البلد وتسويرها، مخافة الهجوم عليهم وتدمير البلد. ثم أرسلوا إلى مشاري بن معمر ليدخل معهم في هذا الأمر، فأبى وأنكر عليهم مسعاهم.

وبقوا على تلك الحال بقية العام، ثم عدوا في سنة ١١٦٦ هـ على أهل الدرعية فلم يفوزوا بشيء. وغزاهم المسلمون عدة مرات.

وفي أواخر هذه السنة (١١٦٦ هـ) ارتدَّ أهل منفوحة، ونبذوا عهد المسلمين، وطردوا إمامهم محمد بن صالح، فخرج معه في يوم واحد نحو سبعين رجلاً، ثم تلاحق الناس بعد ذلك فارِّين بدينهم.

وفي السنة التالية (١١٦٧ هـ) كان دهام بن دواس قد ضجر من الحرب بينه وبين المسلمين، فطلب من الأمير محمد بن سعود المهادنة، وقدَّم له خيلاً وسلاحاً، وطلب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب رجلاً عالماً ينشر في بلده أحكام الدين، ويعلّم رعيته التوحيد. فأرسل إليه عيسى بن قاسم، فأقام في الرياض يبذل جهده في تعليم الناس، فانتفع به جماعة حقَّقوا معرفة التوحيد، ولهذا هاجروا من الرياض لمَّا نقض دهام العهد ــ على ما سيأتي.

* * *

وحين رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب تظاهر بعض أهل البلاد بالضلال، وارتداد من ارتدَّ منهم عن التوحيد، جمع في هذه السنة (١١٦٧هـ) أهل الإسلام

من بلادهم، ووعظهم، وبيّن لهم سُنّة الله فيما يجري على أهل التوحيد من أهل الفجور والشرك، وكشف لهم معاني الآيات الواردة في القرآن بذلك، وبشّرهم بالنصر والظَّفَر إن استقاموا على الدين وثبتوا عليه، وأمرهم بالرجوع إلى الله والتوبة وصدق النيّة. فتصدّقوا بصدقات كثيرة، وسألوا الله النصر.

* * *

ثم إن السيايرة في بلدة ضرمى، وهم المعروفون بآل سيف: صقر وإخوته ــ غرّتهم قوتهم بعد أن قتلوا إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن وأبناءه، فخاضوا في الباطل، وهمّوا بقتل أميرهم، فأخبره بذلك النذير. واحتقروا أهل الدين، فكثرت فيهم الظنون، وذكروا عنهم أنهم يتعاونون مع الأعداء وأنهم غير مأمونين. فرفعوا أمرهم إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود. فقالا: نحن نجهل حالهم، فإن كنتم تحققتم منهم شيئاً فامضوا فيهم بعلمكم، فبادر إليهم أمير ضرمى وجماعته فقتلوهم صبراً.

وفي هذه السنة أيضاً قُتل سليمان بن خويطر، وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية ــ وهم إذ ذاك بلد حرب ــ فكتب معه قاضي البلدة سليمان بن عبد الوهاب ــ أخو الشيخ ــ كتاباً إلى أهل العيينة ذكر فيه شبهاً مريبة وأقاويل محرّفة وأحاديث مُضِلّة، وأمره أن يقرأها في المحافل والبيوت. فألقى بذلك في قلوب بعض أهل العيينة شبهاتٍ غيرت قلوب مَنْ لم يتحقق الإيمان ومن لم يعرف مصادر الكلام. فأمر الشيخ به أن يقتل فقُتل.

وفي هذه السنة[1] ارتد رجلٌ اسمه «الغفيلي» في قصر من قصور بلدة ضرمى، وأرسل إلى إبراهيم بن سليمان رئيس ثرمداء يخبره بذلك ويستنجد به، فأرسل إليه إبراهيم جيشاً وخيلاً لتطمئن نفسه. فلما علم بذلك محمد بن عبدالله أمير ضرمى أرسل إلى الأمير محمد بن سعود يخبره به، فجهّز الأمير ابن سعود من فوره

(١) في «عنوان المجد» أن ذلك حدث في سنة ١١٦٨هـ.

جيشاً من أهل العيينة وأهل الدرعية، وبادروا بالسير إلى قصر ضرمى، وسار معهم محمد بن عبدالله أمير ضرمى وأغلبُ قومه. فلما اقتربوا من البلد كمنوا في زرع ذرةٍ هناك، فلما مضى هزيع من الليل سمعوا وقع حوافر الخيل، فبادروهم بالقتال فانهزموا. وقتل من هأل ثرمدا ممن أقبل معهم نحو سبعين رجلاً، وأسر أناس منهم: عبد الكريم بن زامل رئيس بلد وثيثية.

ثم فتح المسلمون حريملا عنوةً فقد سار إليها عبد العزيز بن محمد بن سعود في نحو ثمانمائة رجل ومعهم من الخيل عشرون فرساً. فأناخ شرقي البلد ليلاً، وكمن في موضعين: فصار عبد العزيز ومعه عدة من الشجعان في «شعيب عوجا»[1] وكمن مبارك بن عدوان مع مائتي رجل في «الجزيع». فلما أصبحوا شنُّوا الغارة، فخرج إليهم أهل البلد، فاشتد بينهم القتال. فلما خرج عليهم الكمين الأول صبروا حتى بدا لهم الكمين الثاني فلم يملكوا إلا الفرار، فتفرقوا في الشعاب والجبال. وقتل المسلمون منهم مائة رجل، وغنموا كثيراً من الذخائر والأموال وقُتِل من المسلمين سبعة.

ودخل المسلمون البلدة، وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأمان. وصارت البلدة فيئاً من الله، ودورها ونخيلها غنيمة للمسلمين.

وفي هذه الوقعة هرب قاضي البلدة سليمان بن عبد الوهاب ــ أخو الشيخ ــ ماشياً حتى وصل إلى سدير سالماً. وولى عبدُ العزيز مباركَ بن عدوان أميراً على البلد؛ وأعطاه نفائس الأموال وخيَّره ما شاء من البيوت والبساتين، ولكنه لم يحفظ نعمة الله، فارتدَّ بعد ذلك ــ على ما سيجيء بيانه.

ثم أقبل عبد العزيز؛ بالأموال والغنائم إلى الدرعية، فقسمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، متَّبعاً بذلك سنة رسول الله وما كان يصدر عن السلف.

---

(١) في عنوان المجد. «شعيب عويجا».

وكان فتح حريملا يوم الجمعة لثمان خلت من جمادى الأولى[1] سنة ١١٦٨هـ.

وكان دهام بن دواس قد نقض عهد المسلمين في شعبان من هذه السنة، فعدا على أهل «أبي الكباش» ثم رجع. فلما تبيَّن منه أهلُ الدين المكر والغدر تركوا أموالهم وبلدهم وهاجروا أولاً إلى منفوحة؛ ثم هاجروا من منفوحة إلى الدرعية، حين تحققوا من ارتداد محمد بن فارس رئيس منفوحة.

ثم تجهَّز دهام بن دواس لمحاربة المسلمين الحرب الثانية. فاجتمع دهام ومحمد بن فارس رئيس منفوحة، وإبراهيم بن سليمان رئيس ثرمدا، ومعهم أناس من أهل سدير وأهل ثادق وجلوية حريملا، واتجهوا إلى بلدة حريملا، فوصلوها ليلاً ودخلوا محلّةً هناك بأعلى البلد تسمَّى «الحسيان». وكان الناس وأغلب الحراس نائمين، فلم يشعر بهم أحد حتى ملكوا المحلّة وبساتينها. فعلم بهم مبارك بن عدوان أمير البلدة، فنهض إليهم مع جماعته في الليل، وقاتلوهم، إلا أنهم لم يستطيعوا إخراجهم من النخيل فرجعوا.

وفي الصباح شدَّ عليهم مبارك وجماعته، وحمي بينهم القتال، فخرج أكثر المعتدين هاربين، وبقيت طائفة من الرجال ــ أغلبهم من جلوية حريملا ــ محصورين في بعض البيوت نحو خمسة أيام، وكانوا في أثناء ذلك يرمون أهل البلد فقتلوا منهم نحو ثمانية عشر رجلاً، ثم تسوَّر المسلمون عليهم الدور، وشدُّوا عليهم شدَّ رجل واحد فقتلوهم، وأخذوا ما معهم من السلاح، وكان جملة المقتولين من هؤلاء الأحزاب ستين.

وكان مبارك قد دعا المحصورين إلى التسليم وأعطاها الأمان وذمة المسلمين فخرج منهم عشرة؛ فغدر بهم وقتل منهم ستة. ولم يكن الشيخ وابن سعود يعلمان بذلك، فلما علما أنكرا ما فعل ونقموا عليه، لقوله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة أنا خصمهم ــ وذكر: رجلاً أعطى بي فغدر.

---

(١) في «عنوان المجد»: لسبع خلت من جمادى الآخرة.

وفي سنة ١١٦٩ هـ رفع الله عن أهل «القويعية» الشرك وهداهم إلى التوحيد، فوفدوا على الشيخ والأمير محمد في الدرعية فبايعوا على الإسلام، والتزام السَّمْع والطاعة. ولقد صَدَقوا في تلك البَيْعَة ووَفَوْا، فلم ينخلعوا منها، ولم ينقضوا عهدهم. وكان أول من اهتدى منهم ووفد على الشيخ والأمير: ناصر بن جماز العَرِيفى، وسعود بن حمد.

ثم سار المسلمون ــ وأميرهم عبد العزيز ــ إلى «منفوحة»، وقاتلوا أهلها، وهزموهم، وقتلوا منهم: علي أبا الماسح، وأخذوا دوابَّ كثيرة من الإبل والبقر والحمير. ثم هزم المسلمون الأمداد التي وفدت على أهل منفوحة من الرياض.

وكان دهام بن دواس آنئذ غالباً على أهل سدير والوشم، ماضياً في محاربة دين الله. فكمن له عبد العزيز قرب ضرمى ــ وذلك بعد عودة عبد العزيز من منفوحة إلى الدرعية ــ فلما شعر دهام بالمسلمين ولّى مع من كان معه هاربين. ورموا في هربهم كل متاع ثقيل، وتركوا كل مطيّة بطيئة لا تعينهم في الفرار، فغنم المسلمون كل ذلك، وحين عاد عبد العزيز إلى الدرعية استأذن المقاتلة في أن يوزّع الغنائم على المهاجرين، فطابت بذلك نفوسهم.

وفي سنة ١١٧٠ هـ سار عبد العزيز بالمسلمين حتى وصلوا إلى قرب منفوحة، عند حاجزٍ للسيل هناك يعرف «بالرشا» معدٍّ لحجز الماء. فدخل المسلمون البيوت، وهدموا البناء المعد لحجز السيل.

فلما علم دهام بن دواس بذلك، أقبل مع جماعته، فوجد المسلمين مشغولين بهدم البناء، فقاتلهم وهزمهم. وقُتِل من أهل الرياض ثلاثة، ومن المسلمين عشرة.

ثم تجمع أهل الوشم وأهل سدير في بلدة «القرائن» في ناحية الوشم؛ وكانوا يريدون غزو أهل «شقرا». فبقوا في «القرائن» ثلاثة أيام وهم يناوشون

أهل «شقرا» الحرب. فلما علم بذلك الأمير محمد بن سعود ـ وكان أهل شقرا من السابقين إلى التوحيد ـ أخبرهم أن يخرجوا إلى الأعداء ويشاغلوهم بالقتال إلى أن تأتيهم الأمداد، ثم أرسل ابنه عبد العزيز مع جنوده وهزموا أهل الوشم وأهل سدير، واضطروهم إلى الهرب إلى بلدة القرائن والاحتماء بها. وقتل المسلمون منهم نحو خمسة عشر رجلاً، بعضهم من المشهورين، ومنهم: حمد المعيبي، وسويد بن زايد. ثم حصروهم في «القرائن» عشرين يوماً حتى أيقنوا بالهلاك، فخرجوا منها ليلاً هاربين.

وكان ابن فايز المليحي السبيعي يغزو بجيشه بلاد المسلمين، فالتقى به عبد العزيز بن محمد بن سعود بجيشه، فهزم ابن فايز وقتل جماعته وأسره، فافتدى نفسه بمال كثير وقدّم خمسمائة أحمر[1].

ثم اتجه عبد العزيز بجماعته من المسلمين إلى الرياض، فنزلوا الباب القبلي ليلاً وأعدوا الكمين. فلما أصبحوا ونهض عليهم أهل البلد، خرج لهم الكمين فعمدوا إلى الباب هاربين، وقتل منهم ثمانية رجال، منهم: كنعان الفريد، وصالح بن نعران، ورطيبان. وقُتل من المسلمين: عبدالله بن نوح.

ثم سار عبد العزيز بجماعته مرة أخرى إلى الرياض، ونزلوا «البنية»، وخرّبوا بعض الزروع هناك.

ثم غزا المسلمون ناحية «الوشم» ـ وأميرهم محمد بن عبدالله أمير بلدة ضرمى. فصادفوا في طريقهم جنوداً كثيرين للصمدة من «الظفير». فانهزم محمد ابن عبدالله، وأسر من جماعته نفر، افتدوا أنفسهم بعد ذلك من الأسر.

ثم غزا المسلمون ـ وأميرهم عبد العزيز ـ بلدة «أشيقر» من ناحية «الوشم» فكمنوا لهم، فلما اشتد القتال وخرج الكمين عليهم، ولّى أهل البلدة منهزمين، وقتل منهم أربعة رجال.

---

(١) أحمر: نقد كانوا يتعاملون به في ذلك العهد.

ثم غزا المسلمون أهل «ثادق» ــ وأميرهم عبد العزيز. فنازلوهم، وقطعوا شيئاً من نخلهم، وترامو بالرصاص من بعيد، حتى قتلوا من أهل البلد ثمانية رجال، وحاصروهم زمناً، فطلب أهل ثادق المصالحة، وأقبلوا على الإسلام، وقدموا مع المسلمين إلى الشيخ في الدرعية، فأمَّر عليهم دخيل بن سويلم، وأرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد والأحكام.

وقتل من المسلمين في تلك الغزوة ثمانية، منهم: محمد بن دغيثر، ومحمد بن مانع.

ثم سار المسلمون ــ وأميرهم عبد العزيز ــ إلى بلد «جلاجل» ناحية «سدير»، فنازلوا أهل جلاجل، فهزموهم، وألجأوهم إلى دخول بلدهم وإغلاق أبواب بيوتهم عليهم. ثم أخذ المسلمون بعض الأموال وعادوا.

وحين وصلوا سدير أرسل عبد العزيز إلى قضاتها، وهم: حمد بن غنام، وإبراهيم المنقور، وابن عضيب، وطلب منهم أن يرحلوا معه ليقدموا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويقرأوا عليه ويأخذوا عنه.

وحين أناخ عبد العزيز في بلدة «العودة» أرسل إلى رجلين من رؤسائها، وهما: عثمان بن سعدون، ومنصور بن حماد، ورحل بهما إلى الدرعية، وذلك مخافة أن ينازعا أمير العودة: عبدالله بن سلطان، ويزيّنا لأهل البلدة الضلال والارتداد. فلما وصلوا الدرعية وفد عليه أميرُ العودة عبدالله بن سلطان، ورجاه أن يمنّ على ابن حماد وابن سعدون ويطلق سراحهما، فأطلقهما. فلما عادا إلى بلدة «العودة» لم يلبثا إلا قليلاً ثم غدراً بمن أحسن إليهما ووثبا على الأمير عبدالله بن سلطان فقتلوه، وتولّى ابن سعدون حكم البلد، وجاهر بعداوة المسلمين، وبقي على ذلك عشر سنوات إلى أن قُتل.

ثم غزا عبد العزيز بجماعته «الرياض»، وكان يريد أن يرصد دهاماً إذا

خرج إلى «منفوحة» يوم العيد للسلام على ابن زامل كعادته. ولكنه لم يظفر به، بل ظفر بزيد بن الصمعر فقتله، ثم رجع ومن معه سالمين.

وفي سنة ١١٧١ هـ غزا المسلمون ـــ وأميرهم عبد العزيز ـــ بلدة ثرمدا. فساروا إليها ليلاً، وأعدُّوا خارج البلد كميناً للرَّصَد، ثم نقبوا في الجدار نقباً دخل منه فريق منهم وتواروا بين النخيل. فلما علم بهم أهل البلد خرجوا إليهم وأحاطوا بمن كانوا متوارين بين النخل، وكلما خرج منهم رجل قتلوه. فلما علم المسلمون الذين كانوا في الكمين خارج البلد بذلك خرجوا إليهم، واشتدَّ بينهم القتال. فقتل من أهل البلد إثنا عشر رجلاً، منهم: ابن رئيس ثرمدا عبد المحسن بن إبراهيم، وبشر بن بلاع. واستشهد من المسلمين نحو عشرين[1]، منهم: عيسى بن ذهلان، ومحمد بن عبد الرحمن بن موسى، ومفرج بن جلال.

وغزا مبارك بن عدوان ومعه جماعة من أهل حريملا، فأسر عبدالله بن سليمان، ولكنه لم يلبث بعد عودته إلى حريملا أن أطلق سراحه من غير فداء، ولم يستشر في ذلك الشيخ ولا ابن سعود؛ فنقما عليه ذلك.

وغزا عبد العزيز ومعه جماعة من المسلمين «سديراً»، فاستولوا على «الحوطة» و «الجنوبية». وكان أهل هاتين البلدتين قد أرسلوا إلى عبد العزيز ليقدم عليهم، وأنهم يريدون الدخول في الإسلام وإعطاء العهد على ذلك، فلما جاءهم عبد العزيز فزع عليهم أهل سدير.

وبعد أن استولى عبد العزيز على هاتين البلدتين نصب في كل بلدة أميراً وإماماً.

وخرب المسلمون زروع «منفوحة»، ثم غزوا «جلاجل» وأميرهم عبد العزيز، وأخذوا بعض الأغنام، فلما لحقهم الطلب نشب القتال بين الفريقين، فانهزم أهل جلاجل. وقتل منهم ستة رجال.

---

(١) في عنوان المجد ص: ٤٩ «نحو ثلاثين».

وحين أتى المسلمين الخبر أن «عريعراً» رئيس الأحساء، يريد حربهم وقتالهم، أخذوا يستعدون للحرب ويحصنون البلاد.

وفي شهر رمضان من هذه السنة (١١٧١ هـ) حدثت بين المسلمين وأميرهم عبد العزيز وبين أهل الرياض وقعة أم العصافير. وذلك أن المسلمين قدموا الرياض ليلاً، وأعدوا كميناً في مكان يسمَّى «القبة». فلما أصبحوا خرج إليهم أهل الرياض فاقتتلوا، فنصر الله المسلمين، وقتل من أهل الرياض: تركي ابن دواس، وابن فريان، والجبري، وحمود بن ماجد. ولم يقتل من المسلمين غير واحد.

ثم سار عبد العزيز وجماعة المسلمين إلى الرياض مرة أخرى، ونزلوا «البنية» وملكوها. ثم تلاحقت عليهم الجموع من منفوحة والرياض؛ فاقتتلوا بالترامي بالبنادق من بعيد، فقتل من أهل الرياض: ثنيان بن مبيريك، وآخر يقال له الدفين، واستشهد من المسلمين: راشد بن غانم، وحميد بن قاسم.

وفي رجوعهم أناخوا بالغذوانة[١]، فأمر عبد العزيز المسلمين أن يبنوا في ذلك المكان قصراً يكون لهم حصناً يضيِّقون به على أهل الرياض، فقضوا سبعة أيام في بنائه حتى أتموه.

وحين عادوا إلى الدرعية عزل الشيخُ والأميرُ ابن سعود: مباركَ بن عدوان عن إمارة حريملا، وذلك لأنهما تخوَّفا على المسلمين منه لأمورٍ صدرت ونُسِبت إليه، وأمَّرا مكانه أحمد بن ناصر، وأرسلا معه مفرج بن شعلان.

فاستأذن مبارك من الشيخ ومن الأمير محمد بن سعود أن يذهب إلى العيينة، ثم يعود إليهما في الدرعية، فأذنا له.

---

(١) في عنوان المجد. «الغزوانة».

فلما خرج متظاهراً بالذهاب إلى العيينة، التقى في الطريق بأناس من أهل حريملا، فأغراهم بالردّة، فأطاعه فريق منهم. ثم سار يريد الاستيلاء على حريملا مع من وافقه من جماعته، فوصل إليها بعد أن ملكها أحمد بن ناصر ومن معه واستولوا على قصر الإمارة. فدعا مبارك أهل البلد لنصره ومعونته فلم يجبه أحد، فولّى هارباً.

ثم جمع جماعة من أهل سدير والوشم، وقصدوا غزو حريملا، ليشفي فؤاده بالانتقام. فلما علم الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود بذلك أرسلا عبد العزيز مع جماعة من المسلمين ليعينوا أهل حريملا، فلما أدرك مبارك ابن عدوان أنه لن يفوز بطلبته، سار مع أعوانه فأناخ على بلدة «رغبة» فقاتل أهلها، ووافقه بعض أهلها على الخيانة فأدخلوه هو وجماعته بعض البيوت في البلدة، فاشتدّ القتال بين الفريقين، فهُزِم مبارك وجماعته بعد أن قتلوا أمير «رغبة» وابنه.

ثم قدم عبد العزيز ومن معه من المسلمين إلى «رغبة»، وأجلوا من البلدة الذين وافقوا مباركاً على الخيانة.

وفي سنة ١١٧٢ هـ أتى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود أن عريعر بن دجين قائد الأحساء يريد الخروج إلى نجد، فأمروا جميع بلاد المسلمين بالاستعداد والتحصّن. فبنى عبد العزيز على الدرعية سورين عليهما البروج خشية التسوُّر.

فلما بدأ بعد ذلك عريعر بالخروج ومعه أهل الحسا وبنو خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج، يعاونهم في ذلك كل منكر للحق، مساعدٍ على الباطل والضلال ـ أناخ أهل سدير والوشم والمحمل ـ ورئيسهم مبارك بن عدوان ـ على أهل حريملا، وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام، فقُتل منهم رجال، ولم ينالوا نصراً على أهل الإيمان.

فرحلوا عنها وطلبوا من عريعر أن يمدهم بجيوش من عنده، فأمدّهم بآل عبيدالله من بني خالد، وبفرق من عنزة رئيسهم ابن هذال. فأناخوا جميعاً على حريملا مرة أخرى، وأحاطوا بها، ودخلها منهم ثلاث فرق. فخرج إليهم أهل البلد وقاتلوهم وطردوهم مهزومين، وقتلوا منهم عشرة رجال، وأصابوا كثيرين بجراح. ولحقوهم بعد هذا النصر إلى حيث كانوا منيخين، فلما رأوهم مقبلين عليهم ولوا على أعقابهم مدبرين، إلى أن وصلوا إلى عريعر وجماعته.

ثم هجم أهل الضلال جميعاً على «الجبيلة» في النهار، وحاربوا أهلها أياماً، فأمدّ المسلمون أهل الجبيلة بالرجال، فأحاطوا بالمشركين، وألجأوهم إلى الفرار بعد أن قُتل منهم ستون رجلاً، وقتل من المسلمين نحو عشرة.

وفي هذه السنة طلب أهل «المحمل» من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الدخول في الإسلام، وعاهدوهما على التوحيد، فقبلا منهم على أن يعطوا نصف زرعهم وربع ثمارهم، فالتزموا بذلك.

ثم غزا عبد العزيز بالمسلمين، فساروا حتى نزلوا بلدة «القصب»، وأعدُّوا كميناً خارج البلد، فلما ارتفع النهار خرج إليهم أهل البلد ونشب بينهم القتال، فهجم عليهم الكمين، وهزموهم وحصروهم في داخل البلدة. وقتل منهم: سيف بن ثقبة.

ثم طلب أهل «القصب» بعد ذلك الدخول في الإسلام، وأن تجري عليهم شرائعه وأحكامه، فقبل منهم عبد العزيز ذلك وصالحوه على النخيل بثلاثمائة أحمر.

وفي سنة ١١٧٣هـ غزا عبد العزيز الأعداء وانتصر عليهم:

فسار بأهل التوحيد حتى أغار على «المجمعة»، وقتل من وجد فيها؛ منهم: علي بن دخان، وأربعة غيره، ثم عقروا كثيراً من الدواب.

ثم سار إلى «الخَرْج» فأوقع بأهل «الدَّلَم» ليلاً، وقتل منهم ثمانية رجال، وغنم كثيراً من الأموال.

ثم عدا على قرية «نعجان» فهزم أهلها، وقتل منهم عودة بن علي.

ثم سار إلى ثرمدا، وبعد قتال شديد انهزم أهل البلدة بعد أن خرج عليهم الكمين الذي أعدّه عبد العزيز والمسلمون، وقتلوا منهم نحو أربعة رجال، وأصيب من المسلمين مبارك بن مزروع.

ثم سمح عبد العزيز لمن معه من الرجالة، أن يعمدوا إلى أهلهم؛ وسار هو بالجيش إلى «الخَرْج»، وقصد أهل «الدَّلَم» وكان قد أتاهم النذير بذلك، فاشتد بينهم القتال. فهزمهم عبد العزيز وقتل منهم سبعة، وأخذ إبلاً كثيرة.

ثم كرَّ راجعاً إلى «الوشم» فقصد بلدة «أشيقر» ليلاً، وهيَّأ لها كميناً. فشعر أهل البلد بالمسلمين فخرجوا إليهم ونشب بينهم القتال إلى أن خرج عليهم الكمين فانهزموا، وقتل منهم نحو عشرين رجلاً.

ثم انقلب عبد العزيز بمن معه راجعين.

وفي هذه السنة عزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود: مشاري بن معمر عن إمارة العُيَيْنَة لأمور كثيرة ثبتت عليه، وأمَّر عليها مكانَه سلطان بن محيسن المعمري. وأمر بهدم قصر آل معمر.

ثم غزا المسلمون بلدة «منفوحة» وحرقوا بعض زروعها. وتوجَّهوا إلى الرياض فحاربوا آل ريّس وقتلوا منهم أربعة رجال.

ثم غزا عبد العزيز ومعه المسلمون آلَ عسكر من الظفير، وكانوا على الثرمانية ــ وهي ماء معروف قرب بلدة «رغبة» ــ فاشتد بينهم القتال حتى قتل

رئيسهم: فوزان، من رؤوس آل عسكر، فانهزموا وقتل المسلمون منهم عشرة رجال، وغنموا منهم أموالاً كثيرة.

ثم غزوا «الوشم» فصادفوا خمسة عشر رجلاً من أهل «ثَرْمَداء»، فهجموا عليهم، فدخلوا بلدة «الحريق» والتجأوا إليها، فطلب عبد العزيز من أهل البلدة تسليمهم له ليقتلهم، فأبوا عليه ذلك، وافتدوهم منه بألف وخمسمائة أحمر.

وفي سنة ١١٧٤ هـ سار عبد العزيز إلى «سدير» فسبقه إليها النذير، فتأهبوا لقتاله، ولم يكن معه سوى ثمانين من الرِّكاب. فتركهم وأغار على بلدة «الروضة» وأوقع بأهلها وقتل منهم ستة رجال، وقُتِل من المسلمين: شهيل بن سحيم.

ثم أغار ــ في هذه الغزوة ــ على «الزلفى»، ونشبت بينهم مناوشات.

وسار عبد العزيز بمن معه من المسلمين إلى «الرياض»، وأعد لهم كميناً في الليل، وحين أصبحوا اشتد بينهم القتال، فخرج عليهم الكمين فانهزموا. وقد كُسرت في هذه الغزوة رجل رئيسهم فهد بن دواس فعاش أربعين يوماً بعد ذلك ثم مات، وقتل منهم ثمانية رجال؛ ومن المسلمين ستة.

ثم غزا «منفوحة»، وهزمهم هم ومن جاء ليعينهم من أهل الرياض، وقتل منهم جميعاً سبعة رجال.

ثم غزا عبد العزيز والمسلمون معه: مساعد بن فياض مع قومه في الموضع المعروف «بالعَتْك» بين «سدير» و «المحمل»، فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم عشرة رجال، منهم: سعد القروي وأولاده، واستاقوا جميع الأغنام والإبل، واستولوا على الأمتعة والأسلحة والأموال، وقتل من المسلمين: ابن عزاز.

ثم سار عبد العزيز بالمسلمين إلى قصر «الغَذَوانة» الذي كان بناه، يريد زيادة تحصينه. ومن هناك سار ليلاً إلى «الرياض» ـ ليلة العيد ـ فدخل البلد مع جماعة من المسلمين. فلما رآه جماعة من قوم دهام بن دواس أنذروه بذلك فخرج لملاقاة المسلمين، فحاربوه وقتلوا كثيراً من رجاله ومشاهير فرسانه، منهم: حمد بن سوداء، وعبد الرحمن الحريص، وأبو المجبر[1]، واستشهد من المسلمين: خزام بن عبيد، وعثمان بن مجلي.

وفي سنة ١١٧٥ هـ سار عبد العزيز بالمسلمين إلى «منفوحة» ليلاً وقد أعدّ لهم كميناً. فلما أصبحوا وتبيّن لأهل البلد غارة المسلمين نهدوا إلى لقائهم، واقتتل الفريقان، فلما ظهر الكمين على أهل «منفوحة» انهزموا، وقُتِل منهم: سعد بن محمد بن فارس، وشبيب الصنان. ولم يقتل من المسلمين أحد.

ثم ساروا إلى «الخَرْج»، وكمنوا لأهل «نعجان» فهزموهم وقتلوا منهم سبعة رجال، وحصروهم في القرية أياماً وليالي، وقطعوا بعض نخلهم.

ثم سار إلى «الوَشْم» فوصل إلى «مرات» ليلاً وأعدّ كمينه، ثم صبَّحهم بالحرب فانهزموا، وقتل منهم نحو عشرين. وقُتل من المسلمين رجلان.

ثم سار عبد العزيز ومن معه إلى «الفرعة» ـ وهي بالوشم أيضاً، فخرج أهلها لقتال المسلمين، فلما ظهر عليهم الكمين الذي أعدّه عبد العزيز انهزموا وقُتل منهم سبعة رجال، ولم يقتل من المسلمين أحد.

وبعد ذلك بأيام وفد أهل «الفرعة» على الشيخ وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ثم حارب أهلُ الفرعة أشيقر سبع سنوات حتى استولوا على بروجها الجنوبية، فدخل أهل أشيقر بسبب ذلك الطاعة واتّبعوا الجماعة.

---

(١) في عنوان المجد: «أبو المحيا».

ثم سار عبد العزيز والمسلمون معه إلى «ثرمداء» فسبقه إلى أهلها النذير، فتحصنوا فلم يستطع أن ينال منها. فتبادلوا الرمي من بعيد، وقُتل من أهل البلد رجل واحد.

ثم سار حتى نزل بين «الفرعة» و «أشيقر» وبنى هنالك قصراً يكون للمسلمين حصناً وثغراً، يضيّقون به على أهل أشيقر، فلم يزل ذلك القصر مأهولاً بالمسلمين موصول العمارة حتى دخل أهل أشيقر الإسلام.

وفي تلك الغزوة أيضاً وضع في شقرا خيلاً ورجالاً ـ زيادة على ما فيها ـ ليحصّنها ويخيف أهل الباطل.

وفي هذه السنة غزا جدعان بن قعية مع جماعة من المسلمين، فلاقاهم ابن فياض مع جماعة له وكانوا خارجين للغزو، فاستتروا منه ومن جماعته والتجأوا إلى مكان حصين. فدعاهم رجل من جماعة ابن فياض إلى التسليم وأعطاهم الأمان والعهد، فلما خرجوا إليه نبذ العهد وخانهم. وقُتل في تلك الغزوة نحو عشرة، منهم: عبدالله بن براك، ومهين بن ذباح، وجدعان بن قعية.

ثم سار المسلمون من «الدرعية» إلى «الرياض» فعدوا على حرس بلدة «مقرن» فقتلوا منهم ثلاثة، وأصابوا شعلان بن دواس. واستشهد من المسلمين: عبد الرحمن المهشوري، وحمد بن سليمان القاضي.

وفي هذه السنة أكل الدبي والجراد جميع زروع نجد وأشجارها.

وفي سنة ١١٧٦ هـ غزا عبد العزيز بالمسلمين «الرياض» مرّتين: نزل في الأولى منهما حول البلد ليلاً فلما أحسَّ به أهلها خرجوا إليه فنشب بينهم القتال، فهزمهم وقتل منهم أربعة؛ وقُتل من المسلمين: دهمش بن سحيم.

وفي المرة الثانية جعل الجيش يرابط خارج البلدة، وأدخل نحو مائتين من جماعته فاختفوا في داخل البلدة. فلما أحسَّ بهم دهام جمع رجاله وفرسانه وأراد أن يقتطع تلك الجماعة من الجيش و يفنيهم. فبادره المسلمون جميعاً، وأقبل الجيش من خارج البلد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزم الله دهام بن دواس، وقُتل من جماعته ستة رجال، وثلاثة من الخيل.

فأراد دهام أن يثأر، فأعدّ لذلك عدّته، واختار من رجاله ذوي البأس والشدة، وسار إلى الدرعية. فلما جاء النذير بذلك إلى المسلمين، تفاوضوا الرأي، فأشار عبد العزيز على والده الأمير محمد بن سعود برأي سديد، وذلك أن يخرج المسلمون جميعاً من قراهم و بيوتهم لملاقاته قبل قدومه عليهم.

فخرجوا وفجأوا دهاماً، ولم يَرُعْه إلا صوت الرمي، فاشتد بينهم القتال، حتى نصر الله المسلمين، فهزموا أهل الرياض، وقتلوا منهم خمسة وعشرين رجلاً، منهم: علي القروي، وسعد المرابع، ومانع بن مشوط، ومبيريك بن مبارك. وغنموا أربعاً من الخيل، وأخذوا جميع الرِّكاب.

وكان عبد العزيز قبل قدوم هذا الخبر يشتكي من ألم الحُمَّى، فلما سمع به لم يبالِ ما به من الألم وشدَّ للقاء الأعداء حتى أنجح الله قصده، وبلّغه في أهل الباطل مأموله.

ثم غزا المسلمون ــ وأميرهم عبد العزيز ــ الأحساء، وكانت خيلهم نحو ثلاثين؛ فأناخ في مكان يسمَّى «المطيرفي[1]»، وهجم على من كان فيه من المشركين فقتل منهم نحو سبعين رجلاً، وأخذ المسلمون كثيراً من الأسلحة والأمتعة والدواب.

---

(١) في عنوان المجد: «المطريفي».

فلما أرادوا الرجوع إلى نجد أغاروا على أهل «المبرز» وقتلوا منهم رجالاً. ثم أتوا «العرمة» ــ في طريق عودتهم ــ فوجدوا فيها أناساً مجتمعين من أهل «الرياض» وأهل «حرمة»، فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم، وتركوا أهل «حرمة» لأنهم كانوا مهادنين لهم.

وأغار المسلمون في تلك الغزوة على أهل «منفوحة» فأخذوا بعض الأغنام.

ورجع المسلمون سالمين بغنائمهم وأسلابهم، وقسموها في «الدرعية» بين الغزاة بالعدل والتساوي.

وفي هذه السنة ارتدّ أهل وثيثية ونقضوا العهد، وأرسلوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير «ثرمداء» يخبرونه بما عزموا عليه، فأنجدهم، وحاربوا المسلمين، وقتلوا عبد الكريم بن زامل.

وغزا عبد العزيز بالمسلمين «سبيع» لمّا نقضوا العهد، فوافاهم في موضع يسمّى «سيح الدبول» فقاتلهم وهزمهم، وأخذ منهم نحو مائتين من الإبل. وقُتِل مائق بن شلية.

ثم قصد إلى «سدير» ليغزو بعض الأعراب هناك فلم يصادف أحداً.

وفي سنة ١١٧٧ هـ أرسل دهام بن دواس إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وبايعهما على دين الله ورسوله والسمع والطاعة. فوافقاه على ما طلب مع علمهما بأنه لا يفي بوعده، ولكنهما لا يسعهما أن يصدّا أحداً عن طريق الحق والرشاد. واشترطا عليه أن يسوق ألفي أحمر معجّلة، وأن يردّ إلى المهاجرين أموالهم التي خلّفوها وراءهم في الرياض حين هاجروا. فالتزم بذلك ووفى به.

ثم سار عبد العزيز بالمسلمين إلى «سدير» فلما وصل إلى «جلاجل» التقى بأهلها وحاربهم، فقتل منهم عشرة رجال، وقطع المسلمون بعض نخل البلدة. وقتل من المسلمين: فرحان التميمي، وصالح بن محمد بن صالح.

ثم رحل عبد العزيز ومن معه من «سدير» راجعين، فلما وصلوا «رغبة» أتاه من يخبره أنَّ بعض أهل اليمن هجموا على جماعة من «سبيع» وسلبوا أموالهم، فاشتد عبد العزيز ومن معه من المسلمين في طلب أهل اليمن حتى وصل إلى فيفاء تسمّى «قذلة» وألفى فيها أهل اليمن وقد ألقوا رحالهم هناك، فشدّ عليهم المسلمون حتى هزموهم وقتلوا منهم نحو خمسين رجلاً وأسروا مائتين وأربعين، وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب. ولم يصب أحد من المسلمين.

وكان هذا النصر المبين في شهر رمضان سنة ١١٧٧ هـ.

وفي صفر ١١٧٨ هـ غزا عبد العزيز بالمسلمين، ومعه دواس بن دهام وقومه، فأغاروا على فريق من «الظفير» يسمّون «مديهيم». فلما عاينهم المسلمون وجدوهم فرقتين كثيرتي العدد لا تطاق حربهم، ولم تكن ركاب المسلمين تزيد على مائة وثلاثين. فخافوا إن حاربوا فرقة منهم أن تغشاهم الفرقة الثانية. فأشار عليهم عبد العزيز بأن يجتمعوا ويحملوا على إحدى الفرقتين وهم راجلون، فإذا انهزموا انقلبوا إلى ركابهم فركبوها، ثم يحملون بعد ذلك جميعهم على العدو.

فلما أصبحوا اتّبع المسلمون مشورة عبد العزيز، وفاجأوا الأعراب بالهجوم، واشتد بينهم القتال، فكتب الله النصر للمسلمين، فهزموا أهل الضلال، وقتلوا منهم نحو ثلاثين رجلاً، وأخذوا أموالهم، وقُتِل من المسلمين: المغيليث.

وفي ربيع الآخر من هذه السنة جرت الوقعة المشهورة بوقعة «حائر» ــ وهو مكان يعرف بحائر سبيع بين الخرج والرياض. وقد كانت هذه الوقعة ابتلاء من الله تعالى لأهل التوحيد ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُمْ حتى نَعْلَمَ المجاهدين منكم والصابرين﴾.

وكان سبب تلك الواقعة أنَّ أهل اليمن ــ بعد أن هزموا في «قذلة» وقتل منهم فريق وأسرت منهم جماعة ــ جدُّوا في السير حتى وصلوا «نجران»، فشكوا لأهلها حالهم، وما لقوه من المسلمين، وذكروا لهم أن أصحابهم في الأسر يسامون أنواع العذاب، ودعوهم إلى السير إليهم ليأخذوا بثأرهم.

فجمع رئيس نجران، واسمه: الحسن بن هبة الله ــ جميع أهل البلد من الحضر والبدو، وانضمت إليه قبائل يمنية أخرى، وساروا حتى وطئوا بلاد المسلمين.

فلما وصل الخبر عبد العزيز جمع مقاتلة المسلمين ممن بلغ سنّ الاحتلام، وسار بهم جميعاً حتى قارب قرية «حائر». وكان رئيس نجران قد نزل بها وبقي عدة أيام وليالٍ يحارب أهلها والأمداد التي أرسلهم إليها عبد العزيز.

وكان المسلمون الذين ساروا إلى حائر معتدّين بأنفسهم، معجبين بقوتهم، مزهوِّين بكثرة عددهم؛ وكل ذلك يوجب عقاب الله تعالى. فلما وصلوا قرية حائر، التحموا بأهل نجران، واشتدّ بينهم القتال، وقارب المسلمون أن يهزموا الأعداء، لولا ما أراده الله من حكمة فكتب على المسلمين الهزيمة وقُتِل منهم أربعمائة، وأسر ثلاثمائة. فكانت هذه النازلة تطهيراً وتمحيصاً للمؤمنين، وعبرة للمعتبرين.

وأقام رئيس نجران أياماً، ثم ارتحل حتى نزل بالقرب من قصر «الغَذَوانة» فخرج إليه أهل القصر، فقتلوا من جماعته ثلاثة رجال وأخذوا نحو عشرين من إبله، ثم تحصنوا بقصرهم.

وفي هذه الأثناء أهدى دهام بن دواس إلى رئيس نجران كثيراً من الهدايا يستأنس بها قلبه، ويستميله لمحاربة بقية المسلمين، ووعده على ذلك كثيراً من الأموال، والفوز بالمجد، وفتح البلدان وحكمها.

وأرسل دهام كذلك إلى عريعر رئيس الأحساء يحثُّه على غزو نجد ويخبره أن النظام فيه مختلّ، وأهله متفرقو الكلمة، وأحوالهم مشتتة.

ثم قدم على رئيس نجران زيد بن زامل وفيصل بن سويط، فأثنيا على ما فعل، ووعداه إن بقي بجزيل الأموال. وأرسل إليه كذلك عريعر يدعوه إلى البقاء حتى يقدم عليه بجيوشه.

ولكن رئيس نجران كان قد كاتب المسلمين في أن يطلق من عنده من أسراهم على أن يطلقوا من في أيديهم من أسرى اليمن. فلما تمَّ ذلك رحل رئيس نجران عائداً إلى بلاده بعد أن مكث نحو خمسة عشر يوماً في بلاد المسلمين.

وكان عريعر قد خرج مع بني خالد كافةً وأهل الأحساء، فلم يبلغ رمال الدهناء حتى كان رئيس نجران قد ألقى الله الرعب في نفسه فلم يلبث إلا قليلاً حتى رحل.

فلما استقرت جنود عريعر ومن والاه في تلك البلاد ارتدّ أكثر أهل نجد وسارعوا إلى الضلال، وانضم دهام بن دواس مع قومه وأهل منفوحة إلى عريعر ﴿ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ فإنْ أصابه خَيْرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين﴾.

ثم استشار عريعر ذوي المعرفة من أهل نجد في المنزل الذي ينزله من الدرعية مع أعرابه بحيث يتسع للحضر والبدو من أهل الأحساء ومن انضم إليهم. فاستقر الرأي على أن ينزلوا بين قرى القصير وقرى عمران، ومعه المدافع والقنابر[1]. فامتلأت قلوب أهل البلاد رعباً. فأناب المسلمون إلى الله ولجأوا إليه تعالى في كشف ما نزل بهم، وعزموا على القتال، وتوكّلوا على الله.

---

(١) جمع قنبرة، وهي قنبلة المدفع أو المدفع نفسه.

ولم يحارب عريعر في اليوم الأول ليريح جيشه. ثم قرَّب في اليوم الثاني مدافعه وآلاته من سور البلدة وجُدُرها، وتابعَ الرَّمْي ليهدمها ويُقضَّ بروجها. فشاء الله ألاَّ تُسقط مدافعُه لبنةً واحدة من جدار. فزاد يقين المسلمين في دينهم، وكان لهم في ذلك أعظم العظة والاعتبار. فلما كان آخر النهار من اليوم نفسه خرج المسلمون خارج السور بأمر عبد العزيز. ففرح جنود عريعر وهجموا عليهم، فتراجع المسلمون إلى داخل السور واستجرُّوا معهم عدداً من جند العدو. فنشب بينهم القتال، وتمكن المسلمون من قهرهم وقتلوا منهم رجالاً، وقُتل من المسلمين: سلطان بن عدوان ــ ويدعى ابن نعران.

ثم بنى عبد العزيز ما هُدِم من السور. وأقاموا على حالهم تلك أياماً، حتى اشتد بالأعداء الضيق لِمَا كانوا يقاسون من الظمأ لبعدهم عن موارد الماء. إلى أن جاء عريعراً بعضُ أهل «الحريق» وحرَّضوه على المضي في القتال، وأخبروه أنهم يعرفون مداخل الطريق. فاتفقوا على أن يبدأوا الحرب في اليوم التالي، وأن ينقسموا ثلاث فرق.

فسمع ذلك رجل اسمه سالم بن جمهور فأسرع بنقل الخبر إلى عبد العزيز، فاستعد للقاء الأعداء.

فلما ارتفع النهار بدأت المدافع تُصْلِي الحصن والسور بنار عظيمة، فزاغت القلوب والأبصار، وأخلص أهل التوحيد سرائرهم لله.

فصارت المهاشير ومن معهم على «الزلال»، وبنو خالد وأهل الأحساء على «سمحان»، وأهل الحريق وسدير والوشم وابن دواس وابن فارس قصدوا قرى «قصير» وأحاطوا بالبلدة.

ثم احتدم القتال إلى أن شاء الله أن ينصر عباده المخلصين، فهزموا الأعداء، وقتلوا منهم نحو خمسين رجلاً، منهم: عيد بن تركي. وانهزم رئيس المدافع بعدما قطع الله يمناه.

وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال.

ثم طلب دهام بن دواس من الشيخ والأمير محمد بن سعود الهدنة، فأجاباه إلى طلبه، وأقام على عهده نحو عشرة أشهر ثم نقضه.

وفي ذي القعدة من هذه النسة قُتِل محمد بن فارس وابنه عبد المحسن. وذلك أن أولاد أخيه زامل وأناساً من جماعته تحققوا منه الردَّة والانتقاض، فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهما بذلك ويستأذنونهما في قتله قبل أن يلحق بالمسلمين منه أذى. فنهاهم الشيخ والأمير عن ذلك وطلبا إليهم التزام الهدنة التي عاقدهم عليها ابن فارس. فلم يستجيبوا لذلك، وأمضوا فيه أمرهم وقتلوه.

فلما علم بذلك ابن دواس أسرع إلى منفوحة مع جماعته في الوقت الذي وصل فيه الخبر إلى «الدرعية». فسار عبد العزيز بالمسلمين إلى منفوحة مسرعين مخافة أن يسبقهم إليها ابن دواس.

وكان قد تقدَّم عبدَ العزيز كتاب من الشيخ إلى ابن دواس يخبره فيه أن الذين قتلوا ابن فارس كانوا قد استأذنوا الشيخ في قتله لما تحققوا ضلاله، فنهاهم الشيخ وزجرهم، إلاَّ أنه ذكر لهم أنه لن ينفيهم إذا قتلوه بل يدافع عنهم ويؤويهم. ثم قال في الرسالة لابن دواس: فإن كنت تريد البقاء على الهدنة فإياك أن تسلك سبيل الهلاك والشقاء، وإن كنت تريد نكث العهد والحرب فأنت وما تريد.

فجاء الرسول إلى ابن دواس وقد اقترب من منفوحة وجرى بينه وبين بعض أهلها قتال، فقتل من أهلها رجلين، وقتلوا من جماعته رجلاً واحداً.

فلما قدم عليه الرسول وعلم فحوى الخطاب انقلب إلى بلده، فلم يصل عبد العزيز ومن معه «منفوحة» إلا وكان ابن دواس قد رحل.

فسار عبد العزيز من منفوحة إلى قصر الغَذَوانة، فمكث فيه أياماً يصلح من شأنه، ثم عاد إلى الدرعية.

وفي ربيع الأول سنة ١١٧٩ هـ نقض دهام بن دواس العهد وأبدى الخيانة. فسار هو وزيد بن زامل ــ رئيس الدَّلَم ــ وعدا على «الصبيحات» في «منفوحة» وأخذ منها سائمة كثيرة. فخرج إليه أهل منفوحة فقاتلوه، فقتل منهم ستة أو سبعة، وقتلوا من جماعته نحو ذلك.

فثارت بينه وبين المسلمين الحرب الثالثة، وكان هو الذي فتح باب الشر بنقضه العهد. فكانت هذه الحرب سبباً لهلاكه وخروجه من بلده ــ على ما سيأتي بيانه بعد قليل.

وفي ربيع الأول أيضاً من هذه السنة اختار الله الأمير محمد بن سعود إلى جواره وكان قد ولّى بعده ابنه عبد العزيز إماماً للمسلمين، فبايعه الناس على ذلك: خاصهم وعامهم، حضرهم وبدوهم، دانيهم وقاصيهم.

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو رأس ذلك النظام، المُحْكم لعقده.

فأسقط الأمير عبد العزيز جميع المظالم والمغارم، وارتفع عمود الحق، وأقبلت الدنيا على رعيته، وسارت بفتوحه الرُّكبان، وطارت قلوب أهل الضلال فزعاً.

ثم غزا عبد العزيز بالمسلمين الرياض، فاستولى على بروج «جصان»، فلمّا علم دهام بن دواس بذلك في الصباح أرسل فارساً من جماعته إلى «سبيع» وكانوا قريبين منه، فأسرعوا بالمجيء إليه، فلم يشعر المسلمون إلا بخيل سبيع تهجم عليهم، وابن دواس وجماعته تقتحمهم. فأمر عبد العزيز حينئذ المسلمين بالنزول من البروج، ونشب القتال بين الفريقين، فقُتل من المسلمين رجال.

ثم غزا المسلمون « العودةَ » ـــ وأميرهم عبدالله بن محمد بن سعود، فلم ينشب بين الفريقين قتال. فرجعوا إلى حريملا، فغزوا جماعة من « سبيع » منهم « آل شلية »، فصبحوهم في « العرمة » فأخذوا إبلهم وخيلهم وأغنامهم وما معهم من أمتعة.

وفي هذه السنة أتى بَرَدٌ شديد لم يُعْهَد مثْلُه، أذهب الزرع والثمار.

وخرج المسلمون غازين إلى الرياض وكانوا ستين رجلاً. فأنذر بهم أهلَ الرياض ابنٌ لزيد بن سليمان خرج مرتَّدا من الدرعية. فلم يصل المسلمون إلى الرياض إلا وأهلها مستعدون للقائهم، فحدثت بينهم وقعة « العدوة » انهزم فيها المسلمون بعد أن قتل منهم ثمانية رجال وأسر خمسة.

ثم غزا عبد العزيز بجماعة من المسلمين الرياض مرة أخرى، وأعد لهم كميناً في الليل، فلما أصبحوا خرج إليهم أهل الرياض، فظهر عليهم الكمين، فانهزموا، وقُتِل منهم ستة رجال.

وهمّ دهام بن دواس بغزو « منفوحة »، فوصل الخبرُ المسلمين، فأسرعوا إليه، فلما علم بذلك ولّى هارباً.

وفي سنة ١١٨٠ هـ جرت وقعة « الصحن » ـــ وهو موضع خارج بلدة ثرمداء. وذلك أن المسلمين ساروا إلى ثرمداء وأميرهم عبد العزيز، فكمنوا حتى خرجت أغنام أهل البلد إلى المرعى، فاستاقوها أمامهم. فخرج إليهم مَنْ في البلد، والتحم بينهم القتال. فانتصر المسلمون وقتلوا من أهل البلد نحو عشرين رجلاً، منهم: محمد بن عيد وحمد وراشد ابنا إبراهيم بن سليمان؛ وقُتل من المسلمين: فواز التمامي، وابن غدير.

ثم انصرف المسلمون راجعين وتوجه عبد العزيز بالجيوش إلى «منفوحة» وفي أثناء الطريق صادف ركباً لابن دوَّاس، فقتلهم، منهم: محيسن بن قاري[1] المعلومي. ثم دخل عبد العزيز منفوحة وتزوج بنت زامل.

وفي أول شوال سار عبد العزيز بالمسلمين فنزل «البنية» بالرياض، فخرج أهلها لقتالهم، فقتل المسلمون منهم أربعة رجال. وقتل من المسلمين: مرشد بن حصين.

وفي سنة ١١٨١هـ ارتفعت الأسعار، ونفِد الزاد، وقاسى الناس ألوان الضيق.

وغزا المسلمون الأعرابَ في «مطير»، فسبقهم إليهم النذير، فلم يأتوهم إلا وهم مستعدُّون وكانت خيلهم تزيد على ستمائة. فلما شنَّ المسلمون عليهم الغارة واستاقوا بعض إبلهم، أطبق عليهم أهل مطير وفرسان الأعراب، فقُتِل من المسلمين رجال، منهم: دوخي الصبيحي، وابن ربيع.

وغزا المسلمون، وأميرهم هذلول بن فيصل، ومعه سعود بن عبد العزيز ـ وهذه أول غزوة غزاها سعود ـ فساروا يريدون «العودة» في «سدير». فدخلوها ليلاً وأعدُّوا كميناً لم يشعر به أحد. فلما أصبحوا أغار المسلمون على أطراف البلدة، فخرج إليهم أهلها ليقاتلوهم فدخل الكمين البلدة، وقتلوا من أهلها ناساً منهم: نور بن سعدون. فلما علم الذين خرجوا من أهل البلدة بذلك عادوا إليها وأرادوا دخول القلعة فوجدوا المسلمين قد استولوا عليها، فجرى بينهم قتال فقتل المسلمون منهم رجالاً. ثم نودِي بالأمان، واستعمل عبدُ العزيز منصورَ ابن حماد أميراً على البلدة.

وسار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض فنزل «المشيقيق»، فنشب بينهم القتال وقُتل من أهل الرياض ستة، ومن المسلمين: ناصر بن عبدالله، ومحمد بن حسن الهلالي.

---

(١) في عنوان المجد: «حسين بن قار».

وكاتب أهل الوشم وقراه عبد العزيز، ودخلوا في الدين، وبايعوا أهل الإسلام.

وغزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز «جلاجل» وأراد محاربة شيخها: سويد، لارتداده. فساق إليه سويد خمساً من الخيل فقبلها عبد العزيز، وصالحه عليها.

وسار عبد العزيز من هناك إلى «المربع» وكان فريق من أهل اليمن منيخين فيه، فصبحهم بالغارة وأخذ إبلهم ورجع.

وسار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض، وجرت بينهم وقعة «المجوز» سُمِّيت باسم مكان هناك. ولم يلتحموا في قتال، وإنما تراموا من بعيد بالبنادق، فقتل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال وأربعاً من الخيل. وقُتل من المسلمين نحو عشرة رجال، منهم: مبارك بن سبيت، وزيد بن سعيد، وابن رشيدان.

وأقام عبد العزيز بقصر «الغَذْوانة» أياماً يغير على الرياض ويرجع مكانه.

وفي سنة ١١٨٢هـ استمر غلاء الأثمان وزاد ما كان يلقاه الناس من مشقَّة وضيق، وتسمَّى هذه السنة سنة سوقة أو قحط سوقة.

وفي هذه السنة غزا سعود بن عبد العزيز بالمسلمين ــ وهو أوَّل غزوٍ تأمَّر فيه، فأغار على «الزلفى» وقتل ثلاثة رجال وعاد.

وسار عبد العزيز بالمسلمين إلى «سبيع» وهم نازلون في «الحائر». فسبقه إليهم النذير، فلما أتاهم وجدهم متأهبين، فاحتدم بينهم القتال، فشدَّ عليهم المسلمون فهزموهم، فعمدوا إلى قصر الحائر ــ وكان أهله إذ ذاك مرتدين ــ فاحتموا به، وأخذ المسلمون ما كان معهم من الأمتعة والخيل والإبل.

وسار المسلمون ــ وأميرهم سعود ــ فأغاروا على فريق من اليمن فهزموهم وقتلوا منهم رجالاً، ولكنَّ بعض الأعراب أحاطوا بهم وهجموا عليهم من خلفهم ثم ارتد عليهم المنهزمون فتكاثروا جميعاً على المسلمين وهزموهم، وقتلوا منهم سبعة، منهم: ناصر بن عثمان، وفوزان بن ناصر.

وغزا سعود بالمسلمين ــ وركابهم نحو مائة ــ فأغاروا على عنيزة، فخرج عليهم أهلها وكان عددهم عدّة مئات، ونشب بينهم القتال، وثبّت الله المسلمين إلى أن هزموا الأعداء وألزموهم الفرار إلى بيوتهم، وقتل المسلمون منهم نحو عشرة رجال، وقُتل من المسلمين ثلاثة.

وفي سنة ١١٨٣هـ سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض، فصادف في ساعة خروجه خيلاً كثيرة لدهام بن دواس عاديةً على «الدرعية» وقد استاقت إبلاً كثيرة لأعراب «سبيع». فأطبقت عليهم خيل المسلمين، وتقاتلوا، ففرَّت خيل ابن دواس مهزومة، وقتل المسلمون من جماعته أربعة، هم: مطرود الفريد، وابن المرابع، وحسن الجعفري، ودوخي بن مروان.

ورجع عبد العزيز ولم يكمل سيره إلى الرياض.

وغزا عبد العزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقراها، فلما وصل إلى «حريملا» أمر أهل القرى التي حولها أن يخرجوا معه، واستنفرهم. فخرج أهل «سدير» وأهل «المحمل» في جموع كثيرة، فسار بهم حتى وصل بلدة «المجمعة» فحارب أهلها وهزمهم، وقتل منهم رجالاً، منهم: عبدالله وقويفل ابنا عثمان، وهما أخوا حمد بن عثمان رئيس بلدة «المجمعة»[1].

ثم اتجه عبد العزيز منها إلى بلدة «الهلالية» ــ وهي من قرى «القصيم» ــ فوصلها ليلاً، وأعدَّ لها كميناً. فلما أصبحوا حارب أهلها

(١) في «عنوان المجد» ص: ٦٦ أن الذي قتل هو حمد بن عثمان نفسه.

فهزمهم، وقتل منهم رجالاً. ودخل المسلمون البلدة وأقام فيها عبد العزيز أياماً، فوفد عليه أكثر أهل القصيم، فدخلوا في الإسلام، وخرجوا مما كانوا فيه من عبادة الأوثان. فأخذ عبد العزيز عليهم العهد، ووضع عندهم معلمين يعلّمونهم التوحيد والشرائع والأحكام.

وفي أثناء رجوع عبد العزيز والمسلمين صادف جماعة من بني خالد، فتجنبوه خوفاً منه وتركوا منازلته. وكانت تلك الجماعة قد أغارت على فريق من سبيع كان نازلاً بأرض «ضُرْمَى» فحاربوهم فكتب الله الهزيمة على بني خالد ومن أعانهم من الأعراب، وأخذ منهم المسلمون من «سبيع» أموالاً كثيرة وستاً من الخيل.

وفي هذه السنة غزت جماعة من المسلمين، فصادفت الشريف منصوراً، فأسرته مع ركب كان معه. فمنَّ عليه عبد العزيز وأطلقه دون فداء. فحين رجع استأذن من شريف مكة ليسمح للمسلمين بالحج، فحجت طائفة منهم آمنةً وقضت ركن الإسلام.

وفي سنة ١١٨٤ غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد آل ظفير، فأغار على «المحمرة» فقاتلهم هناك، وقتل منهم رجالاً، وأخذ منهم إبلاً.

وغزا عبد العزيز بالمسلمين وقصد «الحائر» ــ بين الخرج والرياض ــ ولم يخرج إليه من أهله أحد، فقطع بعض نخيله. فلم يجد أهل البلد إلا الإذعان، فدخلوا في الإسلام، وبايعوا عبد العزيز، والتزموا بالسمع والطاعة.

وفي سنة ١١٨٥ سار سعود[1] بن عبد العريز بالمسلمين إلى «منيخ» فلما وصل إلى بلدة «حريملا» ذُكِرَ له غزوٌ لآل ظفير ــ وكان على رأس ذلك الغزو

---

(١) في «عنوان المجد» ص: ٦٧ أن الذي سار بالغزو هو عبد العزيز نفسه.

آل ضويحي ووهق بن فياض ـ فحث المسلمون السير في أثرهم. فأدركوهم في أرض «غيانة» ــ بين حريملا وسدوس. فلما عرفه آل ظفير انهزموا، فاتبعهم المسلمون وأسروا بعضهم، وقتلوا رجالاً، منهم: وهق بن فياض.

وفي هذه السنة أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز إلى والي مكّة أحمد بن سعيد هدايا، وكان قد كاتبهما وطلب منهما أن يرسلا إليه فقيهاً وعالماً من جماعتهما يبين حقيقة ما يدعون إليه من الدين، و يناظر علماء مكة. فأرسلوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين، ومعه رسالة منهما هذا نصُّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد، أعزَّه الله في الدارين، وأعزَّ به دِين جَدِّه سيِّد الثَّقَلَيْن.

إنَّ الكتاب لمَّا وصل إلى الخادم، وتأمَّل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمَّدية ومن تبعها، وعداوة من خرج عنها. وهذا هو الواجب على ولاة الأمور.

ولمَّا طلبتم من ناحيتنا طالبَ علمٍ امتثلنا الأمر، وهو واصل إليكم، ويحضر في مجلس الشريف أعزَّه الله تعالى هو وعلماء مكة؛ فإن اجتمعوا فالحمدلله على ذلك، وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة. والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله، كما قال تعالى: ﴿وإذْ أخذ اللهُ ميثاقَ النبيين﴾ إلى قوله: ﴿لتُؤْمِنُنَّ به ولتنْصرُنَّه﴾.

فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إنْ أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته، فكيف بنايا أمَّته! فلا بدَّ من الإيمان به، ولا بدَّ من نصرته، لا يكفي أحدُهما عن الآخر. وأحقُّ الناس بذلك وأولاهم أهلُ البيت الذين بعثه الله منهم وشرَّفهم على أهل الأرض. وأحقُّ أهل البيت بذلك

من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم. وغير ذلك يعلم الشريف أعزَّه الله أنّ غلمانك من جملة الخدام، ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته».

فلما وصل الشيخ عبد العزيز الحصين نزل على الشريف الملقَّب بالفعر، واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده، وهم: يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي ـــ مفتي السلطان، وعبد الغني بن هلال. وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها، الأولى: ما نُسب إلينا من التكفير بالعموم. والثانية: هدم القباب التي على القبور. والثالثة: إنكار دعوة الصالحين للشفاعة.

فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا. وأما هدم القباب التي على القبور فهو الحق والصواب، كما هو وارد في كثير من الكتب، وليس لدى العلماء فيه شك. وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل، فقد نصّ عليه الأئمة العلماء، وقرَّروا أنه من الشرك الذي فعله القدماء، ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد أو جاهل.

فأحضروا كتب الحنابلة فوجدوا أنَّ الأمر على ما ذكر، فاقتنعوا، واعترفوا بأن هذا دينُ الله؛ وقالوا: هذا مذهب الإمام المعظَّم.

وانصرف عنهم الشيخ عبد العزيز مبجَّلاً معزَّزاً.

وفي هذه السنة سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض، فقاتل أهلها، وقتل ستة، منهم: عتيق بن زائد.

ثم ارتحل المسلمون، فلما وصلوا إلى بعض بلادهم انقلبوا راجعين يريدون الرياض، فلما بلغوا بلدة «عرقة» ـــ أسفل الدرعية ـــ وجدوا أن دهام بن دواس قد سار إليها غازياً، وليس للمسلمين علم بذلك. فالتقوا جميعاً هناك،

فأطبق المسلمون عليهم، فلم يلبثوا غير قليل حتى انهزم دهام وجماعته، وقتل المسلمون منهم عشرين رجلاً، أول قتيل منهم هو دواس بن دهام ــ قتله عبد العزيز نفسه، وآخر قتيل منهم ابنٌ آخر لدهام اسمه: سعدون.

وبعد أيام سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض أيضاً، فقاتل أهلها، وقتل منهم أربعة رجال، منهم: ابن رومي.

وفي سنة ١١٨٦ غزا عبد العزيز بالمسلمين فأغار على آل حبيش ــ وكانوا نازلين بأرض صبحا. فأخذ منهم إبلاً كثيرة، فلما حاولوا إرجاعها هزمهم وقتل منهم عدة رجال.

وسار سعود[١] بالمسلمين إلى الرياض فوصلها ليلاً. فكمن خارجها إلى أن خرجت أغنامهم وإبلهم في الصباح إلى المرعى، فأغار عليها، فشردت الإبل والتجأت إلى البلدة، فخرج أهلها، ونشب بين الفريقين القتال. فشدّ عليهم فرسان المسلمين وهزموهم، وقتلوا سبعة، منهم: مرخان بن فريان، وعبدالله الساري.

وسار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض أيضاً فوصلها قبيل السَّحَر، فهيّأ جيشه واستعدّ، ثم صلى الصبح وأغار. فأخذ أهلَ البلد الرعب، واحتدم القتال بين الفريقين إلى أن شدّ عليهم أهل الإيمان فهزموهم، وقتلوا منهم: مرزوقاً المطيري، ومحمد بن فائز. وقُتِل من المسلمين علي بن محمد أمير ضُرْمَى.

وفي رمضان من هذه السنة مات الشيخ أحمد بن مانع رحمه الله تعالى. وفي آخر رمضان مات ثنيان بن سعود، أسكنهما الله فسيح جنانه.

---

(١) في «عنوان المجد» ص: ٦٨ أن الذي سار بالمسلمين عبد العزيز.

وفي سنة ١١٨٧ سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض، ونازل أهلها مدّة، كان يقاتلهم في كل يوم، حتى استولى المسلمون على بعض بروج البلدة فهدموها وهدموا مَرْقَبها الشامخ، وقتلوا من أهلها رجالاً. وقُتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً، منهم: عقيل بن نصير، وسلطان بن حفيتان[١].

وكانت هذه الوقعة في صفر، وقد عرت أهلَ الرياض الذلّة والدهشة، وأيسوا من أنفسهم، وكاد أن يفتحها المسلمون، لولا أن الله قضى بتأخير الفتح.

فلما رجع المسلمون إلى بلادهم كان الذلُّ قد جلّل دهامَ بن دواس، وملأ الرعبُ قلبه، ففقد الأمل، وانتوى الجلاء عن الرياض، وقضى أياماً وهو يعدّ للرحيل العدّة. فجمع أعيان بلده وأخبرهم بعزمه، فحاولوا أن يثنوه عنه، فلم يفلحوا. فانفضُّوا من حوله فازداد رعباً وذعراً.

فلما انتصف ربيع الآخِر خرج عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض يريد حربها وتدميرها. فسار المسلمون عاقدين العزم على ذلك، موطّنين أنفسهم على حصار البلدة أياماً ولياليَ إلى أن يبلّغهم الله أملهم. فلما وصلوا إلى قرب بلدة «عرقة» جاءهم البشير بالغلبة والنصر، وانهزام أهل الفساد والضلال. فسار عبد العزيز بالمسلمين حتى دخلوا «الرياض» فإذا دهام بن دواس قد خرج منها هارباً مع أولاده وأعوانه وأغلب أهل البلد، وقصدوا جميعاً «الدّلَم» يريدون استيطانها. فهلك منهم في الطريق نحو أربعمائة من أتباعه لشدة الحرّ.

فجدّ المسلمون في أثرهم، ينقذون بالماء كل ضعيف وفقير، ويقتلون كل قويٍّ من أهل الضلال. حتى وصلوا «الدّلَم» فنادى عبد العزيز فيها بالأمان. فظهر مَنْ كان مختفياً، ولم يقتل منهم أحداً غير أربعة، هم: عبد المحسن بن شاخص، وصالح المهشوري، وبراك بن حميدان، ومحمد بن سليمان.

---

(١) في عنوان المجد: ابن خفيقان.

ثم أرسل عبد العزيز إلى أهل الرياض الذين ثاروا وخرجوا مع دهام يدعوهم إلى الرجوع، فلم يمتنع منهم إلا من تميَّز بالشر ولجّ في العناد.

وكان جميع ما في البلد من الأموال والنخيل فيئاً من الله لأنه لم يوجَف عليها خيلٌ ولا ركاب. وأقام بها عبد العزيز مدة، ونصب فيها أميراً وإماماً.

وأرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالةً إلى الأمير عبد العزيز في الرياض قال فيها:

«أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، وقد أراك الله في عدوّك مالم تؤمِّل. فالذي أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصري، كان إذا ابتدأ حديثه يقول: اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهدَيْتَنا وفَرَجْتَ عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبتَّ عدوَّنا، وبسطتَ رزقنا، وأظهرتَ أمننا، وأحسنتَ معافاتنا، ومن كلٍّ ما سألناك ربَّنا أعطيتنا؛ فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً طيِّباً حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت».

وهكذا انتهت هذه الحرب بين المسلمين ودهام بن دواس بعد أن اتصلت بينهم نحو ثلاثين عاماً، كان في أكثرها معالناً بالشرك ومعاداة أهل الإيمان، وتظاهر في ثلاث سنين مفرَّقة في عشرين عاماً من هذه الأعوام الثلاثين — بالاستكانة والدخول في الدين.

وقد قُتل من الفريقين في هذه الحرب نحو أربعة آلاف رجل: ألف وسبعمائة من المسلمين، وألفان وثلاثمائة من أهل الرياض.

وفي هذه السنة وقع الطاعون في بغداد والبصرة ونواحيهما، وتفاقم أمره حتى كان يدفن كل يوم مئات من الناس. وطال ذلك عليهم حتى فني أكثر أهل البصرة وما حولها من القرى، وقيل: إنه مات في ذلك الطاعون ثلاثمائة وخمسون ألفاً من جميع البلاد.

وفي سنة ١١٨٨ أرسل زيد بن زامل رئيسُ الدّلم إلى رئيس نجران مرّةً أخرى يستعديه على المسلمين. وكان عبد العزيز قد أرسل إلى زيد بن زامل بنبذ العهد والأمان الذي بينهما، ويخبره أنه ليس أمامه إلا الدخول في الإسلام. فلم يستجب له زيد، وغرّته قوته، وأرسل إلى رئيس نجران يستعديه.

ثم ألحّ عليه، وأرسل إليه رسولاً يغريه بمال وفير إذا استجاب له. فاستمال المالُ لبَّ رئيس نجران، واتفقا على أن يدفع زيد بن زامل إليه ثلاثين ألف زر معجّلة ـــ جمعها من رعيته وجماعته بالقهر والإذلال ـــ وطلب زيد من رئيس نجران مقابل ذلك أن يرسل إليه نفراً من جماعته وخاصّةِ قومه يكونون عنده رهناً للوفاء بالشرط المتّفق عليه، فأرسلهم.

وهجم عريعر بن دجين قائد الأحساء ـــ مع بني خالد وعنزة ـــ على بلدة «بريدة» في ناحية «القصيم». وأقام أياماً يحاول خداع أهلها حتى خدعهم، وخرج إليه أميرهم عبدالله بن حسن لمواجهته ومفاوضته، فغدر به وأسره. ثم غافل أهل البلدة ودخلها، وجالت الأعراب الذين معه في البيوت وكسّروا أبوابها؛ فلم يجد بعض أهلها ـــ وهم آل عليان ـــ أمامهم إلا الهرب، فتفرقوا في البلدان حتى كاتبهم عبد العزيز يدعوهم إلى الإقامة عنده، فلبوا دعوته، فتلقاهم بالرعاية.

وأقام عريعر هناك أياماً. استولى فيها راشد الدريبي على قصر الإمارة وحكم البلد. ثم سار عريعر ومعه أسيره عبدالله بن حسن حتى وصل إلى أرض «الخابية» وهناك وافاه أجله فمات.

وفي هذه السنة سار سعود بن عبد العزيز بالمسلمين إلى «الدّلم»، واستاق كثيراً من أغنامهم، فخرجوا إليه ونشب بينهم القتال، فهزمهم وقتل من رجالهم عشرة، ودخل البلد. وقُتل من المسلمين رجلان هما: عوض بن ذيب وراشد بن مطيع.

ثم ارتحل سعود فلما وصل «الحاير» جهّز سريةً من المسلمين وأمَّر عليها عدامة بن سو يري، وأمره أن يقصد «الزلفى». فلما اقترب منها صادف جماعة من أهلها خارجين للغزو فقاتلهم، وقتلهم جميعاً، وكانوا نحو عشرين رجلاً.

ووفد أهل «حرمة» و «المجمعة» على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز وعاهدوهما على الإسلام والتزام التوحيد وإقامة الشعائر. غير أنهم طلبوا إعفاءهم من الجهاد سنتين حتى يتهيّأ لذلك أهل البلاد، فلما تبيَّن صدقهم أمهلهم الشيخ والأمير عبد العزيز.

وكذلك وفد محمد بن رشيد الهزاني وأعيان أهل «الحريق» و بايعوا على الإسلام.

وفي سنة ١١٨٩ سار عبد العزيز بالمسلمين إلى «الخرج» فنزل بقرية هناك تسمَّى «الضبيعة». فاستاق بعض أغنامها فخرج إليه أهل القرية، فنشب بينهم القتال حتى انتصر عليهم فولّوا مدبرين، وقَتَل منهم اثني عشر رجلاً، وقطع المسلمون بعض نخيلهم.

ثم ارتحل عبد العزيز بالمسلمين ونزل بالدَّلَم، وحاصر بلدة «زميقة» حتى أشرف أهلها على الهلاك، وخرَّب بعض نخلها وزروعها. ثم انصرف إلى بلاده بالغنائم، واستأذن مَنْ كان معه من المجاهدين في إعطاء تلك الغنائم إلى آل عليان ـــ وهم المؤمنون الذين هربوا من بلدة «بريدة» بعد أن دخلها عريعر، ثم دعاهم عبد العزيز فلبوا دعوته وأقاموا عنده ـــ فطابت نفس المسلمين بذلك.

وقد استشهد من المسلمين في تلك الغزوة ثمانية رجال، منهم: فهد بن سلمان.

وفي هذه السنة وفى رئيس نجران بما كان واعد به زيدَ بن سالم رئيس

الدّلم[1]. فسار في جماعته، وأقبل معه كثير من الأعراب، وسانده رؤساء نجد وحكامها بأنواع من المال والزاد وخاصةً بطين بن عريعر — الذي تأمَّر على الأحساء بعد وفاة أبيه.

وأقام رئيس نجران بمن كان معه ومن انضمَّ إليه من قبائل البادية — في «الحائر» وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع وأنواع الطعام والمال. وكان كل يوم يجري بينه وبين أهل «الحائر» قتال، فقتلوا من جماعته نحو أربعين رجلاً من أجلاف الأعراب.

وكان عبد العزيز في تلك الأثناء يُعدّ جيوش المسلمين ويعبئهم: فأرسل إلى الرياض مدداً أقاموا فيها؛ وخرج سعود بجماعة من المسلمين إلى «ضُرْمَى» وأقام في نواحيها يراوح الأعادي ويغاديهم بغاراته. وقد أغار على أهل اليمن وهم نازلون بأرض «العرمة» فنشب بينهم قتال شديد، وقُتل من الفريقين رجال. ثم ترك عبد العزيز في ضُرْمَى عدداً من رجاله يكونون عوناً لأهلها ومدداً، وظعن عنها.

ثم صالح رئيس نجران أهل «الحائر» ورحل عنها وسار إلى «ضرمى» فوصلها بعد أن غادرها عبد العزيز. وكان المسلمون قد استعدوا له وحصنوا البلدة وبروجها. فنشب بينهم القتال، وأكثر عليه أهل «ضرمى» الرمي بالبنادق من بين نخلهم وأشجارهم، فهرب كثيرون من جماعته، فانهزم بعد أن قتل ممن كان معه خلق كثير، وأصيب عدد كبير منهم بجراح.

ثم تفرقت جماعته وتمزَّقت أجناده، وعاد كلٌّ منهم إلى بلده. وحملت قبائل اليمن معهم رئيس نجران على سريره، وقد أرهقته الآلام وأقضَّه المرض. وكان هذا الرئيس قد فتن أولئك الأقوام، بما كان يظهره لهم من أنواع الدجل والكهانة وحساب الرمل والتخمين وأسرار الغيب. فمات في أثناء انصرافه من تلك الحرب.

---

(١) انظر ص: ١٤٠ من هذا الكتاب.

وأغار سعود بالمسلمين على «الضبيعة» ـ من بلاد الخَرجْ ـ فلم يخرجوا لقتاله، وتراموا من بعيد بالبنادق. فقتل من الفريقين رجال، كان منهم من المسلمين: موسى بن حماد، وعبدالله بن غانم.

وفي هذه السنة مات مشاري بن سعود، وكان له في الجهاد بلاء حسن.

وسار سعود بالمسلمين حتى وصل «بريدة» ومعه آل عليان الذين خرجوا منها هاربين حين هاجمها عريعر. فوصلوها ليلاً، ولم يشعر بوصولهم أهل البلدة. فعبّأ سعود جيشه، وأعدّ كمينه، ولما فرغ من صلاة الصبح شنّ الغارة عليهم. فأقاموا في بيوتهم متحصنين ولم يستطيعوا الخروج لملاقاته. فحاصرهم المسلمون أياماً؛ وفي كل يوم يترامون من بعيد. فلما لم يبال أهل البلدة بما كانوا يلقون من الضرر نتيجة الحصار، وأعيا أمرهُم المسلمين ـ أمر سعود أن يُبنَى تجاههم حصنٌ للمسلمين يكون لهم ثغراً وأمناً، فلما تمَّ بناؤه وضع فيه جماعة من المسلمين أميرهم عبدالله بن حسن، ثم رجع سعود ومن معه.

وكان المسلمون الذين أقاموا في ذلك الحصن يشنُّون في كل يوم الغارة على «بريدة»، حتى صار أهل البلدة لا تنام لهم عين من الخوف ولا تخرج لهم سائمة للمرعى. فأرسل راشد الدريبي أمير «بريدة» إلى «جذيع» بكتاب يستنجد به فيه، فلم ينجده. فلما اشتد عليه الحصار والضيق طلب من عبدالله ابن حسن الأمان لنفسه خاصةً على أن يخرج من تلك البلاد؛ فأعطاه الأمان. ثم دخل عبدالله بن حسن وجماعته البلدة، وقتلوا من قوم الدريبي نحو خمسين رجلاً، واستولوا على جميع ما فيها من الأموال، وتأمَّر على البلدة عبدالله بن حسن.

فكان في ذلك إنقاذ لأهل «القصيم» من غمرة الضلال فأظهروا الإسلام، ثم وفد وجوههم مع عبدالله بن حسن على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير

عبد العزيز، فسلَّموا عليهما وعاهدوهما على الإسلام. وأقرَّ عبد العزيز كل أمير بلدٍ في بلده، وأمَّر عبدالله بن حسن على جميع تلك البلدان لا يعارضه منهم أحد.

فاستمروا على حالتهم تلك سنين، ثم تغيَّروا وانقلب كثير منهم — كما سيأتي.

وغزا محمد بن جماز مع جماعة من أهل الوشم فلاقوا بطين بن عريعر بأرض «النبقية»، فهزموه وقتلوا بعض من كان معه، وسلَّم باقيهم. فتضعضع أمره بعد ذلك، ونقم عليه إخوانه ورجاله.

وفي هذه السنة قدم زيد بن زامل صاحب «الدَّلَم» على عبد العزيز في «الدرعية»، ومعه أعيان قومه، فبايعوا على الإسلام، وراضت نفوسهم التي نشأت على التكبُّر، وهجروا ما كان عليه آباؤهم، والتزموا بأحكام الدين. فطلب منهم عبد العزيز كثيراً من أنواع السلاح وعدَّةً من الخيل المطهَّمة، فأرسلوها جميعها. فلما وصل إلى عبد العزيز جميع ما طلب أخذ منه بعضاً، وترك لهم بعضه عفواً منه ومسامحةً، وتطييباً لقلوبهم وتألُّفاً لهم.

وفي سنة ١١٩٠ نكث زيد بن زامل بالعهد، وقتل فواز[١] بن محمد أمير «نتيقة» من أهل «الحوطة». وذلك أن فوَّازاً أتى ابن زامل يطلب منه الاحتكام إلى الشرع في خلاف سابق بينهما، فلم يوافقه على ذلك ابن زامل، وأغلظ له في القول، أأنقاد في بلادي للأحكام، وينفِّذ عليَّ فيها الشرع، وأنا رئيس هذه البلدة وأميرها؟ ثم قتله.

فلما علم عبد العزيز بغدره أمر بغزوه. فسار إليه المسلمون وأحاطوا به، فلم ينقضِ شطر من النهار حتى هرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصّه الأشرار. فدخل عبد العزيز البلدة، وأعطى أهلها الأمان إلا أصهار ابن زامل

(١) في عنوان المجد: «فوزان».

وأعوانه فقد أمرهم بالجلاء عن البلد. ثم أمَّر عليهم سليمان بن عفيصان. فأقاموا على ذلك زماناً وهم يتظاهرون بالإسلام، إلى أن شاء الله أن يرتدُّوا إلى الضلال.

وفي هذه السنة قدم أهل «منيخ» وأهل «الزلفى» على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز في «الدرعية» لأداء السلام وتجديد العهد. ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب ـ أخو الشيخ ـ فأقام في الدرعية، ولاقاه الشيخ بالقبول والإكرام، وأحسن إليه، ووسَّع عليه قوته ومعاشه ـ وكان هذا شأن الشيخ مع كل من يفد عليه، فكان ذلك سبباً لإنقاذ سليمان وصدق إيمانه وتوبته، وإقراره على نفسه بما تقدَّم منه. فوفى بما عاهد، فلم يوافه الموت إلا وهو في حالة رضيَّة.

ووفد أهل اليمامة وأميرهم حسن البجادي على الشيخ والأمير عبد العزيز، وبايعوا على دين الله ورسوله. فأرسلا معهم معلِّماً يعلمهم التوحيد هو: حمد العريني. فمكثوا على ذلك زمناً ثم نكثوا بالعهد. فلما تحقَّق منهم حمد العريني وابن داعج الارتداد، وعرفا أنهم سيقتلونهما، خرجا من اليمامة هاربين، وأسرعا إلى عبد العزيز بالخبر. فأمر المسلمين بالتجهُّز للغزو، فخرج سعود بالمسلمين حتى وصل إلى «السلمية» فنزل فيها، وأرسل إلى «الدَّلَم» و«الضبيعة» و«نعجان» مرابطين من أهل الإيمان خشية الفتنة والردَّة.

وبقي أياماً يكاتب أهل اليمامة، ويحثُّ أميرهم حسن البجادي على إخراج أهل الشر الذين نقضوا العهد من بلاده. فوعده بالامتثال بعد أن يرحل المسلمون عن «السلمية» ويعودوا إلى «الدرعية». فصدَّق سعود وعده، ورحل عن السلمية بعد أن وضع فيها عدَّةً من رجاله.

فكشف حينئذ حسن البجادي عن غدره، وخرج مع جماعته إلى «السلمية» وهجموا على أهلها، وسابقوهم إلى قلعة البلدة، ولكنَّ المسلمين كانوا قد أنذِروا

بخروجهم، فاستعدُّوا للقائهم، وثبتوا في قتالهم، حتى اضطروهم إلى الرجوع على أعقابهم، وقُتل من المسلمين اثنان.

وارتدّ أهل «الخَرْج» وأرسلوا إلى زيد بن زامل ليأتيهم، فأرسل إليهم ابنه نائباً عنه، فحينئذ انضمَّ إليهم آل مرَّة مرتدِّين وساندهم أهل اليمامة. وسارت جموعهم لمحاربة المسلمين، فأخذوهم على حين غرَّة، وقتل من المسلمين نحو عشرة رجال. فلما علم بذلك زيد بن زامل قدم عليهم بعد أيام.

فأرسل إليهم عبد العزيز سعوداً بالمسلمين، فجدُّوا في السير حتى وصلوا بلدة «السلمية» لتخليص من فيها من المسلمين. فأقاموا فيها يومين، ثم سار منها مرتحلاً وخرج معه جميع أهل التوحيد ـــ من غير المرابطين المحاربين ـــ بجميع ما لهم من أهل وحيوان وأثاث.

ثم غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز يريد الخَرْج وآل مرَّة ومن ساعد على تلك الردَّة. فألْفَوا جموع المرتدين قد ملأوا الفيافي في تلك النواحي وتأهَّبوا للحرب.

فدعا عبد العزيز ربَّه أن ينصرهم ثم شدَّ على الأعداء، فاستاقوا جميع إبلهم. فلما شعرت بهم قبائل الأعراب أقبلوا عليهم جميعاً، وحاصروا المسلمين في مضيق شِعْبٍ هناك، فاشتد بينهم القتال، وثبت أهل الإيمان. ولكن انحصارهم في ذلك المكان الضيق كشفهم للأعداء، فقُتِل من المسلمين نحو أربعين رجلاً، واسترجعت الإبل التي كانوا أخذوها.

ثم رجع المسلمون، فلما وصلوا «الحائر» جهَّز عبد العزيز سريَّةً إلى «اليمامة» من ثمانين راكباً، فعدوا عليها وعقروا فيها إبلاً؛ وقُتِل من المسلمين المشهورين: عبدالله بن حسن أمير الصيم، وهذلول بن نصير.

وفي سنة ١١٩١ سار سعود بالمسلمين يريدون «الخَرْج»، فأنذر بهم أهل البلاد، فخرجوا لملاقاتهم قبل أن يغيروا عليهم، فتلاقى الفريقان في أرض «السهباء» — قرب الخرج. واشتد بينهم القتال؛ وقُتِل من الجانبين عدة رجال. ثم انصرف كلٌّ منهما إلى بلاده.

وبدرت من «سدير» و«منيخ» بوادر الارتداد، فأعلم عثمان بن عبدالله أمير بلدة «حرمة» بذلك الشيخ والأمير عبد العزيز. فجهَّزا عبدالله بن محمد بن سعود للسير إلى بلدان «سدير» و«منيخ». فأخذ منها رهائن من الرجال وأجلاهم إلى الدرعية، وهم: علي الحسيني، ومحمد بن إبراهيم، وحمد بن عبدالله — أخي الأمير عثمان بن عبدالله — وهم من أهل «حرمة»؛ وصعب بن مهيدب رئيس «الحوطة»، ومنصور بن حماد رئيس «العودة» وعياله — وهم من أهل «سدير». وذلك لأن هؤلاء هم الذين كانت تُخشَى منهم الفتنة.

ثم جدَّ عبدالله بن محمد بن سعود بمن معه من المسلمين فصبَّح «الدَّلَم» بالغارة، وقتل منهم ستة رجال، وعقر لهم كثيراً من البقر والإبل.

ثم ارتدَّ أهل بلدة «حرمة»، وكان رئيسهم في الغدر جويسراً الحسيني، فاتفق مع رؤساء «سدير»، وهم: سويد بن محمد صاحب «جلاجل»، وحمد ابن عثمان أمير «المجمعة»، وآل ماضي — على الغدر بأهل الإيمان، وعلى أن يقتل أهلُ كل بلدةٍ مَنْ بها من المسلمين.

فلما بادروا إلى إنجاز ما تعاهدوا عليه أرسلوا إلى كبار المسلمين الذين في «المجمعة» أن يأتوا إلى «حرمة» ليعلِّموا أهلها، فلما جاءهم منهم: محمد بن شبانة القاضي، ومحمد بن عثمان الثميري، وكنعان بن عيسى وغيرهم — كان أمير البلدة عثمان بن عبدالله في نخل له خارج البلد، فأرسل إليه جويسر وجماعتُه من يعلمه بقدوم هؤلاء الضيوف. فلما رجع كان أهل الضلال قد أعدُّوا له ستة رجال ليقتلوه، منهم: أخوه خضير بن عبدالله، وابن عمه عثمان بن إبراهيم؛ فقتلوه. ثم بادروا إلى من جاءهم من أهل «المجمعة» وحبسوهم.

ثم ساروا إلى « المجمعة » يريدون الاستيلاء على قلعتها وقتل مَنْ في البلدة من المسلمين. فلم يصلوا إليها حتى كان أهل البلدة من المسلمين قد تنبهوا لهم، وسبقوهم إلى القلعة وتحصنوا فيها. ولم يستطع أهل الضلال اقتحامها فرجعوا خائبين.

فأرسل أهل « المجمعة » بعد رجوع أعدائهم رسولاً على مطيَّة إلى عبد العزيز فأعلمه بما وقع في اليوم التالي لوقوعه، فأمر عبدُ العزيز سعوداً أن يسير بالمسلمين إلى « حرمة »، فلما وصلها نزل بالهضاب المحيطة بها، وبقي يقاتلهم ليلاً ونهاراً مدَّة أيام، وقُتل من الفريقين عدة رجال.

فلما جهد الحصارُ أهلَ البلد، وأيقنوا أن سعوداً لن ينصرف عنهم إلا بعد أن يحقق غايته، طلبوا منه الدخول في الإسلام، وأبدوا له الندم والتوبة فتلقاهم بالقبول وأسقط عنهم العقوبة، واشترط عليهم أن ينفوا من بلدهم رأس الشر جويسراً الحسيني، فلبَّوا طلبه والتزموا بما عاهدوا عليه. وأمَّر عليهم ناصر بن إبراهيم، ثم أطلق سراح محمد بن شبانة ومن كان معه من المسلمين.

وسار سعود إلى « المجمعة » وعزل رئيسها حمد بن عثمان، وأجلاه وأهله عن البلدة، وأمَّر عليها عثمان بن عثمان.

ثم سار إلى « جلاجل » وعزل رئيسها سويد بن محمد، وأجلاه وأهله عنها، وأمَّر عليها ضويحي بن سويد.

فسار رئيس « المجمعة » حمد بن عثمان إلى بلدة « القصب » وقصد رئيس « جلاجل » سويد بن محمد إلى « شقرا » فأقاما فيهما إلى أن دعاهما عبد العزيز إلى « الدرعية » فبقيا فيها إلى أن ماتا.

ثم سار فرسان المسلمين إلى « الدَّلَم » فاجتمع عليهم أهل « الخَرْج »،

واشتدَّ بينهم القتال. فقُتِل من المسلمين: منيف بن نصير، وابن شبهي؛ وأصيب من الخرج عدة رجال.

وفي سنة ١١٩٢ سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى «الدَّلَم» فوصلها ليلاً. وفي الصباح أحاط المسلمون بجميع المواضع هناك، فلما خرج أهلها لقتالهم هزمهم الله تعالى وملأ قلوبهم رعباً وفزعاً حتى إن بعضهم طلب الأمان لنفسه. وكاد يتم الفتح للمسلمين لولا قضاء الله، وذلك أنَّ زيد بن زامل كان آنئذ في «اليمامة»، فلما سمعوا الرَّمي أقبلوا جميعاً إلى مكانه. فلم يشعر جيش المسلمين إلا وهؤلاء قد انقضُّوا عليه، فانذعر الجيش وانكشف، فأخذ زيد نحو خمسين من ركاب المسلمين وقتل عدة رجال منهم.

ثم تراجع المسلمون سريعاً لما كرَّ عليهم أهل البلد بعد أن كانوا منهزمين قبل مجيء زيد بن زامل وجماعته.

وأناخ المسلمون على «نعجان» وحاصروها أياماً، حتى استولوا على بعض الأماكن هناك، وفرَّ أهلها منها بعد أن قُتِل منهم رجال، وفاز المسلمون بأموال كثيرة.

واستشهد من المسلمين في تلك الغزوة نحو عشرين رجلاً، وقتل من أهل الخَرْج جميعاً نحو هذا العدد.

ونزل سعدون بن عريعر ــ الذي تولى رئاسة الأحساء بعد أخيه بطين ــ في الخَرْج»، فأرسل إلى عبد العزيز يطلب المصالحة والمعاهدة، فأجابه إلى ذلك. ثم سار سعدون حتى نزل «مبايض» ــ وهو ماء في مجزل قرب سدير ــ وهناك تكشَّف غدرُه، ونقض عهده. وبعد أن أقام زمناً هناك خاف من المسلمين فارتحل في القيظ الشديد وتوغَّر في «الدهناء» و «الصمان». فأصابته وقومَه مشقة عظيمة، وهلك أكثر أغنامهم عطشاً.

وفي سنة ١١٩٣ ارتد أهل «حرمة» فكاتبوا سعدون بن عريعر رئيس الأحساء وبني خالد فوافقهم على ذلك ونصرهم، ثم استنجدوا أيضاً بأهل «الزلفى» فأنجدوهم، وتواعدوا جميعاً على يوم ينجزون فيه ما اتفقوا عليه.

فلما جاء اليوم المضروب سارت جموعهم متجهة نحو «المجمعة». فلما اقتربوا منها ألبسوا أناساً منهم ثياب النساء وأمروهم أن يسيروا إلى «المجمعة» ويصعدوا إلى بروج القلعة ليدهموا المسلمين في البلد.

فلما نفَّذ هؤلاء ما أمروا به وصعدوا بروج القلعة تنبَّه لهم أهل البلدة من المسلمين ففوَّتوا عليهم ما كانوا يأملون.

ثم أقبل سعدون بن عريعر وبنو خالد وأهل «الزلفى» وأهل «حرمة»، فأناخوا على «المجمعة» وحاصروها أياماً، وعمدوا إلى الإضرار بالناس وقطع النخيل والأشجار لعل أهل البلدة يستسلمون. فثبَّت الله تعالى المسلمين. وكان أعظم من امتُحِن في ذلك الأمر، وبذل فيه غاية جهده هو أحمد التويجري، رحمه الله تعالى.

وكان حسن بن مشاري بن سعود آنئذ مقيماً في «جلاجل» مع جماعة من المسلمين. فنهد هو ومن معه إلى «المجمعة» ليلاً، فكانوا لأهلها مدداً ثبَّتهم وأعانهم على الحصار.

ولمَّا علم عبد العزيز بالخبر أرسل جيش المسلمين وأمَّر عليه عبدالله بن محمد ابن سعود. فلما سمعت الأحزاب بقدوم المسلمين هربوا وتفرَّقوا. فاتَّجه المسلمون إلى «حرمة» فحاصروها أياماً. وكانوا يقاتلونهم في كل يوم ويجدُّون في تقطيع أشجارهم ونخيلهم — حتى قطعوا نخل المويس كله. فجهد أهلَ البلدة الحصار وضاقوا بما حلَّ بأرضهم وزرعهم من خراب ودمار. وفي آخر أيام القتال هجم عليهم المسلمون فاشتد بينهم القتال، وقتلوا من أهل البلدة عشرة رجال، منهم: مدلج المعيبي، ومحمد بن إبراهيم.

ثم رجع المسلمون إلى بلادهم وأبقى عبدالله بن محمد رجالاً من المسلمين وخيلاً في «المجمعة» حتى ينال أهلها بذلك العزَّ والمَنَعَة، وليضيِّقوا على أهل «حرمة».

وفي رجب من هذه السنة غزا عبد العزيز يريد «السلمية» فلما قاربها شعر به أهلها، فارتأى ألاَّ يحاربهم، وانصرف عنهم. ثم جد في سيره يريد جماعة من «مطير» في أرض «عروى» من نجد. فلما صبَّحهم المسلمون اشتدَّ بين الفريقين القتال حتى كتب الله النصر لأهل الايمان فهزموا أولئك الأعراب وأخذوا أسلابهم. وقُتل من المسلمين ثلاثة رجال، منهم: عدامة بن سويري.

ثم سار سعود بالمسلمين إلى «حرمة»، فلما وصلها أقام حولها أياماً، وكان في كل يوم يقاتل أهلها ويُقتَل من الفريقين رجال؛ واستولى المسلمون على نخل البلدة. فلما ضيَّق المسلمون عليهم، وطال حصارهم، وفقدوا الأمل في النجاة، طلبوا المصالحة ودخلوا في الإسلام. فقبل ذلك منهم سعود، واشترط عليهم إزالة ما يُخْشَى منه على الدين. فتعاهدوا على ذلك، واشتروا من سعود جميع ما في البيوت من الأموال والطعام. ثم أمر بهدم جميع قصور البلدة وسورها وما فيها من بيوت، وأجْلَى آل مدلج عنها.

وفي سنة ١١٩٤ غزا سعود بالمسلمين فقصد إلى «الزلفى» لما كان أهلها قد أحدثوه من الفساد. فسبقه إليهم النذير، فلم يصل إليهم إلا وهم مستعدون للقائه فنشب بينهم قتال شديد، قُتِل فيه من الفريقين رجال.

ثم عاود الكرَّة عليهم عبدالله بن محمد بن سعود، فسبقه إليهم النذير، فلما وصل إليهم وجدهم مستعدين ينتظرون كل يوم الهجوم عليهم، فجرى بينهم قتال. ثم رجع عبدالله بن محمد فلما تجاوز «رغبة» أذن لأهل الوشم وأهل سدير بالعودة إلى مواطنهم. فبينا كانوا عائدين اعترضهم سعدون بن عريعر مع جموع بني خالد، فأطبقوا على المسلمين وقتلوهم فلم ينجُ منهم إلا القليل. وكان

عدد من قُتل من المسلمين نحو ثلاثين رجلاً، منهم: حسين بن سعيد أمير «العودة»، وعبدالله بن سدحان من كبار أهل «شقرا».

ثم أغار سعدون ببني خالد على المسلمين من سبيع، فإذا عندهم أناس من أهل «ضُرْمَى» كانوا منصرفين من غزو عبدالله بن محمد. فحين أغارت خيول بني خالد خرج إليهم المسلمون فقاتلوهم وانتصروا عليهم، وأسروا منهم فرساناً، منهم: سعدون بن خالد ــ من شيوخ العماير ــ ففدى نفسه بثلاثة آلاف زر.

وسار سعود بالمسلمين إلى «الحوطة» ــ حوطة بني تميم ــ فوصلها ليلاً فعبَّأ الجيش، ووضع له كميناً، ثم بادر بالغارة عليهم صباحاً، فالتحم الفريقان، وقتل المسلمون من أهل البلد خمسة عشر رجلاً. وقُتل من المسلمين بطي المطيري.

وفي سنة ١١٩٥ سار سعود بالمسلمين إلى بلدة «الدَّلَم» في «الخَرْج»، فقاتل أهلها قتالاً شديداً حتى ألجأهم إلى الفرار والاحتماء داخل بلدهم، ثم حاصرهم فيها أياماً، وقتل منهم رجالاً كثيرين، وقطع نخل ابن عشبان المسمى «خضرا» وكان نحو ألفي نخلة.

ثم بنى قصراً قريباً من ذلك المكان وهو قصر «البدع» ليكون للمسلمين حصناً وثغراً، ووضع فيه رجالاً ذوي بأس، وخيلاً وذخيرة، وأمَّر عليه محمد بن غشيان.

ثم أغار من قصر «البدع» جماعة من المسلمين فصادفوا جماعة من أهل «اليمامة» فقاتلوهم، وقتل المسلمون منهم فرحان بن راشد البجادي من رؤساء «اليمامة».

وارتدّ جديع بن هذال ــ رئيس آل حبلان من عنزة ــ بعد ما ادَّعى الإسلام وأعطى العهد. فخرج في جماعة معه، فصادفوا قوماً من مطير، فأراد الله أن ينصر مطيراً عليه وعلى جماعته، فقُتِل جديع وأخوه وثلاثة معهما.

ولمّا اشتد بأس المسلمين وأميرهم ابن غشيان في قصر « البدع » على أهل « الخَرْج »، وضيّقوا عليهم، إذ كان المسلمون يقعدون لهم بالمرصاد، و يأخذون كل سالك في الطريق حول القصر، و يغتنمون كل فرصة لشن الغارات منه على أهل الضلال ــ أجمع أهل الخرج أمرهم على قتال المسلمين الذين في القصر، واتبعوا لذلك حِيَلاً باءت بالخيبة.

فاجتمع أهل الحريق والحوطة مع أهل الخرج وهجموا على القصر ومعهم المحامل والسلالم ليرتقوا أسواره، فردَّهم المسلمون على أعقابهم، وقتلوا منهم خمسة وعشرين رجلاً.

فلما أعياهم أمر ذلك القصر سارت جماعة من آل زامل وآل بجاد إلى سعدون بن عريعر، واستنجدوا به. فسار إليهم مع أعرابه، فانضمَّ إليه أهل الحريق واليمامة والحوطة وأهل الخرج، واتجهوا إلى القصر، ومع سعدون المدافع. فاشتد القتال بين الفريقين وواصل سعدون ضرب الأسوار بمدافعه، فلم يُجْدِهم كلّ ذلك، وثبّت الله المسلمين.

فحينئذ اضطر سعدون إلى الرحيل خائباً، وتفرّق من كان قد انضمَّ إليه.

وسار عبدالله بن محمد بن سعود بالمسلمين إلى « اليمامة » فنازَل أهلها، وقتل منهم نحو عشرين رجلاً، منهم: أحمد بن رشيد، وعبدالله البجادي.

ثم سار منها وأغار على « الحريق » فنشب بينهم القتال، فانتصر عليهم، وقتل منهم عشرين رجلاً.

وسار سعود بالمسلمين، يريد الغارة على أعرابٍ من ظفير وعنزة، كانوا مقيمين على « مبايض » ــ ماء بمجزل قرب سدير ــ فلما وصل إليهم ورأى استعدادهم وكثرة عددهم، انصرف عنهم وارتحل إلى أرض « تمير » ــ في طرف مجزل ــ وأرسل إلى أهل « سدير » يستمدُّهم، فأقبلوا سراعاً إليه. فسار بهم إلى أولئك

الأعراب من ظفير وعنزة، فلما رآهم الأعراب فرحوا لرجوعهم، وخُيِّل إليهم أنهم سينالونهم غنيمةً سهلة. فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً حتى ألجأوهم إلى الهزيمة والفرار، فتبعهم المسلمون وقتلوا منهم رجالاً كثيرين يزيدون على المائة، منهم: دهام أبا ذراع. وغنموا ما كان معهم من أمتعة وأثاث وأموال وسلاح وأغنام وإبل — كانت الأغنام نحو سبعة عشر ألفاً، والإبل خمسة آلاف.

وفي سنة ١١٩٦ سار عبد العزيز بالمسلمين إلى «الحوطة» فوصلها ليلاً، فأخذ في التأهب والاستعداد، ثم هجم على البلدة بعد أن صلَّى الصبح فخرج إليه أهلها جميعاً، فلمّا التقى الفريقان شدَّ المسلمون عليهم فهزموهم وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً، وألجأوهم إلى الاحتماء في داخل البلدة. فبقوا فيها زمناً محاصَرِين لا يملكون الخروج منها، وقد جدَّ المسلمون في تقطيع نخلهم وتخريب زروعهم حتى أوفوا بذلك على غايتهم.

ثم رحلوا عنهم إلى «نعجان» فأقاموا حواليها زمناً، قطعوا فيه شيئاً من نخلهم. ثم عادوا إلى بلادهم.

وفي هذه السنة ارتدَّ أهل «القصيم» جميعاً إلا أهل «بريدة» و «الرس» و «التنومة»، ونقضوا العهد، وأجمعوا على قتل من في بلادهم من المسلمين. ثم أرسلوا إلى سعدون بن عريعر يُعلمونه بما أزمعوا عليه ويستعينونه. فسُرَّ بذلك، وخُيِّل إليه أن الفرصة قد واتته لينتقم لنفسه من المسلمين، ويستعيد ما كان له ولأبيه من السطوة والمهابة.

فسار بأتباعه ومن انضمَّ إليه يُريد نجدةَ أهل «القصيم» المرتدِّين، فلمّا اقترب من ديارهم، وعلموا به شجَّعهم ذلك على تنفيذ ما كانوا قد عزموا عليه من أن يقتل أهلُ كل بلدة مَنْ فيها من المسلمين؛ فقتل أهل الخبر منصوراً أبا الخيل وهو يؤمُّ الناس في الصلاة يوم الجمعة، وثنيان أبا الخيل؛ وقتل آل جناح رجلاً من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه؛ وقتل آل شماس أميرَهم علي بن

جوشان؛ وفعل أهل بقية البلدان مثل ذلك. وأرسل أهل عنيزة إلى سعدون ــعلى سبيل الإكرام، وإظهار الطاعة لهــ اثنين من معلِّمي التوحيد، هما: عبدالله القاضي وناصر الشبلي[1]، فقتلهما.

ثم سارت تلك الجموع إلى «بريدة» وحاصرتها، فبدرت من اثنين فيها هما: سليمان الحجيلاني وابن حصين ــ بوادر الارتداد، فأسرع حجيلان بن حمد رئيس «بريدة» إلى قتلهما، فثبت معه أهل البلد، ولم تحدّث أحداً منهم نفسُه بالارتداد بعد ما رأوا من مصرع هذين الضالَّيْن.

ثم أرسل سعدون جماعةً ممَّن معه لدخول «بريدة» وفتحها؛ فنصر الله المسلمين عليهم وقتلوهم. فاستشاط سعدون لذلك غضباً فحشد جموعه وهجم على البلدة، فقُتل من جماعته في أول يوم من أيام الهجوم أناس، فحاول في اليوم الثاني تسوّر جدار البلدة فقُتِل جميع الذين صعدوا على السور، وبقوا زمناً لا يُنقَلون ولا يُدْفَنون من شدة القتال.

ثم نصب آلاته ومدافعه لهدم السور وبروج البلدة، فلم يستطع أن ينال من ذلك شيئاً. وكان في أثناء ذلك قد بنى قصراً وضع فيه عدة رجال من ذوي البأس، فخرج المسلمون إلى القصر ليلاً فهدموه وقتلوا من كان فيه.

وأغار سعد بن عبدالله أمير «الرس» مع جماعة من قومه على أغنام أولئك الأعراب المجتمعين، فاستاقوا أغنام سعدون وكانت نحو أربعمائة.

وأغار المسلمون من أهل «بريدة» على بيت نصبه عبدالله بن رشيد للحرب فوق نهير، ووضع فيه آلاتٍ ورجالاً، فقتل المسلمون أربعة من هؤلاء الرجال.

فلما حدث ذلك كله، وانقضت خمسة أشهر، وسعدون ومن معه لم يبلغوا من غايتهم شيئاً، عزم على اقتحام البلدة. فصنع تروساً من الخشب تسمى عند

(١) في عنوان المجد: «الشبيلي».

أولئك الأعراب عَجَلاً تردّ الرصاص عمن فيها فلا يضرّه[1]. ثم حمل على البلدة حملة هائلة، وصالت تلك الجموع وجالت، وكانوا يساقون بالسيوف من أعقابهم لكيلا ينكصوا ويهربوا. وهجموا على سور البلدة ومرقبها وبروجها يريدون الاستيلاء عليها. فنشب بين الفريقين قتال شديد، وقع فيه كثير من القتلى. ثم شاء الله ألاّ يبلغ سعدون وجماعته ما أمّلوه، وأن ينكصوا عن البلدة على أعقابهم خائبين.

فلما ارتحلت تلك الجموع عن «بريدة» خرج حجيلان —أمير البلدة— ومن معه مسرعاً، ففاجأ آل شماس —وهم من المرتدّين وكانوا قد قتلوا أميرهم علي ابن جوشان— فقتل من وجد منهم، وأوقع بهم النقمة، فخرج أغلبهم من بلدتهم هاربين، ولحقوا بجيوش سعدون وانضمّوا إليها.

وبعد أن انتهت تلك الحرب، ورجع سعدون وجماعته، ضاقت الأرض بمن كان قد ارتدّ ونقض العهد، فلم يجدوا مفرًّا من الدخول في حوزة الإسلام. فأقبلوا على حجيلان —أمير بريدة— يعطونه العهد ويقرّون بالإيمان، فقبل منهم ذلك وأعطاهم الأمان بعد أن شرط عليهم الغرامة، فأسرعوا إليه وحداناً ومجتمعين، ووفدوا عليه بلداً بلداً، ولم يتخلّف منهم أحد إلا أهل عنيزة.

ثم غزا ركبٌ من أهل «بريدة» في أثر سعدون، فصادفوا جماعة من الرجال، فنازلوهم، وقتلوهم جميعاً وأخذوا ما معهم من الأموال. وقد كان مع تلك الجماعة مال كثير لأناس من أهل المدينة فأمر عبد العزيز بأدائه تاماً غير منقوص، لأنه كان أوقافاً وأحباساً.

وارتدّ بعض أهل «الروضة» لمّا رأوا سعدون وجماعته مقبلين عليهم. فبادر أهل التوحيد والإيمان في البلدة إلى قلعتها فتحصنوا فيها. ثم جاء سعدون وجموعه

---

(١) انظر وصف هذه التروس في ص: ١٦٧ مما يأتي.

فحاصروا البلدة أياماً حتى حاول قطع الماء عنهم. فاضطر من كان في القلعة إلى طلب الأمان والتسليم، ثم خرجوا من القلعة. فتمَّ استيلاء سعدون ــ ومعه آل ماضي ــ على البلدة.

ثم نهضوا إلى أهل «الداخلة»، وكان فيها محمد بن غشيان ومعه جماعة من الفرسان أهل النجدة. فخرج مع جماعته للقاء المعتدين ونازلهم وردَّهم على أعقابهم مدحورين بعد أن قتل منهم رجالاً أغلبهم من أعيانهم.

وثبتت بلدان «سدير» على الإسلام. وكان إذ ذاك حسن بن مشاري بن سعود مقيماً في «جلاجل»، فصان الله أهلها بذلك عن الارتداد.

فلما بلغ عبدَ العزيز ما صدر عن أهل «الروضة» جهَّز سعوداً ومعه جماعة من المسلمين، حتى ينقذ من كان في القلعة من الحصار. فسار سعود حتى وصل إلى «ثادق» فتريَّث فيها زمناً حتى تتلاحق إليه الجموع.

فلما علم سعدون بذلك أصابه الرعب وارتحل. فاجتمع حينئذ أهل الإيمان من قرى «سدير» مع من جاءهم من الأمداد مثل: حسن بن مشاري، وابن غشيان؛ وبادروا أهل «الروضة» بالقتال. فقتلوا منهم عدة رجال، منهم أميرهم عون بن ماضي، فانهزم أهل «الروضة» ولجأوا إلى بلدتهم فتحصَّنوا فيها. فحاصرهم المسلمون إلى أن أقبل سعود بجيوشه فاستولى على جميع النخل.

فلما طال الحصار على أهل البلدة ــ وكان في قلعتها أناس من آل ماضي ورجال لسعدون بن عريعر ــ ورأوا سعوداً قد شرع في قطع أشجارهم ونخلهم، وتحققوا الهزيمة، طلبوا من سعود الأمان، فأجاب طلبتهم. فعاهدوه على الإسلام، واعتذروا من سوء ما بدر منهم، واشتروا منه جميع ما في البلد من الأموال بدارهم دفعوها نقداً.

ثم أجلى سعود آل ماضي عن البلدة، وأمَّر عليها عبدالله بن عمر.

وفي سنة ١١٩٧ سار سعود بالمسلمين يريد أهل «الخرْج». فلما وصل إلى قرية «الحائر» بلغه أن آل مرَّة قد تجمعوا هناك. فأمر من كان معه من الجموع أن يعدلوا عن غايتهم، وسار بالجيش يريد غزو قبيلة من مطير تدعى الصهبة. وحثَّ السَّير في أثرها لئلا يسبقه إليها النذير. ففاجأتها فرسان المسلمين، فنشب بينهم القتال، فنصر الله أهل الإيمان، وقتلوا رجالاً كثيرين من الصهبة منهم: خلف الفغم، ودخيل الله بن جاسر. وغنم المسلمون ما معهم من الأموال.

وفي هذه السنة ارتفعت أثمان الطعام، وأخذَ الناسَ الجَهْدُ والبلاء، وعمَّ ذلك بلدان نجد كلها، وطال سنين عدَّة، فمات كثير من الرجال والنساء فضلاً عن الأطفال والبهائم. فكان كثير من الناس إذا شرع في الصلاة خَرَّ على الأرض ميتاً. فأمر عبد العزيز أهل كل بلد أن يحصوا من عندهم من المساكين والضعاف والأرامل والأيتام، ويقدّموا لهم من الطعام ما يقيم أوَدهم. وبقي الأمر على ذلك إلى أن كشف الله تعالى عن الخلق هذا الضرّ.

وفي هذه السنة قُتِل زيد بن زامل صاحب «الدَّلَم». وذلك أنه أغار على أهل سبيع —وهم إذ ذاك منيخون على الرياض— فأخذ إبلهم. فاتَّبعه سليمان ابن عفيصان —وليس معه إلا جماعة قليلة من المسلمين— فأدرك ابن زامل وقومه —وكانوا يزيدون على ثلاثمائة راكب— وهم بأرض يقال لها «الحنية» من نجد. فشنَّ عليهم الغارة، وقتل زيد بن زامل، فانهزم جميع من كان معه. ثم فكَّ المسلمون إبل سبيع وأخذوا بعض ركاب ابن زامل وقومه. ورجعوا منتصرين.

وفي هذه السنة أهدى عبد العزيز إلى والي مكة المشرَّفة خيلاً وإبلاً، واستأذنه في أن يؤدِّي أهل الدين فرض الحج، فأذن بذلك. فحجَّ في تلك السنة منهم نحو ثلاثمائة رجل.

وفي سنة ١١٩٨ عدا براك بن زيد بن زامل وأهلُ اليمامة على «منفوحة»،

فسبقه النذير إليهم؛ فلم يصلهم حتى كانوا متأهبين للقائه، فخرجوا إليه وقاتلوه، وفرّقوا جمعه، وقتلوا من القوم المعتدين نحو خمسة عشر رجلاً، فيهم بعض المرتدّين. فلما علم سعود بذلك اقتفى أثر براك وجماعته، ولكنهم جدُّوا في الهرب، فلم يدركهم.

وسار سعود بالمسلمين إلى «الأحساء»، فجدّ في سيره حتى وصل ليلاً إلى قرية يقال لها «العيون». فلم يفطن أهل القرية لوصوله، فلما أصبحوا هجم عليهم المسلمون فاستولوا على ما كان خارج الحصن من المساكن، وأخذوا جميع ما كان فيها من الحيوانات والأمتعة والقوت. وبقي ابن مهنا وجماعته في الحصن ممتنعين فناوشهم المسلمون زمناً ثم انصرفوا عنهم.

وقد قُتِل من المسلمين: ناصر بن عبدالله وعبد العزيز ديان.

ثم رأى سعود ــ وهو راجع من تلك الغزوة ــ أن يغير على أهل «اليمامة» فوجدهم قد خرجوا جميعاً إلى البرِّيّة للنزهة، فدهمتهم فرسان المسلمين، فولوا منهزمين، وقُتِلَ منهم ثمانون رجلاً.

وسار سعود بالمسلمين إلى بلدة «عنيزة» من بلدان «القصيم» فوصلها ليلاً. فلما أصبح أغار على البلدة فخرج إليه أهلها، وأظهروا في القتال شجاعةً وقوة بأس. واستمرّ القتال بينهم زمناً، وقُتل من الفريقين رجال، منهم ثنيان بن زويد من شجعان المسلمين. ثم جرى بين أهل البلدة وسعود كلام في الصلح. ولكنهم لم يصلوا في ذلك إلى شيء. وعاد المسلمون إلى بلادهم.

وفي سنة ١١٩٩ غزا سعود فأخذ إبلاً لأهل «الحريق» كانت مودعة عند سبيع.

ثم غزا بالمسلمين يطلب جماعة من أهل «اليمن» فأدركهم في أرض «الرويضة» ورئيسهم في قصر هناك، فأخذه سعود وقتله. ثم أغارت خيول

المسلمين على أولئك الأعراب فولّوا منهزمين، فلحقهم المسلمون. ولكنَّ الله شاء أن تطلع في تلك الساعة فرسانٌ كثيرون من «السهول» وكانوا داخلين في الإسلام معاهدين للمسلمين، ولكنَّ سعوداً لم يعرفهم حين طلعوا عليه فرجع عن أهل اليمن. ولم يعرف السهول المسلمين إلا وهم مدبرون فندموا على ما فعلوا.

وفي هذه السنة قُتِل براك بن زيد بن زامل رئيس «الدّلَم»، قتله بنو عمه زويمل[1] ومعهم عبدالله بن محمد بن راشد وظنُّوا أنهم يدركون بذلك حُكمَ «الدّلَم» ولكنهم لم يدركوا غايتهم، إذ طردهم أهل البلاد، وكانوا ذوي ضلال وبغي. فقصدوا «الدرعية» ولم يكن يُرَدّ عنها أحد. فأقاموا فيها حيناً عاهدوا فيه على الإسلام، ثم هربوا إلى «الأحساء» مرتدّين.

وسار سعود مع المسلمين يريد «الخَرْج» فذُكِر له في أثناء مسيره أنَّ قافلة كبيرة من أهل «الخَرْج» و«الفرع» قد صدرت من «الأحساء» ومعهم كثير من الأموال والأحمال.

فرصد لهم سعود على «الثليما» ـ ماء معروف قرب الخرج ـ فلما أقبلت القافلة وكان رجالها قد أجهدهم الظمأ، قدّموا منهم جماعة إلى الماء. فشنَّ المسلمون عليهم الغارة، وقتلوا جميع الذين سبقوا إلى الماء.

ثم أناخت القافلة، فحاربهم سعود حتى أصابهم جهد وبلاء كبير، وأيقنوا أنهم لن يسلموا من سعود وجماعته، فطلبوا منه الأمان، فأجاب طلبهم. بعد أن غنم ما كان معهم من الأموال وقتل نحو سبعين[2] رجلاً، منهم: زامل بن زيد، وابن زيد الهزاني، وسنان بن شاهين.

وقُتل من المسلمين نحو ثلاثة رجال.

---

(١) في عنوان المجد: «بنو عمه زامل».

(٢) في «عنوان المجد» ص: ٨٩ أن القتلى «قريب من تسعين رجلا».

وقدم ربيع وبدن ابنا زيد ـ وهما رئيسا المخاريم ـ مع جماعة من قومهما، على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز، فدخلوا في الإسلام، وعاهدوا على التوحيد. ثم هدى الله بهم أناساً آخرين.

ثم سار سعود بالمسلمين إلى بلدة «الدَّلَم» في «الخَرْج»، فخرج إليه أهل البلدة فقاتلهم وقتل منهم جماعةً. فاضطروا إلى الاحتماء بقلعة بلدهم. واستولى سعود على جميع النخل.

وظل أهل البلدة محاصرين في القلعة، وسعود يناوشهم كل يوم، وهم يعلِّلون أنفسهم بقرب رحيل المسلمين عنهم لِمَا قد يصيبهم من الملل لطول الحصار، ولكنَّ سعوداً أمر ببناء قصر بين النخل هناك، فلما تمَّ بناؤه عزم على أن يترك فيه رجالاً من المقاتلين، ثم نوى الرحيل. فخرج إليه جميع من في القلعة وحملوا حملة رجلٍ واحد، فشدَّ عليهم المسلمون، وقتلوا منهم رجالاً يزيدون على العشرين، منهم: تركي بن زيد بن زامل.

ثم فرَّ الباقون والتجأوا إلى قلعتهم، وبقوا فيها محاصَرِين زمناً إلى أن همُّوا بأن ينزلوا جميعاً إلى سعود مستسلمين، ولكن جماعة من آل زامل كانوا مع سعود أسرُّوا إلى أهل البلدة بالبقاء في قلعتهم إلى أن يأخذوا لهم الأمان من سعود.

ولما تمَّ لهم ذلك وأعطاهم سعود الأمان اشتروا منه ما كان في بيوتهم من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام، ونقدوه ثمنها. ودخلوا في زمرة أهل الإيمان. وكان نخلها كافَّةً فيئاً من الله على بيت المال.

ثم أمَّر سعود عليهم سليمان بن عفيصان؛ وأجلى من البلدة كلَّ من جدَّ في الفتنة وكان مشهوراً ببغضه للدين وأهله.

فلما انتشر ذلك وشاع بين الناس أصاب الفزعُ كثيراً من أهل الضلال، فأرسلوا إلى سعود يطلبون الدخول في الإسلام والطاعة. فأقبل أهل «الحوطة»

وأهل «الحريق» وأهل «اليمامة» و«السلمية» وأهل «الخَرْج» كافةً ــ على سعود، فأحكموا له عهد الإسلام. فاشترط عليهم أنواعاً من الغرامة عقوبةً لهم، فأدَّوها نقداً.

ثم وفد أهل «الإفلاج» على الشيخ والأمير عبد العزيز فعاهدوا على الإسلام.

وفي سنة ١٢٠٠ دبَّت الفتن بين بني خالد في «الأحساء» واستحكمت في قلوبهم الشحناء، فأضاعوا صِلَة الأرحام، وسفك بعضهم دماء بعض. فجرت وقعة «جضعة»؛ وذلك أن المهاشير من بني خالد وآل صبيح اتفقوا مع عبد المحسن ابن سرداح وثويني بن عبدالله رئيس المنتفق على محاربة سعدون بن عريعر رئيس بني خالد: فثارت الحرب بينهم أياماً وقُتل منهم قتلى كثيرون، وانهزم سعدون ومن معهم. فترأس عبد المحسن بن سرداح ودويحس بن عريعر على بني خالد والأحساء.

فهرب سعدون وجماعته وأقبلوا على «الدرعية» وأرسلوا إلى عبد العزيز يطلبون منه الأمان. فنهاهم عبد العزيز عن دخول البلد حتى يقف من ثويني على حقيقة الأمر ــ وكانت بين المسلمين وثويني معاهدة ومصالحة.

ولكنَّ سعدون تعجَّل الأمر فدخل البلد، وكان عبد العزيز خارجاً من قصره لصلاة الجمعة، فتقابلا عند باب القصر. فرجع معه وأمر بإنزاله وإكرامه ثم رجع للصلاة، وقد امتلأ غمًّا وهمًّا لتعجُّل سعدون. فلما قضى صلاته ذهب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكاشفه بما في نفسه، فجلا عنه الإمام جميع الشُّبَه وتلا عليه قوله تعالى: ﴿عَسَى اللهُ أن يَجْعَل بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الذين عادَيْتُمْ منهم مودَّةً والله قديرٌ والله غفورٌ رحيم﴾. فاطمأنَّت نفس عبد العزيز وسري عنه ما كان يحسُّ به من الغَمّ.

فلما علم ثويني بذلك تعاظم وتجبَّر، فأرسل إليه عبد العزيز يلاطفه ويشرح له حقيقة ما جرى، ويبيِّن له أنه لم ينقض العهد، وأنه اضطر إلى قبول سعدون وجماعته. ولكن ذلك كله لم يُجْدِ شيئاً مع ثويني وزاد في تعاظمه، وجدَّ في الاستعداد للحرب[1].

وغزا سعود بالمسلمين ومعه بنو خالد وآل ظفير، وساروا جميعاً يريدون أرض الجنوب ومن بها من قحطان. فسبقهم إليهم النذير، فأخذ أولئك الأعراب يستعدُّون للقتال، وفرحوا لقدوم المسلمين وظنوا أنهم سينتقمون منهم ويأخذونهم غنيمة سهلة.

فلما التقى الفريقان أظهر أعراب الجنوب من البأس والشدة والشجاعة في القتال ما أذهل المسلمين، ولكنَّ الله أراد لدينه الخير، فكتب لأهل الحق النصر، وذلك حين شدَّ المسلمون على قحطان الغارة وحملوا عليهم حملة رجل واحد فهزموهم ومزَّقوهم كلَّ ممزَّق، وغنم المسلمون غنائم كثيرة واستولوا على جميع الأمتعة والسلاح والإبل والأغنام.

وغزا حجيلان بن حمد أمير «القصيم» بأهل بلده وانضمت إليه جماعة من عنزة، فذُكِر له أن ثَمَّةَ قافلة عظيمة خارجة من «البصرة» و«سوق الشيوخ»، فرصدهم في الطريق، إلى أن أقبلوا عليه بما معهم من الأموال والأحمال، فهجم عليهم، فتقاتلوا حيناً ثم انكشفت القافلة وانهزم رجالها. وغنم حجيلان وجماعته ما كان معها من الأموال، واستاقوا إبلها وأغنامها، وقتلوا عدداً من رجالها.

وفي سنة ١٢٠١ غزا سعود بالمسلمين، فنزل أرض «مَلْهَم»، وأقام فيها ينتظر توافد جموع المسلمين. فأتاه رؤساء الروسة من «اليمامة» وأخبروه أن آل بجادي يريدون الارتداد والفتك بأهل التوحيد. فأسرع إليهم لإنقاذ المسلمين، فوصلها

---

(١) انظر ما جرى بعد ذلك في الصفحة التالية.

ليلاً، فلما أصبحوا ورأوه أصابهم الفزع وعلموا أن لا منجى لهم منه، فرموا بأنفسهم جميعاً إليه، وقدّموا نساءهم يستشفعن لهم.

فألزمهم القدوم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز، وإجلاء أهل الفساد والضلال من بلادهم، ثم بعد ذلك يعودون إليها. فتظاهروا بالامتثال وبدأوا مسيرهم إلى «الدرعية»، فلما توسطوا الفلاة لَوَوْا أعناق جيادهم إلى «الأحساء»، وعزموا على هجر «اليمامة». فأمر عبد العزيز حينئذ بهدم محلتهم التي تسمى «البنة»، فهُدِمت.

وأمَّر سعود على البلاد عبدالله الرويس، وبنى فيها حصناً جعل فيه رجالاً وآلةً للحرب، وأمَّر على الحصن محمد بن غشيان.

وفي أول هذه السنة، في المحرم، سار ثويني بن عبدالله بجيوشه الكثيرة من «المنتفق» وأهل «المجرة» وجميع أهل «الزبير» وبوّادي شمر وأغلب طيِّىء وغيرهم ومعه من العدد والعدة ما يفوق الحصر، وتجهز بالمدافع والبنادق والقنابل التي تدكُّ الحصون والأسوار. واتجَّه إلى نجد يريد محاربة المسلمين، فوصل قرية «التنومة» ــ في ناحية «القصيم» ــ فأحاطت بها جموعه، وحاصرها أياماً، وضربها بالمدافع، وهم ثابتون صابرون يستعينون بالله عليه وعلى جموعه.

فلما أيس من استسلامهم له لجأ إلى الحيلة والمكر، فأرسل إليهم بالأمان، فصدَّقوه، وقبلوا. فاغتنم ثويني الفرصة، وأدخل جماعته قلعة البلد فقتلوا أغلب من وجدوه فيها من المسلمين، ولم ينجُ منهم إلا من استطاع أن يلوذ بالهرب: ثم نهب القرية.

واتجه منها إلى بلدة «بريدة»، وناوش أهلها الحرب، وهمَّ بأن يُنزِل بأهلها بطشه لولا ما أتاه من أن اضطراباً قد حدث في بلاده بعد خروجه منها، فاضطر إلى أن يرجع إليها ويفكَّ حصاره عن «بريدة».

فلما عزم على الرجوع خرج من أهل «بريدة» نحو سبعة رجال أرادوا أن ينتقموا من مؤخرة الجيش فيقتلوا من يستطيعون قتله، فانثنى عليهم بعض فرسان الجيش ولحقوهم قبل أن يدخلوا في أسوار البلدة وقتلوهم.

ثم اتجه ثويني إلى «البصرة»، فاستسلم له حاكمها من قِبَل الترك؛ فاستولى ثويني عليها ورُسِمت الخطب باسمه، وخرج على طاعة سليمان باشا حاكم بغداد. فساق إليه سليمان باشا جيشه، والتقى به وبأعرابه عند «سفوان» وهزمه شرَّ هزيمة وقتل كثرين من أتباعه[1].

فعمد ثويني إلى «الكويت» وأقام فيها ذليلاً، إلى أن وفد إلى «الدرعية» يريد الإسلام، فعاهد على الوفاء، ثم نكث وعده ونقض عهده.

وكان عبد العزيز—قبل هذا حين بلغه نبأ خروج ثويني من بلاده إلى نجد—قد جدَّ في التأهب والاستعداد. فدعا جيشاً من المسلمين ونصب عليهم سعوداً أميراً وسيَّره إلى بلاد نجد ليكون لأهلها ظهيراً.

فلما فكَّ ثويني حصاره عن «بريدة» وعاد إلى بلاده جدَّ سعود في أثره بالمسلمين. إلى أن صادف جماعة من «شمر» فشنَّ عليهم الغارة، فالتقى الفريقان واشتدَّ بينهم القتال، فهزمهم المسلمون، وقتلوا منهم رجالاً كثرين، واستولوا على جميع أموالهم من: أثاث وأمتعة وغنم وإبل وسلاح.

وكان عبد المحسن بن سرداح رئيس بني خالد ودويحس بن عريعر قد سارا ببني خالد من «الأحساء» إلى «نجد» ليلتحقوا بثويني وينضموا إليه، وقد ظنوا أنه في انتظارهم، وأنه قد أنزل ببلدان «نجد» الخراب.

فلم يَرُعْهم—بعد أن قطعوا «الدهناء»—إلا ما جاءتهم من أنباء أن ثويني قد عاد أدراجه وأن سعوداً والمسلمين قد جدُّوا في السير ليلحقوا به ويقاتلوه.

---

(١) في «عنوان المجد» ص: ٩٢ أن ذلك حدث سنة ١٢٠٢.

فاضطرب بنو خالد لذلك، وانقلبوا إلى بلادهم مذعورين لا يلوي منهم أحد على أحد من شدة خوفهم. فقطعوا «الدهناء» و «والصمان» في الصيف فمات كثير منهم عطشاً.

وفي هذه السنة غزا حجيلان بن حمد أمير ناحية «القصيم» بأمر عبد العزيز، فسار مع أهل «القصيم» ومن حوله من الأعراب، وقصد أهل الجبل ــ جبل شمر ــ فتوافدت عليه جموع الداخلين في الإسلام وعاهدوا على السمع والطاعة. وكان يحارب من يمتنع ويأخذ أموالهم، فلما ضيَّق عليهم اضطروا إلى الاستسلام، فلم يرحل عنهم حتى بايعوا على دين الله ورسوله.

وقدم هادي بن غانم، المعروف بأمه قرملة[1] ــ على عبد العزيز، وقد انشرح صدره للإسلام وتبيَّن طريق الإيمان، فأعطى العهد وحَسُن بلاؤه وجهاده لأهل الشرك، فترأس بذلك قبائل قحطان، ولم يكن قبل ذلك من كبارهم المعدودين ولا المشهورين، ولكنَّ صدقه وإخلاصه مكَّنا له ذلك.

وفي سنة ١٢٠٢ دخل كثير من أهل «الوادي» ــ وادي الدواسر ــ في الإسلام. وسبب ذلك قدومُ ربيع وأخيه بدن ابني زيد ــ رئيسَيْ المخاريم ــ مع قومهما على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز[2]، وإعطاؤهم العهد على الإسلام. فضاق بذلك صدر أهل الضلال، ومضوا في عنادهم يتمسكون بسُننهم الباطلة وطرائقهم الضالّة. فبنى حينئذ ربيع له ولأهل الدين قصراً، فلما تمَّ بناؤه جهر بالدعوة مُجِداً، وبادر إلى إزالة ما في تلك البلاد من أصنام وأوثان؛ فأشعل النار في شجرة كانت معبداً لأولئك الأشرار يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الضرر.

---

(١) أي المعروف باسم: هادي بن قرملة، باسم أمه (انظر عنوان المجد: ٩٩)

(٢) انظر ذلك في أخبار سنة ١١٩٩.

فتجمع حينئذ أهل الباطل ونهضوا على ربيع في قصره. فحصروه مع جماعته في القصر ثلاثة أيام، وقطعوا ماهم من نخل. فصبر المسلمون على ذلك وقتلوا من المعتدين رجلاً، وأكثروا فيهم الجراح.

فلما رأى أهل الضلال ثبات المسلمين وصبرهم، أيسوا منهم، فأخذوا حماراً مذبوحاً وطرحوه في ماء أهل القصر ـ وكان ماؤهم خارج قصرهم ـ فأنتن عليهم الماء، وقاسوا من شدة الظمأ مشقة وجهداً. ولكنهم بادروا إلى الحفر في داخل قصرهم فأظهر الله لهم الماء فشربوا منه وارتووا.

ثم دفعوا بالتي هي أحسن فأعطوا المعتدين فرساً فقبلوها منهم ورحلوا عنهم. فأرسل ربيع بن زيد ـ بعد رحيلهم ـ إلى عبد العزيز يخبره بما جرى، ولم يكن عبد العزيز قد علم به. فأمده بكثير من المال والزاد والسلاح. وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادي ليساعد ربيعاً وينصره، ففعل.

ثم حاولت جماعة الخطاطبة بناء قصر مشرف على قصر ربيع، فنهاهم ربيع عن ذلك فلم ينتهوا. فشرعوا في البناء فقتل المسلمون بنّاءهم.

فألّبوا عليه جميع أهل الوادي، وصنعوا لذلك الزحافات، وهي صناديق من خشب مطبقة لا يُصيب من فيها الرّمي، وفي كل صندوق ثلاثون رجلاً من ذوي البأس، وبأيديهم مفاتيح الصندوق. وهي تسير محمولة على دراريج يسمونها العَجَل. فساروا بها يريدون هدم السور. فلما اقتربوا منه وقفت الزحافتان دونه بعد أن كُسرت إحداهما وانكشفت الأخرى فتبيّن مَنْ فيها. فرماهم المسلمون فقتلوا منهم تسعة. فزحفت تلك الجموع وتداعت إلى هدم السور، ولكنّ المسلمين ردُّوهم على أعقابهم وأخذوا منهم سلاحاً ودروعاً.

ولكنْ بعد مضي زمن شاء الله أن ينقضّ أحد البروج، فبادر أهل الضلال إلى الهجوم على القصر فاستطاع المسلمون أن يردُّوهم أيضاً بعد أن قتلوا منهم ثلاثة.

ثم تجمع أهل الباطل بعد ذلك بأيام وازدحموا عند سور القصر، وجرى قتال شديد بعد أن انهدم جانب من السور. فقتل المسلمون أربعة منهم. ثم طلب المشركون من المسلمين النزول من القصر والخروج عن ذلك المكان وأعطوهم الأمان. فنزل المسلمون، وقصدوا مبارك بن عبد الهادي فأكرم وفادتهم.

ثم قدموا على عبد العزيز فتلقَّاهم أحسن لقاء، وأمدَّهم بالطعام. فرجعوا معزَّزين مكرَّمين، وواصلوا جهادهم في سبيل الدين، وبنوا لهم قصراً آخر مقابلاً لقرية «تمرة» أقاموا فيه أشهراً لا تنقطع غاراتهم على أهل الضلال في القرى والقصور المجاورة. فشاع ذكرهم بسبب ذلك في الوادي كله.

فأتاهم الحنابجة والعمور والولامين وعاهدوهم على الإسلام، وطلبوا من ربيع ابن زيد ومبارك بن عبد الهادي أن يخرجا معهم ليجاهدوا جميعاً أهل الباطل، فأجابوهم لذلك. ثم خرج ربيع وأقام عند الحنابجة فأعلن عندهم بدعوة التوحيد.

فاستاء لذلك أهل الضلال واجتمع رؤساؤهم وتدبَّروا الأمر، فعزموا على أن يمضي منهم: جماهر ـــ وهو كبير الرجبان، وحويل ـــ وهو كبير الوداعين ـــ إلى رئيس «نجران». فمضيا إليه، وشرحا له ما أصابهم من المسلمين، وخوَّفوه عاقبة تغلُّب أهل الدين، وأنهم إذا انتصروا فلن يستطيع أحد أن يردَّهم عن بلاد «نجران» فيسلبوه ملكه.

فلما سمع رئيس «نجران» ذلك جمع أتباعه ومضى يريد حرب المسلمين. ونزل على الرجبان والوداعين ففرحوا لقدومه، وتجمع عنده هناك خلق لا يُحصَوْن. فسار بهم جميعاً حتى نزل على الحنابجة، فتراموا من بعيد واقتتلوا قتالاً شديداً. وأقام على ذلك زمناً لا يستطيع أن ينال منهم شيئاً لأن الله ثبَّت أقدامهم. فارتحل عنهم مغموماً.

فلما علم أهل قرى الدواسر برجوع رئيس نجران إلى بلاده أصابهم الرعب من المسلمين؛ فبادر الرجبان والوداعون إلى ربيع بن زيد وطلبوا منه الدخول في الإسلام، وأعطوه العهد. فقبل ذلك منهم، ووفد مع جماعة منهم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير عبد العزيز وأخبروهما بما حدث. فحمد الشيخُ اللهَ تعالى، وأكرم وفادتهم، وأرسل معهم عبد الله بن فاضل ليعلمهم التوحيد والأحكام.

وبقوا على ذلك ستة أشهر، ثم ارتدُّوا عن الدين فلمّا علم بذلك عبد العزيز جهّز سليمان بن عفيصان مع جيش من المسلمين وأرسله لقتال الرجبان والوداعين المرتدّين. فقدم عليهم، وصبَّ عليهم العذاب، وأكثر فيهم القتل، حتى ذلُّوا وهانوا. فطلبوا الدخول في الإسلام، فقبل سليمان منهم ذلك واشترط عليهم القدوم على عبد العزيز. فقدموا عليه في الدرعية وعاهدوا عبد العزيز على الإسلام، واشترط عليهم أن يدفعوا ثلاثة آلاف ريال منها ألفٌ معجَّلة. فقبلوا ذلك ووفوا به[١].

وسار سعود بالمسلمين إلى «عنيزة» حين علم أن بعض أهلها كانت تحدثه شياطينه بالارتداد. فلما وصلها أقام فيها حيناً يتحقق الأمر ويبحثه لئلا يصيب قوماً بجهالة. فلما استبانت له جلية الأمر أجلى عن البلدة رؤساءها وهم آل رشيد وكل من تابعهم وشايعهم. ثم أمَّر عليها عليّ بن يحيى[٢].

وسار سعود بالمسلمين يريد غزو بني خالد، فأقام في «الدهناء» زمناً يتحسَّس الأخبار، ثم انصرف ولم ينازلهم.

ثم أمر عبدُ العزيز سليمانَ بن عفيصان أن يسير بجمع من المسلمين إلى «قطر». فدهمهم سليمان على حين غرَّة، ونازلهم، فهزمهم وقتل من آل أبي

---

(١) انظر ص: ١٧٣ مما يأتي.

(٢) في «عنوان المجد» ص: ٩٣ «عبدالله بن يحيى».

رميح من أهل قطر نحو خمسين رجلاً، وأخذ جميع ما عندهم من الغنم والسلاح والأمتعة والإبل.

ثم سار سليمان من غزوته تلك إلى «الأحساء»، وأغار على بلدة «الجشة». فلم يشعر به أهلُها إلا بعد أن استولى على سور القرية، فانتدبوا لقتاله، فنشبت الحرب بينهم طوال ذلك اليوم، وقتل منهم رجالاً.

وفي هذه السنة أمر الشيخُ العلاَّمةُ مُحْيِي السُّنَّة الإمام محمد بن عبد الوهاب ــ المسلمين أن يبايعوا سعوداً على الإمارة بعد أبيه، فنهض إليه الناسُ كافَّةً، وبايعه أهل التوحيد والإيمان جميعاً، وتعاقدوا على التزام الطاعة فوصل الله تعالى بذلك حبل المسلمين، وجمع على الاتفاق والمحبة شملهم، وأجارهم من الشقاق والاختلاف.

وسار سعود بالمسلمين فأغار على عنيزة وهم مجتمعون بأرض «قتى» ــ جبل في عالية نجد ــ فهزمهم، وقتل منهم عدة رجال، وغنم المسلمون غنائم كثيرة.

وسار سليمان بن عفيصان مع جمع من قومه من أهل «الخَرْج»، وقد أمره عبد العزيز أن يغزو «العقير» ــ في الأحساء ــ فلاقى في طريقه، عند ماء «حرض»، عويس[1] بن غفيان ــ العبد الفارس الشاعر المشهور ــ ومعه جيش لأهل اليمامة، وكانوا نحو الخمسين، خرجوا من الأحساء يريدون الهجوم على بلاد المسلمين. فنازلهم سليمان بن عفيصان، فقاتلوه قتالاً شديداً، ثم انتصر عليهم وقتلهم جميعاً، وأخذ ما معهم من إبل وسلاح.

وتابع سيره حتى وصل «العقير»، فأخذ ما فيه من الأموال، وأشعل في بيوته النيران.

---

(١) في «عنوان المجد» ص: ٩٣ «عيسى بن غفيان».

وفي سنة ١٢٠٣ سار سعود ومعه جموع كثيرة من المسلمين يريد غزو بني خالد. فالتقى بهم في أرضهم، وكانت جموعهم قليلة متفرقة. فلما رآه قوم دويحس وعبد المحسن أسرعوا إلى الفرار. ولكنهم مالبثوا أن جمعوا شملهم ونازلوا المسلمين. غير أن الحرب لم تطل بينهم إذ خشي سعودٌ الغدر والخيانة من بعض الأعراب الذين كانوا معه، فانصرف عنهم راجعاً.

فمرَّ في طريق عودته ببلدان أهل القرى فأخذ ما كان عندهم من الذخائر والزاد لبني خالد، وقتل عيوناً لعبد المحسن.

ثم سار سعود بالمسلمين يريد غزو ثويني، فلما وصل إلى «حمض» كان الأعداء كلهم مجتمعين فيها. فأقبلت فرسان المسلمين فنازلهم بنو المنتفق، فهزموا المسلمين.

فأمر سعود حينئذ أهلَ الدين أن ينيخوا، وأخبرهم أنه ليس لهم إلا الصبر على ما قدَّر الله، وحثَّهم على أن يوطِّنوا أنفسهم على القتال، وأن لهم إحدى الحُسْنَيَيْن: إما الغنيمة وإما دار السلام.

فاصطفت حينئذ جموع المسلمين، وصدقوا العزم، وهجموا على الأعداء فحملوهم على الفرار، وغنموا منهم مغانم كثيرة.

ثم ورد سعود بالمسلمين ماء «الوفرا»، فلما رحل منها صادف في طريقه ركباً من آل سحبان ــ من بني خالد ــ كبيرهم ابن مغجل، وكانوا نحو تسعين رجلاً، فقتلهم جميعاً.

وسار سعود بالمسلمين يريد «الأحساء»، فوصل «المبرز» فنازل أهلها وتراموا من بعيد.

ثم رأى أن يتركهم فانصرف عنهم وسار إلى «المفوف»، ولكنه لم يتوقف عندها، بل واصل سيره إلى قرية «الفضول» ـــ في شرقي الأحساء ـــ فشدَّ المسلمون على القرية، فانهزم أهلها ولم يستطيعوا الفرار لأن المسلمين ملكوا عليهم جميع الطرق. فالتجأوا إلى بيوتهم وتحصَّنوا فيها، فدخل المسلمون عليهم تلك البيوت وقتلوهم قتل النَّعَم، وكانوا ثلاثمائة رجل قتلوا جميعاً.

وأخذ المسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والطعام ـــ وكان شيئاً كثيراً.

وتوفي في هذه السنة الشيخ عيسى بن قاسم، وكان ممَّن جدَّ في نشر الدين وتعليم الناس التوحيد.

وفي سنة ١٢٠٤ حدثت وقعة «غريميل» ـــ وهو جبل صغير تحته ماء قرب الأحساء. وذلك أن سعوداً سار بجموع المسلمين ومعه بعض جلوية بني خالد مثل زيد بن عريعر، وقصد بني خالد لمحاربتهم. فسبقته إليهم الأخبار بذلك. فأرسل رئيسهم عبد المحسن بن سرداح أخاه ثواباً إلى أهل الأحساء يستنجد بهم ويستمدهم، فأبوا أن ينجدوه. فسارت بنو خالد حتى نزلت بأرض «غريميل» وكانوا أكثر من ألف.

فأقبل عليهم سعود بجموع المسلمين، فلما تقابل الفريقان اشتد بينهم القتال واتَّصل ثلاثة أيام، صبر في أولها بنو خالد، ولكنهم لم يلبثوا أن انهزموا، واستولى المسلمون على مواقعهم، ثم لحقوا بهم يقتلون ويغنمون.

فهرب بعض بني خالد إلى الأحساء، وهرب عبد المحسن بن سرداح وأبناء عريعر الذين معه وبعض جماعته إلى سِيف «قَطَر».

وقد طلب أكثر الأعراب الذين التجأوا إلى «الأحساء» الأمانَ من سعود والدخول في حوزة أهل الإيمان، فقبل ذلك منهم.

فلما انقضى أمر «غريميل» أراد سعود من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى «الأحساء» ليقيم فيها عَلَم التوحيد ويزيل ما فيها من البِدَع. ولكن زيداً أبى ذلك وتعلَّل بشتى المعاذير. فارتحل سعود يريد «الأحساء» لتحقيق ذلك، فلما كان في بعض الطريق، خطر له أمرٌ صرفه عن المُضِيّ فعاد[1].

وغزا ربيع ــ ويسمَّى قاعداً ــ بجماعة من المسلمين، يريد بعض الأعراب ممن صدَّ عن الحق. فلما أشرف على بني هاجر وكاد أن يغير عليهم، سوَّل الشيطان لأكثر من كان معه من الأعراب أن يرتدوا ويخذلوه، ولم يثبت معه سوى: ابن قرملة، وأحمد بن نجان. فتكاثر أعراب البادية على من بقي معه، فقتلوا من المسلمين نحو عشرين رجلاً، وأسروا منهم مثل هذا العدد.

وكانت تلك الوقعة تسمَّى الليلية.

فضعفت عند ذلك كثير من النفوس الشريرة، وارتد جاهر ــ رئيس الرجبان، وحويل ــ رئيس الوداعين،[2] ومن معهما من قومهما.

وفي هذه السنة (١٢٠٤) أرسل غالب شريف مكّة كتاباً إلى عبد العزيز، ذكر فيه أنه يريد رجلاً عارفاً من أهل الدين يعرِّفه حقيقة هذا الأمر، ليكون فيه على بصيرة. فأرسل إليه عبدَ العزيز الحصين، وكتب معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة للشريف غالب يبيِّن فيها دعوته.

وهذا نصُّها ــ بعد البسملة:

«من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام، نصر اللهُ بهم سيِّدَ الأنام عليه أفضلُ الصلاة والسلام، وتابعي الأئمة الأعلام:

---

(١) في «عنوان المجد» ص: ٩٥ أن سعوداً استعمل زيد بن عريعر ــ بعد وقعة غريميل ــ أميراً على بني خالد، فاجتمعوا عليه.

(٢) انظر ص: ١٦٨-١٦٩ من هذا الكتاب.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد جرى علينا من الفتنة مابلغكم وبلغ غيرَكم؛ وسببُه هدمُ بُنْيانٍ في أرضنا على قبور الصالحين، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله. فلما أظهرنا هذه المسألة، مع ماذكرنا من هدم البناء الذي على القبور، كَبُر على العامَّة، وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب ماتخفى على مثلكم، أعظمها: اتّباع الهوى، مع أسبابٍ أُخَر.

فأشاعوا عنا أنَّا نسبُّ الصالحين، وأنَّا على غير جادَّة العلماء. ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب. وذكروا عنا أشياء يستحيي العاقل من ذكرها.

وأنا أخبركم بما نحن عليه، بسبب أنَّ مثلكم مايروج عليه الكذبُ على أناسٍ متظاهرين بمذهبهم عند الخاصّ والعامّ. فنحن ولله الحمد متَّبِعون لا مبتدعون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

وتعلمون ــ أعزَّكم الله ــ أنَّ المطاع في كثير من البلدان لو يتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك.

وأنتم تعلمون ــ رحمكم الله ــ أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبدالله، وأشرفتم على ماعندنا بعدما أحضروا كتب الحنابلة التي عندنا عُمْدة ــ كالتحفة والنهاية عند الشافعية.

فلما طلب منا الشريف غالب ــ أعزَّه الله ونصره ــ امتثلنا، وهو إليكم واصل. فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد. فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه.

وأنا أشْهِد الله وملائكته وأشْهِدكم أني على دين الله ورسوله، وأني مُتَّبع لأهل العلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة، فأكرمه غالب، واجتمع معه مرّات، وعرض عليه رسالة الشيخ، فعرف ما بها من الحق والهدى، فأذعن لذلك وأقرّ به. ولكنه ــ بعد زمن ــ أبى وكفر، وتمسّك بقديم سُنَّته. فطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء ليقف على كلامهم ويناظرهم في أصول التوحيد. فأبَوْا الحضور، وقالوا للشريف غالب: هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك، ورفع يدك عما يصل إليك من خير بلادك.

فطار لبُّه حين سمع هذا الكلام، وأصرّ على ما كان عليه.

وفي سنة ١٢٠٥ سار سعود بالمسلمين يريد غزو أعراب مطير، وكبيرهم: الحمداني. فسبقه إليهم النذير، فرحلوا عن مواقعهم وجدُّوا السير حتى نزلوا أرض «الجريسية». فأسرع إليهم المسلمون ولاقَوْهم هناك، فحاول أولئك الأعراب أن يردُّوا الفرسان المغيرين فتصدّوا لقتالهم. فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم أكثر من خمسين رجلاً، وغنموا ما كان معهم من الأموال: من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والإبل.

وفي هذه السنة مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله.

وأظهر الشريف غالب بن مساعد ــ شريف مكّة ــ كيده. فأرسل رُسُلَه إلى جميع البلاد يطلب من أهلها النصرة ــ فلم يترك قرية ولا بلدة تابعةً له أو قريبةً منه إلا أرسل إليها. فتداعت الجموع إليه تستجيب له وتسانده. فاجتمع بين يديه من حشود الحضر والبدو ما لا يكاد يحصر[1].

فلما رأى هذه الجيوش مجتمعة شمخ بأنفه، وركبه الكِبْر والغرور، وسوّلت له

---

(١) في «عنوان المجد» ص: ٩٦ أنهم بلغوا (عشرة آلاف أو يزيدون).

نفسه أنه يستطيع أن يفتح نجداً و يهزم المسلمين. فجهَّز أخاه الشريف عبد العزيز بن مساعد وأرسل معه كثيراً من تلك الأجناد، وأمره بالسير إلى نجد. فلما سار الشريف عبد العزيز بجموعه انضمَّت إليه قبائل كثيرة من الأعراب، والتحق به كثيرون ارتدُّوا بعد إسلام، منهم: حسين الدو يش وأعرابٌ من مطير. فمضى بهم جميعاً ومعهم جماعة من قحطان حتى نزلوا قصر «بسام» في «السر»، ولم يكن فيه إلا نحو عشرين من المسلمين.

فأناخ حول القصر، وحملوا عليه حملات عظيمة، واستخدموا السلالم لتسوّره، وضربوه بالمدافع ضرباً هائلاً. واستمرَّ على ذلك عشرة أيام، فثبَّت الله من كان في القصر من المسلمين حتى اضطر أن يرجع عنه الشريف عبد العزيز وجموعه خائبين.

وأقام في أرض «السر» نحو أربعة أشهر ينتظر من أخيه الشريف غالب أن يسير إليه أو أن يُمدَّه. وفي أثناء هذه الأشهر رجع إلى القصر مرَّة ثانية، وعزم ألا يبرح حتى يقتل أهله. فدهموا سور القصر بالسلالم، ولبسوا الدروع يتحصنون بها من رصاص المسلمين. وضيّقوا على من فيه، ولكنَّ الله أراد لهم النصر وإعلاء كلمة الإسلام. فلم يستطع الشريف عبد العزيز أن ينال منه شيئاً. وقتل من جماعته في الهجومين رجال كثيرون.

وفي أثناء ذلك أرسل الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى المسلمين في جميع الديار يُهيب بهم أن يصدقوا النية في الجهاد، ويحثهم على التجهز إليه واللحاق بجيش المسلمين، ثم أمر سعوداً بالخروج بمن معه فسار حتى نزل بأرض «رمحين» فأقام فيها حتى توافدت عليه هناك جموع المسلمين وأمداد أهل الإيمان.

ثم أمر حسن بن مشاري مع بعض أهل البادية أن يسير فيغير على بعض الأعراب الذين كانوا مع الشريف، ففاجأهم حسن بن مشاري وأخذ بعض إبلهم وعاد.

وأرسل سعودٌ نغيمشاً مع جمع من المسلمين إلى أهل الوادي ــ وادي الدواسر ــ وهم قوم جماهر وحويل[1]، وكانوا قد ارتدوا وأرسل إليهم الشريف غالب بعض الجنود وأمَّر فيهم شريفاً يسمَّى شاكراً. وكان أكبر تلك الأقوام بني هاجر. فسار نغيمش حتى لحق بربيع بن زيد ومبارك بن عبد الهادي[2] فشمَّرا معه للجهاد، وساروا جميعاً حتى التقوا بأهل الردَّة وبجنود الشريف في مكان يسمى «اللدام». فنشب بينهم القتال، وثبَّت الله المسلمين، فهزموا أعداءهم وقتلوا منهم عشرين رجلاً، منهم من آل شري أربعة رجال. وقتل من المسلمين ثلاثة.

ثم سار سعود بمن كان معه من المسلمين من «رمحين» وقصد أعراب مطير أتباع حسين الدويش، فصبَّحوهم بالحرب وهزموهم، وقتلوا منهم أكثر من عشرين رجلاً، وأخذوا بعض إبلهم.

ولما رأى الشريف عبد العزيز بن مساعد ما أصابه من الخيبة والذل، لم يجد وسيلة إلا أن يكذب على أخيه الشريف غالب حتى يخرج إليه من مكة. فأرسل إليه أنه قد أدرك أمله واستولى على بعض البلدان، ثم سأله أن يسرع إليه بالأمداد.

فلما وصلت الرسل إلى الشريف غالب بتلك الأنباء سار في شهر رمضان بجيوشه ومدافعه، ومعه من الأسباب والآلات ما لم يخطر على بال أحد آنذاك. وارتحل الشريف عبد العزيز من أرض «السر» حتى وافى أخاه غالباً على قرية «الشعرى». فأقاما حولها بجيوشهما أياماً في كل يوم يهجمان عليها ويصبَّان عليها أنواع العذاب، وقد عزم غالب على ألا يفارق نجداً حتى يدمرها.

---

(١) انظر ص: ١٦٨-١٦٩ و١٧٣.

(٢) انظر للتعريف بهما ص: ١٦٦.

ولكن الله ثبّت أهل تلك القرية، فقتلوا من جنود غالب رجالاً كثيرين، فلم يجد غالب وجيوشه إلا أن يرحلوا و يعودوا من حيث جاءوا.

فلما علم سعود برحيله أمر محمد بن معيقل مع بعض المسلمين أن يتبع أثره و يغير عليه من خلفه. فبادر محمد بن معيقل إلى ذلك، فأغار على فريق من قحطان، فأخذ إبلاً كثيرة منهم، فلحق به منهم بعض الفرسان فقاتلهم وهزمهم وأخذ منهم خمس عشرة فرساً.

ثم سار سعود بالمسلمين يريد غزو قبائل مطير وقبائل شمر ــ وقد انفردوا عن الشريف غالب بعد رجوعه إلى مكة ــ فأدركهم سعود عند جبل «سلمى» عند ماء «العدوة» ــ وهو مزرع لشمر قرب بلد حايل ــ وكان أعراب يدعون البراعصة والعبيات قد نزلوا عند ذلك الماء.

فشنّ المسلمون عليهم الغارة، فنهض أولئك المرَدَة العُتاة من الأعراب ــ ورئيسهم مسعود الملقب حصان إبليس ــ فبذلوا في الطعن والقتال ما لا يبذله غير قليل من الناس. ولكنهم لم يلبثوا أن انهزموا أمام هجمات المسلمين، وقُتل منهم: حصان إبليس، وولده، وأبو هليبة. وغنم المسلمون أموالهم.

فلما انهزموا تفرقوا في البوادي يخبرون مَنْ حولهم من الأعراب بما حلّ بهم، و يستنجدون بهم و يندبُونهم للقتال. فتداعوا جميعاً إلى النصرة أفواجاً، واجتمعوا على الباطل، وجاءوا معهم بنسائهم وأطفالهم وإبلهم وغنمهم وجميع أموالهم، وذلك حتى يكون في وجودها معهم ما يحمّسهم ويحرّضهم على القتال.

وأقبلوا على المسلمين قُبيل المغرب، وعزموا على أن يدهموهم ليلاً، فإذا هَزَموا المسلمين فقد شفوا أنفسهم، وإذا هُزموا وهربوا كان لهم في الليل منجاة فيعمّي آثارهم ولا يستطيع المسلمون أن يلحقوهم.

ثم ساقوا إبلهم أمامهم لتقيهم الرصاص، فانتظرهم المسلمون حتى اقتربوا من خيامهم، فحملوا عليهم، فأبدى أولئك الأعراب من التهوُّر في الشجاعة ما لم يُسْمَع به، ولكن شجاعة المسلمين فاقت شجاعتهم فهزموهم واستاقوا إبلهم، ثم اتبعوهم واقتفوا آثارهم أياماً وليالِيَ، حتى اضطروهم إلى أن يتركوا أغلب أموالهم وينجوا بأنفسهم.

وقتل المسلمون منهم عدة رجال، منهم: مصلط بن مطلق الجربا. وغنموا من الإبل والخيل والغنم والأمتعة ما لا يكاد يحصل مثله. فزاد ما غنموه من الإبل على ستة آلاف، وزاد ما غنموه من الغنم على مائة ألف.

وفي سنة ١٢٠٦ سار سعود بالمسلمين إلى «القطيف» يريد أن يطهِّر بلدانها من الأصنام والأوثان. فأحاط المسلمون ببلدة «سبهات» وحاصروها، ثم تسوَّروها، وقتلوا من وجدوا فيها ــ وكانوا نحو ألف وخمسمائة قتيل[1] ــ واستولوا على جميع ما فيها من الأموال التي لا تُعدّ ولا توصف.

ثم قصد المسلمون «القديح»، فدهموا أهلها، واستولوا كذلك على ما فيها من الأموال.

فأصاب حينئذ الذعر بلدان القطيف، فتهاوت أمام المسلمين، فاستولوا على «العوامية» و«عنك» وغيرهما.

ثم عمدوا إلى «الفُرْضة» وحاصروها، ودعوا أهلها إلى الإسلام، فأبوا إلا كفوراً، وأقاموا أياماً يقاسون الذل والجهد والحصار، حتى صالحهم المسلمون على ثلاثة آلاف زر[2]، وأزالوا ما فيها من الأوثان.

---

(١) في «عنوان المجد» ص: ٩٨ أن سعوداً «قتل منهم عدداً كثيراً من الرجال أكثر من أربعمائة».

(٢) في «عنوان المجد» ص: ٩٨ أنهم صالحوهم على خمسمائة أحمر.

وفي يوم الاثنين من آخر ذى القعدة[1] توفي شيخ الإسلام، محيي معالم الدين، ومُظهر آيات التوحيد، ومجدّد سنة الرسول، الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه.

وسار سعود بالمسلمين يطوي المهامه و يتحمّل المشاقّ حتى وطىء «اليمن» أرض الحروب، فشرب هو وجنوده من «الحناكية». ثم عزم على غزو قبائل مطير وحرب، فجدّ في السير حتى وافاهم على ماء «الشقرة» ــ قرب جبل شمر. فهزمهم شرّ هزيمة، وشدّ في أثرهم بعد أن فرّوا من أمامه، وقتل منهم عدة رجال. وغنم المسلمون غنائم كثيرة: أخذوا ثلاثين من الخيل، وثلاثة آلاف من الإبل[2]؛ فقُسمت بين المسلمين بما يقتضيه الشرع.

ثم غزا هادي بن قرملة[3] مع جمع كثير من الأعراب المسلمين، وسار حتى وافى قبائل مطير وهم على ماء «الحنابج» ــ بعالية نجد ــ فنازلهم فبذلوا جهدهم في قتاله حتى منّ الله عليه بالنصر، وغنم المسلمون ثلاثة آلاف بعير.

وفي سنة ١٢٠٧ سار إبراهيم بن عفيصان بأهل «الخرج» و«الفرع» وأناس من الأعراب ــ إلى «قَطَر» ، فأغار عليهم وقاتلهم وأخذ بعض أغنامهم وإبلهم.

وسار سعود بالمسلمين يريد بني خالد، فلما اقترب منهم وجد آثار الجيوش والخيل غازية، ولم يكن يعلم بما أحدثه براك وجماعته. وذلك أن براك بن عبد المحسن تولى رئاسة بني خالد والأحساء بعد مقتل أبيه عبد المحسن بن سرداح

---

(١) نص ابن غنام ص: ١٥٤ «وكان ابتداء المرض به -رحمه الله تعالى- في شوال، ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته». وفي «عنوان المجد» ص: ١٠٥ «وكانت وفاته آخر ذي القعدة».

(٢) في «عنوان المجد»: ٩٩ «أكثر من ثمانية آلاف بعير».

(٣) انظر ص: ١٦٨.

رئيس بني خالد[1]، فنهض بهم غازياً وورد على ماء «اللصافة» وأغار على سبيع وأخذ منهم إبلاً كثيرة.

فلما علم بذلك سعود استشار مَنْ معه: هل يقتفي آثار براك وبني خالد، أو يقصد أهلهم ومحالّهم وليس عندهم من يحول دونهم ويدافع عنهم؟

فأشاروا عليه بأن يعمد إلى أهلهم فيصبِّحهم ويعود منتصراً غانماً. فأبى سعود عليهم ذلك، ورأى أنَّ الأوْلى ملاقاة هؤلاء الأشرار ومقاتلتهم.

فسار حتى وصل ماء «اللصافة» وأقام يترصد بني خالد وينتظر عودتهم، فلما بدت طلائعهم أسرعت إليهم بعض فرسان المسلمين يناوشونهم القتال، فظنهم بنو خالد بعضَ الأعراب الغازين، فطمعوا فيهم ووثقوا من النصر، فلما تلاحم الفريقان، هجم عليهم جيش المسلمين، فلم يلبث أهل الضلال أن انهزموا وجدّ كل منهم يطلب النجاة لنفسه.

فتبعهم المسلمون وأخذوا يقتلون فيهم قتلاً ذريعاً، حتى قتلوا منهم ستمائة في يوم واحد غير من قتلوه وهم يقتفون أثرهم[2]، وأخذوا ما معهم من الخيل والإبل: وكانت الخيل مائتين مختلفة النوع واللون.

وفي تلك الأثناء أغار قوم من آل ظفير ومعهم أناس من الحجاز ــ ولم يدركوا سعوداً ــ فانتهزوا الفرصة وصبَّحوا أهل بني خالد ومحالّهم وجرى بينهم قتال، فنهبوا المحال وأخذوا كثيراً من الإبل.

وتسمَّى الوقعة التي جرت بين سعود وبني خالد وقعة «الشيط» وهو موضع شرقي ماء «اللصافة».

---

(١) في «عنوان المجد»: ٩٨؛ أن عبد المحسن قتل سنة ١٢٠٦، قتله زيد بن عريعر وإخوته.

(٢) في «عنوان المجد»: ١٠٧؛ أن القتلى من بني خالد «أكثر من ألف رجل، وقيل إن الذي هلك قريب ألفي رجل».

ثم ثار سعود بالمسلمين يريد «الأحساء»، وأرسل مع غنيم أبي العلا ومهوس بن شقير كتباً إلى أهل «الأحساء» يدعوهم فيها إلى الطاعة والانقياد والدخول في الإسلام، ويحذرهم الصد والإعراض.

فبادروا إلى الطاعة ولم يترددوا، وأرسلوا إلى سعود يدعونه إلى القدوم إليهم ليبايعوه.

وبعد أن أرسل سعود هذين الرسولين أرسل كذلك سعود بن غيث مع ركب من المسلمين ليكمنوا في طريق «الأحساء» فيدركوا من يريد الهروب من أهلها. فلما وصلوا ذلك المكان صادفوا جماعة من أهل «عمان» كانوا غازين ثم هربوا، فادركوهم وقتلوهم، وكانوا يزيدون على مائة رجل، وأخذوا ما معهم من الخيل والإبل.

فلما قدمت رسل أهل «الأحساء» على سعود في منتصف شعبان ومعهم كتابهم يدعونه فيه، قدم عليهم سعود في أول رمضان، فنزل قرب عين «نجم» فخرج إليه أهل «الأحساء» وعاهدوه على الإسلام والطاعة. فأقالهم من الجهاد أعواماً ترغيباً لهم في البقاء على الإسلام وتألفاً لقلوبهم.

ثم أمر بهدم جميع ما في البلاد من أماكن الرفض والبدع والزيغ والأهواء والضلال، وإزالة القباب التي على القبور، وتسويتها على النهج المشروع. وأمر كذلك بإقامة شعائر التوحيد وإبطال ما خالف الشرع من الأحكام، والمواظبة على إظهار الصلوات في المساجد ومعاقبة كل متخلف عنها. وأبطل جميع أنواع الربا، والعقود الفاسدة والمظالم والعشور والأمكاس. وأمر كذلك بنشر العلم وإحيائه بالمذاكرة، والتدريس على جميع المذاهب الأربعة، والتجرد في تفهم التوحيد. وأقام الأئمة في المساجد، والعلماء في المدارس، وأقر الأحباس والسبل. فاستقامت بذلك الحنيفية السمحاء على النهج، وزال ما كان خالطها من البدع والضلال.

ثم أشار على سعود كثير من أهل البلاد بأن يبني له حصناً، واستعانوا على إقناعه بجماعة من قومه، فلم يمل إلى رأيهم في بادىء الأمر، ثم وافق بعد تردد. واجتمع رأي أهل المشورة أن يكون موقع الحصن مكان بيوت آل حميد وما حولها. فهدمت تلك البيوت، وأمر بأن تدفع قيمة كل بيت احتيج إليه وليس ببيت مال إلى صاحب ذلك البيت حتى لا يضيع عليه ملكه. وشرعوا في إحكام ذلك البناء ولكن الله لم يُرِدْ إتمامه.

ثم ارتحل سعود بالمسلمين من «الأحساء» وقصد قرية «نطاع» ماء في «الطف» ـ وأقام فيها نحو شهر. فأتته الأخبار أن أهل «الأحساء» نقضوا العهد، وارتدوا عن الدين، وقتلوا المسلمين الذين أقامهم سعود عندهم دعاة وهداة ومعلمين.

وذلك أن جماعة من فُسَّاقهم، منهم: محمد بن سعدون، ومحمد بن عبد العزيز؛ ومن العتبان: مهيني بن عمران؛ ومن أهل الهفوف: سعد آل ملحم، وابن عفاف، والحبابي، وعلي بن حمد، وابن حبيل، وصويلح النجار ـ اجتمعوا في بعض الليالي خارج البلد، وأحكموا أمرهم بينهم، وأجمعوا على نقض العهود. فارتدُّوا في يوم الجمعة العاشر من شوال وانضم إليهم أهل الشر والفساد، وأشعلوا نار الفتنة، فقُتِل في ذلك: عبد الله بن فاضل، وحمد بن حسين، وإبراهيم بن حسن بن عيدان ـ وكان سعود قد أقامهم في «الأحساء»، ليعلموا أهلها التوحيد. وقتل كذلك: محمد بن سليمان أمير المرابطين، ومحمد الحملي ـ الذي نصبه سعود أميراً على «الأحساء»، وحسين أبو سبيت ـ الذي نصبه صاحبَ بيت المال، وسطافي ابن عياش، ومبارك وأخوه شهيل وناجم. ونهبوا بيت أبي سبيت والحملي، وأخذوا ما وجدوا من الأموال. وحبسوا مبارك بن خليفة وأخاه، وصالح بن عياش وأخاه، وأحمد بن هديب. وقتل في «الهفوف» عبد العزيز اليمني. وكان جملة من قتل نحو ثلاثين رجلاً.

فلما سمع محمد بن غشيان ــ وكان سعود قد أقامه أميراً على المرابطين في «كويت الحصار» ــ أصوات الناس وضجتهم، ركب خيلاً مع قومه واتجه إلى مصدر الصوت. فلما علم بحقيقة الحال، وأدرك أن الأمر فوق طاقته، عاد مع قومه إلى «كويت الحصار» ــ ولم تكن أسوراه قد اكتمل بناؤها ــ فتحصن فيه. فأطبقت عليه تلك الجموع وحاصروه. فثبَّت الله محمد بن غشيان وجماعته، وقتلوا من المعتدين جماعة. فلما طال الحصار وقل الزاد، خرج ليلاً مع جماعته فاراً وأفلت من الحصار. فلاقى في طريقه جماعة من المسلمين ــ من العتبان ــ فرجع وجماعته معهم وصبحوا قرية «الشعبة» وهجموا على أهلها في منازلهم فقتلوا منهم رجالاً، وأخذوا بعض حيواناتهم وأموالهم، ورجعوا سالمين.

فلما جاء الخبر إلى سعود بارتداد أهل «الأحساء» وفتنتهم، وقتلهم للمسلمين ــ وهو إذ ذاك مقيم على ماء «نطاع» ــ استشار أهل الدين: أيعودون إلى «نجد»، أم يرجعون إلى أهل «الأحساء»، فاختلف الرأي حيناً، ثم استقر على أن يعودوا إلى نجد، ويؤجلوا محاربة أهل «الأحساء» إلى أن يأذن الله تعالى.

وسار حجيلان أمير ناحية «القصيم» بجيش من أهل القصيم وبعض أهل البادية، يريد بني عمرو ــ وهم من قبائل حرب وكانوا معادين للمسلمين ــ فقتلوا منهم عدة رجال، وأخذوا بعض إبلهم.

وفي سنة ١٢٠٨ سار سعود بالمسلمين يريد حصار «الأحساء» وتدميرها، وعقاب من فيها من الفُجّار والمرتدّين الذين قتلوا دعاة المسلمين ومعلمي التوحيد فيها. وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته نازلين في «الكويت» حين ثار أهل «الأحساء» على المسلمين وارتدُّوا، فسار بجماعته إلى «الأحساء» وبقي فيها يستعد مع أهلها لقتال أهل الإسلام.

فلما كان آخر المحرَّم نزل سعود على قرية « الشقيق » من قرى الشمال في «الأحساء »، وكان فيها ستمائة رجل. فأحدق بها المسلمون، واحتدم القتال بين الفريقين يومين، وقُتِل من أهل البلدة عدة رجال، وشرع المسلمون في قطع النخل. وفي الليلة الثالثة هرب أهل « الشقيق » إلى قرى « القُرَين » و« المطيرفي » و« المبرز ». فأرسل سعود جماعة من المسلمين ليحفظوا القرية فألفوها خالية، فأخذوا ما وجدوه فيها من الأموال.

ثم اجتمع أهل تلك القرى ــ قرى شمال الأحساء ــ في « القُرَين » فحاصرهم المسلمون، وحاصروا أهل « المطيرفي »، فلما طال عليهم ذلك طلب أهل قرى الشمال جميعاً: القرين والمطيرفي، وغيرهما ــ من سعود المصالحة فصالحهم على نصف أموالهم. ثم أمر أهل « القرين » بالجلاء، فارتحلوا عنها.

فلما تم للمسلمين النصر على أهل قرى الشمال، سار بعض جيش المسلمين إلى « المبرز »، فخرج أهلها إلى لقائهم ومعهم زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته. فاقتتلوا ذلك اليوم وقُتِل من أهل الضلال: غدير بن عمر، وحمود بن غرمول.

وبعد أيام أعاد المسلمون الكَرَّة، ولكن لم يُقْتَل أحد. فلما عرف المسلمون حال أهل « المبرز »، عمدوا إلى استدراجهم بالحيلة، وذلك بأن يتراجع المسلمون ويتبعهم أهل البلدة ومن انضمَّ إليهم، فيكشفهم المسلمون ويكرُّون عليهم. وقد كان ذلك، فاجتمع على المسلمين من أهل « الأحساء » عدد كبير كادت أن تنخلع قلوب المسلمين لمرآه، لولا أن ثبَّتهم الله، فصدقوا الحملة وهزموهم بعد أن قاتلوهم أياماً وقتلوا منهم نحو مائة وعشرين رجلاً. وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان الشرق.

وبعد أيام سار المسلمون إلى بلاد ابن بطال، فقاتلوا أهلها وقتلوا منهم عدة رجال وغنموا ما فيها من الأمتعة والحيوان والطعام.

ثم سارت جموع المسلمين إلى الشرق، وقاتلوا أهل «الجبيل» وقتلوا منهم رجالاً.

وكان الأعراب وأهل البوادي ممن كان مع سعود في تلك الأثناء يدمِّرون في «الأحساء»، و يقطعون النخيل، حتى اشتد الضيق على أهل «الأحساء». فأتى براك بن عبد المحسن إلى سعود، وأنبأه أن أهل «الأحساء» يريدون الدخول في الدين، و يلتزمون بجميع الأحكام. فطلب منه سعود أن يخرجوا إليه، و يعطوه العهد و يبايعوه. فذكر له براك أنهم لا يقدرون على مواجهته خوفاً منه. فلم يقبل سعود إلا أن يخرجوا إليه بأنفسهم.

فاستعان براك بكبار أهل التوحيد، فقاموا معه وأعانوه، واستقرَّ الرأي بين براك وكبار أهل «الأحساء» على أن يذهب إليهم براك ــ بعد ارتحال سعود إلى نجد ــ و يبايعوه على الإسلام ويخرجوا زيد بن عريعر وإخوته و ينفوهم. فارتحل سعود حين ألحَّ عليه إخوانه وقالوا له: عسى أن يكون هذا سبباً لهم في الإيمان.

فلما ارتحل سعود وزال عن أهل «الأحساء» الحصار والرعب، نكثوا بوعدهم لبراك حين عاد إليهم يطلب منهم الوفاء بما عاهدوا عليه. وثار بينهم الخلاف والشقاق. فانصرف عنهم براك وخرج إلى البادية، ثم كرَّ عليهم بخيله ــ في شهر رمضان ــ وانضمَّ إليه جماعة من أهل الدين من السياسب وكبيرهم سيف بن سعدون، واجتمعوا في قرية «الجشة». واجتمع أولاد عريعر وأعوانه، وأهل المبرز، وأهل الهفوف ــ في بلدة «الجفر» ــ وكانوا من الكثرة بحيث لا يضبطهم الحصر. فاحتدم بينهم القتال، وقتل منهم عدة رجال. حتى استطاع براك أن يستولي على «الهفوف»، فهرب دويحس ومحمد وماجد أولاد عريعر، ودخل براك «المبرز» في اليوم التالي. وعاهده أهل «الهفوف» و«المبرز» على الإسلام، فأقام شرائع الدين في «الأحساء».

وكتب براك إلى عبد العزيز يعلمه بما تمَّ، فكتب إليه عبد العزيز أن يبذل

في الدين جهده، وأمره بأن يُجْلِي: ابن فيروز، وأحمد بن حبيل، ومحمد بن سعدون؛ فأخرجهم براك.

وسار محمد بن معيقل ـــ أمير «الوشم» ـــ بمن معه من المسلمين من أهل «الوشم» و«القصيم» و«الجبل» حتى أناخ «بدومة الجندل» فحاصر قرى تلك الناحية، وكان يفاجئهم كل يوم بالقتال، حتى دانوا جميعاً بالإسلام، وبايعوا على دين الله ورسوله، إلا قرية «بني سراح» فقد امتنع أهلها. وغنم المسلمون كثيراً من الأموال، فأعطى محمد بن معيقل بعضها إلى آل درع، وكانوا مقاومين لبني سراح؛ وقد تمسكوا بدينهم رغم ما كانوا يعانون من الحصار.

وسار إبراهيم بن عفيصان بأهل «الخرج» والعارض» و«سدير» حتى وصل إلى «الكويت» ليلاً، فرتَّب جيشه، وأعدَّ الكمين، ثم أغار على أهلها صباحاً، فخرجوا إليه واشتدَّ بينهم القتال حتى دهمهم كمين المسلمين. فانهزموا وقُتِل منهم نحو ثلاثين رجلاً، وغنم المسلمون أسلحة ثمينة وأغناماً كثيرة.

وغزا هادي بن قرملة ـــ رئيس قحطان ـــ ومعه محمد بن معيقل وأهل «الوشم» ومطير وأعراب كثيرون. فأغاروا على قبائل البقوم وبني هاجر. واشتد بين الفريقين القتال، ثم انتصر المسلمون، وقتلوا ناصر بن شري ـــ رئيس بني هاجر ـــ وعدة رجال آخرين، وغنموا منهم غنائم كثيرة منها ثلاثة آلاف من الإبل.

وفي سنة ١٢٠٩ سار سعود بالمسلمين يريد غزو أعراب الشمال. فأغار على القواسم ـــ وهم عرب من آل ظفير، وكبيرهم ابن عفيصان ـــ وكانوا مجتمعين في أرض «الحجرة». فلما باغتهم لم يستطيعوا الثبات إلا قليلاً ثم ولوا منهزمين. وأخذ المسلمون أغنامهم ومحلتهم وأثاثهم وإبلهم نحو ألف وخمسمائة بعير.

وكان سعد بن قطنان قد أسلم منذ حين وأعطى العهد، فبنى قصراً محكماً ومضى ينشر الدين ويجاهد في سبيله ويقاتل من لم يكن مسلماً من قومه.

فقاوموه وائتمروا به، فندبوا منهم اثني عشر رجلاً لقتل ابن قطنان ووعدوهم بأموالٍ طائلة. فلجأوا إلى الحيلة والغدر، ودخلوا قصر ابن قطنان متظاهرين بالدخول في الدين، وكانوا قد واعدوا جماعةً من قومهم أن يأتوهم في يوم معلوم. فلما جاءوهم، اغتنموا فرصة شروع المسلمين من أهل القصر في الصلاة، فرموا لجماعتهم في خارج السور حبالاً فصعدوا جميعهم السور ونزلوا في القصر، وأخذ هؤلاء القوم أولاد ابن قطنان وأرسلوا كبيرهم إلى الشريف فحبسه، وذهب بقية أولاده إلى عبد العزيز فأكرمهم وأعطاهم أموالاً وإبلاً كثيرة.

وسار سعود بالمسلمين يريد غزو أعراب «الحجاز»، فنزل على قرى بلدة «ترَبة» فناوش بعض الأعراب هناك القتال وهزمهم. ثم حاصر البلاد، وكان في كل يوم يجري بين الفريقين قتال حتى قتل من كل فريق نحو عشرة رجال. وممن استشهد من المسلمين: محمد بن غشيان وكان يُعَدُّ من الشجعان الأبطال.

ثم شرع المسلمون في قطع ما لأولئك الأعراب من نخيل، فاشتد الضيق بهم، ولم يستطيعوا أن يجدوا لأنفسهم نجاة ولا مخرجاً، فصالح أهل قريتين من تلك القرى سعوداً على نخلهم، وقطع نخل قريتين أُخْرَيَيْن لسو فعل أهلهما.

وغزا إبراهيم بن عفيصان بجماعة من أهل «الخرج» و«الفرع» وأعراب المسلمين، فقصد ناحية «قطر» وأغار على أهلها، وغنم منهم أموالاً وإبلاً.

وفي سنة ١٢١٠ جمع الشريف غالب بن مساعد جموعاً كثيرة، وجعل رئيسها فهيداً الشريف، فانضمت إليه أعراب الحجاز وبواديه، وساروا يريدون هادي ابن قرملة وجماعته من أعراب قحطان ـــ وكانوا على ماء «ماسل» في عالية نجد.

فأقبلت على ابن قرملة تلك الجموع بعد أن قتلت عيونه على غرّة، ودهموه وأهله في شِعْب من الشعاب، وملكوا عليه فم ذلك الشِعْب فلم يستطيع الخروج منه. فصبر زمناً طويلاً يقاتلهم حتى قتل منهم ثلاثين رجلاً وقُتِل من قحطان نحو

عشرين فارساً. ثم انهزم ابن قرملة، وأخذ الشريف فهيد قومَه مجتمعين، ولكنه لم يقتل منهم سوى رجل واحد.

وسار سعود بجيوش المسلمين يريد الحجاز، فأغار على أعراب من عتيبة ـ كبيرهم ابو محيور. فلما التقى الجمعان هزمهم المسلمون، ففرُّوا وتوعَّروا في الحرَّة فشدَّ المسلمون خلفهم حتى أعيتهم حجارة الحرَّة فتركوهم ورجعوا.

وقد أستولى المسلمون في هذه الغزوة على محلَّة أولئك العتبان، وأخذوا من الإبل نحو الألفين أو يزيد، ومن الغنم عشرة آلاف. وقتلوا أبا محيور رئيسهم وقُتِل من المسلمين: سبيلا بن نصير المطرفي.

وسار قاعد بن ربيع بن زيد أمير وادي الدواسر بجمع من قومه يريد غزو أعداء الإسلام. فأغار على آل ضمن وهم أعراب من بني هاجر. فقتل منهم أكثر من أربعين رجلاً، وأخذ ما عندهم من خيل وإبل وغنم.

وجمع الشريف غالب بن مساعد جموعاً كثيرة من حاضرته وباديته من كل قرية وبلد، واستعمل عليهم أميراً: الشريف ناصر بن يحيى، وسيَّرهم لمحاربة المسلمين من أعراب البادية.

فلما علم بذلك عبد العزيز بن محمد بن سعود أرسل إلى أعراب المسلمين في جميع بوادي نجد يخبرهم بما عزم عليه الشريف، ويأمرهم بأن ينزلوا بأهلهم وأظعانهم على هادي بن قرملة كبير قحطان. وأمر ربيع بن زيد أمير الدواسر والوادي أن يخرج بجيش من قومه وينزل على هادي. فلم تمضِ غير أيام حتى اجتمعت تلك الجموع من المسلمين على ماء «الجمانية» بعالية نجد.

ثم أقبل الشريف ناصر بجيوشه ومعه المدافع ونزل على «الجمانية» كذلك وكان ذلك في آخر شعبان. فلما بدت غُرَّة رمضان التحم الفريقان، واشتد

بينهم القتال يومين. ثم هزم الله المعتدين وقتل منهم المسلمون نحو ثلاثمائة رجل. وأخذوا مدافعهم وخيامهم، ومائتي ألفٍ من الغنم، وثلاثين ألفاً من الإبل.

وقتل من المسلمين رجال[1].

وكان عبد العزيز قد أرسل محمد بن معيقل في جيشٍ مدداً لابن قرملة وأعراب المسلمين. فلم يأتهم إلا بعد أن هزم الله أعداءهم بيومين، فحث السير في أثر أعراب الشريف، فأدرك منهم بني هاجر ـ وكانوا قد انهزموا حين رأوا غلبة جيوش ابن قرملة واجتمعوا على ماء «القنصلية» قرب بلدة «تربة» وظنوا أنهم بذلك قد نجوا وأحرزوا أموالهم.

فلما أدركهم محمد بن معيقل على «القنصلية» أغار عليهم وقتل منهم نحو أربعين رجلاً، واستولى على أموالهم كلها. وعزّز بهذا النصرِ النصرَ الذي أحرزته جيوش ابن قرملة على الشريف.

وسار مبارك بن هادي ومعه جماعة من قومه إلى ناحية «نجران»، فلقي هناك بعض الأعراب ويسمّون آل هندي، فأغار عليهم وهزمهم، وقتل منهم ثلاثين رجلاً، واستولى على محلتهم، وأخذ ما فيها من الغنم والإبل.

وفي شهر رمضان من هذه السنة بدت بوادر الفتنة والخيانة من بعض أهل «الأحساء» بعد أن أعطوا العهد ودخلوا في الطاعة، وأميرهم براك بن عبد المحسن.

وكان المسلمون من أهل «الأحساء» يدعون الله ألاّ تعمَّ الفتنة، وأن يدفع عنهم هذا البلاء الذي يوشك أن يقع عليهم من أهل الردّة والفتنة. وكان عبد

---

(١) في «عنوان المجد»: ١١٣ أن عدد القتلى من المسلمين كان نحو مائة.

العزيز يرسل الرسائل إلى براك بن عبد المحسن يعاتبه فيها على تخاذله في الضرب على أيدي دُعاة الضلال، ويحضُّه على نفي المسيء والإحسان إلى المحسن ويأمره أن يقيم الدين، ويزيل أصل الشرك وأساسه، ويخلص الدعوة ويعلن شعائر الإسلام؛ ويطالبه بأن يفي بما كان عاهد عليه حين دخل في الإسلام من نفي أهل الباطل والفجور.

ولكن براك بن عبد المحسن لم تُغْنِ فيه هذه النصائح والنُّذُر، واعتذر بأنه لا قدرة له على إجلاء رؤوس الفتنة لما يؤدي إليه ذلك من الاختلاف والشقاق، واجتماع أهل الزيغ والباطل على أهل التوحيد، وأن الأمور تؤخذ على مهل.

وكان رأسَ الفتنة في ذلك: صالح النجار، فقد تمالأ مع علي بن حمد، وعلي الحبابي، وابن عفات، وكانوا يجتمعون ليلاً في خفية من الناس، واتفقوا سرّاً على نقض العهد، وان كانوا يظهرون المناصحة والود للمسلمين. ولكن المسلمين كانوا يعرفون حقيقة الأمر، فأرسلوا إلى عبد العزيز يطلبون منه النجدة والمدد وقد بيّنوا له ما وصلت إليه الحال. وكذلك أرسلوا إلى سعود يستنجدون به وكان منيخاً قرب «شقرا»، فأرسل إليهم إبراهيم بن عفيصان ومعه مائتا فارس طليعةً أمامه ليقوّي من عزم المسلمين.

فلما علم بذلك صالح النجار ومن معه، أرسلوا إلى أمير السياسب سيف آل سعدون يستنجدون به، فأبى عليهم الفتنة وقاتلهم السياسب وهزموهم. فأرسلوا إلى أهل المشرق يطلبون منهم العون فأقبلوا إليهم ومعهم قبائل الرفعة والنعائل، واتجهوا إلى «المبرز» وراموا أن يفتكوا بمن كان فيها من المسلمين، ولكن أهل «المبرز» امتنعوا عليهم وأبوا أن يسلموا لهم بما أرادوا وصدقوا في الذبّ عن المسلمين.

وحين رأى صالح النجار ومن معه من جماعته امتناع السياسب وأهل «المبرز» عن القيام معه والاشتراك في الفتنة، ورأى أن لا سبيل أمامه للنجاة،

أرسل إلى مهوس بن شقير رئيس العتبان ـ وكانوا نعم المسلمين ـ فأخذ منه الأمان لنفسه ولمن كان معه من إخوانه، فأمَّنهم.

فلما وصل إبراهيم بن عفيصان مع فرسانه من المسلمين وجد: الرفعة والنعاثل وأهل الشرق ما زالوا مجتمعين على الحرب، فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحو ستين رجلاً، أكثرهم من أهل «الجبيل».

وفرَّ الحملي إلى بيته، فاجتمع عليه قومه وأخرجوه خوفاً من سوء فعله. فخرج مع الحبابي وقصدا قصر علي بن حمد في قرية «العمران»، وأقاما عنده ثلاثة أيام، فحاصرهم إبراهيم بن عفيصان ومعه جمع كثير من السياسب والعتبان. فطلب الحبابي وابن عفات والحملي ومن معهم من الرجال المحصورين ـ من إبراهيم بن عفيصان الأمان وأن يسيروا إلى عبد العزيز، فأمنهم وساروا إلى الدرعية.

فلما كان مستهل ذي الحجة سار سعود بجيوش المسلمين، وأناخ قرب النعاثل. فطارت قلوب أهل الزيغ والضلال هلعاً. فجاءه أهل «الأحساء» وأهل المشرق يبايعونه، ويقسمون له على الوفاء، فأعطاهم الأمان إلا من دخل منهم في الردّة. وأتاه أهل «المبرز» ـ أهل الإيمان ـ لأداء واجب السلام وتجديد العهد.

فلما انقضت أيام العهد وخفّ إتيان الوفود، بادر سعود إلى إقامة الحدّ والقصاص على من دخل في الردّة الثانية، فقتل أناساً كثيرين من المرتدين، ومن الفسّاق والمفسدين وأهل البدع والرَّفض، وأجلى بعضهم عن البلاد ولا سيما ذوو العناد والشقاق. ودام القتل أياماً حتى أراح الناس من شرّ أصحاب الفتنة واطمأن المسلمون.

ثم شرع في تشييد أركان الإسلام، فسوَّى القبور وأزال ما عليها من القباب،

وقطع الأوقاف والنذور التي كانت تصرف إليها. ومحق رسوم البِدَع والأهواء، وجدّ في تعليم التوحيد والفقه.

ثم أمر بهدم الأسوار والبروج التي كانت على القرى والبلاد مخافة أن ينزغ بينهم الشيطان أو يطمع أحد في الفتنة والاعتداء.

ثم بنى قصراً محكماً وضع فيه من الطعام وآلات الحرب ما يحتاج إليه المرابطون، وأعدّ قطعة من خيله وقسماً من جيشه خارج القصر قرب بابه لإخافة من تحدثه نفسه بالعدوان.

وفي سنة ١٢١١ ــ بعد أن تمّ كل ذلك ــ سار سعود من «الأحساء» وحمل معه عدة رجال من رؤساء البلاد من مختلف القبائل وعاد إلى «الدرعية».

وحين استقرّ التوحيد وثبتت أصوله في جميع بلدان «الأحساء» غشّى قلوبَ المُبْطِلين الحزن والأسى. وكانوا يقضون الأيام وهم يعلّلون نفوسهم بعودة الباطل ودولته، فأرسلوا كثيراً من الرسائل إلى الحكّام يستثيرونهم على المسلمين أهل التوحيد، ويخوفونهم عاقبة انتصارهم وغَلَبتهم.

وملأوا كثيراً من الصحف بالأكاذيب والأباطيل، وأرسلوها إلى سليمان باشا والي بغداد التركي، يذكرون له فيها أنه لا يصلح لمقاتلة جموع المسلمين، ولا يقوم بأعباء الرئاسة، ومنازلة البدو والحضر، إلا ثويني بن عبدالله. فلما كثرت هذه الرسائل على سليمان باشا وقعت في نفسه موقع القبول، فخلع على ثويني، وعقد له الحكم على الحاضرة والبادية، وأمّره على الجيوش، وندبه إلى قتال أهل الدين، وتدمير «نجد» ومن فيها من المسلمين فلا يُبْقِي منهم صغيراً ولا كبيراً.

فهبط ثويني من «بغداد» ــ بعد أن كان قد قضى فيها أياماً يعاني الضيق والأسر ــ وسار إلى «البصرة»، وقد حشد جيوشاً كثيرة من كل ناحية وقُطْر،

وتجهَّز بكثير من آلات الحرب وأحكم وسائلها وأسبابها. فلما اقترب من «البصرة» خرج إليه أهلها فرحين مستبشرين وتلقوه بمظاهر الإكرام والإجلال. فلما دخل البصرة لم يقرّ له قرار وإنما مضى في التجهز والاستعداد وطلب المدد من كل ناحية.

وقد توالت على ثويني في تلك الأثناء الرسائل من رؤساء البلاد المجاورة ومن علمائها المنكرين للحق الحاقدين على الدين وأهله، وقد زخرفوا صحائفهم بباطل القول وزائفه من النثر والشعر: يُثنون عليه، و يدعون له بالنصر، ويحثُّونه على الإسراع بإنفاذ أمره لتطيب نفوسهم بفوزه.

فلما قضى فيها أشهراً قليلة اجتمع له فيها ما لا يكاد يحصى من الجنود من مختلف اللغات والأجناس، وتهيأت له أنواع متعددة من آلات الحرب وخاصة المدافع، سار إلى «الأحساء»، فأقبل عليه جميع آل ظفير وانضموا إليه ونقضوا عهد الإسلام وارتدُّوا.

فلما تحقق عبد العزيز من خروج ثويني بجيوشه، توجَّه إلى الله بالدعاء والابتهال أن ينصر دينه و يُعزّ المسلمين. ثم أمر سعوداً بالتجهُّز والخروج لمنازلة المبطلين. وأرسل إلى البلاد كافةً دانيها وقاصيها يأمرهم بالتجهز، فلبُّوا دعوته و بادروا إلى الطاعة وخرجوا للجهاد. ولكنَّ هذه المحنة فضحت كثيراً من الناس لم يستطيعوا أن يصبروا على البلاء فزيَّن لهم الشيطان أن يرتدُّوا، فنقضوا العهد.

فخرج سعود بمن تجمع معه في النصف الأول من شوَّال، وأرسل فريقاً من جيشه وأمَّر عليهم محمد بن معيقل وسيَّره حتى نزل بطرف «الصمان»، ولما علموا أن جيش ثويني يريد أن يسبقهم إلى «الطف» حثُّوا السيرَ إليه فسبقوه ونزلوا عليه.

وأقام سعود في «الحفر» زمناً يكاتب قبائل الأعراب، وقرى الإسلام وبلدانه، وجميع من دان بالتوحيد من أهل الجنوب والشمال يطلب منهم النصرة والعون، فتتابعت عليه الأمداد، فكان كلما جاءته جماعة أرسلهم إلى «الطف» ليلحقوا بجيش المسلمين هناك، حتى اجتمع له من الخلق ما لا يكاد يحيط به حصر.

فلما تحقق سعود من نزول ثويني على «وادي القرايا» أرسل حسن بن مشاري مع جيش من المسلمين إلى أهل تلك البلاد لتطمئن نفوسهم، وكانوا قد ملئوا كرباً وهمّاً لتأخر سعود بالقدوم عليهم.

ثم لجأ سعود إلى الدهاء والحيلة فأرسل إلى حسن بن مشاري أن يجمع جيوش المسلمين على ماء «أم ربيعة» ــ في تلك الناحية، لأنها ميدان واسع للقتال، يريد بذلك أن يوهم العدو أن المسلمين قد أصابهم الرعب وهربوا، فيلحقوا بهم، فيكرَّ عليهم حينئذ المسلمون ويوقعوا بهم.

فامتثل حسن بن مشاري وارتحل عن «الطف» وما يليه. فطمع الأعداء فيهم، وظنوا ارتحال المسلمين جبناً وفراراً، فزحفوا عليهم. وقد كشف الله بارتحال المسلمين ما أضمرته قلوب بعض الناس ــ وخاصة الأعراب ــ من النفاق، فارتدُّوا، وكادت أن تكون فتنة، لولا أن الله ثبَّت قلوب أهل الدين[1].

وكان برَّاك بن عبد المحسن قد أرسل إلى عبد العزيز وإلى سعود وإلى حسن ابن مشاري، يخبرهم بما وقع، ويُظْهر ندمه على ما فعل، ويبدي رغبته في اللحاق بالمسلمين لولا أن الأعداء محدقون به من كل جانب، وذكر أنه إذا جاءه جيش من المسلمين فإنه سيبادر إلى لقائهم أحسن لقاء ويخرج معهم. فأرسل حسن بن مشاري جيشاً كبيراً من المسلمين، معهم: محمد آل علي المهاشيري،

---

(١) انظر باقي خبر ثويني في أخبار السنة التالية.

وفراج —كبير سبيع— وصالح بن عياش، وأمرهم أن يطالعوا طلائع أحزاب ثويني، وأن يرسلوا إلى براك بن عبد المحسن حتى يسرع إليهم في الإياب.

وفي هذه الأيام سار فراج —كبير سبيع— مع جماعة من المسلمين من الحاضرة والبادية، وأغار على الأعداء، وكانوا قد أنذِروا بقدومه، فاستعدوا له. فوقع بين الفريقين طعان شديد، ثبت فيه المسلمون، وقتلوا من الأعداء ثلاثة عشر فارساً وأخذوا بعض الإبل. وقُتِل من المسلمين رجال.

وأغار نفجان بن سند الندي مع جماعته على الضويحي فأخذ منهم إبلاً كثيرة، فاتَّبعوه يريدون ردَّها فلم يستطيعوا.

وأرسل سعود رُسُلاً نحو « القطيف » ومعهم ركب آل مُرَّة، فوجدوا هناك قوماً من العمائر، فأخذوهم على غِرَّة، وقتلوا منهم خمسة وعشرين رجلاً، وأخذوا سلاحهم.

وفي هذه السنة (١٢١١) نزل مطر غزير فجرت منه سيول عظيمة، أزالت كثيراً من بيوت « الدلم » ودكاكينها وجرف بعض نخلها، وأغرق ما في تلك المحلَّة من الأمتعة والطعام والأموال.

ونزل على «حريملا» بَرَد كثير كبير الحجم لم يُعْرَف له مثيل، قتل بهائم كثيرة، وكسر بعض النخيل والأشجار وهدم كثيراً من السقوف والجدران، وأصاب المسلمين منه ذعر شديد.

وفي فصل الصيف جرى سيل عظيم هدم بعض «حوطة الجنوب» وبعض بيوت « العيينة » و« الدرعية » وغيرهما من البلاد وأغرق زروعاً كثيرة. ولكنَّ الله جعل من هذا الشرّ بعضَ الخير فقد استمر الماء يجري في « وادي بني حنيفة » سنةً من غير مطر، فأخصبت البلاد وطاب عيش الناس.

وكثر الجراد وانتشر في أكثر البلاد، وخرَّب ثمار أكثر الأشجار.

وفي هذه السنة سار ربيع بن زيد ـ أمير وادي الدواسر ـ يريد جهة «الحجاز» فأغار على فريق يقال له: أبو البؤس، من أعراب شهران، فهزمهم وقتل منهم نحو خمسين رجلاً، وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والإبل.

وسار ربيع بن زيد بجماعته من الدواسر، فعمد إلى «بيشة»، ونزل على «الشقيقة» و«الجنينة»، وقاتل أهلها بعد أن أبوا الإسلام، وحاصرهم أياماً، فاضطروا إلى الاستسلام، وعاهدوا جميعاً على الإيمان.

وسار ربيع بن زيد مع جماعته ـ بأمر عبد العزيز ـ إلى «رنية». فأناخ عليها وبنى بها قصراً، ووضع فيه آلة للحرب وكثيراً من الطعام وأمَّر فيه محمد ابن سعيد بن قطنان. فلما رأى أهل «رنية» ذلك لم يبق مفرٌّ من الدخول في الإسلام، فبايعوا وأعطوا العهد.

وغزا محمد بن معيقل مع جيش من أهل «الأحساء» والمهاشير وأهل «نجد»، وقصدوا جزيرة «العمائر». فلما اجتازوا إليها الصحراء، وبدت لهم الجزيرة، خاضوا إليها البحر ـ ولم يغزُ المسلمون قبل هذه الغزوة في البحر ـ وخاضت معهم بعض الخيل. فلما وصلوا ساحل الجزيرة أغاروا على أهلها فقتلوا منهم عدة رجال. وأخذ المسلمون ما بها من الأموال، واستولوا على ست من الخيل، ونحو أربعين من الإماء، وحازوا كثيراً من الخيام والسلاح والأمتعة والمال.

وأرسل الشريف غالب بن مساعد ـ شريف مكة ـ رسلاً إلى عبد العزيز يطلب منه علماء من أهل الدين والتوحيد، لينجلي له بمناظرتهم ما كان خافياً عليه. وكان من حسن سيرة عبد العزيز أنه يدعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن، ويرشد العباد للتي هي أقوم، فرأى إجابة الشريف غالب إلى ما طلب.

وأرسل إليه جماعة من العلماء بالدين المشهورين بحسن المناظرة بالبرهان، وكبيرهم: حمد بن ناصر بن معمر.

فلما وصلوا بلد الله الحرام دخلوها معتمرين فطافوا وسعوا ونحروا الجُزُر التي أرسلها معهم الأمير سعود إلى بيت الله. وقابلهم الشريف بالإكرام، وأحضر لهم علماءه وقضوا معهم يناظرونهم عدة ليال.

وجرت المناظرة بينهم في مسألتين: مسألة قتال الموحدين الناسَ، ومسألة دعوة الأموات. وكان حمد بن ناصر يأتي لبيان حجته بالدليل القاطع والبرهان الواضح من كتاب الله وأحاديث رسوله الصحيحة وأقوال الأئمة وأتباعهم المتقدمين الأخيار ــ فاضطرهم بذلك إلى التسليم له في المسألة الأولى، والاعتراف بالحق بعد أن لجُّوا في المغالطة والعناد حيناً.

ولكنهم أنكروا وجود ما ذكره لهم من مظاهر الشرك بدعوة الأموات، وجحدوا أن يكون ذلك واقعاً في البلاد، مع أنه عندهم كثير مشهور يرونه كل ساعة.

ومن أعجب ما قاله كبيرهم لحمد بن ناصر قوله: إني لا أطالبك بما قاله علماء المذاهب سوى ما قال به إمامي أبو حنيفة لأني مقلِّد له فيما قال، فلا أسلِّم لسوى قوله، ولو قلتَ: قال رسول الله، أو قال ذو الجلال، لأنه أعلم مني ومنك بذلك!!

فلما انقضت المناظرة طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل براهينه وحججه، وتسجيل ما ناظرهم به، فكتب في ذلك رسالة مفيدة أوجز فيها القول.

وفي سنة ١٢١٢ سيَّر الشريف غالب بن مساعد ــ شريف مكة ــ عثمانَ المضايفي مع كثير من الجنود ليقاتل المسلمين، فأغار على آل روق من قحطان وغيرهم من الأعراب ورئيسهم: مسفر بن نقيحان ــ وكانوا واردين على ماء

«عقيلان» ــ دون «بيشة» في ناحية الحجاز. فلما أغارت عليهم فرسان الشريف ثبتوا لهم وصبروا على الجلاد، وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى هزموهم وقتلوا منهم أكثر من خمسين رجلاً، وولّى الباقون منهزمين فمات كثير منهم من الظمأ. وأخذ المسلمون كثيراً من السلاح والإبل.

وظل ثويني بن عبدالله يتحكم في «الأحساء»، ويعلن أنه عن قريب يستولي على بلدان نجد فيتم له النصر.

ثم ارتحل عن «الطف» ونزل على «الشباك» ماء في نواحي بني خالد. فقضى الله عز وجل أن تكون هناك منيّته على يد عبد ضعيف. وذلك أن ثويني ابن عبدالله لما خرج للحرب ارتد كثير من الأعراب وانضموا إليه ومنهم آل ظفير. فجاء بنو خالد الذين كانوا في الشمال وأسرعوا إلى براك بن عبد المحسن ومن معه من قومهم، وأعلموهم بالحال، وخوّفوهم من ثويني وكيده، فأراد براك الامتناع فهددوه بالأسر. فسار هو ومن معه إلى الشمال وانضم إلى ثويني.

ولكن جماعة من قومه صدقوا العهد فهاجروا إلى «الدرعيه» وأبوا الارتداد. وكان منهم طعيس ــ وهو عبد من عبيد بني خالد. وكان طعيس هذا يكثر من الدعاء إلى الله أن يمكنه من الجهاد وقتل ثويني وكان يعلن ذلك على الناس، فكانوا يهزأون منه ويحتقرون شأنه.

ثم إنه غزا مع مناع أبي رجلين يريدون اختلاس بعض الإبل، فلاقاهم في الطريق جماعة من آل ظفير فأخذوهم أسرى. فلما ذهب طعيس مع أولئك القوم حدثته نفسه بتحقيق ما كان يرجو، فاستعد، وأخذ حربته، وقوّى الله من عزمه، فجاء إلى ثويني وهو قاعد مع بعض رجاله فأنفذ فيه الحربة. فلما أحس ثويني بالطعنة جرد سيفه فضرب به طعيساً ثم قام عليه الرجال وقتلوه. وبقي ثويني إلى عصر ذلك اليوم ثم مات.

فضجّت حينئذ تلك الأمم التي كانت معه مما حل بهم، وأصابهم الذعر والفزع. وأرسل براك بن عبد المحسن إلى المسلمين بالأخبار وتبعه ناس من قومه، وطلب الدخول في الإسلام وأعطي العهد[1].

وحاول ناصر أخو ثويني و بعض قومه الثبات، ولكن من كان معهم من الأعراب تفرّقوا عنهم وجدُّوا في الهرب، فشتّت الله جمعهم.

فلما علم المسلمون بما جرى بادر حسن بن مشاري ومعه المسلمون إلى طلب تلك الجموع، فتعقبوهم وقتلوا منهم رجالاً كثيرين، وغنموا مغانم طائلة، منها: المدافع التي كانت معهم، وثلاثة آلاف من الإبل، وأكثر من مائة ألف من الغنم، ولم يدركوا من الخيل إلا قيلاً.

وأراد سعود أن يغزو تلك الجموع و يطأهم في أرضهم و بلادهم، فأشار عليه ذوو الرأي من جماعته بغير ذلك، وقالوا له إنه حسْب أولئك الضالين ما لاقوه من القتل والإذلال. فأقام سعود على تلك المياه حيناً ثم سار إلى «الأحساء» فنزل عن شمال «المبرز»، وأخذ ينزل العقاب بمن تبيَّنت منه الردّة، و يؤنِّب من ضعف وتخاذل، ويحثُّ الجميع على التآزر والجهاد والثبات عند نزول المحن.

فسارع إليه أهل «الأحساء» يرومون منه القرب والوصول وعلو المنزلة عنده؛ وأخذ بعضهم يسعى على بعض بالوشاية والنميمة. فزجرهم سعود عن ذلك، ونهاهم عن هذه الصفة القبيحة الّتي ذمَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا يَشَمُّ عَرْفَ الجَنَّةِ نَمَّام». وذكر الله عز وجل فاعلها في قوله تعالى: ﴿ ولا تُطِعْ كلَّ حَلاَّفٍ مَهِين هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيم ﴾.

وسار ربيع بن زيد بجماعته من أهل وادي الدواسر حتى نزل في أرض «بيشة» فأعدَّ رجاله وجيشه عند «الجنينة» و«الشقيقة»، واستمر يغير على

(١) انظر ما تقدم ص: ١٩٧.

أهل تلك البلاد وقراها حتى اضطروا إلى الاستسلام، فدخلوا في الدين، وعاهدوا على ذلك.

فلما سمع غالب بن مساعد شريف مكة بما حدث لأهل «بيشة» سيَّر جيشاً كبيراً وأمَّر عليه الشريف فهيد بن عبدالله، فسار حتى نزل على «الجنينة»، فدعاهم إلى النزول وأمَّنهم، وهدَّدهم إذا أبوا بقطع نخلهم. فنزلوا إليه، فغدر بهم، وقتل كثيراً منهم من أهل الدين والتوحيد، وأسر أناساً كثيرين، ونهب البلاد.

ثم سار إلى «رنية»، وأناخ على النخيل ورام أن يقطعه. فخرج إليه أهل البلدة، فقاتلوه ونحَّوه عن نخيلهم وهزموه، وقتلوا من جماعته مائة رجل.

وغزا هادي بن قرملة مع كثير من قومه قحطان، فأغار على البقوم في الحجاز، فحاربهم وهزمهم. وقتل المسلمون منهم نحو ستين رجلاً، وأخذوا كثيراً من الإبل.

وبعد شهرين أعاد ابن قرملة عليهم الكرَّة، فهزمهم، وقتل منهم أربعين رجلاً، وأخذ من الأغنام ألوفاً، وبعض الإبل.

وولَّى سليمان باشا صاحب بغداد ــ حمود بن ثامر على البصرة وما والاها والمنتفق ــ بعد مقتل ثويني. فأقبلت إليه بعض تلك الجموع التي تشتَّتت وتمزقت، وانضم إليه كل من خاف على نفسه من المسلمين وكل من صدَّ عن التوحيد.

وخرج جيش من أهل «الأحساء» وأميرهم مناع أبا رجلين، وقصد الكويت. فأعد الكمين، ثم أغار الجيش على أطراف البلد فأخذوا غنماً كثيرة، فخرج إليهم أهل البلاد بجموع كثيرة وعدة عظيمة، فوقع بينهم قتال وتقاذفٌ

من بعيد، فلما طلع عليهم الكمين انهزم أهل البلاد فتبعهم المسلمون في أعقابهم وقتلوا منهم أكثر من عشرين رجلاً، وأخذوا ما كان معهم من السلاح.

وفي هذه الغزوة صادف منصور بن فضيل مع ركب معه من العمائر ــ وكان متجهاً إلى «القطيف» ــ فقُتِل هو ومن معه.

وصادف كذلك مناع أبا رجلين وأهلُ «الأحساء» ركباً معهم محمد بن ديماس، فقتلوا مَنْ معه، وهرب محمد بن ديماس وخاض بفرسه البحر، وطلب الأمان، فأمّنوه ثم قيّدوه وأسروه، وأتى به مناعٌ إمامَ المسلمين في «الدرعية». فتحرج من قتله ــ مع ما صدر منه من قبيح الأفعال ــ وذلك لأن إمام المسلمين كان يقف عند الحدود ويدرؤها بالشُّبَه، فترك ابن ديماس يعاني همَّ الحبس.

وسار شاري بن عبدالله آل حسين من الكويت ومعه بعض الفرسان، فأغار على فريق من زعب، فقرَّب الله له الهلاك جزاء ما أظهر للدين من عداوة ولأهل الضلال من موالاة.

وأرسل كثير ممن حول مكة من الأعراب، ومعظمهم من قبائل العتبان، إلى عبد العزيز يطلبون منه الأمان والدخول في الإسلام، وجعلوا حمود بن ربيعان رسولهم وسفيرهم بذلك إلى عبد العزيز. فأجابهم عبد العزيز إلى ما طلبوا، وجعل على كل بيت عدة دراهم عقوبة ونكالاً.

ولم يبق من الأعراب في تلك الجهات على ضلالهم سوى البقوم. فلما علم بذلك الشريف غالب شقَّ عليه وأقلقه، فخرج مع جيشه من مكة وقصد هادي ابن قرملة ومن معه من قحطان، فألفى في طريقه جماعة من قوم ابن قرملة كانوا عيوناً له، فأخذهم الشريف وهدَّدهم حتى دلوه على ما أراد،؛ فلم يشعر ابن قرملة إلا بغالب وجنوده عادين عليه، فجرى بينهم القتال، فقتل ابن قرملة خمسة من فرسان الشريف، وهزم أكثر المحاربين على الإبل. فلما وجد غالب أنه لم يدرك غايته تراجع وانفصل الجمعان.

فعمد هادي ومن معه إلى «رنية»، وأقام الشريف غالب على ماء «القنصلية». ثم أغار على «رنية» وحاصر من فيها من المسلمين، وحاول استدراجهم بلين الكلام ورغَّبهم في نقض عهودهم فلم يفز منهم بطائل، فأخذ يقطع نخلهم فخرجوا إليه واقتتلوا، وقتل من الفريقين عدة رجال.

ثم ارتحل غالب وقصد بلد «بيشة» ـ وكان له فيها جماعة من بطانته وأتباعه من أهل الضلال ـ فأناخ بجمعه عليها، فهرب منها كثير من المسلمين ونجوا بأنفسهم، فاستولى عليها، وأقام فيها أياماً. ثم ارتحل عنها وأخذ معه أناساً قادهم في السلاسل والأغلال، ونزل على قرية «الخرمة» وكان فيها قليل من المسلمين، فهربوا وطلبوا النجاة لأنفسهم. فدخلها غالب وأشعل فيها النار.

وكان سعود قد أرسل إلى هادي بن قرملة ومن لديه من قبائل قحطان، وإلى ربيع بن زيد أمير الوادي ومن معه من الدواسر، وإلى غيرهم من القبائل في البوادي وبعض الحضر ـ أن يجتمعوا ليحاربوا الشريف غالباً.

فساروا جميعاً إليه حتى دهموه في «الخرمة»، فألقى الله الرعب في قلوب جنود الشريف، وانهزموا لا يلوي أحد على أحد، وتركوا خيامهم ومحالهم وجميع أموالهم، والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويغنمون، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، قيل: كان عدة القتلى من الرجال ألفاً ومائتين وعشرين، وقيل: بل كان القتلى ألفين وأربعمائة[1].

---

(١) انظر «عنوان المجد» ص: ١٢١.

القسم الرابع

الرسائل والمسائل والتفسير

الفصل الأول

الرسائل

الرسالة الأولى

انظر: كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»
الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ، ج١: ١٧-٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله تعالى؛

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيبُ فيها إنكارٌ وتغليظٌ عليَّ، ولمَّا قيل إنك كتبتَ معهم وقع في الخاطر بعضُ الشيء، لأنَّ الله سبحانه نشر لك من الذِكْر الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبَّة، ما لم يُؤْتِه كثيراً من الناس، لِمَا يُذكَر عنك من مخالفة مَنْ قبلك مِنْ حُكَّام السُّوء، وأيضاً لِمَا أعلم منك من محبة الله ورسوله، وحسن الفهم، واتباع الحق ولو خالفك فيه كبارُ أئمتكم، لأني اجتمعتُ بك من نحو عشرين [سنة][1]، وتذاكرتُ أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث، وأخرجتَ لي كراريس من البخاريّ كتبتَها ونقلتَ على هوامشها من الشروح، وقلتَ في مسألة الإيمان ـــ التي ذكر البخاري في أول الصحيح: هذا هو الحق الذي أدينُ اللهَ به. فأعجبني هذا الكلامُ لأنه خِلافُ مذهبِ أئمتكم المتكلّمين.

وذاكرتَني أيضاً في بعض المسائل، فكنتُ أحكِي لمن يتعلم منّي ما مَنَّ اللهُ به عليك من حُسْنِ الفهم، ومحبة الله والدارِ الآخرة.

(١) زيادة من المصورة ١: ٦٧، وفي المخطوطة: ٣٦ «عشرين» وكتب فوقها: «عشر سنين».

فلأجل هذا لم أظنّ فيك المسارعةَ في هذا الأمر، لأنَّ الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير، لأنَّ الحقَّ إنْ كان مع خصمهم فواضحٌ، وإن كان معهم فينبغي للداعي إلى الله أن يدعوَ بالتي هي أحسنُ إلاَّ الذين ظلموا منهم، وقد أمر اللهُ رسولَيْه: موسى وهارون، أن يقولا لفرعون قولاً ليِّناً لعله يتذكر أو يخشَى.

و ينبغي للقاضي ــ أعزَّه الله بطاعته ــ لمَّا ابتلاه الله بهذا المنصب، أن يتأدب بالآداب التي ذكرها الله في كتابه الذي أنزل ليبيِّن للناس ما اختلفوا فيه وهُدىً ورحمةً لقوم يوقنون. فمن ذلك: لا يستخفنَّه الذين لا يوقنون، و يتثبَّت عند سعايات الفُسَّاق والمنافقين ولا يَعْجَل.

وقد وصف اللهُ المنافقين في كتابه بأوصافهم، وذكر شُعَبَ النفاق لتُجْتَنَب و يُجْتَنَب أهلُها أيضاً؛ فوصفهم بالفصاحة والبيان وحُسْن اللسان، بل وحُسْن الصُّورة، في قوله: ﴿ وإذا رأيتَهُمْ تُعْجِبُك أجسامُهم وإنْ يقولوا تَسْمَعْ لِقولهم ﴾، الآية. ووصَفَهم بالمَكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين في أول «البقرة»، ووصفهم بكلام ذي الوجْهَيْن، ووصَفَهم بالدخول في المخاصمات بين الناس بما لا يحبُّ اللهُ ورسولُه في قوله: ﴿يا أيُّها الرسولُ لا يَحْزُنْكَ الذين يُسَارعون في الكُفْر﴾، الآية. ووصفهم باستحقار المؤمنين [وعدم][1] الرضا بأفعالهم، ووصفهم بغير هذا في «البقرة» و «براءة» وسورة «القتال» وغير ذلك. كل ذلك نصيحةً لِعبَاده ليجتنبوا الأوصاف ومن تلبَّس بها. ونهى اللهُ نبيَّه عن طاعتهم في غير موضع.

فكيف يجوز من مثلك أن يقبل من مثل هؤلاء[2]؟ وأعظم من ذلك أن تعتقد أنهم من أهل العلم، وتزورهم في بيوتهم، وتعظِّمهم! وأنا لا أقول هذا في واحدٍ

---

(١) زيادة من هامش المخطوطة ٣٦.

(٢) في المخطوطة: ٣٦، والمطبوع ١ : ٥١ «أن يقبل مثل هؤلاء»، وفي المصورة ١ : ٦٨ «أن يقبل من هؤلاء». وأثبتنا ما في الدرر السنية ١ : ١٨.

بعينه، ولكن نصيحةٌ وتعريف بما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا؛ لأنَّ أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره.

وأما ما ذُكِر لكم عنّي، فإني لم آتِه بجهالة، بل أقول ـــ ولله الحمد والمنة وبه القوة ـــ: إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. ولستُ ـــ ولله الحمد ـــ أدعو إلى مذهبِ صُوفيٍّ أو فقيهٍ، أو متكلِّمٍ، أو إمامٍ من الأئمة الذين أعظِّمهم، مثل: ابن القَيِّم، والذَّهَبيّ، وابن كَثِيرٍ، وغيرهم. بل أدعو إلى الله وحدَه لا شريك له، وأدعو إلى سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوصى بها أوَّلَ أمَّته وآخِرَهم. وأرجو أنّي لا أردُّ الحقَّ إذا أتاني، بل أُشْهِد اللهَ وملائكته وجميعَ خَلْقِه إنْ أتانا منكم كلمةٌ من الحق لأقبلنَّها على الرأس والعين، ولأضربنَّ الجِدارَ بكلِّ ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا يقول إلا الحق.

وصِفَةُ الأمر: غيرُ خافٍ عليكم ما دَرَج عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابُه، والتابعونَ، وأتباعهم، والأئمة: كالشافعي، وأحمدَ، وأمثالِهما ممن أجمع أهلُ الحقِّ على هدايتهم؛ وكذلك ما درج عليه مَنْ سبقتْ له مِن اللهِ الحُسْنَى من أتباعهم.

وغيرُ خافٍ عليكم ما أحْدَثَ الناسُ في دينهم من الحوادث، وما خالفوا فيه طريق سَلَفِهم. ووجدتُ المتأخرين أكثرَهم قد غيَّر وبدَّل؛ وسادتهم، وأئمتهم، وأعلمهم، وأعبدهم، وأزهدهم، مثل: ابن القيِّم، والحافظِ الذهبيِّ، والحافظِ العِمَادِ ابنِ كثيرٍ؛ والحافظِ ابنِ رَجَب ـــ قد اشتدَّ نَكِيرُهم على أهل عصرهم الذين هم خيرٌ من ابن حَجَرٍ، وصاحب «الإقناع» بالإجماع.

فإذا استدلَّ عليهم أهلُ زمانهم بكثرتهم وإطْباقٍ على طريقتهم، قالوا: هذا من أكبر الأدلّة على أنه باطلٌ؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمَّته تسلكُ مسالكَ اليهود والنصارى حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه.

وقد ذكر الله في كتابه أنهم فرَّقوا دِينَهم وكانوا شِيَعاً؛ وأنهم كتبوا الكِتاب بأيديهم، وقالوا: هذا من عند الله؛ وأنهم تركوا كتابَ الله والعملَ به، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافُهم من الكُتب، وأخبر أنه وصَّاهم بالاجتماع؛ وأنهم لم يختلفوا لِخَفَاء الدين، بل اختلفوا من بعدِ ما جاءهم العلْمُ بَغْياً بينهم، ﴿ فَتَقَطَّعوا أمْرهم بَيْنَهم زُبُراً كلُّ حِزْبٍ بما لَدَيْهم فَرِحون ﴾ وَالزُّبُر: الكتب.

فإذا فهم المؤمنُ قولَ الصادقِ الصدوق: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلَكم» وجعله قِبْلة قلبه، تبيَّن له أن هذه الأياتِ وأشباهَها ليست على ما ظنَّ الجاهلون أنها كانت في قومٍ كانوا فبانوا، بل يفهم ما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال في هذه الآيات: مضى القوم وما يعني به غيركم.

وقد فرض الله على عباده في كل صلاةٍ أن يسألوه الهداية إلى الصراط المستقيم صراطِ الذين أنعمَ عليهم، الذين هم غيرُ المغضوبِ عليهم ولا الضالين. فمن عرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له عرفَ مقدارَ هذا الدعاء وحكمةَ الله فيه.

والحاصلُ أنَّ صورةَ المسألة: هل الواجبُ على كل مسلمٍ أن يطلب عِلْمَ ما أنزل الله على رسوله، ولا يُعْذَر أحدٌ في تركه ألبتَّةَ؟ أم يجب عليه أن يتَّبع «التحفة»[1] مثلاً. فأعلمُ المتأخرين وسادتُهم، منهم: ابن القيِّم، قد أنكروا هذا غاية الإنكار، وأنه تغييرٌ لدين الله؛ واستدلوا على ذلك بما يطول وَصْفُه من كتاب الله الواضح، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم البيِّنِ لمن نوَّر اللهُ قلبَه. والذين يُجيزون ذلك أو يوجبونه يُدْلُون بشُبَهٍ واهيةٍ، لكن أكبر شُبَهِهم على الإطلاق: أنَّا لسنا من أهل ذلك، ولا نقدر عليه، ولا يقدر عليه إلا المجتهد، وأنا وجدنا آباءنا على أمَّةٍ وأنا على آثارهم مهتدون.

---

(١) التحفة: هي كتاب «تحفة المحتاج لشرح المنهاج» لابن حجر الهيتمي، وهو غير ابن حجر العسقلاني.

ولأهل العلم في إبطال هذه الشُّبْهة ما يحتمل مجلداً، ومن أوضحه قولُ الله تعالى: ﴿ اتَّخذُوا أحبارَهم ورُهْبانَهم أرْباباً من دونِ الله ﴾. وقد فسَّرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في حديث عَدِيٍّ بهذا الذي أنتم عليه اليوم في الأصول والفروع، لا أعلمهم يزيدون عليكم مثقالَ حَبَّةِ خَرْدَل؛ بل يبين مصداق قوله: «حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة» إلى آخره؛ وكذلك فسَّرها المفسرون، لا أعلم بينهم اختلافاً. ومن أحسنه ما قاله أبو العالية: أمَا إنهم لم يعبدوهم، ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم؛ ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا: لا نسبق علماءنا بشيء، ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا.

وهذه رسالة لا تحتمل إقامة الدليل ولا جواباً عما يُدْلي به المخالف؛ لكنْ أعرض عليه من نفسي الإنصاف والانقياد للحق، فإن أردتم الردَّ عليَّ بعلمٍ وعَدْلٍ فعندكم كتاب «إعلام الموقِّعين» لابن القيِّم ــ عند ابن فيروز في «مُشْرِفة»[1] ــ فقد بسط الكلامَ فيه على هذا الأصل بسطاً كبيراً، وسرد من شُبَهِ أئمتكم ما لا تعرفون أنتم ولا آباؤكم، وأجاب عنها، واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة، منها: نَهْيُ[2] الله ورسولِهِ عن أمركم هذا بعينه، وأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه وَصَفُوه مِنْ قَبْلِ أن يقَع، وحذَّروا الناسَ منه، وأخبروا أنه لا يصبر على الدِّين إلا الواحد بعد الواحد، وأنَّ الإسلام يصير غريباً كما بدأ. وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عمرو بن عبسة في أول الإسلام: من معك على هذا؟ قال: حُرٌّ وعبدٌ ــ يعني أبا بكرٍ وبِلالاً.

فإذا كان الإسلام يعود كما بدأ فما أجهلَ مَن استدلَّ بكثرة الناس وإطباقهم وأشباهِ هذه الشُّبْهة التي هي عظيمةٌ عند أهلها، حقيرةٌ عند الله وعند أولي العلم من خَلْقِه، كما قال تعالى: ﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون ﴾. فلا

---

(١) مشرفة: اسم مكان (الدرر السنية: ٢٠).

(٢) في المخطوطة: ٣٧، والمطبوعة ١: ٥٣، والدرر السنية ١: ٢٠ «أمرالله» والتصحيح من المصورة ١: ٧١.

أعلم لكم حُجَّة تحتجُّون بها إلا وقد ذكر الله في كتابه أنَّ الكُفَّار استدلُّوا بها على تكذيب الرُّسُل، مثل: إطباق الناس، وطاعة الكبراء، وغير ذلك. فمَنْ مَنَّ الله عليه بمعرفة دين الإسلام الذي دعا إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، عرف قَدْرَ هذه الآيات والحُجَج، وحاجةَ الناس إليها.

فإنْ زعمتم أنَّ ذكر هؤلاء الأئمة [لهذا][1] لمن كان من أهله، فقد صرَّحوا بوجوبه على الأسود والأحمر والذكر والأنثى؛ وأنَّ ما بَعْدَ الحقِّ إلا الضَّلال، وأنَّ قولَ من قال: ذلك صَعْبٌ ــ مكيدةٌ من الشيطان كاد بها الناس عن سلوك الصراط المستقيم الحنيفيةِ مِلَّةِ إبراهيم. وان بان لكم أنهم مخطئون[2] فبيِّنوا لي الحق حتى أرجع إليه.

وانما كتبتُ لكم هذا معذرةً من الله ودعوةً إلى الله لأحصِّل ثواب الداعين إلى الله، وإلا أنَا أظنُّ أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات، وأن[3] الذي يَعِيب هذا عندكم مثل مَنْ يَعِيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لكن أنتَ ــ من سَبَبِ ما أظنُّ فيك من طاعة الله ــ لا أبعدُ أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم، ويشرح قلبك للإسلام. فإذا قرأتَه فإنْ أنكره قلبك فلا عَجَبَ، فإن العجب ممن نجا كيف نجا؛ فإن أصغى إليه قلبك بعض الشيء، فعليك بكثرة التضرع إلى الله، والانطراح بين يديه، خصوصاً أوقاتَ الإجابة: كآخر الليل، وأدبار الصلوات، وبعد الأذان. وكذلك بالأدعية المأثورة، خصوصاً الذي ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهمَّ، ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت

---

(١) الزيادة من المخطوطة: ٣٨، والمصورة ١ : ٧١، والدرر السنية ١ : ٢٠.

(٢) في هامش المصورة ــ بعد قوله: «إنهم مخطئون» مايلي: «لعل فيه سقطاً هكذا: فعليكم الرجوع والا ...».

(٣) في المخطوطة: ٣٨، والمطبوعة ١ : ٥٤، والدرر السنية ١ : ٢١ «من أن» والتصحيح من المصورة ١ : ٧٢.

تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، آهدِني لما اخْتُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدِي من تشاء إلى صراط مستقيم».

فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يَدَيْ من يجيب المضطرَّ إذا دعاه، وبالذي هَدَى إبراهيمَ لمخالفة الناس كلهم، وقل: يا معلِّمَ إبراهيم علِّمني. وإن صَعُبَ عليك مخالفةُ الناس ففكِّر في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جعلناكَ على شريعةٍ من الأمر فاتَّبِعْها، ولا تَتَّبِعْ أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئاً * وَإنَّ الظالمين بعضُهم أولياءُ بعضٍ، واللهُ وليُّ المتَّقين﴾. وقوله تعالى: ﴿وإن تُطِعْ أكثرَ مَنْ في الأرضِ يُضِلُّوك عن سبيل الله﴾.

وتأمَّلْ قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ». وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبض العلم» إلى آخره. وقوله: «عليكم بُسنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين من بَعْدي».

وقوله: «وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور فإنَّ كلَّ بِدْعةٍ ضَلالة». والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة أُفْرِدَتْ بالتصنيف.

فإني أحِبُّك، وقد دعوتُ لك في صلاتي، وأتمنَّى من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم. ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظنِّي أنك لا تقبل، وتسلك مسلك الأكثر. ولكن لا مانع لِمَا أعطَى اللهُ، والله لا يتعاظم شيئاً أعطاه. وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله كعُمَرَ رضي الله عنه في أوَّله؛ فإنك لو تكون معنا لانْتَصَفْنا ممن أغلظ علينا.

وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس: أنَّ من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد، وترك الاقتداء بأهل العلم ـ وزَخْرَفَه بأنواع الزخارف، فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه، كما قال تعالى: ﴿يُوْحِي بعضُهم إلى بعضٍ زخْرُفَ القَوْلِ غُروراً﴾.

فإن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة: الاقتداءُ بأهل العلم، فإنهم قد وصَّوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاماً في ذلك إمامكم الشافعيُّ، قال: لا بدَّ أن تَجِدوا عني ما يخالف الحديثَ، فكلُّ ما خالفه فأشْهِدكُم أني قد رجعت عنه.

وأيضاً: أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي، فإذا اختلفتُ أنا وشافعيٌّ مثلاً في أبوال مأكول اللَّحْم، وقلت: القولُ بنجاستِه يُخالف حديثَ العُرَنِيِّين[1]، ويخالف حديثَ أنَسٍ: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى في مرابض الغنم. فقال هذا الجاهل الظالم: أنت أعلم بالحديث من الشافعي؟. قلت: أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتَّبعتُه، بل اتَّبعتُ من هو مثلُ الشافعي أو أعلمُ منه، قد خالفه واستدلَّ بالأحاديث. فإذا قال: أنت أعلم من الشافعي؟ قلتُ[2]: أنتَ أعلمُ من مالكٍ وأحمدَ؟ فقد عارضتُه بمثل ما عارضني به، وسلم الدليل من المعارض، واتبعتُ قول الله تعالى: ﴿ فإنْ تنازَعْتُم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول﴾، الآية. واتَّبعتُ من اتَّبع الدليل في هذه المسألة من أهل العلم، لم أستدلّ بالقرآن أو الحديث وحدي حتى يتوجَّه عليَّ ما قيل. وهذا على التنزل، وإلاَّ فمعلومٌ أنَّ اتِّباعكم لابن حَجَرٍ في الحقيقة، ولا تعبئون بمن خالفه من: رسولٍ أو صاحبٍ أو تابع، حتى الشافعيّ نفسه لا تعبئون بكلامه إذا خالف نصَّ ابن حَجَرٍ. وكذلك غيرُكم إنما اتِّباعُهم لبعض المتأخرين لا للأئمة. فهؤلاء الحنابلةُ من أقلِّ الناس بِدْعةً، وأكثرُ «الإقناع» و«المنتهى» مخالفٌ لمذهبِ أحمدَ ونصِّه، يعرف ذلك من عرفه.

---

(١) حديث العرنيين: «.... عن أنس بن مالك أن ناساً من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. فاجتووها [أي: استوخموها، أي: لم توافقهم وكرهوها لسقم أصابهم] فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها. ففعلوا. فصحوا. ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام».
(صحيح مسلم ٣: ١٢٩٦).

(٢) في المطبوعة ١: ٥٥ «قل». وصوابه من المخطوطة: ٣٩، والمصورة والدرر السنية.

ولا خلافَ بيني وبينكم أنَّ أهل العلم إذا أجمعوا وجَبَ اتِّباعُهم، وإنما الشأنُ إذا اختلفوا: هل يجب عليَّ أن أقبل الحق ممن جاء به، وأردَّ المسألة إلى الله والرسول مقتدياً بأهل العلم؟ أو أنتحلَ بعضَهم من غير حُجَّةٍ، وأزعُمَ أنَّ الصواب في قوله؟.

فأنتم على هذا الثاني، وهو الذي ذمَّه الله وسمَّاه شِرْكاً، وهو: اتخاذُ العلماء أرباباً. وأنا على الأوَّل، أدعو إليه وأناظر عليه. فإن كان عندكم حقٌّ رجعنا إليه وقبلناه منكم. وإن أردت النظر في «إعلام الموقِّعين» فعليك بمناظرةٍ في أثنائه عقدها بين مقلِّدٍ وصاحبِ حُجَّةٍ. وإن أُلْقِي في ذهنك أن ابن القَيِّم مبتدعٌ، وأن الآيات التي استدلَّ بها ليس هذا معناها، فاضْرَعْ إلى الله واسأله أن يهديك لِمَا اختلفوا فيه من الحقّ، وتجرَّدْ إلى الله ناظراً أو مناظراً[1]، واطلب كلام أهل العلم في زمانه، مثل: الحافظ الذهبي، وابن كَثِير، وابن رَجَب، وغيرهم.

ومما يُنْسَب للذهبي رحمه الله:

العِلْمُ: قال الله، قال رسوله،	قال الصحابة، ليس خُلْفٌ فيهِ
ما العلمُ نَصْبكَ للخلاف سَفاهةً	بين الرسول وبين رأيِ فقيهِ

فإن لم تتَّبع هؤلاء فانظرْ كلام الأئمة قبلهم: كالحافظ البَيْهَقِيِّ في كتاب «المدخل» والحافظ ابن عبد البَرّ والخَطَّابي، وأمثالهم ومَنْ قبلهم: كالشافعي، وابن جَريرٍ، وابن قُتَيْبة، وأبي عُبَيْد ــ فهؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف. وإياك وتفاسيرَ المحرِّفين للكَلِم عن مواضعه وشروحَهم، فإنها القاطعة عن الله وعن دينه. وتأمل ما في كتاب «الاعتصام» للبخاري، وما قال أهل العلم في شرحه، وهل يُتَصوَّر شيء[2] مما صحَّ عنه صلى الله عليه

(١) في المطبوعة ١: ٥٥ «وتجرد إلى ناظر أو مناظر» وفي الدرر السنية ١:٢٢ «وتجرد ناظراً أو مناظراً» وأثبتنا ما في المخطوطة والمصورة.

(٢) في المخطوطة: ٣٩، والمطبوعة ١: ٥٦، والدرر السنية ١:٢٣ «وهل يتصور شيء بما صرح مما صح عنه...».

وسلم أن أمَّته ستفترق على أكثرَ من سبعين فرقةً ــ أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأنتم مُقِرُّون أنكم على غير طريقتهم، وتقولون: ما نقدر عليها ولا يقدر عليها إلا المجتهد. فجزمتم أنه لا يَنْتفع بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهدُ؛ وتقولون: يَحْرُمُ على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام أصحابه. فجزمتم وشهدتم أنكم على غير طريقتهم، معترفين بالعجز عن ذلك. وإذا كنتم مُقِرِّين أن الواجبَ على الأولين اتِّباعُ كتاب الله وسُنَّة رسوله، لا يجوز العدول عن ذلك، وأن هذه الكتب والتي خير منها لو تحدث في زمن عمر بن الخطاب لفعل بها وبأهلها أشدَّ الفعل، ولو تحدث في زمن الشافعيّ وأحمدَ لاشتدَّ نكيرهم لذلك ــ فليت شعري متى حرَّم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرَّم؟.

ولمّا حدث قليلٌ من هذا ــ لا يشبه ما أنتم عليه ــ في زمن الإمام أحمد، اشتدَّ إنكاره لذلك. ولمَّا بلغه عن أصحابه أنه يروي عنه مسائل بُخرَاسان قال: أشْهِدُكم أني قد رجعتُ عن ذلك. ولمَّا رأى بعضهم يكتب كلامه أنكر عليه وقال: تكتب رأياً لعلِّي أرجع عنه غداً! اطلب العلم مثلما طلبناه. ولما سئل عن كتاب أبي ثَوْرٍ قال: كل كتاب ابتُدِع فهو بِدْعة. ومعلومٌ أن أبا ثور من كبار أهل العلم، وكان أحمد يُثْني عليه، وكان ينهَى الناس عن النظر في كتب أهل العلم الذين يثني عليهم ويعظِّمهم.

ولما أخذ بعضُ أئمة الحديث كتب أبي حنيفة هجره أحمد، وكَتَب إليه: إنْ تركتَ كُتُبَ أبي حنيفة أتيناك تُسْمِعنا كُتُبَ ابن المبارك. ولما ذَكَر له بعضُ أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسُّنَّة، قال: إنْ عرفتَ الحديث لم تَحْتَجْ إليها، وإنْ لم تعرفه لم يَحِلَّ لك النظرُ فيها. وقال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحَّته يذهبون إلى رأي سُفْيان، واللهُ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفون عنْ أمْرِه أنْ تُصِيبَهم فِتْنةٌ أو يُصِيبَهم عذابٌ أليم﴾

قال: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك. ومعلوم أن الثَّوْرِيَّ عنده غاية وكان يسميه أمير المؤمنين.

فإذا كان هذا كلام أحمد في كتب نتمنَّى الآن أن نراها فكيف بكتب قد أقرَّ أهلُها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم، وشُهِد عليهم بذلك، ولعلَّ بعضهم مات وهو لا يعرف ما دينُ الإسلام الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.

وشُبهتُكُم التي أُلْقِيَتْ في قلوبكم أنكم لا تقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح، وقد قدَّمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لتتبِعُنَّ سَنَنَ من كان قَبلَكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة» إلى آخره، فتأمَّل هذه الشبهة، أعني: قولكم لا نقدر على ذلك، وتأمل ما حكى اللهُ عن اليهود في قوله: ﴿ وقالوا قلوبنا غُلْفٌ بل لعنهم اللهُ بكفرهم ﴾. وقوله: ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بيِّنات وما يكفرُ بها إلا الفاسقون ﴾. وقوله: ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلَّكم تعقلون ﴾ وقوله: ﴿ ولقد يسَّرنا القرآنَ للذِّكر فهل من مُدَّكِر ﴾.

واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم، واعرف مَنْ نزلتْ فيه، واعرف الأقوال والأفعال التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات، ثم اعرِضْها على قولهم: لا نقدر على فهم القرآن والسنة ــ تجدْ مِصْداقَ قوله: «لتتبعُنَّ سنَنَ من كان قبلكم» وما في معناه من الأحاديث الكثيرة.

فلتكُنْ قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بالٍ، ففيها: أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد، حتى إن آخرهم قال عند موته: لا أعلم على وجه الأرض أحداً على ما نحن عليه، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ: واذكر مع هذا قول الله تعالى: ﴿ فلولا كان من القُرونِ مِنْ قَبْلِكم أولواْ بقيَّةٍ يَنْهَوْن عن الفسادِ في الأرضِ إلا قليلاً ممن أنْجَيْنا منهم ﴾.

فحقيقٌ لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة أن يتأمَّل ما وصف الله به اليهود في كتابه، خصوصاً ما وصف به علماءهم ورهبانهم من: كتمان الحق، ولَبْسِ الحقِّ بالباطل، والصَّدِّ عن سبيل الله وما وصفهم الله ــ أي علماءهم ــ من الشِّرْك، والإيمان بالجِبْتِ والطَّاغُوت، وقولهم للذين كفروا: ﴿ هؤلاء أهدَى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ لأنه عرف أن كل ما فعلوا لا بدَّ أن تفعله هذه الأمة، وقد فعلت.

وإن صعُبَ عليك مخالفةُ الكبراء، ولم يقبل ذهنك هذا الكلام، فأحضِرْ بقلبك أن كتاب الله أحسنُ الكتب وأعظمُها بياناً، وأشفى لداء الجهل، وأعظمُها فَرْقاً بين الحق والباطل. والله سبحانه قد عرف تفرُّقَ عباده واختلافَهم قبل أن يخلقهم، وقد ذكر في كتابه ﴿ وما أنزلنا عليك الكتابَ إلا لِتُبَيِّنَ لهم الذي اختلفوا فيه وهدًى ورحمةً ﴾. وأحضِرْ قلبَكَ هذه الأصولَ، وما يشابهها في ذهنك، واعْرِضْها على قلبك، فإنه إن شاء الله يؤمنُ بها على سبيل الإجمال. فتأمل قوله: ﴿ وإذا قِيلَ لهم اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالوا بل نتَّبِعُ ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ وتكرير هذا الأصل في مواضع كثيرة. وكذلك قوله: ﴿ أتجادلونني في أسماءٍ سَمَّيْتُمُوها أنتم وآباؤكم ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان ﴾.

فكلُّ حُجَّةٍ تحتجُّون بها تجِدْها مبسوطةً في القرآن، وبعضها في مواضع كثيرة.

فأحضِرْ بقلبك أن الحكيم الذي أنزل كتابه شفاءً من الجهل، فارقاً بين الحق والباطل، لا يليق منه أن يقرِّر هذه الحُجَجَ ويكرِّرها مع عدم حاجة المسلمين إليها؛ ويترك الحجج التي يحتاجون إليها؛ ويعلم أن عباده يفترقون؛ حاشا أحْكَمَ الحاكمين من ذلك.

ومما يهوِّن عليك مخالفَةَ من خالف الحق ــ وإنْ كان من أعلم الناس

وأذكاهم وأعظمهم جاهاً[1] ولو اتبعه أكثر الناس ـ ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين، وصفاتِ لله تعالى؛ وغالب من يدّعي المعرفة وما عليه المتكلمون وتسميتهم طريقةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حشواً وتشبيهاً وتجسيماً مع أنك إذا طالعتَ في كتاب من كتب الكلام ـ مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد، وهو أصل الدين ـ تجدُ الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله، اللهم إلا أن يذكره ليحرِّفَه عن مواضعه. وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم. ومعترفون أنهم مخالفون للسَّلَف في ذلك مثل ما ذكر في «فتح الباري» في مسألة الإيمان على قول البخاري: وهو قول وعمل ويزيد وينقص؛ فَذَكر إجماعَ السَّلَف على ذلك، وذَكَر عن الشافعيّ أنه نقَلَ الإجماعَ على ذلك، وكذلك ذكَر أن البخاريّ نَقَله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يردَّه. فإن نظرتَ في كتاب التوحيد في آخر الصحيح ـ فتأمل تلك التراجم ـ وقرأت في كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقِّيها بالقبول، وأن من جحد شيئاً منها أو تأوّل شيئاً من النصوص فقد افترى على الله وخالف إجماع أهل العلم، ونقلَهم الإجماعَ أن علم الكلام بدعة وضلالة، حتى قال أبو عمر بن عبد البَرّ: أجمعَ أهلُ العلم في جميع الأعصار والأمصار أنَّ أهلَ الكلام أهلُ بِدَع وضلالات، لا يُعَدُّون عند الجميع من طبقات العلماء. والكلام في هذا يطول.

والحاصل: أنهم عمدوا إلى شيء أجمع عليه المسلمون كلهم بل وأجمع عليه أجهلُ الخلق بالله، عَبَدةُ الأوثان الذين بُعِثَ فيهم النبي صلى الله عليه وسلم. فابتدع هؤلاء كلاماً من عند أنفسهم كابروا به العقول أيضاً حتى إنكم لا تقدرون أن تغيِّروا عوامَّكم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ثم مع هذا كلِّه

(١) في المطبوعة ١:٥٨، والمصورة ١:٧٨ «وأعظمهم جهلاً»، وهو تحريف واضح، صوابه من الدرر السنية ١:٢٥. وفي المخطوطة: ٤١ «من أعلم الناس وأعظمهم ذهناً».

تابعهم جمهورُ من يتكلم في علم هذا الأمر، إلا من سبقت لهم من الله الحسْنَى وهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، يبغضهم الناس و يرمونهم بالتجسيم.

هذا، وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنِهم، حتى إن لهم من الذكَاء والحفظ والفهم ما يحيِّر اللبيب؛ وهم وأتباعهم مُقِرُّون أنهم مخالفون للسلف، حتى إن أئمة المتكلمين لما ردُّوا على الفلاسفة في تأو يلهم في آيات الأمر والنهي مثل قولهم: المرادُ بالصيام كتمانُ أسرارنا، والمرادُ بالحج زيارةُ مشايخنا، والمراد بجبريل العقلُ الفَعَّالُ، وغير ذلك من إفكهم ــ ردُّوا[1] عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلافُ المعروف بالضرورة من دين الإسلام. فقال لهم الفلاسفة: أنتم جحدتم عُلوّ الله في خلقه واستواءه على عرشه، مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل، فكيف يكون تأو يلنا تحريفاً وتأو يلُكم صحيحاً؟ فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد.

والمراد أن مذهبهم مع كونه فاسداً في نفسه مخالفاً للعقول، هو أيضاً مخالفٌ لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسَّلف كلِّهم، و يذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسَّلف، ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل حتى طبَّقتْ مشارق الأرض ومغاربها.

وأنا أدعوكم إلى التفكُّر في هذه المسألة، وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين وإبطال كلام المتكلمين وتكفيرهم[2]. وممن ذكر هذا من متأخري الشافعية: البيهقي والبَغَوِيّ، وإسماعيل التيمي؛ ومَنْ بعدهم: كالحافظ الذهبي؛ وأما متقدِّموهم: كابن سُرَيج، والدَّارَقُطْنيّ، وغيرهما، فكلُّهم

(١) في المطبوعة ١: ٥٩، والمصورة ١: ٧٩ «رد». والتصحيح من الدرر السنية ١: ٢٦. وفي المخطوطة: ٤١ «رد عليهم المتكلمون بأن هذا التفسير...».
(٢) في المطبوعة ١: ٥٩ «وتفكيرهم».

على هذا الأمر. ففتش في كتب هؤلاء، فإن أتيتني بكلمة واحدة أنَّ منهم رجلاً واحداً لم ينكر على المتكلمين ولم يكفِّرهم ــ فلا تقبل مني شيئاً أبداً. ومع هذا كله وظهورهِ غايةَ الظهور راج عليكم حتى ادَّعَيتم أن أهل السنة هم المتكلمون، والله المستعان.

ومن العجب أنه يوجد في بلدكم من يُفتِي الرجلَ بقول إمام، والثانيَ بقولِ آخر، والثالثَ بخلافِ القولين؛ ويُعَدُّ فضيلةً وعلماً وذكاء، ويقال: هذا يفتي في مذهبين أو أكثر. ومعلوم عند الناس أن مراده في هذا: العلوُّ والرياءُ وأكلُ أموال الناس بالباطل.

فإذا خالفتُ قول عالمٍ لمن هو أعلمُ منه أو مثلُه ــ إذا كان معه الدليل ــ ولم آتِ بشيء من عند نفسي، تكلَّمتم بهذا الكلام الشديد. فإن سمعتم أني أفتيت بشيء خرجتُ فيه من إجماع أهل العلم توجَّه عليَّ القولُ.

وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكارٌ للمُنْكَر فياليت قيامكم كان في عظائمَ في بلدكم تُضَادُّ أصل الإسلام شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله. منها ــ وهو أعظمها: عبادةُ الأصنام عندكم من بَشَرٍ وحَجَرٍ: هذا يذبح له، وهذا ينذر له، وهذا يطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات، وهذا يدعوه المضطرُّ في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا وفي الآخرة ــ ولو عصى الله. فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادةَ الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن، فهذا من العجب. فإني لا أعلم أحداً من أهل العلم يختلف في ذلك اللهم إلا أن يكون أحد [منهم][1] وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالجبت والطاغوت.

وإن ادَّعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك، فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض، كيف وبعض الذين أنكروا عليَّ هذا الأمر وادَّعَوْا أنهم من أهل

(١) زيادة من المخطوطة: ٤٢. وقد سقطت في جميع الأصول الأخرى.

العلم ملتبسون بالشرك الأكبر، و يدعون إليه، ولو يسمعون إنساناً يجرِّد التوحيد لَرَمَوْهُ[1] بالكفر والفسوق؟ ولكن نعوذ بالله من رضاء الناس بسخط الله؛ ومنها ما يفعله كثير من أتباع إبليس وأتباع المنجِّمين والسَّحَرَةِ والكُهَّان ممن ينتسب إلى الفقر، وكثيرٌ ممن ينتسب إلى العلم، من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس و يشبهونها بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. ومرادُهم أكلُ أموال الناس بالباطل والصَّدُّ عن سبيل الله؛ حتى إن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدَّعِي العلمَ أنه من العلم الموروث عن الأنبياء من علم الأسماء، وهو من الجبت والطاغوت. ولكن هذا مصداقُ قوله صلى الله عليه وسلم: «لتتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبْلَكم» ومنها هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة أصحاب السَّبْت أو أشدّ.

وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع: إمَّا إلى كتاب الله، وإمَّا إلى سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة[2]، كما دعا إليها ابنُ عبَّاسٍ في بعض مسائل الفرائض، وكما دعا إليها سفيان والأوْزَاعِيُّ في مسألة رفع اليدين، وغيرهما من أهل العلم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم.

---

(١) في المطبوعة ١: ٦٠ «ألزموه»، وفي المصورة ١: ٨١ «لرمي» وأثبتنا ما في المخطوطة والدرر السنية ١: ٢٧.

(٢) المباهلة: الملاعنة. يقال: باهلت فلاناً، أي: لاعنته. ومعنى المباهلة أن يجتمع قوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. وفي حديث ابن عباس: من شاء باهلته أن الحق معي.

الرسالة الثانية

انظر: «مجموعة التوحيد النجدية»، المطبعة السلفية
١٣٧٥هـ، ص: ٢١٧-٢٣٤؛ و«الدرر السنية» ١: ٣٤-٣٧.

ثم صنف الشيخ رحمه الله رسالة عامة للمسلمين تسمى: «كشف الشبهات» جواباً لكثير من شبههم التي أدلوا بها، وذكروها في مصنفاتهم، وهذا لفظها بحروفها قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعْلَمْ رحمك الله أنَّ «التوحيد» هو إفرادُ الله بالعبادة، وهو دين الرُّسُل الذي أرسلهم الله به إلى عباده. فأوَّلهُم: نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لمّا غَلَوْا في الصالحين: وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْر؛ وآخِرُ الرسل: محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كسر صُوَر هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبَّدون ويحجُّون ويتصدَّقون ويذكرون الله ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائطَ بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرُّب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأُناس غيرهم من الصالحين. فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدِّد لهم دينَ أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرُّب والاعتقاد محضُ حقِّ الله[1]، لا يصلح منه شيء لمَلَكٍ مقرَّب ولا نبيٍّ مُرْسَل، فضلاً عن غيرهما. وإلاَّ فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله الخالقُ وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يدبِّر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرض ومن فيها — كلُّهم عبيده، وتحت تصريفه وقهره.

فإذا أردتَ الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقْرَأ قوله: ﴿قُلْ مَنْ يرْزُقُكم مِنَ السَّماء والأرضِ، أمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصارَ، ومن يُخْرِجُ الحيَّ من الميِّتِ ويخرج الميِّتَ من الحيِّ،

(١) في المجموعة ١ : ٢١٩ «محض حق لله».

ومن يدبِّرُ الأمرَ؟ فسيقولون: الله. فقل: أفَلاَ تَتَّقُون؟﴾. وقوله: ﴿قُلْ لِمَن الأرضُ ومَنْ فيها إنْ كنتم تعلمون؟ سيقولون لله. قُل أفلا تذكَّرون؟ قل مَنْ ربُّ السمواتِ السبعِ وربُّ العرشِ العظيم؟ سيقولون لله. قل أفَلا تتَّقُون؟ قل مَنْ بيَدِهِ مَلَكُوتُ كلِّ شيء وهو يجُيرُ ولاَ يُجَارُ عليه إن كنتم تعلمون؟ سيقولون لله. قل فأنَّى تُسْحَرُون؟﴾، وغير ذلك من الآيات.

إذا تحققتَ أنهم مُقِرُّون بهذا، ولم يُدخِلْهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ وعرفتَ أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسمِّيه المشركون في زماننا: الاعتقاد؛ كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقُرْبهم إلى الله، ليشفعوا له، و يدعو رجلاً صالحاً مثل: اللات، أو نبياً مثل: عيسى؛ وعرفتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشِّرْك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿فلا تَدْعُوا معَ اللهِ أحداً﴾، وقال تعالى: ﴿له دَعْوةُ الحقِّ والذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِه لا يَسْتجيبون لهم بشيء﴾ وتحققتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كلُّه لله، والنَّذْرُ كلُّه لله، والذَّبْحُ كلُّه لله، والاستعانةُ كلُّها بالله، وجميعُ أنواعِ العباداتِ كلِّها لله؛ وعرفتَ أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدْخِلهم في الإسلام، وأنَّ قَصْدَهم الملائكةَ والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم، والتقرُّب إلى الله بذلك، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم — عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ الذي دعتْ إليه الرسلُ وأبىَ عن الإقرارِ به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله. فإن الإله عندهم هو الذي يُقْصَدُ لاجلِ هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرةً أو قبراً أو جِنِّيًّا. لم يريدوا أنَّ الإله هو الخالق الرازق المدبِّر؛ فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحدَه، كما قدَّمتُ لك؛ وإنما يَعْنُون بالإله ما يَعْنِي المشركون في زماننا بلفظ السيِّد. فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله. والمراد من هذه الكلمة معناها، لا مجرَّد لفظها. والكُفَّار والجهَّال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو: إفرادُ الله تعالى بالتعلُّقِ، والكفرُ بما يُعْبَد من دونه

والبراءة منه؛ فإنه لمَّا قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله؛ قالوا: ﴿ أجَعَلَ الآلهةَ إلهاً واحِداً؟ إنَّ هذا لشيء عُجَابٌ ﴾.

فإذا عرفتَ أن جُهَّال الكُفَّار يعرفون ذلك، فالعَجَبُ ممَّن يدَّعي الإسلامَ وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهَّال الكَفَرَة؛ بل يظنُّ أنَّ ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقادِ القلبِ لشيء من المعاني. والحاذقُ منهم يظنُّ أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبِّر الأمرَ إلا الله. فلا خيرَ في رجلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أعْلَمُ منه بمعنى «لا إله إلا الله».

إذا عرفتَ ما أقول لك معرفةَ قلبٍ، وعرفتَ الشِّرْكَ بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إنَّ اللهَ لا يغفرُ أن يُشْرَكَ به و يَغْفِرُ ما دون ذلك لمن يشَاء ﴾، وعرفتَ دينَ اللهِ الذي أرْسلَ به الرُّسلَ من أوَّلِهم إلى آخرهم، الذي لا يَقْبَل اللهُ من أحدٍ سواه؛ وعرفتَ ما أصبح غالبُ الناسِ فيه من الجهل بهذا — أفادك فائدتين:

الأولى: الفرحُ بفضل الله ورحمته كما قال تعالى: ﴿ قُلْ بفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلك فَلْيَفْرَحُوا، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

وأفادك أيضاً الخوفَ العظيمَ، فإنك إذا عرفتَ أن الإنسان يكفُرُ بكلمةٍ يُخْرِجُها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهلٌ فلا يُعْذَر بالجهل، وقد يقولها وهو يظنُّ أنها تقرِّبه إلى الله كما ظنَّ الكفار، خصوصاً إنْ ألهمك اللهُ ما قصَّ عن قوم موسى — مع صلاحهم وعلمهم — أنهم أتَوْه قائلين: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إلهاً كما لَهُمْ آلهةٌ ﴾، فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلِّصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن الله سبحانه، من حكمته، لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد إلا جعل له اعداء كما قال تعالى: ﴿ وكذلك جَعَلنا لِكُلِّ نَبيٍّ عَدُوًّا: شياطينَ الإنسِ والجِنِّ، يُوْحِي بَعْضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً ﴾.

وقد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرة وكُتُبٌ وحُجَجٌ، كما قال تعالى: ﴿ فلمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهم بالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بما عِنْدَهم من العِلْم وحاقَ بهم ما كانوا به يَسْتَهْزِئون ﴾.

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أن الطريق إلى الله لا بُدَّ له من أعداء قاعدين عليه، أهلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحججٍ ــ فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامُهم لربِّك عزَّ وجلَّ: ﴿ لأَقْعُدَنَّ لهم صِرَاطَكَ المستقيم، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِنْ بينِ أيديهم وَمِنْ خَلْفِهم وعن أيمَانِهِم وعَنْ شَمائلهم ﴾. ولكنْ إنْ أقبلتَ على الله، وأصغيتَ إلى حُجَجِ الله وبيِّناته، فلا تَخَفْ ولا تحزن ﴿ إنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كان ضعيفاً ﴾ والعامِّيُّ من الموحِّدين يغلب ألفاً من علماء المشركين، كما قال الله تعالى: ﴿ وإنَّ جُنْدَنا لهم الغالبون ﴾ فجندُ الله هم الغالبون بالحجَّة واللسان، كما هم الغالبون بالسيف والسِّنان، وإنما الخوف على الموحِّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح. وقد منَّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تِبْياناً لكل شيء وهُدًى ورحمةً وبُشْرَى للمسلمين: فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجَّةٍ إلا وفي القرآن ما ينقُضُها ويبيِّن بُطْلانَها، كما قال تعالى: ﴿ ولا يأتُونَكَ بمَثَلٍ إلا جِئْنَاكَ بالحقِّ وَأحْسَنَ تفسيراً ﴾ قال بعض المفسرين: هذه الآية عامةٌ في كل حجة يأتي بها أهلُ الباطل إلى يوم القيامة.

وأنا أذكر لك شيئاً مما ذكره الله في كتابه جواباً لكلام احتجَّ به المشركون في زماننا علينا؛ فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مُجْمَل، ومفصَّل. أما المُجْمَل: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عَقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ، منْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشَابهاتٌ. فأمَّا الَّذِينَ في قُلُوبهم زَيْغٌ فَيَتَّبعُونَ مَا تَشَابهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الفِتْنَةِ وابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللهُ ﴾. وقد صحَّ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى الله، فاحذروهم».

مثال ذلك: إذا قال بعض المشركين: ﴿ ألاَ إنَّ أولياء اللهِ لا خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنون ﴾، وأنَّ الشفاعة حقٌّ، وأنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله، أو ذكر

كلاماً للنبي صلى الله عليه وسلم يَسْتَدِلُّ به على شيء من باطله؛ وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ــ فجاوِبْه بقولك: إنَّ الله ذكر أن الذين في قلوبهم زَيْغٌ يتركون المحْكَم ويتبعون المُتشابه، وما ذكرتهُ لك من أن الله ذكر أن المشركين يُقِرُّون بالربوبية وأنَّه كفَّرهم بتعلُّقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ ــ هذا أمر مُحْكم بيِّنٌ لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه؛ وما ذكرتَ لي، أيُّها المشرك، من القرآن أو كلام النبي صلى الله عليه وسلم ــ لا أعرف معناه، ولكنْ أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلامَ الله. وهذا جواب جيِّد سديد ولكنْ لا يفهمه إلا من وفَّقه الله، ولا تستهنْ به فإنه كما قال تعالى: ﴿ وما يُلَقَّاها إلا الذين صَبَرُوا وما يلقَّاها إلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾.

وأما الجواب المفصَّل، فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدُّون بها الناس، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا ــ فضلاً عن عبد القادر أو غيره ــ ولكنْ أنا مُذْنِبٌ، والصالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلبُ مِنَ الله بهم. فجاوِبْه بما تقدَّم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقِرُّون بما ذكرتَ، ومقرُّون أن أوثانهم لا تدبِّر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه الشفاعة؛ واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضَّحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوِبْه بما تقدَّم، فإنه إذا أقرَّ أن الكُفَّار يشهدون بالربوبية كلِّها لله، وأنهم ما أرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة ــ ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ــ فاذكُرْ له أن الكفار: منهم من يدْعُو الصالحين والأصنام، ومنهم من يدْعُو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿ أولئك الّذِين يدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِم الوَسيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ ويدْعُونَ عيسى بن

مريم وأمَّه، وقد قال الله تعالى: ﴿ما المَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ، وأمُّه صِدِّيقَةٌ كانا يَأكلاَنِ الطَّعَامَ. انْظُرْ كَيفَ نبيِّنُ لهمُ الآياتِ، ثُمَّ انْظُرْ أنَّى يُؤفكُون. قُلْ: أتعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالا يَمْلِكُ لكُم ضَرًّا ولا نَفْعاً، واللهُ هو السَّمِيع العَليم﴾. واذكر قوله: ﴿و يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئكةِ أهؤلاء إيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدون؟ قالوا سُبْحَانَك أنتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهم، بَلْ كانوا يَعْبُدون الجِنَّ، أكْثَرُهُمْ بهم مؤمنون﴾. فقل له: عرفتَ أنَّ الله كفَّر من قَصَد الأصنام، وكفَّر أيضاً من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قال: الكفَّار يريدون منهم، وأنا أشهد أن اللهَ النافعُ الضارُّ المدبِّرُ، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله بشفاعتهم[1]. فالجواب: أن هذا قولُ الكفار سواء بسواء[2] وقرأ عليه قولهم: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى﴾ وقولهم: (هؤلاء شُفَعَاؤنا عِنْدَ اللهِ).

واعلمْ أن هذه الشُّبَهَ الثلاث هي أكبر ما عنده فإذا عرفت أن الله وضَّحها في كتابه وفهِمْتها فهماً جيداً، فما بعدها أيسرُ منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة. فقل له: أنت تُقِرُّ أن الله فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقه عليك. فإذا قال: نعم. فقل له: بيِّن لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله، وهو حقه عليك. فإن كان[3] لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبيِّنها

(١) في المجموعة، والدرر السنية، والمصورة «شفاعتهم». وأثبتنا ما في المخطوطة ٤٥، والمطبوعة ١: ٦٥.

(٢) في المخطوطة والمطبوعة «أن هذا قول الكفار سواء فاقرأ...» والزيادة من المصورة والمجموعة.

(٣) في المطبوعة ١: ٦٥، والمصورة ١: ٨٨ «إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك فإنه لا يعرف...» وأثبتنا ما في المجموعة: ٢٢٤. وفي المخطوطة: ٤٥ «إخلاص العبادة فإنه لا يعرف».

بقولك: قال الله ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تضرُّعاً وخُفْيَةً ﴾ فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل هو عبادة؟[1] فلا بدّ أن يقول: نعم ــ والدعاء مخ العبادة ــ فقل له: إذا أقررتَ أنها عبادة ودعوتَ الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوتَ في تلك الحاجة نبيّاً أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره؟ [فلا بُدَّ أنْ يقول: نعم. فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى:][2]. ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ ﴾ وأطعت الله ونحرت له، [هل هذا عبادة؟][3] فلا بدّ أن يقول: نعم. فقل له: إذا نحرتَ لمخلوقٍ: نبيٍّ أو جِنّيٍّ[4] أو غيرهما، هل أشركتَ في هذه العبادة غير الله؟ فلا بدَّ أن يُقِرَّ و يقول: نعم. وقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللاتَ وغير ذلك؟ فلا بدَّ أن يقول: نعم. فقل له: وهل كانت عبادتُهم إياهم إلا في الدُّعاء والذَّبْح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرُّون أنهم عبيد تحت قهر الله، وأن الله هو الذي يدبّر الأمر، ولكن دَعَوْهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة. وهذا ظاهر جدّاً.

فإن قال: أتُنْكِر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها؟ فقل: لا أنكرها ولا أتبرَّأ منها، بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفَّع، وأرجو شفاعته. لكنَّ الشفاعةَ كلَّها لله، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً ﴾، ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال عزَّ وجل: ﴿ مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإذْنِهِ ﴾، ولا يشفع في أحدٍ إلا بعد أن يأذن الله فيه، كما قال جلَّ جلاله: ﴿ ولا يَشْفعُون إلاَّ لِمَن ارتَضَى ﴾، وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة والمصورة «إذا علمت بهذا هل هو عبادة».

(٢) في المطبوعة والمصورة «هل أشركت في عبادة الله غيره، إذ قال الله: فصل لربك وانحر». والزيادة من المجموعة.

وفي المخطوطة: ٤٦ «هل أشركت في عبادة الله غيره، وهو حقه عليك؟ فلا بد أن يقول: نعم. فإذا قال الله: فصلِّ لربك وانحر. وأطعت الله...».

(٣) الزيادة من المخطوطة: ٤٦، والمجموعة.

(٤) في المجموعة «أو أجنبي» وهو خطأ واضح.

قال تعالى: ﴿ ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ فإذا كانت الشفاعة كلُّها لله، ولا تكون إلا بعد إذنه، ولا يشفع النبيُّ صلى الله عليه وسلم ولا غيرُه في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد ــ تبيَّن أنَّ الشفاعة كلَّها لله، وأطلبُها منه وأقول: اللهمَّ لا تَحْرِمْني شفاعتَه، اللهمَّ شَفِّعْه فيَّ؛ وأمثال هذا.

فإن قال: النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُعْطِيَ الشفاعة وأنا أطلبُه مما أعطاه الله. فالجواب: إن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، وقال: ﴿ فلا تَدْعُوا معَ اللهِ أحداً ﴾. وأيضاً فإن الشفاعة أُعْطِيَها غيرُ النبي صلى الله عليه وسلم: فصحَّ أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون؛ أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبُها منهم؟ فإنْ قلتَ هذا رجعتَ إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإن قلت: لا، بطل قولك: أعطاه اللهُ الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلاَّ؛ ولكنَّ الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك. فقل له: إذا كنتَ تُقِرُّ أن الله حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزِّنا، وتقرُّ أن الله لا يغفره؛ فما هذا الأمر الذي عظَّمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري. فقل له: كيف تبرأ من الشرك وأنت لا تعرفه، كيف يحرِّم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرِّمه ولا يبيِّنه لنا؟ فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبِّر أمر من دعاها؟ فهذا يكذِّبه القرآن. [وإنْ قال][1]: هو قَصْدُ خشبةٍ أو حجر أو بَنِيَّةٍ أو غيره، يَدْعُون ذلك، ويذبحون له، يقولون إنه يقرِّبنا إلى الله، ويدفع عنا ببركته. فقل: صدقتَ[2]. وهذا هو فِعْلُكم عند الأحجار والبنايا التي على القبور وغيرها؛ فهذا أقرَّ أنَّ فِعْلَهم هذا هو عبادةُ الأصنام.

---

(١) زيادة من المجموعة: ٢٢٤.

(٢) في المخطوطة: ٤٦، والمطبوعة ١: ٦٦، والمصورة ١: ٩٠ «ببركته فقد صدقت».

ويقال له أيضاً: قولُك «الشركُ عبادةُ الأصنام» هل مرادُك أن الشركَ مخصوصٌ بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يردُّه ما ذكره الله في كتابه من كُفْرِ مَنْ تعلَّق على الملائكة وعيسى والصالحين. فلا بُدَّ أنْ يُقِرَّ لك أنّ من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن؛ وهذا هو المطلوب.

وسِرُّ المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله. فقل: وما الشرك بالله؟ فسِّرْه لي. فإن قال: هو عبادة الأصنام. فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسِّرْها لي؟ وإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده. فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسِّرْها لي. فإن فسَّرها بما يبيِّنه القرآن فهو المطلوب. وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإنْ فسَّر ذلك بغير معناه بيَّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان [أنَّه][1] الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أجَعَلَ الآلهةَ إلهاً واحداً إنَّ هذا لَشَيء عُجَاب﴾[2].

فإذا عرفتَ أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا «الاعتقاد» هو الشرك الذي أُنزِل فيه القرآن، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ عليه ـ فاعلم أن شرك الأوَّلين أخفُّ من شرك أهل وقتنا بأمرين:

أحدهما: أنَّ الأوَّلين لا يشركون ولا يدْعُون الملائكةَ والأولياء أوثاناً مع الله إلا في الرَّخاء، وأمَّا في الشِّدَّةِ فيُخْلِصون لله الدين[3] كما قال تعالى: ﴿وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُون إلاَّ إيَّاهُ فلمَّا نجَّاكُمْ إلى البرِّ أعْرَضْتُمْ، وكان الإنسانُ كَفُوراً﴾ وقوله: ﴿قُلْ أرَأيْتَكُمْ إنْ أتاكُمْ عَذَابُ اللهِ أوْ أتَتْكُمُ السَّاعَةُ أغَيْرَ اللهِ تَدْعُون إنْ كُنْتُمْ صادقين. بل إيَّاهُ تَدْعُون فَيَكْشِفُ ما تَدْعُون إليه إنْ

---

(١) زيادة من المجموعة: ٢٢٧.

(٢) في المجموعة نحو صفحة غير موجودة في الأصول الأخرى (انظر المجموعة ص: ٢٢٦-٢٢٧).

(٣) في المجموعة «يخلصون لله الدعاء».

شاء، وتَنْسَوْن ما تُشْرِكون﴾، وقوله: ﴿وإذا مسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنيباً إليه﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بكُفْرِكَ قَليلاً إنَّكَ مِنْ أصحابِ النَّارِ﴾ وقوله: ﴿وإذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

فمن فهم هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه، وهي أن المشركين ــ الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يَدْعُون الله و يَدْعُون غيره في الرَّخاء، وأمَّا في الضُّرِّ والشدَّة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له و ينسَوْن سادتهم ــ تبيَّن له الفرقُ بين شِرْك أهل زماننا وشرك الأوَّلين. ولكن أين من يفهم قلبُه هذه المسألة فهماً راسخاً؟ والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأوَّلين يَدْعُون مع الله أناساً مقرَّبين عند الله، إما أنبياء[1] وإما أولياء وإما ملائكة، و يَدْعُون أحجاراً وأشجاراً مطيعةً لله ليست عاصية. وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يَدْعُونهم هم الذين يحكُون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك. والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي ــ مثل الخشب والحجر ــ أهونُ ممَّن يعتقد فيمن يشاهد فسقَه وفسادَه و يشهد به.

وإذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحُّ عقولاً وأخفُّ شركاً من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شُبْهةً يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شُبَههم فأَصِخْ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، و يكذِّبون الرسول، و ينكرون البعث، و يكذِّبون القرآن ويجعلونه سحراً؛ ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدِّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلِّي، ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

---

(١) في المخطوطة: ٤٧، والمطبوعة ١: ٦٧ «نبياً».

والجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذّبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن، وجحد بعضه — كمن أقرّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقرّ بالتوحيد والصلاة، [وجحد وجوب الزكاة، أو أقرّ بهذا كله وجحد الصوم، أو أقرّ بهذا كله][1] وجحد الحج. ولمّا لم يَنْقَدْ أناسٌ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتطاعَ إليه سَبِيلاً، ومَنْ كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالمينَ﴾، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحلّ دمُه ومالُه، كما قال جل جلاله: ﴿إنَّ الذين يَكْفُرُون باللهِ ورُسُلِهِ ويُرِيدُون أنْ يُفرِّقوا بينَ اللهِ ورُسُلِهِ ويقولون نؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ ويُرِيدُون أنْ يتَّخِذُوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافِرُونَ حَقًّا﴾، الآية.

فإذا كان الله قد صرَّح في كتابه أن من آمن ببعضٍ وكفر ببعضٍ، فهو الكافر حقًّا زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا.

ويقال [أيضاً][2]: إذا كنتَ تُقِرُّ أنَّ من صدّق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة إنه كافر حلال الدم [والمال][3] بالإجماع، وكذلك إذا أقرّ بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله[4] — لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن، كما قدمنا — فمعلومٌ أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أعظم من الصلاة والزكاة

---

(١) زيادة من المخطوطة: ٤٧، والمصورة ٩٢:١، والمجموعة: ٢٢٨.
(٢) زيادة من المجموعة: ٢٢٨.
(٣) زيادة من المجموعة ٢٢٨.
(٤) في المخطوطة: ٤٨، والمطبوعة ٦٨:١، والمصورة ٩٢:١ «رمضان لا يجحد هذا». وأثبتنا ما في المجموعة.

والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل!

و يقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حَنيفة، وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، و يصلُّون و يؤذِّنون. فإن قال: إنهم يقولون إن مُسَيْلمة نبي، قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم، كفر وحلَّ ماُله ودمُه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع: «شمسان»، و «يوسف»، أو صحابياً، أو نبياً في مرتبة[1] جبار السموات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ على قُلوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾.

و يقال أيضاً: إن الذين حرقهم عليّ بن ابي طالب بالنار كلهم يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ، وتعلَّموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنّون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟ أم تظنُّون الاعتقاد في «تاج»[2] وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن ابي طالب يكفِّر؟

و يقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العبّاس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، و يدَّعون الإسلام، و يصلُّون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

---

(١) في المجموعة: ٢٢٩ «إلى رتبة». وشمسان و يوسف رجلان كانوا يعتقدون فيهما الولاية والشفاعة.

(٢) تاج: رجل كانوا يعتقدون فيه مثل شمسان و يوسف.

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن، وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب «باب حكم المرتد»، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه؟ ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفِّر ويُحِلُّ دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ما قالوا ولقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكفَرُوا بعدَ إسلامِهِم ﴾ أما سمعت الله كفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ويصلون معه، ويزكُّون، ويحجُّون، ويوحِّدون؟ وكذلك الذين قال فيهم: ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وآياتِهِ ورَسُولِهِ كنتم تستهزئون؟ لا تَعْتَذِرُوا، قد كَفَرْتُمْ بعد إيمانِكُمْ ﴾، فهؤلاء الذين صرَّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم هم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تَبُوك، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح. فتأمل هذه الشُّبْهة، وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلُّون ويصومون؟ ثم تأمَّل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله عن بني إسرائيل — مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم — أنهم قالوا لموسى: ﴿ اَجْعَلْ لَنا إلهاً كما لَهُمْ آلِهَة ﴾، وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواطٍ؛ فحلف صلى الله عليه وسلم أن هذا نظير قول بني إسرائيل: «اجعل لنا إلهاً»؛ ولكنَّ للمشركين شبهة أخرى يُدْلُون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواطٍ؛ لم يكفروا.

والجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولا خلاف أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك

لكفروا[1]؛ وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم — لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه — لكفروا؛ وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم، بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فيفيد التعلُّم والتحرُّزَ ومعرفةَ أنَّ قول الجاهل: «التوحيد فهمناه» أنَّ هذا من أكبر الجهل، ومكايد الشيطان. وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كُفْرٍ —وهو لا يدري— فنُبِّه على ذلك وتاب من ساعته، أنه لا يكفَّر؛ كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفَّر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللمشركين شبهة أخرى، يقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامةَ قَتْلَ من قال: لا إله إلا الله؛ وقال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» وكذلك قوله: «أمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، وأحاديث أُخَر في الكَفِّ عمَّن قالها. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفَّر ولا يُقْتَل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلومٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله؛ وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلُّون، ويدَّعون الإسلام؛ وكذلك الذين حرقهم عليّ بن أبي طالب بالنار. وهؤلاء الجهلة يقرُّون أن من أنكر البعث كفر وقُتِل، ولو قال: لا إله إلا الله؛ وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه

---

(١) في المطبوعة ١: ٦٩ «إن بني إسرائيل لو لم يفعلوا ذلك لكفروا»؛ وفي المجموعة: ٢٣٠ «إن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا»؛ وفي المخطوطة: ٤٨ «إن بني إسرائيل لو يفعلون ذلك لكفروا». وأثبتنا ما في المصورة ١: ٩٤.

إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث. فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادَّعى الإسلام بسبب أنه ظنَّ ما ادَّعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله؛ والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه حتى يُتبيَّن منه ما يخالف ذلك؛ وأنزل الله في ذلك: ﴿ يا أيُّها الَّذِين آمنُوا إذا ضَرَبْتُمْ في سَبِيلِ اللهِ فتبيَّنُوا ﴾ أي: تثبَّتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكفُّ عنه والتثُّبت، فإن تبيَّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل لقوله: ﴿ فتبيَّنُوا ﴾ ولو كان لا يُقْتَل إذا قالها لم يكن للتثبُّت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكفُّ عنه إلا أن يُتَبيَّن منه ما يناقض ذلك. والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ الذي قال: «أقتلتَه بعدما قال لا إله إلا الله» وقال: «أمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» ــ هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قَتْلَ عادٍ» مع كونهم من أكثر الناس عبادةً وتهليلاً، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم[1] عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة؛ فلم تنفعهم «لا إله إلا الله»، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة. وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة. وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يغزو بني أُلمصْطَلقِ لمّا أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله: ﴿ يا أيهُا ألَّذِين آمنوا إنْ جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِيبُوا قوْماً بِجَهالَةٍ ﴾ وكان الرجل كاذباً عليهم. وكل هذا يدل على أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي احتجُّوا بها ما ذكرناه.

ولهم شُبْهة أخرى، وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس [في الموقف يوم القيامة][2] يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم

(١) في المجموعة: «يحقرون صلاتهم عندهم».
(٢) زيادة من المصورة ١: ٩٦. وفي المجموعة: ٢٣٢ «إن الناس يوم القيامة يستغيثون..».

بعيسى: فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً. والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿ فاستغاثه الَّذِي مِنْ شِيْعَتِهِ على الذي مِنْ عَدُوِّه ﴾ وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في اشياء يقدر عليها المخلوق. ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدْعُوا الله أن يحاسب الناسَ حتى يستريح أهل الجنة من كَرْب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة: أن تأتي عند رجل صالح حيٍّ يجالسك و يسمع كلامك تقول له: ادْعُ اللهَ لي؛ كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم يسألون ذلك، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه؟

ولهم شبهة أخرى، وهي قصة إبراهيم لما أُلْقِيَ في النار اعترض له جبريل في الهواء، قال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أمَّا إليك فلا. فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم. فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمرٍ يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه: ﴿ شَدِيدُ القُوَى ﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها[1] و يلقيها في المشرق والمغرب لفعل، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره الله أن يرفعه إلى السماء لفعل. وهذا كرجل غنيٍّ له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه، أو يهبه شيئاً يقضي به حاجته، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، و يصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا مِنَّةَ فيه لأحد. فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

---

(١) في المجموعة: ٢٣٢ «وما حولها من الأرض والجبال».

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تُفْهَم مما تقدَّم، لكن نُفْرِد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها، فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلّ[1] شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس. وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم؛ أو غير ذلك من الأعذار. ولم يَدْرِ المسكين أنَّ غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بآياتِ اللهِ ثَمَناً قليلاً﴾ وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُون أبناءهُمْ﴾. فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو أشرُّ من الكافر الخالص ﴿إنَّ الْمنَافِقِينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّار﴾.

وهذه المسألة مسألة طويلة تَبين لك إذا تأملتها في ألْسِنَةِ الناس: ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاهٍ أو مداراة؛ وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً[2]. ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاهما قوله: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمانِكُمْ﴾. فإذا تحقَّقتَ أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبيَّن لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به، خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراةً لأحدٍ، أعظمُ ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

(١) في المخطوطة: ٥٠، والمطبوعة ١: ٧١ «اختلف».

(٢) في المجموعة: ٢٣٣ «..... لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه»، وهذه الزيادة غير موجودة في سائر الأصول.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمئنٌّ بالإيمانِ، ولكن مَّنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْراً فعليهِمْ غضبٌ مِنَ اللهِ ولَهُمْ عَذابٌ عظيمٌ ذلكَ بأنَّهُم اسْتَحَبُّوا الحياةَ الدُّنْيا على الآخرةِ﴾، الآية. فلم يعذر الله من هؤلاء إلاّ من أكْرِه مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل خوفاً أو مداراة ً أو مشحَّةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض ـــ إلا المُكْرَه. والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين، الأولى: قوله ﴿إلا مَنْ أكْرِه﴾ فلم يَسْتَثْنِ الله إلا المُكْرَه؛ ومعلومٌ أن الإنسان لا يُكرَه إلا على الكلام والعمل، وأما عقيدة القلب فلا يُكْرِهُه أحدٌ عليها. والثانية: قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم اسْتَحبُّوا الحياةَ الدُّنْيا على الآخِرةِ﴾ فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقادِ والجهلِ أو البغضِ للدِّين أو محبةِ الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الرسالة الثالثة

انظر الدرر السنية ٢: ٢٠-٢٢.

أرسلها إلى مطاوعة[1] أهل سدير والوشم والقصيم قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين،
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

خصوصاً محمد بن عبيد، وعبد القادر العديلي، وابنه، وعبدالله بن سحيم، وعبد الله بن عضيب، وحميدان بن تركي، وعلي بن زامل، ومحمد أبا الخيل، وصالح بن عبد الله،

أما بعد؛

فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلينا على حين فَتْرةٍ من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل، والشرع التامّ. وأعظمُ ذلك، وأكبرُه، وزبدتهُ، هو: إخلاصُ الدين لله، بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، وهو: أن لا يُدْعَى أحدٌ من دونه من الملائكة، والنبيِّين، فضلاً عن غيرهم. فمن ذلك أنه لا يُسجَد إلا لله، ولا يُركَع إلا له، ولا يُدْعى لكشف الضر إلا هو، ولا لجلب الخير إلا هو، ولا يُنذَر إلا له، ولا يُحلف إلا به، ولا يُذْبَح إلا له، وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له. وهذا معنى قول: «لا إله إلا الله»، فإن المألوه هو: المقصودُ المعتَمدُ عليه، وهذا أمر هيِّن عند من لا يعرفه، كبيرٌ عظيم عند من عرفه. فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان، وزيَّن لهم الشرك بالله، وأخرجه في قالب حُبِّ الصالحين وتعظيمهم.

---

(١) المطاوعة — جمع مطوع: أي المعلم والمرشد.

والكلام في هذا ينبني على قاعدتين عظيمتين:

الأولى: أن تعرف أن الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون الله، ويعظِّمونه، ويحجُّون، ويعتمرون، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل، وأنهم يشهدون أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يدبِّر إلا الله وحده لاشريك له، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماء وَالأرْض ﴾،الآية.

فإذا عرفت أن الكفار يشهدون بهذا كله فاعرفْ:

القاعدة الثانية: وهي أنهم يَدْعُون الصالحين، مثل: الملائكة، وعيسى، وعُزَير، وغيرهم. وكل من ينتسب إلى شيء من هؤلاء سمَّاه إلهاً، ولا يعني بذلك أنه يخلق أو يرزق، بل يدعون الملائكة وعيسى، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. ويقولون: ﴿ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبونا إلى اللهِ زُلْفَى ﴾.

والإله في لغتهم هو الذي يسمَّى في لغتنا: «الذي فيه سِرّ»، والذي يسمونه الفقراء: «شيخهم» يعنون بذلك أنه يُدْعَى وَيْنفع ويَضُرّ، وإلا فإنهم مُقِرُّون لله بالتفرُّد بالخلق والرزق. وليس ذلك معنى الإله، بل الإله: المقصودُ المَدْعوُّ المَرْجوُّ، لكنِ المشركون في زماننا أضلُّ من الكفار الذين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من وجهين:

أحدهما: أن الكفار إنما يَدْعُون الأنبياء والملائكة في الرَّخاء، وأمَّا في الشدائد فيُخْلِصون لله الدينَ، كما قال تعالى: ﴿ وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البَحْر ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلاَّ إيَّاهُ ﴾، الآية.

والثاني: أن مشركي زماننا يَدْعُون أناساً لا يوازنون عيسى والملائكة.

إذا عرفتم هذا فلا يخفَى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر، عبادةِ الأصنام: هذا يأتي إلى قبر نبي، وهذا إلى قبر صحابيٍّ كالزُّبَير وطَلْحَة، وهذا

إلى قبر رجلٍ صالحٍ، وهذا يدعوه في الضرَّاء وفي غيبته، وهذا ينذر له، وهذا يذبح للجنّ، وهذا يَدْخل عليه[1] من مضرَّة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة. فإن كنتم تعرفون أن هذا الشرك [من جنس][2] عبادة الأصنام الذي يُخرِج الرجل من الإسلام، وقد ملأ البرَّ والبحر، وشاع وذاع، حتى إن كثيراً ممن يفعله يقوم الليل، ويصوم النهار، وينتسب إلى الصلاح والعبادة — فما بالكم لم تُفْشُوه في الناس، وتبيِّنوا لهم أن هذا كُفْرٌ بالله، مُخْرِجٌ عن الإسلام؟ أرأيتم لو أن بعض الناس، أو أهل بلدة، تزوَّجوا أخواتِهم أو عمَّاتهم، جهلاً منهم، أفيحِلُّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركهم، لا يعلِّمهم أن الله حرَّم الأخوات والعمَّات؟ فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهنَّ أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة، وفي غيبتهم عنها، فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام، ولا شهادة أن لا إله إلا الله. ودليل هذا مما تقدم من الآيات التي بيَّنها الله في كتابه، وإن عرفتم ذلك فكيف يحلُّ لكم كتمانُ ذلك والإعراضُ عنه، وقد ﴿ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّه للنَّاسِ ولا تكتمونه ﴾.

فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزؤاً وجهلاً، كما هي عادتكم، ولا تقبلونه، فانظروا في «الإقناع» في باب «حكم المرتد» وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التي ذكر أن الإنسان — إذا فعلها — فقد ارتدَّ وحلَّ دمه، مثل: الاعتقاد في الأنبياء والصالحين، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، ومثل: الطيران في الهواء، والمشي في الماء. فإذا كان من فعل هذه الأمور منكم — مثل: «السائح الأعرج» ونحوه — تعتقدون صلاحه وولايته، وقد صرح في «الإقناع» بكفره، فاعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) يدخل عليه: يستجير به ويستغيث.

(٢) في المطبوعة ١: ٩٦، والمصورة ١: ١٢٥ «... إن هذا من الشرك من عبادة الأصنام». وفي المخطوطة: ٦٧ «فإن كنتم تعرفون أن هذا يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح...» سقطت منها عبارتان. وأثبتنا ما في الدرر السنية ٢: ٢٣.

فإنْ بان لكم في كلامي هذا شيء من الغُلُوِّ من أنَّ هذه الأفاعيل لو كانت حراماً فلا تُخْرِج من الإسلام، وأن فِعْلَ أهل زماننا في الشدائد في البر والبحر، وعند قبور الأنبياء والصالحين، ليست من هذه ــ بيِّنوا لنا الصواب، وأرشدونا إليه!

وإنْ تبيَّن لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعتُه في الناس، وتعليمُه النساء والرجالَ، فرحم الله من أدَّى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقرَّ على نفسه. فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى.

والسلام.

الرسالة الرابعة

انظر الدرر السنية ٣:٣-٦، ثم ٢:٢٣-٢٥.

أرسلها إلى عبدالله بن سحيم مطوع المجمعة قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن سحيم، حفظه الله تعالى؛

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛

فقد وصل كتابك تطلب شيئاً من معنى كتاب «المويس» الذي أرسل لأهل الوَشْم. وأنا أجيبك عن الكتاب جملةً، فإنْ كان الصواب فيه فنبِّهْني، وأرجع إلى الحق؛ وإن كان الأمر كما ذكرت لك من غير مجازفة ـــ بل أنا مقتصرـــ فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار.

وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة أنواع من العلوم، الأول: علم الأسماء والصفات، الذى يسمَّى علم أصول الدين، ويسمَّى أيضاً العقائد. والثاني: الكلام على التوحيد والشرك. والثالث: الاقتداء بأهل العلم، واتِّباع الأدلَّة، وترك ذلك.

أما الأول:

فإنه أنكر على أهل الوشم إنكارهم على من قال: ليس بجوهر ولا جسم ولا عَرَض. وهذا الإنكار جمع فيه بين اثنتين، إحداهما: أنه لم يفهم كلام ابن عيدان وصاحبه. الثانية: أنه لم يفهم صورة المسألة، وذلك أن مذهب الإمام أحمد، وغيره من السَّلَف، أنهم لا يتكلَّمون في هذا النوع إلا بما تكلم الله به ورسولُه، فما أثبته الله لنفسه ـــ أو أثبته رسوله ـــ أثبتوه، مثل: الفَوْقِيَّة، والاستواء، والكلام، والمجيء، وغير ذلك. وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله نَفَوْه، مثل: المِثْل، والنِّدّ، والسَّمِيّ، وغير ذلك. وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباتُه ونفيه، مثل: الجوهر، والجسم، والعَرَض، والجهة، وغير ذلك ـــ لا

يثبتونه ولا ينفونه. فمن نفاه ــ مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه ــ فهو عند أحمد والسلف مُبتدِع؛ ومن أثبته ــ مثل هشام بن الحكم وغيره ــ فهو عندهم مبتدع؛ والواجب عندهم السكوتُ عن هذا النوع اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

هذا معنى كلام الإمام أحمد الذي في رسالة «المويس» أنه قال: لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم. فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضِدِّه، ومثاله في ذلك كمثل حَنَفِيٍّ يقول: الماء الكثير ولو بلغ قلّتين ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغيُّرٍ؛ فإذا سئل عن الدليل، قال: قوله صلى الله عليه وسلم: «الماء طَهُور لا ينجِّسه شيء»، فيستدل بدليل خصمه. فهل يقول هذا من يفهم ما يقول؟

وأنا أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة:

قال الشيخ تقيُّ الدين ــ بعد كلام له على من قال: إنه ليس بجوهر ولا عَرَض، ككلام صاحب الخطبة ــ قال رحمه الله: «فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها، كلفظ: الجوهر، والجسم، والتحيُّز، والجهة، ونحو ذلك من الألفاظ. ولهذا لما سئل ابن سُرَيْج عن التوحيد، فذكر توحيد المسلمين، قال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض وإنما بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم بإنكار ذلك. وكلام السلف والأئمة في ذمِّ الكلام وأهله مبسوطٌ في غير هذا الموضع. والمقصود أن الأئمة، كأحمد وغيره، لما ذكر لهم أهلُ البِدَع الألفاظَ المجملة، كلفظ: الجسم، والجوهر، والحيز، لم يوافقوهم: لا على إطلاق الإثبات، ولا على إطلاق النفي».

انتهى كلام الشيخ تقي الدين.

إذا تدبَّرتَ هذا عرفتَ أن إنكار «ابن عيدان» وصاحبه على «الخطيب» الكلامَ في هذا هو عينُ الصواب. وقد اتَّبعا في ذلك إمامهما أحمد بن حنبل

وغيره في إنكارهم ذلك على المبتدِعة، ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضدّ ذلك، وأنَّ الله جسم، وكذا وكذا ــ تعالى الله عن ذلك. وظنَّ أيضاً أن عقيدة أهل السُّنّة هي نفي أنه لا جسمَ، ولا جوهرَ، ولا كذا ولا كذا. وقد تبيَّن لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت: من أثبت بدَّعوه، ومن نفَى بدَّعوه فالذي يقول ليس بجسم، ولا، ولا، هم الجَهْميَّة والمعتزلة. والذين يُثْبِتون ذلك هو هشامٌ[1] وأصحابه. والسلف بريئون من الجميع: من أثبت بدَّعوه ومن نَفَى بدَّعوه.

فالمويس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات، وجعل النَّفْيَ الذي هو مذهبُ الجَهْمِيَّة والمعتزلة ــ مذهبَ السلف، وظنَّ أنَّ من أنكر النفي أنه يريد الإثبات كهشام وأتباعه. ولكن أعجب من ذلك استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم.

ومن كلام أبي الوفاء بن عقيل قال: «أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ماعرفا الجوهر والعرَض. فإن رأيت أن طريقة أبي علي الجُبَّائيّ[2] وأبي هاشم[3] خيرٌ لك من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت». انتهى.

وصاحبكم يدَّعِي أن الرجل لا يكون من أهل السُّنّة حتى يتبع أبا عليٍّ وأبا هاشم بنفي الجوهر والعرَض. فإن أنكر الكلام فيهما، مثلَ أبي بكر وعمر، فهو عنده على مذهب هشامٍ الرافضي. فظهر بما قررناه أن الخطيب ــ الذي يتكلم بنفي العرض والجوهر ــ أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة، وأن ابن عيدان وصاحبه أنكرا ذلك مثل ما أنكره أحمد والعلماء كلُّهم على أهل البِدَع.

---

(١) هشام ــ هو: هشام بن الحكم. فقيه متكلم مناظر، من كبار الإمامية. توفي بعد نكبة البرامكة، في نحو سنة ١٩٠هـ.

(٢) أبو علي الجبائي ــ هو: محمد بن عبد الوهاب. منسوب إلى جبي من قرى البصرة. من أئمة المعتزلة، ورأس علماء الكلام في زمانه، وإليه تنسب فرقة «الجبائية». توفي سنة ٣٠٣.

(٣) أبو هاشم ــ اسمه عبد السلام، وهو ابن أبي علي الجبائي المذكور قبل قليل. من كبار المعتزلة. وإليه تنسب فرقة «البهشمية». توفي في بغداد سنة ٣٢١هـ.

وقوله في الكتاب: ومذهبُ أهل السنَّة إثباتٌ من غير تعطيلٍ، ولا تجسيمٍ، ولا كيفَ، ولا أينَ، إلى آخره. وهذا من أبْيَنِ الأدلَّة على أنه لم يفهم عقيدة المبتدِعة، وذلك أن إنكار «الأين» من عقائد أهل الباطل، وأهلُ السنَّة يُثْبتونه اتِّباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيح أنه قال للجارية: أين الله؟ فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة، وأن إنكارها مذهب أهل السنة، كما قيل، وعكسه بعكسه.

وأما الجسم فتقدم الكلام أن أهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه فغلِط عليهم في إثباته. وأما التعطيلُ والكيفُ فصدق في ذلك. فجمع لكم أربعة ألفاظ، نصفها حق من عقيدة الحق، ونصفها باطل من عقيدة الباطل، وساقها مساقاً واحداً، وزعم أنه مذهب أهل السنَّة، فجهل وتناقض.

وقوله أيضاً: ويثبتون ما أثبته الرسول صلى الله عليه وسلم من: السمع، والبصر والحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والكلام، إلى آخره ــ وهذا أيضاً من أعجب جهله، وذلك أن هذا مذهبُ طائفة من المبتدِعة، يُثبتون الصفات السبع، وينفون ما عداها، ولو كان في كتاب الله، ويؤوِّلونه. وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه، وذلك صفات كثيرة، لكن أظنُّه نقل هذا من كلام المبتدِعة، وهو لا يميِّزُ بين كلام أهل الحق من كلام أهل الباطل.

إذا تقرر هذا فقد ثبت خطأه من وجوه،

الأول: أنه لم يفهم الرسالة التي بُعِثتْ إليه.

الثاني: أنه بهت أهلها بإثبات الجسم وغيره.

الثالث: أنه نسبهم إلى الرافضة، ومعلوم أن الرافضة من أبعد الناس عن هذا المذهب وأهله.

الرابع: أنه نسب من أنكر هذه الألفاظ إلى الرفض والتجسيم، وقد تبين أن الإمام أحمد وجميع السَّلَف ينكرونه، فلازمُ كلامِهِ أن مذهب الإمام أحمد وجميع السَّلَف مجسِّمة على مذهب الرفض.

الخامس: أنه نسب كلامهما إلى الفِرْية الجسمية فجعل عقيدة إمامه وأهل السنة فرية جسمية.

السادس: أنه زعم أن البِدَع اشتعلت في عصر الإمام أحمد ثم ماتت حتى أحياها أهل «الوَشْم». فمفهوم كلامه بل صريحه أن عصر الإمام أحمد وأمثاله عصر البدع والضلال وعصر ابن إسماعيل عصر السنَّة والحق.

السابع: أنه نسبهما إلى التعطيل، والتعطيل إنما هو جَحْدُ الصِّفات.

الثامن: بهتهما أنهما نسبا من قبلهما من العلماء إلى التعطيل لكونهما أنكرا على خطيب من المبتدِعة، وهذا من البهتان الظاهر.

التاسع: أنه نسبهما إلى وراثة هشامٍ الرافضي.

العاشر: أن المسلم أخو المسلم، فإذا أخطأ أخوه نصحه سرًّا وبيَّن له الصواب، فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة؛ وهذا لمّا راسلاه صنَّف عليهما ما علمتَ، وأرسله إلى البلدان: اعرفوني اعرفوني، تراني جاي من الشام[1].

وأما التناقض وكون كلامه يكذِّب بعضه بعضاً فمن وجوه:

منها: أنه نسَبَهما تارةً إلى التجسيم، وتارةً إلى التعطيل؛ ومعلومٌ أن التعطيل ضدّ التجسيم، وأهل هذا أعداء لأهل هذا، والحق وسطٌ بينهما.

---

(١) معناها: فإني قد جئت من الشام.

ومنها: أنه نسبَهما إلى الجَهْمِيَّة وإلى المجسِّمة، والجهمية والمجسِّمة بينهما من التناقض والتباعد كما بين السَّواد والبياض، وأهلُ السنَّة وسطٌ بينهما.

ومنها: أنه يقول: مذهبُ أهل الحق إثباتُ الصفات، ثم يقول: ولا أين، ولا، ولا؛ وهذا تناقض.

ومنها: أنه يقول: ما أثبته الله ورسوله أثبت، ثم يخصُّ ذلك بالصفات السبع، فهذا عين التناقض. فعقيدته التي نسَبَ لأهل السنَّة جَمَعها من نحو أربع فِرَقٍ من المبتدعة، يناقض بعضُهم بعضاً، و يسبُّ بعضُهم بعضاً، ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة لجعلتها ضُحْكَةً.

ومنها: أنه يذكر عن أحمد أن الكلام في هذه الأشياء مذموم، إلا ما نُقِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم، ثم ينقل لكم إثباتَ كلام المبتدعة ونفيَهم، و يتكلَّم بهذه العقيدة المعكوسة، و يزعم أنها عقيدة أهل الحق.

هذا ما تيسَّر كتابته عجلاً على السِّراج في الليل، والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة، وتتأمل هذا الأمر، واعرضْ هذا عليه، واطلبْ منه الجواب عن كل كلمة من هذا، فإن أجابك بشيء فاكتبه وإن عرفته باطلاً، وإلا فراجعني فيه أبيِّنْه لك. ولا تستحْقِر هذا الأمر، فإن حرصت عليه جداً عرَّفك عقيدة الإمام أحمد وأهلِ السنَّة وعقيدةَ المبتدعة؛ وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة في علم العقائد شهرين أو ثلاثة: بسبب أنَّ الخطأ والاختلاف مما يوضِّح الحق و يبين الخطأ فيه[1].

* * *

---

(١) في المخطوطة: ٧٠، والمطبوعة ١: ١٠٠ «و يبين لخبائه». وفي المصورة ١: ١٣١ «و يبين الخبائة». وأثبتنا ما في الدرر ٣: ٦.

وهنا ينتهي ما في الجزء الثالث من الدرر و بقية الرسالة موجودة في الجزء الثاني من ص: ٢٣.

وأما النوع الثاني:

فهو الكلام في الشرك والتوحيد، وهو المصيبة العُظْمَى والداهية الصَّمَّاء. والكلام على هذا النوع، والرد على هذا الجاهل، يحتمل مجلداً. وكلامه فيه كما قال ابن القيّم: إذا قرأه المؤمن تارة ً يبكي وتارة ً يضحك. ولكن أنبّهك منه على كلمتين،

الأولى: قوله إنهما نسَبا من قَبْلَهما إلى الخروج من الإسلام والشرْكِ الأكبر؛ أفيظن أنَّ قوم موسى ــ لمَّا قالوا: اجعل لنا إلهاً ــ خرجوا من الإسلام؟ أفيظنُّ أنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ لمَّا قالوا: اجعلْ لنا ذات أنواطٍ، فحلف لهم أنَّ هذا مثل قول [قوم][1] موسى: اجعل لنا إلهاً ــ أنهم خرجوا من الإسلام؟ أيظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» ــ أنهم خرجوا من الإسلام؟ إلى غير ذلك من الأدلة التي لا تُحْصَر. فلم يفرِّق بين الشرك المُخْرِجِ عن المِلَّة من غيره؛ ولم يفرِّق بين الجاهل والمعاند.

والكلمة الثانية: إن المشرك لا يقول «لا إله إلا الله». فيا عجبا من رجل يدّعي العلم وجاء من الشام بحِمْلِ كُتبٍ[2]، فلمَّا تكلم إذا إنه لا يعرف الإسلام من الكفر، ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق وبين مسَيْلِمة الكذاب! أمَا علِمَ أنَّ مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلِّي ويصوم؟ أمَا عَلِمَ أنَّ غُلاَةَ الرَّافضة الذين حرقهم عليٌّ يقولونها؟ وكذلك الذين يقذفون عائشة، ويكذِّبون القرآن؟ وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غَلِط؟ وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم، منهم من ينتسب إلى الإسلام، ومنهم من لا

(١) زيادة من المخطوطة: ٧٠: والمصورة ١: ١٣١.
(٢) في المصورة ١: ١٣١ «يحمل كتباً».

ينتسب إليه كاليهود، وكلهم يقولون: لا إله إلا الله. وهذا أبْيَنُ ـــ عند من له أقلُّ معرفةٍ بالإسلام ـــ من أن يحتاج إلى تبيان. وإذا كان المشركون لا يقولونها فما معنى باب «حُكْم المرتدّ» الذي ذكر الفقهاء من كل مذهب؟ هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدِّين لا يقولونها؟ هذا الذي ذكر أهل العلم أنه أكفر من اليهود والنصارى، وقال بعضهم من شكَّ في كفر أتباعه فهو كافر، وذكرهم في «الإقناع» في باب «حُكْم المرتدّ» وإمامهم ابن عَرَبي، ـــ أيظنهم لا يقولون: لا إله إلا الله؟ لكن هو آتٍ من الشام، وهم يعبدون ابن عَرَبي، جاعلين على قبره صنماً يعبدونه؛ ولستُ أعني أهل الشام كلَّهم ـــ حاشا وكلا، بل لا تزال طائفة على الحق، وإن قلَّتْ واغتربتْ.

لكن العجب العجاب استدلالُه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى قول لا إله إلا الله، ولم يطالبهم بمعناها؛ وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحوا بلاد الأعاجم، وقنعوا منهم بلفظها، إلى آخر كلامه. فهل يقول هذا من يتصور ما يقول؟ فنقول: أولاً، هو الذي نقَض كلامه وكذَّبه بقوله: دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان. فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان تبيَّن أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها، وهو ترك الشرك، وهذا هو المطلوب. ونحن إنما نهينا عن الأوثان المجعولة على قبر الزُّبير وطَلْحَة، وغيرهما في الشام، أو في غيره. فإن قلتم: ليس هذا من الأوثان، وأن دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك، مع كون المشركين الذين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصون لله في الشدائد، ولا يَدْعُون أوثانهم ـــ فهذا كفر، وبيننا وبينكم كلام العلماء من الأولين والآخرين: الحنابلة وغيرهم. وإن أقررتم أن ذلك كفر وشرك، وتبين أن قول، لا إله إلا الله، لا ينفع إلا مع ترك الشرك، فهذا هو المطلوب، وهو الذي نقول: وهو الذي أكثرتم النكير فيه، وزعمتم أنه لا يخرج إلا من خراسان، وهذا القول كما في أمثال العامة: «لا وجه سميح ولا بنت رجال»، لا أقول صواباً إلا خطأً ظاهراً

وسبّاً لدين الله؛ ولا هو أيضاً قولٌ باطلٌ يصدِّق بعضُه بعضاً، بل ــ مع كونه خطأً ــ فهو متناقضٌ يكذِّب بعضه بعضاً، لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس.

وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم إلا مجرَّد هذه الكلمة، ولم يعرِّفوهم بمعناها ــ فهذا قولُ مَنْ لا يفرِّق بين دين المرسَلين ودين المنافقين الذين هم في الدَّرْك الأسفل من النار. فإن المؤمنين يقولونها، والمنافقين يقولونها؛ لكنَّ المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها، وعملِ جوارحهم بمقتضاها، والمنافقون يقولونها من غير فهمٍ لمعناها، ولا عمل بمقتضاها. فمن أعظم المصائب وأكبر الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين! لكن هذا لا يعرف النفاق، ولا يظنُّه في أهل زماننا، بل يظنُّه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ وأما زمانه فصلح بعد ذلك. وإذا كان زمانه وبلدانه ينزَّهون عن البدع ــ ومَخْرَجُها من خراسان ــ فكيف بالشرك والنفاق؟ ويا ويح هذا القائل ما أجرأه على الله، وما أجهله بقَدْرِ الصحابة وعلمهم، حيث ظنَّ أنَّهم لا يعلِّمون الناس: لا إله إلا الله! أمَا عَلِمَ هذا الجاهل أنهم يستدلُّون بها على مسائل الفقه، فضلاً عن مسائل الشرك؟ ففي الصحيحين: أن عمر رضي الله عنه لما أشكل عليه قتالُ مانِعي الزكاة، لأجل قوله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا عَصمَوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها». قال أبو بكر: فإنَّ الزكاة من حقها. فإذا كان مَنْعُ الزكاة مِنْ مَنْعِ حقّ لا إله إلا الله، فكيف بعبادة القبور، والذَّبْح للجنّ ودعاء الأولياء، وغيرهم، مما هو دين المشركين! وصرَّح الشيخ تقي الدين في «اقتضاء الصراط المستقيم» بأن من ذبح للجنِّ فالذبيحة حرام من جهتين: من جهة أنها مما أُهِلَّ لغير الله، ومن جهة أنها ذبيحة مرتدٍّ، فهي كخنزير مات من غير ذكاة. ويقول: ولو سمَّى الله عند ذبحها إذا كانت نيته ذبحها للجن. وردَّ على من قال إنه إنْ ذكر اسم الله حلَّ الأكل منها مع التحريم.

وأما ما سألتَ عنه من قوله: اللهم صلِّ على محمد، إلى آخره. فهذه المحامل التي ذكر غير بعيدة لو كان الإنكار على الرجل الميت الذي صنفها، والإنكار إنما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون. فإن كان يزعم أن عامة أهل هذه القُرَى: كل رجل منهم يفهم هذا التأويل ــ فهذا مكابَرة، وإن كان يعرف أنهم ما قصدوا إلا المعاني التي لا تصلح إلا لله لم يمنع من الإنكار عليهم ولو تبيَّن أنه شرك لكون[1] الذي قالها أولاً قصد معنى صحيحاً، كما لو أنَّ رجلاً من أهل العلم كتب إلى عامَّةٍ أنَّ نكاح الأخوات حلال، ففهموا منه ظاهرَه، وجعلوا يتزوجون أخواتِهم: خاصَّتُهم وعامَّتُهم ــ لم يمنع من الإنكار عليهم ولو تبين أن الله حرم نكاح الأخوات لكون[2] القائل أراد الأخوات في الدين، كما قال إبراهيم عليه السلام لسارة: هي أختي. وهذا واضح بحمدالله، ولكن من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض[3].

* * *

وأما النوع الثالث:

وهو الكلام على التقليد والاستدلال، فكلامه فيه من أبطل الباطل وأظهر الكذب؛ وهو أيضاً كلامُ جاهلٍ ينقض بعضُه بعضاً. ونحن ما أردنا المعنى الذي ذكر؛ والكلام على هذا طويل، ولكن أنا كتبت له كلاماً في هذا مع رسالة طويلة، فاطلبْه، وراجعْه، وتأمَّلْه، وتكلَّمْ لله في سبيل الله بما يرضي الله ورسوله، واحذر من فتنةِ ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آباءنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى آثارِهِمْ مُقْتَدون ﴾، فمن

---

(١) في المخطوطة: ٧١، والمطبوعة ١: ١٠٣، والمصورة ١: ١٣٤ «من الإنكار عليهم وتبين أنه شرك كون.... » وأثبتنا ما في الدرر ٢: ٢٥.

(٢) في المخطوطة والمطبوعة والمصورة «وتبين أن الله حرم نكاح الأخوات كون». وأثبتنا ما في الدرر.

(٣) انتهى ما في الدرر.

نجا منها فقد نجا من شر[1] كثير، ولا تغفل عن قوله في خطبة شرح «الإقناع»: من عثَر على شيء مما طغى به القلم... إلى آخره، وقوله في آخرها: اعلم رحمك الله أن الترجيح إذا اختلفت بين الأصحاب... إلى آخره. وإن طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس لعلك أيضاً تحقق علم العقائد، وتميِّز بين حقه من باطله، وتعرف أيضاً علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت. فتراي أشير وألزم[2] فإن رأيت أمر الله ورسوله فهو المطلوب؛ وإلا فقد وهبك الله من الفهم ما تميِّز به بين الحق والباطل، إن شاء الله تعالى.

وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب، بل اعرضه عليه، فإن تاب وأقرَّ ورجع إلى الله فعسى، وإن زعم أن له حجَّةً ولو في كلمة واحدة، أو أن في كلامي مجازفة ـــ فاطلب الدليل، فإن أشكل شيء عليك فراجعْني فيه حتى تعرف كلامي وكلامه. نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه. وأنت لا تلمني على هذا الكلام، تراني استدعيته أولاً بالملاطفة وصبرت منه على أشياء عظيمة، والآن أشرفت منه على أمور ماظننتها لا في عقله ولا في دينه: منها أنه كاتب إلى أهل الأحساء يعاونهم على سبِّ دين الله ورسوله.

(١) في المطبوعة ١: ١٠٣ «شرك».... وأثبتنا ما في المخطوطة: ٧٢، والمصورة ١: ١٣٤.

(٢) وردت في هذه الرسائل ألفاظ وعبارات مما جرى به مألوف الكلام العامي، بعضها مفهوم من سياق الجملة، فلم نشرحه، وبعضها أشرنا إلى معناه.

الرسالة الخامسة

انظر: الدرر السنية ١:٥٣-٥٥.

كتبها إلى محمد بن عباد، مطوع ثرمداء، وكان قد أرسل إليه كتاباً فيه كلام حسن في تقرير التوحيد وغيره، وطلب من الشيخ رحمه الله أن يبين له إن كان فيه شيء يخفاه، فكتب له رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد، وفقه الله لما يحبه و يرضاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

وصلنا أوراق في التوحيد فيها كلام من أحسن الكلام، وفقك الله للصواب، وتذكر فيه أن ودَّك[1] نبيِّن لك إنْ كان فيها شيء غاترك[2].

فاعلم — أرشدك الله — أن فيها مسائل غلط[3].

الأولى — قولك: أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر في الوجود، ثم معرفة العقيدة، ثم علم التوحيد. وهذا خطأ، وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمّه. وإنما الذي أتت به الرسل: أولُ واجبٍ هو التوحيد، ليس النظر في الوجود ولا معرفة العقيدة، كما ذكرته أنت في الأوراق أن كل نبي يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

الثانية — قولك في الإيمان بالله وملائكته... إلى آخره: والإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول؛ فليس كذلك، وأبو طالب عمُّه جازمٌ بصدقه والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. والذين يقولون الإيمان هو التصديق الجازم هم الجهمية، وقد اشتد نكير السَّلف عليهم في هذه المسألة.

---

(١) ودك = أي: أنك تود.

(٢) غاترك = أي: غمض عليك ولم يستبن لك.

(٣) صوابها: «غلطاً».

الثالثة ــ قولك: إذا قيل للعامي ونحوه: ما الدليل على أن الله ربك؛ ثم ذكرت ما الدليل على اختصاص العبادة بالله، وذكرت الدليل على توحيد الألوهية ــ فاعلم أن الرُّبوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان، كما في قوله ﴿ أعوذ بربِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاس إلٰهِ الناسِ ﴾، وكما يقال: رب العالمين وإله المرسلين؛ وعند الإفراد يجتمعان كما في قول القائل: من ربك؟ مثاله: الفقير والمسكين نوعان في قوله: ﴿ إنما الصَّدَقات لِلْفُقَراء والمَساكين ﴾: ونوع واحد في قوله: «افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فَتُرَدّ إلى فقرائهم». إذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه: من إلهك؟ لأن الربوبية التي أقرَّ بها المشركون ما يمتحن أحد بها. وكذلك قوله: ﴿ الذِيْنَ أُخْرِجوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أنْ يَقولوا: ربُّنا الله ﴾ وقوله: ﴿ قلْ أغَيْرَ الله أبْغِي ربًّا ﴾ وقوله: ﴿ إنَّ الَّذِين قالوا: ربُّنا الله ثمَّ استقاموا ﴾. فالرُّبوبية في هذا هي الألوهية، ليست قَسِيمةً لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران؛ فينبغي التفطُّن لهذه المسألة.

الرابعة ــ قولك في الدليل على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: ودليله الكتاب والسنة، ثم ذكرتَ الآيات ــ كلامُ مَنْ لم يفهم المسألة: لأن المُنْكِر للنبوّة، أو الشَّاكَّ فيها، إذا استدللتَ عليه بالكتاب والسنّة يقول: كيف تستدلُّ عليَّ بشيء ما أتى به إلا هو. والصواب في المسألة أن تستدل عليه بالتحدي بأقصر سورة من القرآن، أو شهادة علماء أهل الكتاب، كما في قوله ﴿ أوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آية أنْ يَعْلَمه عُلَمَاء بَنِي إسرائيل ﴾ ولكونهم يعرفونه قبل أن يخرج، كما في قوله تعالى: ﴿ وكانوا من قبلُ يَسْتَفْتِحُون عَلَى الَّذِين كَفَروا ﴾ الآية؛ إلى غير ذلك من الآيات التي تفوت[1] الحصر وتقطع الخصم.

الخامسة ــ قولك: اعلم يا أخي لا علمت مكروهاً. فاعلم أن هذه كلمةٌ تضادُّ التوحيد، وذلك أن التوحيد لا يعرفه إلا من عرف الجاهلية، والجاهلية هي

(١) في المطبوعة ١: ١٠٥، والدرر ١: ٥٤ «تفيد». وأثبتنا ما في المخطوطة: ٧٣، والمصورة ١: ١٣٤.

المكروه، فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحقّ. فمعنى هذه الكلمة: اعلم لا علمتَ خيراً، ومن لم يعلم المكروه ليجتنبه لم يعلم المحبوب. وبالجملة فهي كلمة عامية جاهلية، ولا ينبغي لأهل العلم أن يقتدوا بالجهال.

السادسة ــ جَزْمُك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اطلبوا العلم ولو من الصِّين» فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم. فلو أنك قلت: ورُوِي، أو ذكَر فلان، أو ذُكِر في الكتاب الفلاني ــ لكان هذا مناسباً. وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصحّ فلا يجوز، فتفطَّنْ لهذه المسألة، فما أكثر من يقع فيها.

السابعة ــ قولك في سؤال الملكين: والكعبة قِبْلتي، وكذا وكذا. فالذي علمناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما يسألان عن ثلاث: عن التوحيد، وعن الدين، وعن محمد صلى الله عليه وسلم. فإن كان في هذا عندكم رابعة فأفيدونا، ولا يجوز الزيادة على ما قاله الله ورسوله.

الثامنة ــ قولك في الإيمان بالقَدَر: إنه الإيمان بأن لا يكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته، وأن يفعل المأمورات ويترك المنهيَّات. وهذا غلط، لأن الله سبحانه له الخَلْق، والأمر، والمشيئة، والإرادة، وله الشرع والدين. إذا ثبت هذا ففِعْلُ المأمورات وتَرْكُ المنهيَّات هو الإيمان بالأمر وهو الإيمان بالشرع والدين، ولا يُذْكَرُ في حدّ الإيمان بالقَدَر.

التاسعة ــ قولك: الآيات التي في الاحتجاج بالقدر كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شيءٍ﴾ الآية، ثم قلت: فإياك والاقتداء بالمشركين في الاحتجاج على الله، وحسبك من القَدَر الإيمانُ به. فالذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات غير المعنى الذي أردتَ، فراجِعْه، وتأمَّلْه بقلبك، فإن اتَّضح لك، وإلاَّ فراجِعْني فيه، لأنه كلام طويل[1].

---

(١) إلى هنا انتهى ما في الدرر.

العاشرة ــ وأخَّرناها لشدة الحاجة إليها ــ قولك: إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرُّوا بتوحيد الربوبية، ثم أوردتَ الأدلَّة الواضحة على ذلك. وإنما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند[1] توحيد الألوهية. ولم يدخل الرجل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضمَّ إليه توحيدُ الألوهية، فهذا كلام من أحسن الكلام وأبْيَنِه تفصيلاً، ولكن العام[2] لما وجهنا إبراهيم كتبوا له علماء «سدير» مكاتبة، وبعثها لنا وهي عندنا الآن، ولم يذكروا فيها إلا توحيد الربوبية. فإذا كنت تعرف هذا فلأيِّ شيء ما أخبرتَ إبراهيم ونصحتَه أنَّ هؤلاء ما عرفوا التوحيد، وأنهم مُنكِرون دينَ الإسلام. وكذلك أحمد بن يحيى راعي «رغبة»، عداوتُه لتوحيد الألوهية، والاستهزاء بأهل «العارض» لما عرفوه ــ وإن كان يُقِرُّ به أحياناً ــ عداوةٌ ظاهرةٌ لا يمكن أنها لا تبلغك. وكذلك ابن إسماعيل إنه نقض ما أبرمتَ في التوحيد، وتعرف أنَّ عنده الكتاب الذي صنَّفه رجلٌ من أهل البصرة، كله من أوَّله إلى آخره في إنكار توحيد الألوهية، وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعي «وُثَيْثِية»[3]، وقرأه عندكم، وجادل به جماعتنا. وهذا الكتاب مشهور عند «المويس» وأتباعه، مثل: ابن سحيم، وابن عبيد؛ يحتجُّون به علينا، ويَدْعُون الناس إليه، ويقولون: هذا كلام العلماء.

فإذا كنت تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية، وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلاً ونهاراً في صدِّ الناس عن التوحيد، يقرءون عليهم مصنَّفات أهل الشرك ــ لأي شيء لم تُظْهِر عداوتَهم وأنهم كفَّار مرتدون؟ فإن كان باين لك أن أحداً من

---

(١) عند: كذا في المخطوطة: ٧٣، والمطبوعة ١:١٠٦، والمصورة ١:١٣٨، ولعل معناها «على»، وانظر كذلك السطر الرابع من أسفل هذه الصفحة.

(٢) العام: أي: في العام الماضي، وانظر كذلك السطر الخامس من الصفحة التالية.

(٣) في المطبوعة: «وشيثة»، والتصويب من المخطوطة: ٧٤ والمصورة.

العلماء لا يكفِّر من أنكر التوحيد، أو أنه يشكُّ في كُفْره، فاذكُرْه لنا وأفِدْنا. وإن كنتَ تزعم أنَّ هؤلاء فرحوا بهذا الدين، وأحبُّوه، ودَعَوْا الناس إليه، ولما أتاهم تصنيفُ أهل البصرة في إنكار التوحيد كفَّروه وكفَّروا من عَمِل به، وكذلك لمَّا أتاهم كتاب ابن عفالق الذي أرسله المويس لابن إسماعيل، وقدم به عليكم العام، وقرأه على جماعتكم، يزعم فيه أن التوحيدَ دينُ ابن تَيْمِية، وأنه لمَّا أفتى به كفَّره العلماء وقامت عليه القيامة ــ إن كنتَ تقول ما جرى من هذا شيء، فهذا مكابرة. وإن كنتَ تعرف أن هذا هو الكُفْر الصُّراح، والرِّدَّة الواضحة، ولكن تقول: أخشَى الناسَ ــ فالله أحقُّ أن تخشاه.

ولا تظن أن كلامي هذا معاتبة وكلام عليك، فوالله الذي لا إله إلا هو إنه نصيحة؛ لأن كثيراً ممَّن واجهناه وقرأ علينا، يتعلَّم هذا ويعرفه بلسانه، فإذا وقعت المسألة لم يعرفها، بل إذا قال له بعض المشركين: نحن نعرف أن رسول الله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا، وأن النافع الضارَّ هو الله. يقول: جزاك الله خيراً؛ ويظن أن هذا هو التوحيد. ونحن نعلِّمه أكثرَ من سَنة أن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المشركون. فاللهَ اللهَ في التفطُّن لهذه المسألة، فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام. ولو أن رجلاً قال: شروط الصلاة تسعة، ثم سردها كلَّها، فإذا رأى رجلاً يصلِّي عُرْياناً بلا حاجة، أو على غير وضوء، أو لغير القِبلة، لم يدْرِ أن صلاته فاسدة ــ لم يكن قد عرف الشروط ولو سردها بلسانه. ولو قال: الأركان أربعة عشر، ثم سردها كلَّها، ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة ومن لا يركع ومن لا يجلس للتشهد، ولم يفطن أن صلاته باطلة ــ لم يكن قد عرف الأركان ولو سردها. فاللهَ اللهَ في التفطُّن لهذه المسألة. ولكن أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا ونتذاكر معك، وكذلك أيضاً من جهة البِدَع قيل لي إنك تقول فيها شيئاً ما يقوله الذي هو عارف مسألة البِدَع.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

الرسالة السادسة

أرسلها إلى محمد بن عيد من مطاوعة ثرمداء قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهّاب إلى محمد بن عيد، وفّقنا الله وإيّاه لما يحبُّه ويرضاه.

وبعد؛

وصل الكُرّاس، وتذكرون أن الحق إنْ بان لكم اتّبعتم، وفيه كلام غير هذا سرَّ الخاطرَ من طَرَفك خاصةً، بسبب أنَّ لك عقلاً؛ والثانية: أنَّ لك عِرْضاً تشحُّ به؛ والثالثة: أن الظنَّ فيك — إنْ بان لك الحقُّ — أنَّك ما تبيعه بالزهايد.

فأما تقريركم أوّلَ الكلام أنَّ الإسلام خمس كأعضاء الوضوء، وأنكم تعرفون كلامَ الله وكلامَ رسوله وإجماعَ العلماء أن له نواقضَ كنواقض الوضوء الثمانية، منها: اعتقاد القلب وإن لم يعمل أو يتكلم، يعني إذا اعتقد خلاف ما علّمه الرسولُ أمّتَه بعد ما تبيّن له. ومنها: كلام باللسان وإن لم يعمل ولم يعتقد. ومنها: عَمَلٌ بالجوارح وإن لم يعتقد ويتكلم. ولكن من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقضٍ لا نكفِّره بالظن، لأن اليقينَ لا يرفعه[1] الظنُّ. وكذلك لا نكفِّر من لا نعرف منه الكُفْر بسبب ناقضٍ ذُكِر عنه ونحن لم نتحقّقْه.

وما قررتم هو الصواب الذي يجب على كل مسلم اعتقادُه والتزامه، ولكن قبل الكلام اعلم أني عرفت بأربع مسائل،

---

(١) في المطبوعة ١: ١٠٧ «يعرفه». والتصويب من المصورة ١: ١٤٠. وفي المخطوطة: ٧٤ «لأن اليقين لا يرفع».

الأولى: بيان التوحيد مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس.

الثانية: بيان الشرك، ولو كان في كلامِ مَنْ ينتسب إلى العلم، أو عبادةِ من دعا غيرَ الله أو قصدَه بشيء من العبادة ــ ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله. مع أن أكثر الناس يظنُّ أن هذا من أفضل القُرُبات، كما ذكرتم عن العلماء أنهم يذكرون أنه قد وقع في زمانهم.

الثالثة: تكفير مَنْ بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله، ثم أبغضه، ونفَّر الناس عنه، وجاهد من صدّق الرسول فيه؛ ومن عرف الشرك، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِثَ بإنكاره، وأقرَّ بذلك ليلاً ونهاراً، ثم مدحه وحسَّنه للناس، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنَّهم السواد الأعظم. وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفِّر بالظنِّ وبالموالاة، أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة ــ فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله.

الرابعة: الأمرُ بقتال هؤلاء خاصةً حتى لا تكونَ فِتْنةٌ ويكونَ الدِّينُ كلُّه لله.

فلمَّا اشتهر عني هؤلاء الأربع، صدَّقني من يدَّعي أنه من العلماء في جميع البلدان: في التوحيد وفي نَفي الشِّرْك؛ وردُّوا عليَّ التكفيرَ والقتالَ. إذا تحققتَ ما ذكرتُ لك انْبَنَى الجوابُ على ما ذكرتم في أول الأوراق من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء؛ بشرط أنكم لا تكفِّرون بالظنِّ ولا مَنْ لا تعرفون ــ فنقول:

من المعلوم عند الخاصِّ والعامِّ ما عليه البوادي أو أكثرهم. فإنْ كابَر معاندٌ لم يقدِرْ على أن يقول: إن عنزة وآل ظفير وأمثالهم كلَّهم: مشاهيرَهم والأتباعَ، إنهم مقرُّون بالبعث، ولا يشكُّون فيه. ولا يقدر أن يقول: إنهم يقولون إن

كتاب الله عند الحضر وأنهم عايفينه[1] ومتَّبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمُّونه الحق، و يفضِّلونه على شريعة الله. فإن كان للوضوء ثمانية نواقض، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض.

فلما بيَّنتُ ما صرَّحتْ به آيات التنزيل، وعلّمه الرسولُ أمَّته، وأجمع عليه العلماء: مَنْ أنكر البعث أو شكَّ فيه، أو سبَّ الشَّرْع، أو سبَّ الأذان إذا سمعه، أو فضَّل فراضة الطاغوت على حكم الله، أو سبَّ من زعم أن المرأة ترث، أو أن الإنسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه وابنه، إنه كافر مرتدّ — قال علماؤكم: معلومٌ أنَّ هذا حال البوادي، لا ننكره، ولكن يقولون: لا إله إلا الله، وهي تحميهم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك. ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر من يدخل في تقريركم.

فلمَّا أظهرتُ تصديق الرسول فيما جاء به سبُّوني غاية المسبَّة، وزعموا أني أكفِّر أهل الإسلام وأستحِلُّ أموالهم، وصرَّحوا أنه لا يوجد في جزيرتنا رجل واحد كافر، وأن البوادي يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر وجحدوا كفرهم. وأنتم تذكرون أنَّ من ردَّ شيئاً مما جاء به الرسول بعد معرفته — أنه كافر؛ فإذا كان المويس، وابن إسماعيل، والعديلي، وابن عباد، وجميع أتباعهم، كلُّهم على هذا فقد صرَّحتم غاية التصريح أنهم كفَّار مرتدّون. وإن ادَّعَى مُدَّعٍ أنهم يكفرونهم، أو ادَّعى أن جميع البادية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئاً، أو ادَّعى أنهم لا يعرفون أن دينَ الرسول خلافُ ما هم عليه — فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان، وسويداً، وابن دوَّاس، وأمثالهم، عُبَّادٌ زُهَّاد فقراء ما شاخوا[2] في بلد قطُّ. ومن ادَّعى هذا فأسقِطِ الكلام معه.

---

(١) في المطبوعة ١: ١٠٨ «عانقوه». والتصويب من المخطوطة: ٧٥، والمصورة ١: ١٤١.
وعايفينه = أي: تركوه وهجروه ولم يتبعوه.

(٢) ماشاخوا = أي لم يصيروا شيوخاً، أي لم يترأسوا ولم يتأمروا.

ونقول ثانياً: إذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرُّون ليلاً ونهاراً، سرًّا وجِهاراً، أن التوحيد الذي أظهر هذا الرجلُ هو دينُ الله ورسوله، لكن الناس لا يطيعوننا؛ وأن الذي أنكره هو الشرك، وهو صادق في إنكاره؛ ولكنْ لو يسلم من التكفير والقتال كان على الحق. هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد، ثم مع هذا يعادُون التوحيد ومَنْ مال إليه العداوةَ التي تعرف ــ ولو لم يكفِّر ويقاتل؛ وينصرون الشرك النصر الذي تعرف مع إقرارهم بأنه شرك[1]، مثل كون المويس وخواص أصحابه ركبوا وتركوا أهليهم وأموالهم إلى أهل قبة الكواز وقبة سنة رجب[2] يقولون: إنه قد خرج من ينكر قُبَبَكم وما أنتم عليه؛ وقد أحل دماءهم وأموالهم. وكذلك ابن اسماعيل وابن ربيعة والمويس أيضاً، بعدهم بسنة، رحلوا إلى أهل قبة أبي طالب، وأغرَوْهم بمن صدَّق النبي صلى الله عليه وسلم، وأحلوا دماءنا وأموالنا؛ حتى جرى على الناس ما تعرف، مع أن كثيراً منهم لم يكفِّر ولم يقاتل. وقررتم أن من خالف الرسول في عشر معشار هذا، ولو بكلمةٍ، أو عقيدةِ قلبٍ، أو فعلٍ، فهو كافر؛ فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه في عداوة التوحيد وتقرير الشرك، مع إقراره بمعرفة ما جاء به الرسول؟ فإنْ لم تكفِّروا هؤلاء، ومن اتَّبعهم ممن عرف أن التوحيد حق وأن ضدّه الشرك، فأنتم كمن أفتى بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البَوْل، وزعم أن من يتغوَّط ليلاً ونهاراً وأفتى للناس أن ذلك لا ينقض وتبعوه على ذلك حتى يموت أنه لا ينقض وضوءه، وتذكرون أني أكفِّرهم بالموالاة، وحاشا وكلا، ولكنْ أقطعُ أن كُفْرَ مَنْ عَبَد قُبَّة أبي طالب لا يبلغ عُشْرَ كفر المويس وأمثاله، كما قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عن الّذِين لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ في الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دياركم﴾، الآيتين.

وأنا أمثِّل لك مثالاً لعل الله أن ينفعك به، لعلمي أن الفتنة كبيرة، وأنهم

---

(١) في المطبوعة ١: ١٠٩ والمصورة ١: ١٤٢ «مشرك». وصوابها من المخطوطة: ٧٦.

(٢) في المطبوعة «قبة رجب سنة». وفي المخطوطة: ٧٦ «قبة سية رجب». وأثبتنا ما في المصورة.

يحتجُّون بما تعرفون، منها: ما ذكروا في الأوراق أنهم لم يقصدوا بحربكم ردَّ التوحيد وإحياء الشرك، وإنما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغي عليهم. فنقول: لو نقدِّر أن السلطان ظَلَم أهلَ المغرب ظلماً عظيماً في أموالهم وبلادهم، ومع هذا خافوا استيلاءهم على بلادهم ظلماً وعدواناً، ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجاد الفرنج، وعلموا أن الفرنج لا يوافقونهم إلا أن يقولوا: نحن معكم على دينكم ودنياكم، ودينُكُمْ هو الحق ودين السلطان هو الباطل. وتظاهروا بذلك ليلاً ونهاراً، مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن ــ لمَّا تظاهروا بما ذكرنا ومرادُهم دفْعُ الظلم عنهم ــ هل يشكُّ أحد أنهم مرتدُّون في أكبر ما يكون من الكفر والرِّدَّة إذا صرَّحوا أن دين السلطان هو الباطل، مع علمهم أنه حق، وصرَّحوا أن دين الفرنج هو الصواب. وأنه لا يتصور أنهم يتيهون[1] لأنهم أكثر من المسلمين، ولأن الله أعطاهم من الدنيا شيئاً كثيراً، ولأنهم أهل الزهد والرهبانية.

فتأمَّل هذا تأمُّلاً جيِّداً، وتأمل ما صدَّرتم به الأوراق من موافقتهم به الإسلام، ومعرفتكم بالناقض إذا تحققتموه، وأنه يكون بكلمةٍ ولو لم تُعْتَقَد، ويكون بفعلٍ ولو لم يُتَكلَّم، ويكون في القلب من الحبّ والبغض ولو لم يُتَكلَّم ولم يُعْمَل ــ تبيَّن لك الأمر، اللهمَّ إلا إن كنتم ذاكرين في أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه، فذاك أمر آخر.

وأما ما ذكرتم من كلام العلماء فعلى الرأس والعين، ولكنْ عنه جوابان، أحدهما: أنكم لو لم تنقلوا كلام ابن عقيل في «الفنون» وكلام الشيخ في «اقتضاء الصراط المستقيم»، وكلام ابن القيّم ــ لقلتُ: لعلهم مخطئون قائلون بمبلغ علمهم. هذا كله عندنا في هذه الكتب كما هو عندكم، وابن عقيل ذكر

(١) في المطبوعة ٢: ٢١٠ «لا يتصور أنهم لا يتيهون». وفي المخطوطة: ٧٦ «لا يتصور أنهم يتهيئون». وأثبتنا ما في المصورة ١: ١٤٣.

أنهم كفار بهذا الفعل أعني: دعوة صاحب التربة ودسّ الرقاع؛ وأنتم تعلمون ذلك وأصرحُ منه كلام الشيخ في قوله: ومن ذلك ما يفعله الجاهلون بمكة ــ يا سبحان الله كيف تركتم صريحه في العبارة بعينها: أن هذا من فَعَله كان مرتدًّا، وأن المسلم إذا ذبح للزهرة والجنّ ولغير الله، فهو مما أهِلَّ لغير الله به، وهي أيضاً ذبيحة مرتدٍّ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان. فصرَّح أن هذا الرجل إذا ذبح للجن مرة واحدة صار كافراً مرتدًّا، وجميع ما يذبحه للأكل بعد ذلك لا يحلُّ لأنه ذبيحة مرتدٍّ. وصرَّح في مواضع من الكتاب كثيرة بكُفْر من فعل شيئاً من الذبح والدعوة حتى ذكر ثابت بن قُرَّة وأبا مَعْشَر البَلْخِيّ[1]، وذكر أنهم كفار مرتدُّون، وأمثالهم، مع كونهم من أهل التصانيف. وأصْرحُ من الجميع كلامُ ابن القيم في كثير من كتبه. فلما نقلتم بعض العبارة وتركتم بعضها علمتُ أنه ليس بجهالة، ولكن الشرهة عليك لو أنك فاعل كما فعل بعض أهل الأحساء لمّا صنف بعضهم كتاباً في الردّ علينا يريد أن يبعثه ــ تكلَّم رجل منهم وقال: أحبُّ ما إلى ابن عبد الوهاب وصول هذا إليه أنتم ما تستحيون. فتركوا الرسالة.

الجواب الثاني: أنه على سبيل التنزُّل أن الشرك لا يكْفُر من فَعَله، وأنه شِرْكٌ أصغر، أو أنه معصية غير الكفر، مع أن جميع ما ذكرتم لا يدلُّ على ذلك ــ فإن أردتَ بيّنتُ لك في غير هذه المرة معاني هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل، كما بيَّنتهُ لك من كلام الشيخ. لكن أنتم مسلِّمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكره ونهى عنه، فلو أن رجلاً أقرّ بذلك، مع كونه لم يفعله، لكنه زيَّنه للناس ورغَّبهم فيه ــ أليس هذا كافراً مرتدًّا؟ ولو قدّرنا أن الأمر الذي كرهه وصدَّ الناس عنه ما أمر به الرسول إلا أمْرَ استحبابٍ:

---

(١) ثابت بن قرة ــ هو: أبو الحسن، ثابت بن قرة بن زهرون. ولد في حران (بين دجلة والفرات) سنة ٢٢١هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٨هـ. كان صابئي المذهب، طبيباً، فيلسوفاً، صنف نحو ١٥٠ كتاباً.

أبو معشر البلخي ــ هو: جعفر بن محمد بن عمر. عالم فلكي، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ٢٧٢هـ.

كركْعَتي الفجر، أو أن الذي نهى عنه ما نهى عنه إلا نَهْيَ تَنْزِيهٍ: كالأكل بالشمال، والنوم للجُنُب من غير وضوء؛ ولو أن رجلاً عرف نهْيَ الرسول، وزعم لأجل غرض من الأغراض أنّ الأكل بالشمال هو الأحبُّ المَرْضِيُّ عند الله، وأن الأكل باليمين يضرُّ عند الله، وأن الوضوء للجُنُب إذا أراد النوم يضرُّ عند الله، وأن النوم من غير وضوء أحبُّ إلى الله — مع علمه بما قال الرسول صلى الله عليه وسلم — أليس هذا كلام كافرٍ مرتدٍّ؟ فكيف بمن سبّ دين الله الذي بعث به جميع الأنبياء، مع إقراره ومعرفته به، ومدَحَ دين المشركين الذي بعث الله الأنبياء بإنكاره، ودعا الناس إليه، مع معرفته؟ ولكن أرى لك أن تقوم في السَّحَر، وتدعو بقلبٍ حاضرٍ بالأدعية المأثورة، وتطرح نفسك بين يدي الله: أن يهديك لدينه ودين نبيه عليه السلام.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

الرسالة السابعة

هذه الرسالة السابعة أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن سحيم ــ مطوع من أهل «المجمعة» ــ حين سأله عن الرسالة التي كتبها سليمان بن محمد بن سحيم، مطوع أهل الرياض، وأرسلها إلى أهل البصرة والأحساء يشنع فيها على الشيخ ويفتري عليه أشياء لم تحدث، وقصده من ذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله، وهدم أركان الشرك وإبطال مناهج الضلال.

* * *

وهذا نص رسالة سليمان بن محمد بن سحيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفقير إلى الله تعالى، سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخُدّام شريعة سيِّدِ ولَدِ آدم من الأوَّلين والآخِرين،

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛

فالذي يحيط به علمُكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدِعٌ جاهل، مُضِلٌّ ضالّ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل؛ جرت منه أمور فظيعة، وأحوال شنيعة، منها: شيء شاع وذاع، وملأ الأسماع؛ وشيء لم يتعدّ أماكننا بعدُ. فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثَة سيِّد المرسَلين ليصيدوا هذا المبتدِع صيْد أحرار الصُّقور لصغار بُغَاث الطيور، ويردُّوا بِدَعَه وضلالاته، وجهلَه وهفواته.

والقصد من ذلك: القيامُ لله ورسوله، ونصرةُ الدين؛ جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البِرّ والتقوى.

فمن بِدَعه وضلالته: أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم الكائنين في الجُبَيْلَة: زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدْرَ ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعمد أيضاً إلى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داعٍ شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.

ومنها: أنه أحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا؛ وأحرق أيضاً «روض الرياحين» وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها: أنه صحّ عنه أنه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتُها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه، وجعلت بدله ميزاب خشب. أما سمع وجه قوله تعالى: ﴿ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائرَ اللهِ فإنَّها مِنْ تَقْوَى القُلُوب﴾.

ومنها: أنه ثبت أنه يقول: الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء. وتصديق ذلك أنه بعث إليَّ كتاباً يقول فيه: أقرُّوا أنكم قبلي جُهَّال ضُلاَّل.

ومن أعظمها: أنّ مَنْ لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حقٌّ، يَقْطع بكفره؛ ومن وافقه وصدّقه في كل ما قال — قال: أنت موحِّد، ولو كان فاسقاً محضاً، أو مكاساً. وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله.

ومنها: أنه بعث إلى بلداننا كتاباً مع بعض دُعَاته بخطّ يده، وحلف فيه بالله أنَّ علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم —في زعمه، وإلا فليس له مشايخ— ولا عرفه أبوه، ولا أهل «العارض». فياعجبا إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قُطْره، فمن أين علمه؟ وعن من أخذه؟ هل أوحي إليه؟ أو رآه مناماً؟ أو أعلمه به الشيطان؟ وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض.

ومنها: أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عَرَبي.

ومنها: أنه قاطع بكفر سادةٍ عندنا من آل الرسول، لأجل أنهم يأخذون النذور، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده.

ومنها: أنه ثبت عنه لمّا قيل له: اختلافُ الأئمة رحمة؛ قال: اختلافُهم نقمة.

ومنها: أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذِّب المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا.

ومنها: إبطال الجعالة على الحج.

ومنها: أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة، وقال: السلطان فاسق لا يجوز تمجيده.

ومنها: أنه قال: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها هي بدعة وضلالة تَهْوِي بصاحبها إلى النار.

ومنها: أنه يقول: الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً ـ إذا قضوا بالحق بين الخصمين، ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ـ إن ذلك رشوة. هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمّة: أن الرشوة ما أخِذ لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطل، وأن للقاضي أن يقول للخصمين: لا أقضي بينكما إلا بجُعْل.

ومنها: أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمّي عليها ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن، ويقول: ذلك كفر واللحم حرام؛ فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه مَنْهِيٌّ عنه فقط وذكره في حاشية «المنتهى».

فبيِّنوا رحمكم الله ذلك للعوامِّ المساكين الذين لبَّس عليهم، وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح. فإن رأيتم أن ذلك صواب فبيِّنُوه لنا ونرجع إلى قوله، وإن رأيتموه خطأً فارْدَعُوه، وازجُروه، وبيِّنوا للناس خطأه؛ فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قُطْرنا. فتداركوا ــ رحمكم الله ــ الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، فإن الجواب متعيِّنٌ على من وقف عليه ممن له معرفة بحكم الله ورسوله، لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه، وإدحاض للباطل.

وهذا جواب الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن سحيم.

وبعد؛

ألفينا[1] مكتوبك وما ذكرت فيه من ذكرك ما بلغك. ولا يخفاك أن المسائل التي ذكرتَ أنها بلَغَتْكم في كتاب من العارض جملتها أربعٌ وعشرون مسألة: بعضها حق، وبعضها بهتان وكذب. وقبل الكلام فيها لا بدّ من تقديم أصل، وذلك: أن أهل العلم إذا اختلفوا، والجهال إذا تنازعوا، ومثلي ومثلكم إذا اختلفنا في مسألة ـــ هل الواجب اتِّباع أمر الله ورسوله وأهل العلم، أو الواجب اتِّباع عادة الزَّمان التي أدركْنا الناسَ عليها، ولو خالفَتْ ما ذكَره العلماء في جميع كتبهم؟ وإنما ذكرتُ هذا ـــ ولو كان واضحاً ـــ لأن بعض المسائل التي ذكرتَ أنا قلتُها، لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم: الحنابلة وغيرهم، ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها، فأنكرها عليَّ [مَنْ أنكرها][2] لأجل مخالفة العادة. وإلاّ فقد رأوا تلك في كتبهم عِياناً، وأقرُّوا بها، وشهدوا أن كلامي هو الحق. لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم: ﴿ فلمّا جَاءهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الكافرين ﴾، الآية. وهذا هو ما نحن فيه بعينه. فإن الذي راسلكم هو عدوُّ الله ابن سحيم، وقد بيَّنتُ ذلك له، فأقرَّ به، وعندنا كتبُ يدِه في رسائل متعددة: أنّ هذا هو الحق. وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخرَ الأمر لأسبابٍ أعظمُها البَغْيُ ﴿ أنْ يُنزلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ ﴾.

---

(١) في المخطوطة: ٧٨ والمصورة ١: ١٤٧ «لفانا» وهي بمعنى: وصلنا.

(٢) زيادة من المخطوطة: ٧٩ والمصورة ١: ١٤٨.

وذلك أن العامّة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحق فلأيِّ شيء لم تنهَونا عن عبادة «شمسان» وأمثاله؟ فتعذَّروا: أنكم ما سألتمونا. قالوا: وإن لم نسألكم؛ كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا؟ وظنُّوا أن يأتيهم في هذا غضاضة، وأن فيه شرفاً لغيره.

وأيضاً لمّا أنكرنا عليهم أكل السُّحْت والرِّشا، إلى غير ذلك من الأمور؛ فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان. والله ناصرٌ دينَه ولو كَرِه المشركون، وأنت لا تستهْوِنْ مخالفةَ العادة على العلماء، فضلاً عن العوام. وأنا أضرب لك مثلاً بمسألة واحدة، وهي مسألة الاستجمار ثلاثاً فصاعداً من غير عَظْمٍ ولا رَوَث، وهو كافٍ مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع الأمة، لا خلاف في ذلك. ومع هذا ـــ لو يفعله أحد ـــ لصار هذا عند الناس أمراً عظيماً، ولنَهَوْا عن الصلاة خلفه، وبدّعوه مع إقرارهم بذلك؛ ولكن لأجل العادة.

إذا تبيَّن هذا فالمسائل التي شنَّع بها ـــ منها ما هو من البهتان الظاهر، وهي قوله: إني مبطِلٌ كتبَ المذاهب؛ وقوله: إني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء؛ وقوله: إني أدّعي الاجتهاد؛ وقوله: إني خارج عن التقليد؛ وقوله: إني أقول إن اختلاف العلماء نقمة؛ وقوله: إني أكفِّر من توسَّل بالصالحين؛ وقوله: إني أكفِّر البُوصيري لقوله «يا أكرم الخلق»؛ وقوله: إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذتُ ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب؛ وقوله: إني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقوله: إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإني أكفِّر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة، جوابي فيها أن أقول ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيم﴾. ولكنْ قبله من بَهَت النبيَّ محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يسبُّ عيسى

ابن مريم، ويسبُّ الصالحين ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهم﴾. وبهّتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعُزَيْراً في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إنَّ الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أولٰئكَ عَنْها مُبْعَدُون﴾، الآية.

وأمّا المسائل الأُخَرُ وهي أني أقول: لا يتمُّ إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله»؛ ومنها: أني أعرف من يأتيني بمعناها؛ ومنها: أني أقول: الإله هو الذي فيه السر؛ ومنها: تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك؛ ومنها: أن الذبح للجِنّ كُفْرٌ والذبيحة حرام ولو سمّى الله عليها إذا ذبحها للجن.

فهذه خمس مسائل كلها حقٌّ وأنا قائلها. ونبدأ بالكلام عليها لأنها أُمّ المسائل؛ وقبل ذلك أذكر معنى «لا إله إلا الله»، فنقول:

التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وهو أن الله سبحانه متفرِّد بالخَلْق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم. وهذا حق لا بدّ منه، لكن لا يُدْخِل الرجلَ في الإسلام، لأنّ أكثر الناس مُقِرُّون به، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّماء والأَرْضِ أم مَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ﴾ إلى قوله ﴿أَفَلا تَتَّقُون﴾. وأن الذي يُدْخِل الرجلَ في الإسلام هو توحيد الألوهية، وهو: أن لا يَعْبُدَ إلاّ الله، لا ملَكاً مقرَّباً ولا نبيًّا مرسَلاً. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعِث وأهلُ الجاهلية يعبدون أشياء مع الله: فمنهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة؛ فنهاهم عن هذا، وأخبرهم أن الله أرسله ليوحَّد ولا يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا الملائكةُ ولا الأنبياء. فمن تبعه ووحَّد الله فهو الذي شهد أن «لا إله إلا الله»، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ إليهم فهو الذي جحد «لا إله إلا الله»، مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله. وهذه جملة لها بَسْطٌ طويل، لكن الحاصل أن هذا مُجْمَعٌ عليه بين العلماء.

ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبيُّها صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لتتبعُنَّ سَنَن من كان قبلكم حَذوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ

لدخلتموه»، وكان مَنْ قَبْلهم كما ذكر الله عنهم ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ فصار ناس من الضالِّين يدعون أناساً من الصالحين في الشدة والرخاء، مثل: عبد القادر الجيلاني، وأحمد البَدَوِيّ، وعدِيّ بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح. فأنكر عليهم أهلُ العلم غاية الإنكار، وزجروهم عن ذلك، وحذروهم غاية التحذير والإنذار ــ من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار. فلم يحصل منهم انزجار، بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار. وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك.

وبيَّن أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر، وأنت ذكرت في كتابك تقول: يا أخي مالنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم. وأنا أقول: كلام أهل العلم رضيً، وأنا أنقله لك، وأنبِّهك عليه، فتفكَّر فيه، وقم لله ساعة ناظراً ومناظراً مع نفسك ومع غيرك. فإن عرفت أن الصواب معي، وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء ــ أعني دين الإسلام الصِّرْف الذي لا يُمْزَج بالشِّرْك والبِدَع. وأما الإسلام الذي ضِدُّه الكُفْرُ فلا شكَّ أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأمم، وعليها تقوم الساعة.

فإن فهمتَ أن كلامي هو الحق، فاعملْ لنفسك، واعلمْ أن الأمر عظيم والخطب جسيم. فإن أشكل عليك شيء فسَفرُكَ إلى المغرب في طلبه غيرُ كثيرٍ. واعتبر لنفسك حيث كتبتَ لي فيما مضى: أنَّ هذا هو الحق الذي لا شكَّ فيه، لكن لا نقدر على تغيير. وتكلمتَ بكلامٍ حسنٍ؛ فلمّا غربلك[1] الله بولد المويس، ولبَّس عليك، وكتب لأهل «الوَشْم» يستهزىء بالتوحيد، ويزعم أنه بدعة، وأنه خرج من خراسان، ويسبُّ دين الله ورسوله ــ لم تفطن لجهله وعِظَمِ ذنبه، وظننتَ أن كلامي فيه من باب الانتصار للنفس. وكلامي هذا لا يغيرك، فإنّ مرادي أن تفهم أن الخطب جسيم، وأن أكابر أهل العلم يتعلّمون هذا ويغلطون

(١) غربله الله: أصابه بعذاب أو بمكروه، وكثيراً ما تستعمل للدعاء على الآخرين.

فيه، فضلاً عنا وعن أمثالنا. فلعله إن أشكل عليك تواجهني. هذا إن عرفتَ أنه حق، وإن كنتَ ــ إذا نقلتُ لك عبارات العلماء ــ عرفتَ أني لم أفهم معناها، وأن الذين نقلتُ لك كلامهم أخطأوا، وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم ــ فنبِّهني على الحق، وأرجعُ إليه إن شاء الله تعالى.

فنقول:

قال الشيخ تقي الدين: وقد غلط في مسمى التوحيد طوائفُ من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته؛ فطائفةٌ ظنَّت أن التوحيد هو نَفْيُ الصفات، وطائفةٌ ظنُّوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال في تقرير هذا الموضع، وظنّ أنه بذلك قرَّر الوحدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع، ونحو ذلك. ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مُقرِّين بهذا التوحيد، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الأرْضُ ومَن فيها إن كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾، الآيات. وهذا حقٌّ لكنْ لا يُخْلَصُ به عنِ الإشراك بالله الذي لا يغفره الله، بل لا بدّ أن يُخْلِصَ الدينَ لله، فلا يعبد إلا الله، فيكون دينه لله. والإله هو: المألوه الذي تألهه القلوب. وأطال رحمه الله الكلام.

وقال أيضاً في الرسالة السنية التي أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة، ينتسبون إلى بعض الصالحين، و يَغْلُون فيه، فذكر حديث الخوارج، ثم قال:

فإذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مَرَق منه ــ مع عبادته العظيمة ــ فَلْيُعْلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين، وذلك بأمور، منها: الغُلوّ الذي ذمّه الله مثل: الغُلوّ في عديّ بن مسافر أو غيره، بل الغلوّ في علي بن أبي طالب، بل الغلوّ في المسيح، ونحوه. فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجلٍ صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغِثْني، أو أنا في حسبك، ونحو هذا ــ فهذا كافر يُسْتَتاب، فإن تاب وإلاَّ قُتِل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعْبَد ولا يُدْعَى معه إله آخر، والذين يَدْعُون مع الله آلهة

أخرى، مثل: الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصوَّرة على صورهم ــ لم يكونوا يعتقدون أنها تُنْزِل المطر أو تُنْبِتُ النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون: ﴿هؤلاء شُفَعَاؤنا عِنْدَ الله﴾، فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تَنْهَى أن يُدْعَى أحد من دونه، لا دعاء عبادةٍ ولا دعاء استغاثة.

وأطال الكلام رحمه الله. فتأمل كلامه في أهل عصره من أهل النظر الذين يدَّعون العلم، ومن أهل العبادة الذين يدَّعون الصلاح.

وقال في «الإقناع» في باب «حكم المُرْتَدّ» في أوَّله: فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته... إلى أن قال: أو استهزأ بالله أو رسله ــ قال الشيخ: أو كان مبغضاً لرسوله، أو لما جاء به اتفاقاً ــ أو جعل بينه وبين الله وسائط: يدعوهم ويتوكَّل عليهم، ويسألهم ــ كَفَر إجماعاً... إلى أن قال: أو أنكر الشهادتين أو إحداهما.

فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك، وتأمَّل هل قالوا هذا في أشياء وجدت في زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها، أو قالوها ولم تقع؟ وتأمَّل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول.

وقال أيضاً في أثناء الباب: ومن اعتقد أن لأحدٍ طريقاً إلى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم، أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجاً عن اتباعه أو قال: أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال: إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ــ كَفَرَ في هذا كله.

ولو تعرف من قال هذا الكلام فيهم، وجزم بكفرهم، وعلمت ما هم عليه من الزهد والعبادة، وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء ــ لقضيت بالعجب.

وقال أيضاً في الباب: ومن سبّ الصحابة، واقترن بسبّه دعوى أن عليًّا إلهٌ أو نبيٌّ أو أن جبريل غَلِطَ ــ فلا شكَّ في كفر من توقَّف في تكفيره.

فتأمل هذا إذا كان كلامه هذا في عليٍّ فكيف بمن ادَّعى أن ابن عَرَبي أو عبد القادر إله؟ وتأمّل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تألهه القلوب. واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يدْعون الأولياء والصالحين في الرّخاء والشدّة، ويطلبون منهم[1] تفريج الكربات وقضاء الحاجات [والكفار زمن النبي][2] مع كونهم يَدْعُون الملائكة والصالحين، ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم، وإلا فهم مُقِرُّون بأن الأمر لله ــ فهم لا يَدْعُونهم إلا في الرَّخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى: ﴿ فإذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلاَّ إيَّاه، فلمَّا نَجَّاكُمْ إلى البَرِّ أعْرَضْتُم ﴾ الآية.

وقال أيضاً في «الإقناع» في الباب: ويَحْرُم تعلُّم السِّحْر وتعليْمه وفِعْلُه، وهو: عُقَدٌ ورُقى وكلام يتكلَّم به أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثِّر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله؛ ومنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطْأها، ومنه ما يبغِّض أحدَهما للآخر، ويحبِّب بين اثنين. ويكفر بتعلُّمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته.

فتأمل هذا الكلام، ثم تأمل ما جرى في الناس خصوصاً الصرف والعطف ــ تعرف أن الكفر ليس ببعيد. وعليك بتأمل هذا الباب في «الإقناع» وشرحه تأمُّلاً جيداً، وقِفْ عند المواضع المشكلة، وذاكر فيها كما تفعل في باب الوقف والإجارة ــ يتبيَّنْ لك إن شاء الله أمر عظيم.

---

(١) في المطبوعة ١: ١١٧ والمصورة ١: ١٥٣ «منه» وفي المخطوطة: ٨١ «من».

(٢) زيادة يستقيم بها سياق العبارة، غير موجودة في شيء من الأصول.

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح «درر البحار»: النذر الذي يقع من أكثر العوام، وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً: يا سيدي فلان إنْ رُدَّ غائبي، أو عُوفِي مريضي، أو قُضِيَتْ حاجتي، فلك كذا وكذا ــ باطلٌ إجماعاً، لوجوه، منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: ظنُّ أن الميت يتصرَّف في الأمر واعتقادُ هذا كُفْرٌ... إلى أن قال: إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، ويُنْقَل إلى ضرائح الأولياء ــ فحرامٌ بإجماع المسلمين، وقد ابتُلِيَ الناس بهذه لا سيما في مولد أحمد البدوي.

فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء، كيف شاع بين أهل مصر ما لا قدرة للعلماء على دفعه! فتأمل قوله: «من أكثر العوام» أتظن أن الزمان صلح بعده؟

وأما المالكية، فقال الطُّرْطُوشِيّ[1] في كتاب «الحوادث والبدع»: روى البخاري[2] عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنَيْن، ونحن حديثو عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدْرة يعكفون حولها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها «ذات أنواط». فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعلْ لنا «ذات أنواط» كما لهم «ذات أنواط». فقال: الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ لتركبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم».

فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سِدْرةً يقصدها الناس، وينوطون بها الخِرَق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها. وقال صلى الله عليه وسلم «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطُوبَى للغرباء الذين يصلُحون إذا فسد الناس».

---

(١) الطرطوشي ــ هو: أبو بكر، محمد بن الوليد بن محمد القرشي، المعروف بالطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة (في شرق الأندلس) لأنه نشأ بها. ولد سنة ٤٥١ ورحل العراق وفلسطين ولبنان ومصر، وتوفي في الإسكندرية سنة ٥٢٠. كان فقيهاً حافظاً زاهداً.

(٢) في هامش المخطوطة: ٨٢ «هذا الحديث لم يروه البخاري وإنما رواه الترمذي وغيره».

ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل ــ إذا أسلم ــ في قبيلته غريباً مستخفياً بإسلامه، قد جفاه العشيرة، فهو بينهم ذليل خائف؛ ثم يعود غريباً لكثرة الأهواء المُضِلّة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس، لقلّتهم وخوفهم على أنفسهم. وروى البخاري عن أم الدَّرْداء عن أبي الدَّرْداء قال: «والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يُصَلُّون جميعاً»، وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره. وقال الزُّهرِيّ: دخلت على أنَس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف فيهم شيئاً مما أدركتُ إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعتْ.

انتهى كلام الطُّرْطُوشي.

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث، وفي أي زمان قيلت، وفي أي مكان، وهل أنكرها أحد من أهل العلم. والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادي منها ما وقع من الصحابة، وقول الصادق الصدوق: إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم: اجعل لنا إلهاً. يا عجبا إذا جرى هذا من أولئك السادة كيف يُنكَرُ علينا أنَّ رجلاً من المتأخِّرين غَلِط في قوله: يا أكرم الخلق، كيف تعجبون من كلامي فيه، وتظنونه خيراً وأعلم منهم؟

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها، وتظنون أن من وصف شِرْكاً أو كُفْراً أنه الكفر الأكبر المُخْرِج عن المِلّة. ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذي أرسلت إليَّ قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام، وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق، وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار؟

ومرادي أن أبيِّن لك كلام الطُّرْطُوشي، وما وقع في زمانه من الشرك بالشَّجَر، مع كونه في زمن القاضي أبي يعلى، أتظن الزمان صلح بعده؟

وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبو شامة[1] في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ـــ وهو في زمن الشارح وابن حمدان ـــ: وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام، المنتمين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالِّين مُضِلِّين، فهم داخلون تحت قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكاء شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر: من عبادة الأصنام وغيرها. ومن هذا القسم ما قد عمَّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليقَ الحيطان، والعمد، وإسراجَ مواضعَ في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شُهِر بالصلاح؛ فيفعلون ذلك، ويظنُّون أنهم يتقرَّبون إلى الله. ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لهم، وهي بين عيون وشجر، وحائط وحجر. وفي دمشق ـــ صانها الله ـــ من ذلك مواضع متعددة: كعوينة الحمى، والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهَّل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط. ثم ذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال: أسأل الله الكريم مُعَافاتَه من كل ما يخالف رضاه، ولا يجعلنا ممن أضلَّه فاتخذ إلهه هواه.

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نَبْذٌ لشريعة الإسلام، وأنه خروجٌ عن الإيمان، ثم ذكر أنه عمَّ الابتلاء به في الشام.

فأنت قل لصاحبكم: هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشِّرْك عم الابتلاء به وغيره، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريباً. فهو بين اثنتين: إما أن يقول: كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مُضِلُّون خارجون، وإما أن يدَّعي أن زمانه وزمان مشايخه صَلُحَ بعد ذلك.

---

(١) أبو شامة ـــ هو: أبو القاسم، شهاب الدين، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم. أصله من القدس، ولد في دمشق سنة ٥٩٦هـ وتوفي فيها سنة ٦٦٥. مؤرخ محدث. مؤلفاته كثيرة، أشهرها: «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: الصلاحية والنورية».

ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عزاز فيها إجازات له من عند مشايخه، وشيخُ مشايخه رجل يقال له: عبد الغني، ويثنون عليه في أوراقهم، ويسمُّونه: العارف بالله. وهذا اشتُهر عنه أنه على دين ابن عَرَبيٍّ الذي ذكر العلماء أنه أكْفَرُ من فرعون، حتى قال ابن المقري الشافعي: مَنْ شكَّ في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر. فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعي إليه هو شيخهم، ويثنون عليه أنه العارف بالله فكيف يكون الأمر؟ ولكن أعظم من هذا كله ما تقدم عن أبي الدَّرْدَاء وأنَس وهما بالشام ذلك الكلام العظيم؛ واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم، فكيف بزماننا؟ وقال ابن القيِّم رحمه الله في «الهدي النبوي» في الكلام على حديث وفد الطائف ــ لما أسلموا، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم اللات لا يهدمها سنة، ولمّا تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال ــ: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الشرك والكفر، وهي أعظم المنكَرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتَّةَ. وهذا حُكْمُ المَشَاهد التي بُنِيَتْ على القبور التي اتُّخِذَت أوثاناً تُعْبَد من دون الله، والأحجار التي تُقْصَد للتبرُّك والنذر والتقبيل ــ لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعُزَّى ومَناةَ الثالثة الأخرى، بل أعظم شركاً عندهم وبها؛ والله المستعان. ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتَّبع هؤلاء سَنَن من قبلهم، وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وسلكوا سبيلهم حَذْوَ القُذَّة بالقُذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم؛ وصار المعروف مُنْكَراً، والمنكر معروفاً، والسُّنَّة بِدْعة، والبِدْعة سنَّة؛ ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطُمِسَتْ الأعلام، واشتدَّت غُرْبة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدَّ البأس، وظهر الفساد في البر والبحر، بما كسبت أيدي الناس.

انتهى كلامه.

وقال أيضاً في الكلام على هذه القصة ــ لما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ مال اللات وصرفه في المصالح ــ: ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين؛ فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها، و يصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام، كما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم أموال اللات. وكذا الحكم في وقفها والوقف عليها باطل، وهو مال ضائع، فيصرف في مصالح المسلمين؛ فإن الوقف لا يصحُّ إلا في قُرْبة وطاعة لله ولرسوله، فلا يصحُّ على مشهد، ولا قبر يُسْرَج عليه و يُعظَّم و يُنْذَر له و يُعْبَد من دون الله. وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم.

انتهى كلامه.

فتأمل كلام هذا الرجل الذي هو من أهل العلم، وهو أيضاً من أهل الشام، كيف صرَّح أنه ظهر في زمانه، فيمن يدَّعي الإسلام في الشام وغيره، عبادةُ القبور والمشاهد والأشجار والأحجار ــ التي هي أعظم من عبادة اللات والعُزَّى، أو مثله ــ وأن ذلك ظهر ظهوراً عظيماً حتى غلب الشركُ على أكثر النفوس، وحتى صار الإسلام غريباً، بل اشتدت غربته. أين هذا من قول صاحبكم لأهل «الوَشْم» في كتابه ــ لما ذكروا له أن في بلدانكم شيئاً من الشرك: ــ يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين. وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأطمُّ مما قال ابن عيدان وصاحبه في أهل زمانهما. أَفَتَرَى هؤلاء العلماء أتوا فِرْية عظيمة، ومقالة جسيمة؟

فهذا ما يسَّر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العَجَلة. فأنت تأمَّلْه تأملاً جيداً، واجعل تأملك لله، مستعيذاً بالله من اتِّباع الهوى، ولا تفعل فِعْلك أولاً، لمّا ذكرت لك أنك تتأمل كلامي وكلامه، فإن كان كلامي صحيحاً لا مجازفة فيه، وأن شاميَّكم لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»، ولا يعرف عقيدة

الإمام أحمد، وعقيدة الذين ضربوه ــ فاعرِف قَدْرَه، فهو بغيره أجهل، واعرِف أن الأمر أمر جليل. فإن كان كلامي باطلاً، ونسبتُ رجلاً من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان، فالأمر أيضاً عظيم ــ فأعرضتَ عن ذلك كله، وكتبتَ لي كتاباً في شيء آخر. فإن كان مرادك اتِّباعَ الهَوَى ــ أعاذنا الله منه ــ وأنك مع ولد المويس، كيف كان، فاترُكِ الجواب، فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شيء من أمور الدنيا. وإن كنتَ مع الحق، فلا أعذِرك من تأمُّلِ كلامي هذا وكلامي الأول، وتَعْرِضهما على كلام أهل العلم، وتحرِّرهما تحريراً جيداً، ثم تتكلم بالحق.

إذا تقرر هذا فخمس المسائل التي قدَّمتُ جوابها في كلام العلماء، وأضيف إليها مسألة سادسة، وهي: إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسمَّيتهم طواغيت، وذلك أنهم يَدْعُون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادةً أعظم من عبادة اللات والعُزَّى بأضعاف. وليس في كلامي مجازفة، بل هو الحق، لأن عُبَّاد اللات والعُزَّى يعبدونها في الرخاء، ويُخْلِصون لله في الشدَّة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر.

فإن كان الله أوقع في قلبك معرفة الحق، والانقياد له، والكفر الطاغوت، والتَّبرِّي ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك ــ فاكتب لي وبشِّرْني؛ لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا ــ فضلاً عن إنكاره ــ مثل الزِّنا والسرقة، بل والله ثم والله ثم والله إن الأمر أعظم. وإن وقع في قلبك إشكال فاضرَعْ إلى مقلِّب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه.

وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله؛ وبيننا وبينكم فيها كلام أهل العلم. لكن العجب من قولك أنا هادم قبور الصحابة. وعبارة «الإقناع» في الجنائز: يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسِّسَت على معصية الرسول. والنبيُّ صلى الله عليه وسلم صحَّ عنه أنه بعث عليًّا

لهدم القبور. ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم: إن ابن عبد الوهاب ابتدع لأنه أنكر على رجلٍ تزوَّج أخته! فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه!

وأما قولي: إن الإله الذي فيه السر، فمعلوم أن اللغات تختلف: فالمعبود عند العرب، والإله الذي يسمونه عوامُّنا «السيِّد» و «الشيخ» و «والذي فيه السر»؛ والعرب الأولون يسمُّون الألوهية ما يسمِّيها عوامُّنا «السرّ» لأن «السر» عندهم هو القدرة على النفع والضر، وكونه يصلح أن يُدْعَى ويُرْجَى ويُخَاف ويُتوكَّل عليه. فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وسأل بعضُ العامَّة: ما فاتحة الكتاب؟ ما فُسِّرت له إلا بلغة بلده، فتارة تقول هي: فاتحة الكتاب، وتارة تقول هي: أمُّ القرآن، وتارة تقول هي: الحمد؛ وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد. ولكن إن كان «السر» في لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم، فهذا وجه الإنكار، فبيِّنوا لنا.

وأما قول ابن سحيم في أول الرسالة: إنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الكائنين في الجُبَيْلة: زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها، لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قَدْرَ ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافنُ لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعمد أيضاً إلى مسجدٍ في ذلك وهدمه... إلى آخره ــ فهذا الكلام ذُكِر فيه ما هو حقٌّ وصِدْقٌ، وذكر فيه ما هو كذب وزور وبهتان.

فالذي جرى من الشيخ ــرحمه اللهــ وأتباعه، أنه هدم البناء الذي على القبور، والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه؛ وذلك كذب ظاهر، فإن قبر زيد رضي الله عنه ومن معه من الشهداء لا يُعْرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم قُتِلوا في أيام مُسَيْلِمَة في هذا الوادي، ولا يُعْرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعْرَف قبر زيد من قبر غيره؛ وإنما كذب ذلك بعضُ الشياطين، وقال للناس: هذا قبر زيد؛ فافتتنوا به، وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة، ويجتمع عنده جمع كثير، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات. فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره، وذلك المسجد المَبْنيّ على المقبرة، اتِّباعاً لما أمر الله به ورسوله: من تسوية القبور، والنهي الغليظ الشديد في بناء المساجد عليها، كما يعرف ذلك من له أدنى مَلَكة من المعرفة والعلم.

وقوله: «وبعثرها لأجل أنهم في حجارة، ولا يقدرون أن يحفروا لهم، فطووا على أضرحتهم قدر ذراع، ليمنعوا الرائحة والسباع»، فكل هذا كذب وزور، وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور، وكلامه هذا تكذِّبه المشاهدة، فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سَهْلٌ ليِّنٌ للحفر، وأهلُ العُيَيْنَة والجُبَيْلة، وغيرهما من بلدان العارض، يدفنون موتاهم في تلك المقبرة، وهي أرض سهلة لا حجارة فيها، والحجارة والوعر عن تلك المقبرة شمالاً وجنوباً، ولكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الشيخ بالأمور الفظيعة والأهوال الهائلة الشنيعة، لكي ينفر السامعون لذلك عن الدخول في دين الله؛ وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه.

والحمدلله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

الرسالة الثامنة

انظر: مذكرة في قضية المحرومين وإبطال شروط الواقفين ــ للأستاذ أحمد محمد شاكر؛ طبع دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٢ هـ، ١٩٥٣ م ص: ٢١-٣١.

وقد أجاب الشيخ ــ رحمه الله ــ في الرسالة السابقة عما رماه به: سليمان بن سحيم، من الزور والكذب والبهتان، وما هو قائل به. وذكر دليله من الكتاب والسنة، وأقوال أئمة أهل الإيمان، وأعرض عن بعض المسائل لم يجب عنها في هذه الرسالة. وقد أجاب عنها في الرسالة التالية، فأحسن وأجاد، وكشف حجب الضلال عن العباد. فمن ذلك قوله: إنه أبطل الوقف، و يكذب بالمروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا، وقد كذب وافترى فيما رمى به الشيخ. وصورة الوقف التي أنكرها الشيخ رحمه الله، وأبطله، هو ما كان مخالفاً لما ثبت في الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وذلك أن كثيراً من الجهال والعامة ــ إذا أراد أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الإناث ما قسم الله له أو يحرم أولاد الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم ــ وقف ماله وأشهد عليه، وشرط فيه هذه الشروط المخالفة لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من صفة وقفهم. فلما أنكر ذلك الشيخ رحمه الله، استعظم ذلك جهال القضاة؛ لأنه مخالف لعادتهم التي جروا عليها، ومخالف لما ذكره بعض المتأخرين في كتبهم. فشنعوا بذلك على الشيخ، وافتروا عليه الكذب العظيم، مثل قولهم: وكذب المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا؛ وحاشاه من ذلك، بل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فهو عنده المعمول به، المفتى به، المحمول على الرأس والعين.

وهذا نص جوابه عن شبهتهم التي شبهوا بها في الوقف. قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلماتُ جواب عن الشُّبْهة التي احتجَّ بها من أجاز وقف الجَنَف والإِثم.

ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة:

وذلك أن السَّلَف اختلفوا في الوقف الذي يُراد به وجهُ الله على غير من يَرِثُه، مثل: الوقف على الأيتام، وصُوَّام رمضان، أو المساكين، أو أبناء السبيل.

فقال شُرَيح القاضي وأهل الكوفة: لا يصحُّ ذلك الوقف؛ حكاه عنهم الإمام أحمد.

وقال جمهور أهل العلم: هذا وقفٌ صحيح؛ واحتجُّوا بحجج صحيحة صريحة تَرُدُّ قولَ أهل الكوفة.

فهذه الحجج التي ذكرها أهل العلم يحتجُّون بها على علماء أهل الكوفة، مثل قوله: «صدقة جارية»، ومثل وقف عمر، وأوقاف أهل المقدرة من الصحابة على جهات البِرِّ التي أمر الله بها ورسولُه ــ ليس فيها تغيير لحدود الله.

وأما مسألتنا فهي: إذا أراد الإنسان أن يَقْسِم مالَه على هواه، وفَرَّ من قسمة الله، وتمرَّد عن دين الله، مثل أنْ يريد أنَّ امرأته لا تَرِثُ من هذا النخل ولا تأكل منه إلا حياةَ عَيْنها، أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض، فراراً من وصية الله بالعدل؛ أو يريد أن يَحْرِمَ نسْلَ البنات؛ أو يريد أن يُحَرِّم على ورثته بيعَ هذا العَقَار لئلا يفتقروا بعده، و يُفْتِي له بعض المُفْتِين أن هذه البدعةَ الملعونة صَدَقةُ بِرٍّ تقُرِّب إلى الله، و يوقف على هذا الوجه قاصداً وجه الله.

فهذه مسألتنا.

فتأمَّلْ هذا بشراشر قلبك[1]، ثم تأمل ما نذكره من الأدلة. فنقول:

من اعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغييرُ شرع الله ودينه، والتحيُّل على ذلك بالتقرُّب إليه، وذلك مثل أوقافنا هذه إذا أراد أن يَحْرِم من أعطاه الله، من: امرأةٍ، أو امرأةِ ابنٍ، أو نسلِ بناتٍ، أو غير ذلك؛ أو يُعطي من حَرَمه الله، أو يزيد أحداً عمَّا فرض الله، أو يَنْقصه من ذلك، و يريد التقرُّب إلى الله بذلك ــ مع كونه مُبْعِداً عن الله.

فالأدلةُ على بطلانِ هذا الوقف، وعَوْدِه طِلْقاً[2]، وقَسْمِه على قَسْم الله ورسوله ــ أكثرُ من أن تُحْصَر.

---

(١) شراشر القلب: يريد بها: دخائله. وقد مرت من قبل (ص ٢٩٨) ولم نشرحها هناك.

(٢) الطلق (بالكسر): الحلال.

ولكنْ من أوضحها دليل واحد، وهو أن يقال لمدَّعِي الصحة: إذا كنتَ تدَّعي أن هذا مما يحبُّ الله ورسوله، وفِعْلُه أفضلُ من تَرْكِه، وهو داخلٌ فيما حضّ عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الصَّدَقة الجارية، وغير ذلك ـــ فمعلوم أن الإنسان مجبول على حبِّه لولده، وإيثاره على غيره، حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ إنَّما أمْوَالُكُمْ وَأوْلادُكُمْ فِتْنَة ﴾ فإذا شَرَعَ الله لهم أن يوقفوا أموالهم على أولادهم، ويَزِيدوا من شاءوا، أو يَحْرِموا النِّساء والعَصَبة ونسلَ البنات، فلأيِّ شيء لم يفعل ذلك أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ولأيِّ شيء لم يفعله التابعون؟ ولأيِّ شيء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم؟ أتُرَاهم رغبوا عن الأعمال الصالحة، ولم يحبُّوا أولادهم، وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح، ورغب في ذلك أهل القرن الثاني عشر؟ أم تُرَاهم خَفِيَ عليهم حُكْمُ هذه المسألة، ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فَعلِمُوها؟ سبحان الله ما أعظم شأنه وأعزَّ سلطانه!

فإن ادَّعى أحد أن الصحابة فعلوا هذا الوقف، فهذا عين الكذب والبهتان. والدليل على هذا أن هذا الذي تَتَبَّع الكتبَ، وحرص على الأدلّة، لم يَجِدْ إلا ما ذكره؛ ونحن نتكلم على ما ذكره:

فأما حديث ابي هريرة الذي فيه «صدقة جارية» فهذا حق، وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد. ونحن أنكرنا على من غيَّر حدود الله، وتقرَّب بما لم يَشْرَعْه. ولو فهم الصحابة وأهل العلم هذا الوقف من هذا الحديث لبادروا إليه.

وأما حديث عمر: أنه تصدَّق بالأرض على الفقراء، والرِّقاب، والضيف، وذوي القُرْبَى، وأبناء السبيل ـــ فهذا بعينه من أبْيَن الأدلّة على مسألتنا. وذلك أن من احتجّ على الوقف على الأولاد ليس له حجّة إلا هذا الحديث، لأن عمر قال: لا جُنَاح على من وَلِيَهُ أن يأكل بالمعروف، وأنَّ حَفْصَة وَلِيَتْهُ، ثم وَلِيَه

عبدالله بن عمر. فاحتجُّوا بأكل حفصة وأخيها دون بقية الوَرَثة. وهذه الحجَّة من أبطل الحجج. وقد بيَّنه الشيخ الموفَّق رحمه الله والشارح، وذكرا أن أكل الوَليِّ ليس زيادة على غيره، وإنما ذلك أجْرَةُ عمله، كما كان في زماننا هذا يقول صاحب الضحية: لوليِّها الجِلْدُ والأكارع.

ففي هذا دليل من جهتين:

الأول: أن من وقف من الصحابة ــ مثل عمر وغيره ــ لم يوقفوا على ورثتهم، ولو كان خيراً لبادروا إليه. وهذا المصحِّح لم يصحح بقوله: «ثم أدناك أدناك». فإذا كان وقْفُ عمرَ على أولاده أفضلَ من الفقراء وأبناء السبيل، فما بالُه لم يوقف عليهم؟ أتظنُّه اختار المفضول وترك الفاضل؟ أم تظنُّ أنه ــ هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمره ــ لم يفهما حكم الله؟

الثاني: أنَّ من احتجَّ على صحة الوقف على الأولاد وتفضيل البعض ــ لم يحتجَّ إلا بقوله: تليه حفصة ثم ذوو الرأي، وأنه يأكل بالمعروف. وقد بيَّنا معنى ذلك، وأنه لم يبرَّ أحداً[1] وإنما جعل ذلك للوليِّ عن تَعَبه في ذلك.

فإذا كان المستدل لم يجد على الصحة[2] إلا هذا، تبيَّن لك أن قولهم: تصدَّق أبو بكر بداره على ولده، وتصدق فلان وفلان، وأن الزُّبَيْر خصَّ بعضَ بناته ــ ليس معناه كما فهموا، وإنما معناه أنهم تصدَّقوا بما ذُكر صَدَقَةً عامةً على المحتاجين، فكان أولاده ــ إذا قَدِموا البلد ــ نزلوا تلك الدار لأنهم من أبناء السبيل، كما يوقف الإنسان مِسْقاةً ويتوضأ منها وينتفع بها هو وأولاده مع الناس، وكما يوقف مسجداً ويصلِّي فيه.

وعبارة البخاري في صحيحه: «وتصدّق أنَسٌ بدار، فكان إذا قدم نزلها،

---

(١) في المخطوطة: ٨٧ «لم بين أحد» غير واضحة، والمطبوعة ١:١٢٦ «لم يبر أحد».

(٢) في المصورة «عين الصحابة»، وفي المطبوعة ١: ١٢٦ «عن الصحة» والصواب من المخطوطة، ومذكرة في قضية المحرومين.

وتصدق الزُّبَير بِدُوره، واشترط للمردودة من بناته أن تسكنها.» فتأمل عبارة البخاري يتبيَّن لك أن ما ذُكِر عن الصحابة، مثل: من وقف نخلاً على المفطِرين من الفقراء في هذا المسجد، ويقول: إن افتقر أحد من ذرِّيتي فليفطر معهم. فأين هذا من وقف الجَنَف والإثم؟

على أن هذه العبارة كلامُ الحميدي، والحميدي في زمن القاضي أبي يَعْلَى، وأجمع أهل العلم أن مَرَاسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاجُ بها، فمن احتجَّ بها فقد خالف الإجماع. هذا لو فرضنا أنه يدل على ذلك، فكيف وقد بيَّنا معناه! ولله الحمد.

وإذا تبيَّن لك أن من أجاز الوقف على الأولاد والتفضيلَ لم يجد إلا حديث عمر، وقوله: ليس على من وَلِيَه جُناح؛ وأن الموفق وغيره ردُّوا على من احتجَّ به — تبيَّن لك أن حديث عمر من أبْيَن الأدلّة على بطلان الوقف الجَنَف والإثم.

وأما قوله: لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف؛ فهل هذا يدل على صحَّة وقف الجنف والإثم؟ وما مثله إلا كمن رأى رجلاً يصلِّي في أوقات النهي فأنكر عليه، فقال: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إذا صَلَّى ﴾، ويقول: إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون، أو يذكر فضل الصلاة!

وكذلك مسألتنا إذا قلنا: ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾ وغير ذلك، أو قلنا: «إن الله أعطى كلَّ ذي حقٍ حقَّه فلا وصيَّةَ لوارث»، أو قلنا: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلَّظ القول فيمن تصدَّق بماله كلِّه، أو قلنا: «اتَّقُوا الله واعدِلوا بين أولادكم» — ادَّعَوْا علينا أن الصحابة وقفوا؛ هل أنكرنا الوقف كأهل الكوفة حتى يُحْتَجَّ علينا بذلك؟.

وأما قول أحمد: من ردَّ الوقف فكأنما ردَّ السُّنَّة؛ فهذا حقٌّ، ومراده وقفُ

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما ذكره أحمد في كلامه. وأما وقف الإثم والجَنَف فمن ردَّه فقد عمل بالسنَّة، وردَّ البِدْعة، واتَّبع القرآن.

وأما قوله: إنَّ في صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل بالمعروف، وأن زيداً وعمراً سكنا داريهما اللتين وقفا[1]؛ فيا سبحان الله من أنكر هذا؟ وهذا كمن وقف مسجداً وصلَّى فيه وذريته، أو وقف مِسْقاة واستسقى منها وذريته.

وقول الخِرَقي: والظاهر أنه عن شرط، فكذلك؛ وهذا شرط صحيح، وعمل صحيح، كمن وقف داره على المسجد، أو أبناء السبيل، واستثنى سكناها مدة حياته. وكل هذا يردُّون به على أهل الكوفة، فإن هذا ليس من وقف الجَنَف والإثم.

وأما قوله: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»، وقوله: «صدقتك على رَحِمك صدقة وصِلة»، وقوله: «ثم أدناك أدناك»، وأشباه ذلك ــ فكل هذا صحيح لا إشكال فيه، لكنْ لا يدلُّ على تغيير حدود الله.

فإذا قال: ﴿يوصيكم الله في أولادِكم للذَّكَرِ مِثْلُ حُظِّ الأُنْثَيَيْن﴾ ووقف الإنسان على أولاده، ثم أخرج نسل الإناث محتجًّا بقوله: «ثم أدناك أدناك»، أو صلة الرحم ــ فمثله كمثل رجلٍ أراد أن يتزوَّج خالةً أو عمَّةً فقيرةً، فتزوَّجها يريد الصِّلَة، واحتجَّ بتلك الأحاديث!

فإن قال: إن الله حرَّم نكاح الخالات والعمَّات؛ قلنا: وحرَّم تعدِّي حدود الله التي حدَّ في سورة النساء، قال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْه ناراً خالِداً فيها﴾.

---

(١) في المخطوطة والمصورة والمطبوعة «أسكنا داريهما التي» وأثبتنا ما في «مذكرة في قضية المحرومين» ٢٧.

فإذ قال: الوقف ليس من هذا؛ قلنا: هذا مثل قوله «من تزوج خالته إذا تزوجها لفقرها ــ ليس من هذا»؛ فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبيّنوه.

وأما قول عمر: «إنْ حدث بي حادث فإن ثَمْغي[1] صدقة»؛ هذا يستدلُّون به على تعليق الوقف بالشرط، وبعض العلماء يبطله، فاستدلوا [به][2] على صحته. وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة، فيا سبحان الله! كيف يكابرون النصوص، ووقف عمر وشرطه ومصارفه [في][3] ثَمْغ[1] وغيرها معروفة مشهورة؟.

وأما قول عمر: «إلاّ سَهْمِي الذي بخيبر أردت أن أتصدق بها»، فهذا دليل على أهل الكوفة كما قدّمناه. فأين في هذا دليل على صحة هذا الوقف الملعون الذي بطلانه أظهر من بطلان أصحاب... بكثير[4]؟ وأما وقف حَفْصَة الحلي على آل الخطّاب، فيا سبحان الله، هل وقفت على ورثتها، أو حرمت أحداً أعطاه الله، أو أعطت أحداً حرمه الله، أو استثنت غَلّته مدة حياتها؟ فإذا وقف محمد بن سعود نخلاً على الضّعيف من آل مقرن، أو مثل ذلك، هل أنكرنا هذا؟ وهذا وقف حفصة، فأين هذا مما نحن فيه؟

وأما قولهم: إن عمر وقف على ورثته؛ فإن كان المرادُ ولايَةَ الوقف، فهو صحيح، وليس مما نحن فيه. وإن كان مراد القائل أنه ظَنَّ أنه وقف يدل على صحّة ما نحن فيه، فهذا كذب ظاهر، تردُّه النقول الصحيحة في صفة وقف عمر.

---

(١) في المخطوطة: ٨٨ والمطبوعة: ١٢٧ «تمضي» وهو خطأ. والصواب من مذكرة في قضية المحرومين: ٢٨ والمصورة.

وثمغ ــ بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعده غين معجمة: موضع تلقاء المدينة، كان فيه مال لعمر بن الخطاب، فخرج إليه يوماً، ففاتته صلاة العصر، فقال: شغلتني ثمغ عن الصلاة، أشهدكم أنها صدقة. (معجم ما استعجم «ثمغ»).

(٢) زيادة من مذكرة في قضية المحرومين...: ٢٨.

(٣) زيادة من المخطوطة؛ ومذكرة في قضية المحرومين.

(٤) في جميع الأصول فراغ بين كلمة «أصحاب» و«بكثير».

وأما كون صفيّة[1] وقفت على أخ ٍلها يهودي، فهو لا يرثها، ولا ننكر ذلك.

وأما كلام الحميدي فتقدم الكلام عنه.

وسرُّ المسألة: أنك تفهم أن أهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد، وعلى الفقراء، والقَرابات الذين لا يرثونهم؛ فردَّ عليهم أهل العلم بتلك الأدلَّة الصحيحة.

ومسألتنا هي إبطال هذا الوقف الذي يغيِّر حدودَ الله، وإبتاء حكم الجاهلية. وكل هذا ظاهر لا خفاء فيه. ولكن إذا كان الذي كتبه يفهم معناه، وأراد به التلبيس على الجهَّال، كما فعل غيره، فالتلبيس يضمحل. وإن كان هذا قدْرَ فهمه، وأنه ما فهم هذا الذي تعرفه العوّام، فالخلق والخليقة على الله.

وأما خَتْمُه الكلام بقوله: ﴿ ومَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ فيا لها من كلمة ما أجمعها، ووالله، إن مسألتنا هذه من إنكارها[2]! وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم حدود الله، والعدلِ بين الأولاد، ونهانا عن تغيير حدود الله، والتحيُّل على محارم الله.

وإذا قدَّرنا أن مراد صاحب هذا الوقف وجهُ الله لأجل من أفتاه بذلك، فقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البِدَع في دين الله، ولو صحَّت نية فاعلها، فقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» وفي لفظٍ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ». هذا نص الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا ﴾، وقال: ﴿ وإنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾،

---

(١) في المخطوطة: ٨٩، والمصورة، والمطبوعة: ١٢٨ «حفصة» وصوابها: «صفية». قال فضيلة الشيخ الأستاذ أحمد محمد شاكر في تحقيقه لهذه الرسالة: «في الأصول الثلاثة: حفصة. وهو خطأ من الناسخين فليس لحفصة قرابة باليهود، وهي بنت عمر بن الخطاب. وإنما الصواب «صفية» وهي التي ثبت عنها نحو هذا المعنى...» (انظر مذكرة في قضية المحرومين: ٢٩ حاشية (١)).

(٢) في المذكرة: ٣٠ «من أنصارها»، وفي الأصول الأخرى «إنكارها».

وقال: ﴿ قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم اللهُ ﴾. فمَنْ قَبلَ ما آتاه الرسول، وانتهى عما نهى، وأطاعه ليهتدي، واتَّبعه ليكون محبوباً عند الله ـ فلْيُوقِفْ، كما أوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما وقف عمر رضي الله عنه، وكما وقفت صفية، وغيرهم من الصحابة، وأهل العلم.

وأما الوقف المُحْدَث الملعون المغيِّر لحدود الله فهذا الذي قال الله فيه ـ بعد ما حدَّ المواريث والحقوق للأولاد والزوجات وغيرهم: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّات تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خالدِين فِيها، وذلك الفَوْزُ العَظِيم. ومَنْ يَعْصِ اللهَ ورَسولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالداً فيها ولَهُ عَذابٌ مُهِين ﴾.

وقد علمتم ما قال الرسول فيمن أعتق ستة من العبيد، وما ردَّ وأبطل من ذلك، فهو شبيهٌ بمن أوقف ماله كلَّه خالصاً لوجه الله على مسجد، أو صُوَّام، أو غير ذلك؛ فكيف بما هو أعظم وأَطَمُّ من هذه الأوقاف؟

وأما قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكم وافْعَلُوا الخَيْرَ لعلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾ فوالله الذي لا إله إلا هو إنَّ فِعْلَ الخير اتِّباعُ ما شرع الله، وتبطيل[1] من غيَّر حدود الله، والإنكار على من ابتدع في دين الله. هذا هو فعل الخير المعلَّقُ به الفلاحُ، خصوصاً مع قوله صلى الله عليه وسلم: «وإيَّاكم ومُحْدَثات الأمور، فإنَّ كلَّ بِدْعة ضلالة»، وقوله: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلُّوا محارم الله بأدنى الحِيَل» وقوله: «لعن الله اليهود، حُرِّمت عليهم الشحوم، فَجَملُوها[2] فباعوها وأكلوا ثمنها».

(١) في المصورة، والمطبوعة ١: ١٢٩ «وإبطال» وأثبتنا ما في المخطوطة والمذكرة.

(٢) في المخطوطة: ٨٩ «فحملوها».

فليتأمل اللبيب الخالي عن التعصُّب والهوى، الذي يعرف أن وراءه جنَّةً وناراً، الذي يعلم أن الله يطَّلع على خَفِيَّات الضمير ــ هذه النصوصَ، و يفهمها فهماً جيداً، ثم ينزِّلْها على مسألة وقف الجَنَف والإثم، فيتبيَّن له الحق إن شاء الله.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

الرسالة التاسعة

كتبها الشيخ ــ رحمه الله ــ إلى سليمان بن سحيم، صاحب تلك الرسالة التي شنع بها على الشيخ، المتقدمة قبل ذلك وجوابها. وكان الشيخ ــ رحمه الله ــ قد أرسل له وتلطف له قبل ذلك، فلما تبين للشيخ أنه معاند للحق والإيمان، ومن أعوان أهل الشرك والطغيان، كتب له هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت[1] قرطاسة فيها عجائب، فإن كان هذا قدْرَ فهمك، فهذا من أفسد الأفهام، وإن كنتَ تلبِّس به على الجهَّال فما أنت برابح. وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرِّحون بالكفر والشرك والنفاق، ولكن صائر لكم عند خمامة[2] في معكال قصاصيب وأشباههم، يعتقدون أنكم علماء، ونُداريكم ووُدُّنا أن الله يهديكم ويهديهم. وأنت إلى الآن أنت وأبوك لا تفهمون شهادة لا إله إلا الله. أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة: أنك لا تعرفها إلى الآن، ولا أبوك. ونكشف لك هذا كشفاً بيِّناً، لعلك تتوب إلى الله، وتدخل في دين الإسلام إن هداك الله، وإلاَّ تبيَّن لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالُكُما، والصلاة وراءكما، وقبول شهادتكما، وحظكما، ووجوب عداوتكما، كما قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ واليوم الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَه﴾.

وأكشفُ ذلك بوجوه:

الأول: أنكم تُقِرُّون أن الذي يأتيكم من عندنا هو الحق، وأنت تشهد به ليلاً ونهاراً، وإن جحدتَ هذا شهد عليك الرجال والنساء، ثم مع هذه الشهادة أنّ هذا دين الله، أنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلاً ونهاراً، ومن أطاعكما، وتبهّتون، وترْمُون المؤمنين بالبهتان العظيم، وتصوِّرون على الناس

---

(١) في المطبوعة ١: ١٣٨ «أزعجت» وفي المخطوطة: ٩٦، والمصورة ١: ١٨١ «زعجت»، ومعنى «زعجت»:

(٢) في المخطوطة: ٩٦ «عند خمامة من معكال قصاصيب...».

الأكاذيب الكبار! فكيف تشهد أن هذا دين الله، ثم تتبين في عداوة من تَبِعَه؟

الوجه الثاني: أنك تقول: إني أعرف التوحيد، وتقرّ أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر، والناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد، وتقرأه لهم، وتحضرهم وهم ينخون و يندبون مشايخهم، و يطلبون منهم الغوث والمدد، وتأكل اللقم من الطعام المعدّ لذلك. فإذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم؟

الوجه الثالث: أن تعليقهم التمائم من الشرك بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر تعليق التمائم صاحب «الإقناع» في أول «الجنائز». وأنت تكتب الحجب، وتأخذ عليها شرطاً، حتى إنك كتبتَ لامرأةٍ حجاباً لعلها تحبل، وشرطت لك أحمرين[1] وطالبتها تريد الأحمرين، فكيف تقول: إني أعرف التوحيد، وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا.

الوجه الرابع: أنك تكتب في حجبك طلاسم، وقد ذكر في «الإقناع» أنها من السحر، والسحر يكفُرُ صاحبه؛ فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم؟ وإن جحدتَ فهذا خطُّ يدك موجود.

الوجه الخامس: أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادةً ملأت الأرض بهذا الذي تقرّ أنه من الشرك: ينخونهم، و يندبونهم، ويجعلونها وسائط، وأنت وأبوك تقولان: نعرف هذا لكن ما سألونا. فإذا كنتم تعرفونه كيف يحلُّ لكم أن تتركا الناس يكفرون؟ ما تنصحونهم ولو لم يسألوكم؟

الوجه السادس: أنَّا لمَّا أنكرْنا عبادة غيرِ الله بالَغْتُم في عداوة هذا الأمر وإنكاره، وزعمتم أنه مذهب خامس، وأنه باطل؛ وإن أنكرتما فالناس يشهدون عليكم بذلك، وأنتم مجاهرون به فكيف تقولون: هذا كفر، ولكن ما سألونا عنه! فإذا قام من يبيِّن للناس التوحيد، قلتم: إنه مغيِّر الدين، وآت بمذهب خامس. فإذا

---

(١) الأحمر ــ نوع من النقد كانوا يتداولونه.

كنت تعرف التوحيد، وتقرّ أن كلامي هذا حق، فكيف تجعله تغييراً لدين الله، وتشكونا عند أهل الحرمين؟

والأمور التي تدل على أنك أنت وأباك لا تعرفان شهادة أن لا إله إلا الله لا تحصر، لكن ذكرنا الأمور التي لا تقدر تنكرها؛ وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾؛ لأنهم يُخْفُونَ نفاقهم، وأنت وأبوك تظهران للخاصّ والعامّ.

وأما الدليل على أنك رجل معاند، ضالٌّ على علم، مختارٌ الكفر على الإسلام، فمن وجوه:

الأول: أني كتبتُ ورقةً لابن صالح من سنتين، فيها تكفير الطواغيت: شمسان وأمثاله؛ وذكرتُ فيها كلام الله ورسوله، وبيّنتُ الأدلّة. فلما جاءتك نَسَخْتَها بيدك لموسى بن سليم، ثم سجّلتَ عليها، وقلت: ما ينكر هذا إلا أعمى القلب. وقرأها موسى في البلدان، وفي مَنْفُوحةَ، وفي الدِّرْعِيَّة، وعندنا، ثم راح للقِبْلة. فإذا كنت من الأول موافقاً لنا على كفرهم، وتقول: ما ينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته ــ فالعلم الذي جاءك بعد هذا يبيِّن لك أنهم ليسوا بكفار، بيِّنْه لنا.

الوجه الثاني: أني أرسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين، التي يذكر فيها: أن من دعا نبياً أو صحابياً أو ولياً، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني وأغثني ــ أنه كافر بالإجماع. فلما أتتك استحسنتَها، وشهدتَ أنها حق، وأنت تشهد به الآن، فما الموجب لهذه العداوة؟

الوجه الثالث: أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررتَ أن هذا دينُ الله، وأنه الحق، وقلتَه على رؤوس الأشهاد؛ وإذا خلوتَ مع شياطينك وقصّاصيك فلَكَ كلام آخر!

الوجه الرابع: أن عبد الرحمن الشنيفي ومن معه، لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق، وشهدت أن الطواغيت كفّار، وتبرأتَ من طالب الحمضي، وعبد الكريم، وموسى بن نوح؛ فأي شيء بان لك بعد هذا أنَّ هذا باطل، وأن الذي تبرَّأتَ منهم، وعاديتَهم أنهم على حق؟

الوجه الخامس: أنك لما خرجت من عند الشيوخ، وأتيت عند الشنيفي، جحدت الكلام الذي قلت في المجلس؛ فإن كان الكلام حقاً، فلأي شيء تجحده؟ وأنت وأبوك مُقِرَّان أنكما لا تعرفان كلام الله ورسوله، لكن تقولان: نعرف كلام صاحب «الإقناع» وأمثاله! وأنا أذكر لك كلام صاحب «الإقناع» أنه مكَفِّرُك، ومكفِّرٌ أباك في غير موضع من كتابه:

الأول: أنه ذكر في أول سطر من «أحكام المرتدّ» أن الهازل بالدين يكفُر، وهذا مشهور عنك وعن أحمد بن نوح الاستهزاء بكلام الله ورسوله، وهذا كتابكم كفركم.

الثاني: أنه ذكر في أوَّله أن المُبْغِض لما جاء به الرسول كافر بالإجماع، ولو عمل به؛ وأنت مُقِرٌّ أن هذا الذي أقول في التوحيد أمْرُ الله ورسوله؛ والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مُبْغِضون لهذا الدين، مجتهدون في تنفير الناس عنه، والكذب والبهتان على أهله. فهذا كتابكم كفركم.

الثالث: أنه ذكر من أنواع الردَّة إسقاط حُرْمة القرآن. وأنتم كذلك تستهزئون بمن يعمل به، وتزعمون أنهم جهال، وأنكم علماء.

الرابع: أنه ذكر أن من ادَّعى في علي بن أبي طالب ألوهيةً أنه كافر، ومن شكَّ في كفره فهو كافر. وهذه مسألتك التي جادلتَ بها في مجلس الشيوخ، وقد صرَّح في «الإقناع» بأن من شكَّ في كفرهم فهو كافر، فكيف بمن جادل عنهم، وادَّعى أنهم مسلمون، وجعلنا كفّاراً لمَّا أنكرنا عليهم؟

الخامس: أنه ذكر أن السِّحر يكفر بتعلُّمه وتعليمه، والطلاسم من جملة السحر.

فهذه ستة مواضع في «الإقناع» في باب واحد أنَّ من فعلها فقد كفر، وهي دينك ودين أبيك. فإما أن تبرءوا من دينكم هذا وإلا فأجيبوا عن كلام صاحب «الإقناع». وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهة، مثل الشيوخ أو من يصلّي وراءك، كادوا أن الله يهديهم، ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس، لئلا تُفْسِد عليهم دينهم؛ وإلا فأنَا أظنُّك لا تقبل، ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالةً وكفراً.

وأما الكلام الذي لبسْتَ به على الناس، فأنا أبيِّنه إنْ شاء الله كلمةً كلمةً. وذلك أن جملة المسائل التي ذكرت أربع؛ الأولى: النذر لغير الله، تقول: إنه حرام ليس بشرك. الثانية: أن من جعل بينه وبين الله وسائط كفر، أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون. الثالثة: عبارة العلماء: أن المسلم لا يجوز تكفيره بالذنوب. الرابعة: التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه ـــ هذه المسائل التي ذكرت.

فأما المسألة الأولى: فدليلك قولهم: إن النذر لغير الله حرام بالإجماع، فاستدللت بقولهم «حرام» على أنه ليس بشرك، فإن كان هذا قدر عقلك فكيف تدَّعي المعرفة؟ يا ويلك ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قل: تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّم رَبُّكُمْ عليكُمْ أن لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبالْوَالِدَينِ إحْساناً﴾ فهذا يدلّ على أن الشرك حرام ليس بكفر. يا هذا الجاهل المركب ما تصنع بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ ربِّي الفَوَاحِشَ ما ظَهَر منها وما بَطَن﴾ إلى قوله: ﴿وأن تُشْرِكُوا باللهِ مالَمْ يُنزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾ هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفِرُ صاحبه؟ يا ويلك في أي كتاب وجدته إذا قيل لك هذا حرام، إنه ليس بكفر. فقولك: إن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم، بل يقال: ذُكِر أنه

حرام، وأما كونه كفراً فيحتاج إلى دليل آخر. والدليل عليه أنه صرَّح في «الإقناع» أن النذر عبادة، ومعلوم أن «لا إله إلا الله» معناها: لا يعبدوا إلا الله. فإذا كان النذر عبادة، وجعلتها لغيره، كيف لا يكون شركاً؟

وأيضاً مسألة الوسائط تدلُّ على ذلك، والناس يشهدون أن هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط، وهم مُقِرُّون بذلك. وأما استدلالك بقوله: من قال انذروا لي وأنه إذا رضي وسكت لا يكفر؛ فبأي دليل؟ غاية ما يقال إنه سكت عن الأخذ الراضي. وعلم من دليل آخر، والدليل الآخر: أن الرِّضَى بالكُفْرِ كُفْرٌ، صرَّح به العلماء؛ وموالاة الكفار كُفْرٌ؛ وغير ذلك. هذا إذا قدّر أنهم لا يقولونه؛ فكيف وأنت وغيرك تشهد عليهم أنهم يقولون، ويبالغون فيه، ويقصُّون على الناس الحكايات التي ترسِّخ الشرك في قلوبهم، وتبغِّض إليهم التوحيد؛ ويكفِّرون أهل العارض لما قالوا: لا يُعْبَد إلا الله. وأما قولك: ما رأينا للترشيح معنى في كلام العلماء، فمن أنت حتى تعرف كلام العلماء؟.

وأما الثانية، وهي: أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر. فهذا كلام تلبيس وجهالة، ومن قال إن عيسى، وعُزَيْراً، وعليَّ بن أبي طالب، وزيد بن الخطاب، وغيرهم من الصالحين، يلحقهم نقصٌ بجعل المشركين إياهم وسائط؟ حاشا وكلا ﴿ولاَ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

وإنا كفَّرنا هؤلاء الطواغيت أهل «الخرج» وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم، منها: أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط، ومنها: أنهم يدْعون الناس إلى الكفر، ومنها: أنهم يبغِّضون عند الناس دين محمد صلى الله عليه وسلم، ويزعمون أن أهل «العارض» كفروا لما قالوا: لا يُعْبَد إلا الله؛ وغير ذلك من أنواع الكفر. وهذا أمر أوضح من الشمس لا يحتاج إلى تقرير؛ ولكن أنت رجل جاهل مشرك، مُبْغِض لدين الله، وتلبِّس على الجهّال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبُّون الشرك ودين آبائهم. وإلا فهؤلاء الجهال ــ وأن مرادهم اتباع الحق ــ عرفوا أن كلامك من أفسد ما يكون.

وأما المسألة الثالثة، وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبّس به على العوام: أن أهل العلم قالوا: لا يجوز تكفير المسلم بالذنب. وهذا حق، ولكن ليس هذا ما نحن فيه. وذلك أن الخوارج يكفِّرون من زنى، أو من سرق، أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر. وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك؛ ونحن ما كفّرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك. وأنت رجل من أجهل الناس، تظن أن من صلّى وادّعى أنه مسلم – لا يكفَّر، فإذا كنت تعتقد ذلك فما تقول في المنافقين الذين يصلُّون و يصومون ويجاهدون؟ قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قَتْلَ عادٍ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»، أتظنهم ليسوا من أهل القبلة؟ ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ــ مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره ــ فأضرم لهم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ناراً فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم، لكنَّ ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار، وقال: يُقْتلون بالسيف. أتظن هؤلاء ليسوا من أهل القبلة؟ أم أنت تفهم الشرع، وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفهمونه؟ أرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قاتلوا مَنْ منع الزكاة، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر: لا تقبل توبتكم حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ــ أتظن أن أبا بكر وأصحابه لا يفهمون، وأنت وأبوك الذين تفهمون؟ ياويلك أيها الجاهل الجهل المركب إذا كنت تعتقد هذا، وأنَّ من أَمَّ القبلة لا يكفر. فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التي ذكرها العلماء في باب «حكم المرتدّ» التي كثير منها في أناسٍ أهل زهد وعبادة عظيمة، ومنها طوائف ذكر العلماء أن من شكَّ في كفرهم فهو كافر؟ ولو كان الأمر على زعمك لبطل كلام العلماء في حكم المرتد، إلا مسألة واحدة وهي الذي يصرّح بتكذيب الرسول، و ينتقل يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً ونحوهم. هذا هو الكفر عندك، ياويلك ما تصنع بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تعبد فئات من أمتي الأوثان»؟ وكيف

تقول هذا وأنت تقِرُّ أن من جعل الوسائط كفَرَ؟ فإذا كان أهل العلم في زمانهم حكموا على كثير من أهل زمانهم بالكفر والشرك، أتظن أنكم صَلحْتُم بعدهم؟ يا ويلك!

وأما مسألة التذكير فكلامك فيها من أعجب العجاب! أنت تقول: بدعة حسنة؛ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «كل بِدْعة ضلالة وكل ضلالة في النار»، ولم يستثنِ شيئاً تشير علينا به؛ فنصدّقك أنت وأبوك لأنكم علماء ونكذِّب رسول الله! والعجب من نقلك الإجماع فتجمع مع الجهالة المركبة الكذبَ الصريحَ والبهتانَ؛ فإذا كان في «الإقناع» في باب «الأذان» قد ذكر كراهيته في مواضع متعددة أتظن أنك أعلم من صاحب «الإقناع» أم تظنُّه مخالفاً للإجماع؟ وأيضاً لما جاءك عبد الرحمن الشنيفي أقررتَ لهم أن التذكير بدعة مكروهة؛ فمتى هذا العلم جاءك؟ وأما قولك: أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق؛ فأيضاً: أمر الله بالسجود على الإطلاق في قوله: ﴿ارْكَعُوا واسْجُدُوا﴾ فيدلّ هذا على السجود للأصنام! أو يدل على الصلاة في أوقات النهي؟ فإن قلت: ذاك قد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا: وكذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البِدَع، وذكر أن كل بدعة ضلالة؛ ومعلوم أن هذا حادث من زمن طويل، وأنكره أهل العلم، منهم: صاحب «الإقناع». وقد ذكر السيوطي في كتاب «الأوائل»[1] أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ـ ليتهيأ الناس لصلاتها ـ بعد السبعمائة، في زمن الناصر بن قلاوون. فأرِنا كلام واحد من العلماء أرخص فيه، وجعله بدعة حسنة. فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب!.

وأما استدلالك بالأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم وقوله: «من شذَّ شذَّ في النار» و«يد الله على الجماعة»، وأمثال هذا، فهذا أيضاً من

---

(١) كتاب الأوائل ـ اسمه كتاب «الوسائل لمعرفة الأوائل» وقد ذكره في ص: ١٣٢ من المطبوعة، وأورد هناك العبارة التالية منه بنصها.

أعظم ما تُلبِّس به على الجهال. وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الإسلام سيعود غريباً، فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس؟ وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه» وأحاديث عظيمة كثيرة يبيِّن فيها صلى الله عليه وسلم أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريباً؛ ولو لم يكن في ذلك إلا قوله صلى الله عليه وسلم: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة» هل بعد هذا البيان بيان؟ يا ويلك، كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس؟ ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثرُ ممن يُقِرُّ به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤدِّيها. فإن كان الصواب عندك اتباع هؤلاء فبيِّن لنا! وإن كان عنزة، وآل ظفير، وأشباهم من البوادي، هو السواد الأعظم، لقيت في علمك وعلم أبيك أن اتباعهم حسن، فاذكر لنا.

ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الأحاديث ليتبيَّن للجهال الذين موَّهتَ عليهم:

قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقِّعين: واعلم أن الإجماع، والحجَّة، والسواد الأعظم، هو العالِمُ صاحبُ الحق ــ وإنْ كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض. وقال عمرو بن ميمون، سمعت ابن مسعود يقول: «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة». وسمعته يقول: «سَيَلِي عليكم ولاةٌ يؤخِّرون الصلاة عن وقتها، فصلِّ الصلاة وحدك» وهي الفريضة «ثم صلِّ معهم فإنها لك نافلة». قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدِّثون! قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة، ثم تقول: صلِّ الصلاة وحدك؟ قال: يا عمرو بن ميمون لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق ــ وإن كنت

وحدك. وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ. وقال بعض الأئمة ــ وقد ذُكِر له السواد الأعظم ــ أتدري ما السواد الأعظم؟ هو: محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجمهور والجماعة فجعلوهم عياراً على السنة، وجعلوا السنة بدعة، وجعلوا المعروف منكراً، لقلة أهله وتفرُّدهم في الأعصار والأمصار. وقالوا «من شذَّ شذَّ في النار» وعرف المتخلِّفون أن الشاذ ما خالف الحق، وإن كان عليه الناس كلّهم إلا واحداً فهم الشاذُّون. وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة. وكانت القضاة يومئذ والمُفْتُون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذُّون[1]، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة. ولما لم تحمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين، أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمُفْتُون على الباطل وأحمد وحده على الحق؟ فلم يتَّسع عمله لذلك، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل. فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة.

انتهى كلام ابن القيم بإسلامه ولدام سلامه[2].

هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين، وكلام السلف، وكلام المتأخرين. حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة. وأبلغ من هذه: الأحاديثُ المذكورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غربة الإسلام وتفرُّقِ هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. فإن كنتَ وجدت في علمك وعلم أبيك ما يردُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء، وأن عنزة وآل ظفير والبوادي يجب علينا اتِّباعهم، فأخبرونا.

كتبه محمد بن عبد الوهاب؛ وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(١) كذا في المخطوطة: ١٠٠ والمطبوعة ١: ١٤٥ «الشاذون» وهي جائزة.

(٢) كذا في المخطوطة: ١٠١، والمطبوعة ١: ١٤٥.

الرسالة العاشرة

أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة، وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة، وكتب إلى عبدالله بن عيسى قاضي الدرعية يسجل تحتها بما رآه من الكلام ليكون ذلك سبباً لقبول الجهال والطغام، وهذا نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد قال الله تعالى: ﴿والَّذِين يُحَاجُّون فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد﴾، وذلك أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم ليبيِّن للناس الحقَّ من الباطل، فبيَّن صلى الله عليه وسلم للناس جميع ما يحتاجون إليه في أمر دينهم بياناً تاماً، وما مات صلى الله عليه وسلم حتى ترك الناس على المحجَّة البيضاء: ليلها كنهارها. فإذا عرفت ذلك، فهؤلاء الشياطين من مَرَدَةِ الإنس ــ الذين يُحاجُّون في الله من بعد ما استُجيب له ــ إذا رأوا من يعلِّم الناس ما أمرهم به محمد صلى الله عليه وسلم من شهادة أن لا إله إلا الله، وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم ــ قاموا يجادلون، ويُلْبِسُون على الناس، ويقولون: كيف تكفِّرون المسلمين؟ كيف تسبُّون الأموات؟ آل فلان أهل ضيف، آل فلان أهل كذا وكذا. ومرادهم بهذا لئلا يتبيّن معنى «لا إله إلا الله»، ويتبينَ أنّ الاعتقاد في الصالحين النفعَ والضرَّ ودعاءهم كفرٌ ينقل عن المِلّة؛ فيقول الناس لهم: إنكم قبل ذلك جهال، لأي شيء لم تأمرونا بهذا؟

وأنا أخبركم عن نفسي: والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم، واعتقد من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى «لا إله إلا الله» ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنَّ الله به؛ وكذلك مشايخي ــ ما منهم

رجل عرف ذلك. فمن زعم من علماء «العارض» أنه عرف معنى «لا إله إلا الله» أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحداً عرف ذلك ــ فقد كذب، وافترى، ولبّس على الناس، ومدح نفسه بما ليس فيه. وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى ــ ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه، وهذا كلامه واصل إليكم إن شاء الله. فاتقوا الله عبادَ الله، ولا تكبروا على ربكم ولا نبيكم، واحمدوه سبحانه الذي منَّ عليكم ويسّر لكم من يعرّفكم بدين نبيكم صلى الله عليه وسلم، ولا تكونوا من الذين بدّلوا نعمة الله كفراً، وأحلّوا قومهم دار البَوار جهنّمَ يصلَوْنها وبئس القرار.

إذا عرفتم ذلك فاعلموا أن قول الرجل: «لا إله إلا الله» نَفْيٌ وإثبات: إثبات الألوهية كلها لله وحده، ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم. وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبّر ولا يحيي ولا يميت إلا الله؛ فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقِرُّون بهذا كما قال تعالى: ﴿قُلْ منْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّماءِ والأرْضِ؟ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصَارَ ومَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ ومَنْ يُدَبِّرُ الأمْرَ، فَسَيَقُولونَ الله، فَقُلْ أفلاَ تَتَّقُون﴾ فتفكّروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار أنهم مقرُّون بهذا كله لله وحده لا شريك له. وإنما كان شركهم أنهم يَدْعُون الأنبياء والصالحين، ويندبونهم، وينذرون لهم، ويتوكلون عليهم، يريدون منهم أنهم يقرّبونهم إلى الله، كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿والّذِينَ اتَّخذُوا مِنْ دُونِه أولياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى﴾.

إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل «الخَرْج» وغيرهم ــ مشهورون عند الخاص والعام بذلك، وأنهم يترشّحون له، ويأمرون به الناسَ ــ كلُّهم كفّارٌ مُرْتَدُّون ــ عن الإسلام. ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفّرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاً فلا يُخْرِجهم إلى الكفر ــ فأقلُّ أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لا يُقْبَل خطُّه ولا شهادتُه ولا

يُصلّى خلفه، بل لا يصحّ دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾. ومصداق هذا أنكم إذا رأيتم من يخالف هذا الكلام وينكره فلا يخلو: إمّا أن يدّعِي أنه عارف، فقولوا له: هذا الأمر العظيم لا يُغْفَل عنه فبيِّن لنا ما يصدّقك من كلام العلماء ــ إذا لم تعرف كلام الله ورسوله. فإن زعم أن عنده دليلاً، فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة، ويتبيَّن لنا أنك على الصواب ونتبعك، فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد بيَّن لنا الحق من الباطل.

وإن كان المجادل يقرُّ بالجهل، ولا يدَّعي المعرفة، فيا عباد الله كيف ترضَوْن بالأفعال والأقوال التي تُغْضِب الله ورسوله، وتُخْرِجكم عن الإسلام، اتِّباعاً لرجل يقول: إني عارف، فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم أنه لا علم عنده؛ أو اتِّباعاً لرجل جاهل، وتُعْرِضون عن طاعة ربكم وما بيَّنه نبيكم صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعده؟ واذكروا ما قصَّ الله عليكم في كتابه لعلكم تعتبرون، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ، فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾. وهؤلاء أهلكهم الله بالصيحة، وأنتم الآن إذا جاءكم من يخبركم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا إنكم فريقان تختصمون، أفلا تخافون أن يصيبكم من العذاب ما أصابهم؟

والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فن المطاوعة خاصةً، بل البحث عنها أو تعلُّمها فرض لازم على العالم والجاهل، والمُحْرِم والمُحِلّ، والذكر والأنثى. وأنا لا أقول لكم: أطيعوني؛ ولكن الذي أقول لكم: إذا عرفتم أن الله أنعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم والعلماء بعده فلا ينبغي لكم معاندةُ محمد صلى الله عليه وسلم.

وقولكم: إننا نكفِّر المسلمين، كيف تفعلون كذا؟ كيف تفعلون كذا؟ فإنا لم نكفِّر المسلمين، بل ما كفَّرنا إلا المشركين. وكذلك أيضاً من أعظم الناس ضلالاً متصوفةٌ في معكال وغيره، مثل: ولد موسى بن جوعان، وسلامة بن مانع،

وغيرهما، يتبعون مذهب ابن عَرَبي وابن الفارض. وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى؛ فكل من لم يدخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم ويتبرَّأ من دين الاتحادية فهو كافرٌ بريء من الإسلام، ولا تصحُّ الصلاة خلفه، ولا تُقْبَل شهادته.

والعجب كل العجب أن الذي يدَّعي المعرفة يزعم أني لا أعرف كلام الله ولا كلام رسوله، بل يدَّعي أني أعرف كلام المتأخرين مثل «الإقناع» وغيره، وصاحب «الإقناع» قد ذكر أنَّ من شكَّ في كُفْر هؤلاء السادة والمشائخ فهو كافر. سبحان الله! كيف يفعلون أشياء في كتابهم: أنَّ من فعلها كَفَر، ومع هذا يقولون: نحن أهل المعرفة، وأهل الصواب! وغيرنا صبيانٌ جهَّال! والصبيان يقولون: أظْهِروا لنا كتابكم. ويأبون عن إظهاره! أمَا في هذا ما يدل على جهالتهم وضلالتهم؟

وكذلك أيضاً من جهالة هؤلاء وضلالتهم إذا رأوا من يعلِّم الشيوخ وصبيانهم أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله، قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام. وهذا من عظيم جهلهم، فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال؛ وأما ظلم الشِّرْك فلا يعرفونه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وأين الظلم ـــ الذي إذا تكلم الإنسان بكلمة منه، أو مدح الطواغيت، أو جادل عنهم خرج من الإسلام، ولو كان صائماً قائماً ـــ من الظلم الذي لا يُخْرِج من الإسلام، بل: إما أن يؤدِّي إلى صاحبه بالقصاص، وإما أن يغفره الله؟ فبَيْنَ الموضعين فرق عظيم.

وبالجملة، رحمكم الله، إذا عرفتم ما تقدَّم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد بيَّن الدين كلَّه، فاعلموا أن هؤلاء الشياطين قد أحلوا كثيراً من الحرام: في الرِّبا، والبيع، وغير ذلك؛ وحرَّموا عليكم كثيراً من الحلال، وضيَّقوا ما وسَّعه الله. فإذا رأيتم الاختلاف فاسألوا عمَّا أمر الله به ورسوله، ولا تطيعوني ولا غيري.

وسلام عليكم ورحمة الله.

تعليق

عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ومَنَّ علينا باتِّباع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وبعد؛

فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن:

إن أوّل واجب على كل ذكر وأنثى معرفةُ شهادة أنَّ «لا إله إلا الله» وحده لا شريك له ــ التي أرسل الله بها جميع رسله، وأنزل لأجلها جميع كتبه، وجعلها أعظم حقِّه على عباده، كما ذكر الله لنا في كتابه، وعلى لسان رسوله، في مواضع لا تحصى، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ نوحِي إلَيْهِ أَنَّهُ لا إله إلاَّ أنا فاعْبُدُون﴾، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ المَلائكةَ بالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّه لا إلهَ إلاَّ أنا فاتَّقُون﴾، وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالةُ﴾، الآية.

وقد أمر الله عباده بالاستجابة لهذه الكلمة فقال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يأتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئذ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾. وتوعَّد ــ سبحانه ــ أفضلَ الخلق وأكرمَهم، سيِّدَ ولدِ آدم والنبيِّين قبْله، على مخالفتها، فقال: ﴿وَلَقَدْ أوحِيَ إلَيْكَ وإلَى الّذِينَ مِن قَبْلِكَ لئنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرين﴾ ــ فكيف بغيرهم من سائر الخلق؟ وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قُوا أنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلون مَا يُؤْمَرُون﴾. فمن نصح نفسه وأهله وعياله، وأراد النجاة من النار، فليعرفْ شهادة أن «لا إله إلا الله»، فإنها العُرْوة الوُثْقَى، وكلمة التقوى، لا يَقْبَل الله من أحد عملاً إلا بها: لا صلاةً، ولا صوماً، ولا حجّاً، ولا صَدَقة، ولا جميع الأعمال الصالحة ــ إلا بمعرفتها، والعمل بها.

وهي كلمة التوحيد، وحق الله على العبيد؛ فمن أشرك مخلوقاً فيها من مَلَكٍ مقرَّب، أو نبيّ مُرْسَل، أو وَليٍّ، أو صحابي، وغيره، أو صاحب قبر، أو جِنّي، أو غيره؛ أو استغاث به، أو استعان به فيما لا يُطْلَب إلا من الله، أو نذر له، أو ذبح له، أو توكل عليه، أو رجاه، أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة، أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته، أو لجلب نفع، أو كشف ضر ــ فقد كفر كُفْرَ عُبَّاد الأصنام القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبونا إلى اللهِ زُلْفَى﴾، القائلين: ﴿هؤلاء شُفَعَاؤنا عِنْدَ الله﴾ كما ذكر الله عنهم في كتابه. وهم مخلّدون في النار ــ وإن صاموا وصلُّوا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار ــ كما قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِين﴾، الآية وغيرها من الآيات. وكذلك من ترشَّح بشيء من ذلك، أو أحبَّ من ترشَّح له، أو ذبَّ عنه، أو جادل عنه ــ فقد أشرك شركاً لا يُغْفَر، ولا يقبل ولا تصحُّ منه الأعمال الصالحة: الصوم والحج وغيرها؛ فـ﴿إنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ ولا يقبل عمل المشركين.

وقد نهى الله نبيه وعباده عن المجادلة عمن فعل ما دون الشرك من الذنوب بقوله: ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُون أنْفُسَهُمْ﴾، الآية ــ فكيف بمن جادل عن المشركين، وصدَّ عن دين رب العالمين؟

فاللهَ اللهَ عبادَ الله، لا تغترُّوا بمن لا يعرف شهادة أن «لا إله إلا الله»، وتلطَّخ بالشرك وهو لا يشعر؛ فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم. فلله الحمد على ما علّمنا من دينه.

ولا يهولنَّكم اليوم أن هذا الأمر غريب، فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ». واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام بقوله في دعائه ﴿واجْنُبْني وَبَنيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنام. رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاس﴾.

ولولا ضيق هذه الكراسة، وأن الشيخ محمداً أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها ـــ لأطلنا الكلام.

وأما الاتحادي ابن عربي صاحب «الفصوص» المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض ـــ فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلاً، وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين، المخالفين لشريعة سيد المرسلين. فإن ابن عربيّ وابن الفارض ينتحلان نِحَلاً تكفِّرهما، وقد كفَّرهما كثير من العلماء العاملين. فهؤلاء يقولون كلاماً أخشى المقت من الله في ذكره، فضلاً عمن انتحله[1]. فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره، وعزله عن الولاية إن كان ذا ولاية: من إمامة أو غيرها؛ فإن صلاته غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره. فإن قال جاهل أرى عبد الله توّه[2] يتكلم في هذا الأمر ـــ فليعلم أنه إنما تبين لي الآن وجوب الجهاد في ذلك: عليَّ وعلى غيري، لقوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا في اللهِ حقَّ جِهَادِهِ ﴾ إلى أن قال: ﴿ مِلَّةَ أبِيكُمْ إبْرَاهِيمَ ﴾.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(١) «عمن» كذا في الأصل، وأظن الصواب «عن أن»

(٢) توه ـــ استعمال عامي معناه: الآن، لتوه.

الرسالة الحادية عشرة

انظر: الدرر السنية ١: ٤٦.

أرسلها إلى بعض البلدان قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنا أبيِّن لكم هذه بمسألة القِبْلة: أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته يصلُّون، والنصارى يصلُّون، ولكن قبلته صلى الله عليه وسلم وأمته بيتُ الله، وقبلة النصارى مطلعُ الشمس. فالكل منا يصلِّي، ولكن اختلفنا في القبلة. ولو أن رجلاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يُقِرُّ بهذا، ولكن يكره من يستقبل القبلة ويحب من يستقبل الشمس ــ أتظنُّون أن هذا مسلم؟ وهذا ما نحن فيه: فالنبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله بالتوحيد، وأن لا يُدْعَى مع الله أحد: لا نبيٌّ ولا غيره. والنصارى يَدْعُون عيسى رسول الله، و يدعون الصالحين، يقولون: ليشفعوا لنا عند الله ــ فإذا كان كل مطوّع مُقِرّاً بالتوحيد، فاجعلوا التوحيد مثل القِبْلة، واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق؛ مع أن هذا أعظم من القبلة.

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله و بركاته، و بعد؛

فاعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمداً صلّى الله عليه وسلم إلى الناس بشيراً ونذيراً: مبشِّراً لمن اتبعه بالجنة، ومنذِراً لمن لا يتبعه بالنار. وقد علمتم إقرار كل من له معرفة أن التوحيد الذي بيَّنا للناس هو الذي أرسل الله به رسله، حتى كل مطوّع معاند يشهد بذلك، وأن الذي عليه غالب الناس من الاعتقادات في الصالحين وفي غيرهم هو الشرك، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

فإذا تحققتم هذا، وعرفتم أنهم يقولون: لو يترك أهل العارض التكفير

والقتال كانوا على دين الله ورسوله. ونحن ما جئناكم في التكفير والقتال، لكن ننصحكم بهذا الذي قطعتم أنه دين الله ورسوله أن تَعْلَمُوه وتَعْمَلوا به، إن كنتم أمة محمد باطناً وظاهراً.

وأنا أنصحكم لله وأنخاكم[1]: لا تضيعوا حظكم من الله، وتحبُّوا دين النصارى على دين نبيكم، فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله وهو يبغضه و يبغض من اتَّبعه ــ أتظنون أن الله يغفر لهذا؟

والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة؛ وأما القلب الخالي من ذلك فلا [حيلة فيه][2].

والسلام.

الرسالة الثانية عشرة

انظر: الدرر السنية ١: ٤٥.

أرسلها إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان، وأعاذه من نزغات الشيطان.

أما بعد؛

فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سرَّ الخاطر. وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب ما يجيئك من كلام العدوان من الكذب والبهتان. وهذا هو الواجب من مثلك أنه لا يقبل كلاماً إلا إذا تحققه.

وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين:

الأمر الأول ـــ أني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتِّباع ما وصَّى به النبيُّ صلى الله عليه وسلم أمَّته؛ وأقول لهم: الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم فاتَّبِعوه، ولو خالفه أكثر الناس.

والأمر الثاني ـــ أن هذا الذي أنكروا عليَّ وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لمّا عرف الحق اتَّبعه. هذا كلام العلماء وأظن أنه وصلك كلامهم.

فأنت تفكر في الأمر الأول وهو قولي: لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم. وتفكر في الأمر الثاني: أن كل عاقل مقرٌّ به لكن ما يقدر أن يظهره.

فقدّم لنفسك ما ينجيك عند الله. واعلم أنه لا ينجيك إلا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ والدنيا زائلة، والجنة والنار ما ينبغي للعاقل أن ينساهما.

وصورة الأمر الصحيح أني أقول: ما يُدْعَى إلا الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾، وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إنّي لا أمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا رَشَداً﴾ فهذا كلام الله، والذي ذكره لنا رسول الله، ووصّانا به، ونهى الناس أن لا يَدْعُوه.

فلما ذكرتُ لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهم، أنها على خلاف أمر الله ورسوله، وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأوَاهُ النَّارُ﴾، فلما أظهرتُ هذا أنكروه، وكبُرَ عليهم، وقالوا: أجعلتنا مشركين، وهذا ليس إشراكاً؟

هذا كلامهم، وهذا كلامي أسنده عن الله ورسوله، وهذا هو الذي بيني وبينكم. فإن ذُكِر عني شيء غير هذا فهو كذب وبهتان. والذي يصدق كلامي هذا أن العالم ما يقدر أن يظهره —حتى من علماء الشام— من يقول هذا هو الحق، ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة؛ وأنت ولله الحمد ما تخاف إلا الله.

نسأل الله أن يهدينا وإياك إلى دين الله ورسوله.

والله أعلم.

الرسالة الثالثة عشرة

انظر: الدرر السنية ١: ٤٠.

أرسلها إلى السويدي، عالم من أهل العراق، وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه، فأجابه بهذه الرسالة وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن عبد الله،

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛

فقد وصل كتابك، وسرَّ الخاطر. جعلك الله من أئمة المتَّقين، ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين.

وأخبرك أني ــ ولله الحمد ــ متَّبِعٌ ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين اللهَ به مذهبُ أهل السنَّة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأَتباعهم إلى يوم القيامة. لكنني بيّنت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتُهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعْبَد الله به، من: الذبح، والنذر، والتوكُّل، والسجود، وغير ذلك، مما هو حق الله لا يشركه فيه مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل. وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة.

وبيَّنتُ لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة، الذين يَدْعون علياً وغيره، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

وأنا صاحب منصب في قريتي، مسموع الكلمة؛ فأنكر هذا بعض الرؤساء لأنه خالف عادة نشأوا عليها.

وأيضاً ألزمتُ مَنْ تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله. ونهيتهم عن الربا، وشرب المسكر، وأنواع من المنكرات. فلم يمكن

الرؤساء القدحُ في هذا وعيبهُ، لكونه مستحسَناً عند العوام، فجعلوا قَدْحَهم وعداوتهم فيما آمرُ به من التوحيد، وأنهَى عنه من الشرك. ولبَّسوا على العوام أن هذا خلافُ ما عليه أكثر الناس. وكبرت الفتنةُ جداً، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورَجْلِهِ:

منها ــ إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه، فضلاً عن أن يفتريه.

ومنها ــ ما ذكرتم أني أكفِّر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة. و ياعجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر؟ أو عارف أو مجنون؟

وكذلك قولهم إنه يقول: لو أقدر أهدم قبة النبي صلى الله عليه وسلم لهدمتُها.

وأما «دلائل الخيرات» فله سبب، وذلك أني أشرتُ على مَنْ قَبِل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلَّ من كتاب الله، و يظن أن القراءة فيه أجلُّ من قراءة القرآن. وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان ــ فهذا من البهتان.

والحاصل: أن ما ذُكِر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان. وهذا لو خَفِيَ على غيركم فلا يخفَى على حضرتكم، ولو أن رجلاً من أهل بلدكم ــ ولو كان أحب الخلق إلى الناس ــ قام يُلْزِم الناس الإخلاص، ويمنعهم من دعوة أهل القبور، وله أعداء وحسَّادٌ أشدُّ منه رياسة وأكثر أتباعاً، وقاموا يرمونه بما تسمع[1]، و يوهمون الناس أن هذا تنقص بالصالحين، وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم ــ لعلمتم[2] كيف يجري عليه.

---

(١) في الدرر ١: ٤١ «يرمونه بمثل هذه الأكاذيب».

(٢) في المطبوعة ١: ١٥٣ والمصورة ١: ٢٠٢ «تعلمون» وهذه الكلمة ساقطة في المخطوطة: ١٠٦ وأثبتنا ما في الدرر ١: ٤١.

ومع هذا وأضعافه فلا بد من الإيمان بما جاء به الرسول ونصرته، كما أخذ الله على الأنبياء قبله وأممهم في قوله تعالى: ﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبيِّين لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّه ﴾ فلما فرض الله الإيمان لم يَجُزْ تَرْكُ ذلك.

وأنا أرجو أن الله يكرمك بنصر دينه ونبيه، وذلك بمقتضى الاستطاعة، ولو بالقلب والدعاء؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بأمرٍ فأتُوا منه ما استطعتم». فإن رأيت عَرْضَ كلامي على من ظننتَ أنه يقبله من إخواننا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين: أني لما بيَّنتُ لهم كلام الله، وما ذكر أهل التفسير في قوله: ﴿ أولئكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهم الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أقْرَب ﴾ وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ: هؤلاء شُفَعَاؤنا عِنْدَ اللهِ ﴾ وقوله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى ﴾، وما ذكر الله من إقرار الكفار في قوله: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماء والأرْضِ ﴾ الآية، وغير ذلك ـــ قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا، ولا بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع[1] إلا ما ذكره المتأخرون. قلت لهم: أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي ـــ كلٌّ أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم[2]، الذين يعتمدون عليهم. فلما أبوا ذلك نقلتُ لهم كلام العلماء من كل مذهب، وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة عند القبور والنذر لها، فعرفوا ذلك وتحققوه، ولم يزدهم إلا نفوراً.

(١) في الدرر ١ : ٤٢ «ولا نقبل».

(٢) في الدرر ١ : ٤٢ «من علماء مذهبه».

وأما التكفير فأنا أكفِّر من عرف دين الرسول، ثم ــبعدما عرفهــ سبَّه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله. فهذا هو الذي أكفِّره. وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك.

وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكناً، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ وكذلك من جاهر بسبّ دين الرسول بعد ما عرفه.

والسلام.

الرسالة الرابعة عشرة

أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية وهو إذ ذاك في بلد العيينة قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن عيسى، وابنه: عبد الوهاب، وعبدالله بن عبد الرحمن، حفظهم الله تعالى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد ذكر لي أحمد أنه مشكل عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت، مثل: أولاد شمسان، وأولاد إدريس، والذين يعبدونهم مثل: طالب وأمثاله. فيقال أوّلاً: دينُ الله تعالى ليس لي دونكم، فإذا أفتيتُ، أو عملتُ بشيء، وعلمتم أني مخطىء وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم، وإن لم تعلموا ــ وكانت المسألة من الواجبات مثل: التوحيد ــ فالواجب عليكم أن تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله في تلك المسألة، وما ذكر أهل العلم قبلكم؛ فإذا تبين حكم الله ورسوله بياناً كالشمس فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يردَّه لكونه مخالفاً لهواه، أو لِمَا عليه أهل وقته ومشايخه؛ فإن الكفر كما قال ابن القيِّم في نونيته:

فالكفر ليس سوى العِناد وردِّ ما ... جاء الرسول به لقول فلانِ
فانظر لعلَّك هكذا دون التي ... قد قالها. فتبوء بالخسران

ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يحلّ لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين لكم خطؤه، بل الواجب السكوت والتوقف؛ فإذا تحققتم الخطأ بيَّنتموه، ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأتُ فيهن، فإني لا أدَّعِي العصمة، وأنتم تُقِرُّون أن الكلام الذي بيَّنْتُه في معنى «لا إله إلا الله» هو الحق الذي لا ريب فيه. سبحان الله! إذا كنتم تُقِرُّون بهذا فرجلٌ بيَّن الله

به دينَ الإسلام، وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه، ولم يميِّزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمر بن لحيّ الذي وضعه للعرب، بل دينُ عمروٍ عندهم دينٌ صحيح، ويسمُّونه: رقة القلب والاعتقاد في الأولياء؛ ومن لم يفعل فهو متوقف لا يدري ما هذا ولا يفرِّق بينه وبين دين محمد صلى الله عليه وسلم ــ فالرجل الذي هداكم الله به لهذا إن كنتم صادقين، لو يكون أحبَّ إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيراً، فكيف يقال: أفتى في مسألة الوقف، أفتى في كذا، أفتى في كذا، كلها ولله الحمد على الحقّ، إلا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء.

وأنا إلى الآن أطلب الدليل من كل من خالفني، فإذا قيل له: استدل، أو اكتب، أو اذكر؛ حاد عن ذلك، وتبين عجزه. لكن يجتهدون الليل والنهار في صد الجهال عن سبيل الله ويبغونها عِوَجاً. اللهم إن كنتم تعتقدون أن كلامي باطل وبدعة مثل ما قال غيركم، وأن الاعتقاد في الزاهد، وشمسان، والمطيوية، والاعتماد عليهم ــ هو الدين الصحيح، وكل ما خالفه بدعة وضلالة، فتلك مسألة أخرى.

إذا ثبت هذا فتكفير هؤلاء المرتدين انظروا في كتاب الله من أوله إلى آخره[1] والمرجع في ذلك إلى ما قاله المفسرون والأئمة، فإن جادل منافق بكون الآية نزلت في الكفار فقولوا له: هل قال أحد من أهل العلم، أوَّلِهم وآخرِهم: إن هذه الآيات لا تعمُّ من عمل بها من المسلمين؟ من قال هذا قبلك؟ وأيضاً فقولوا له: هذا ردٌّ على إجماع الأمة، فإن استدلالهم بالآيات النازلة في الكفار على من عمل بها ممن انتسب إلى الإسلام أكثر من أن يُذكر. وهذا أيضاً كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن فعل مثل هذه الأفاعيل، مثل الخوارج العباد الزهاد الذين يحقر الإنسان الصحابة عندهم، وهم بالإجماع لم يفعلوا ما

(١) كذا في جميع الأصول.

فعلوا إلا باجتهادٍ وتقرُّبٍ إلى الله. وهذه سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن خالف الدين ممن له عبادة واجتهاد، مثل تحريق عليٍ رضي الله عنه من اعتقد فيه بالنار، وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم، إلا ابن عباس رضي الله عنهما خالفهم في التحريق فقال: يُقْتَلُون بالسيف.

وهؤلاء الفقهاء من أولهم إلى آخرهم عقدوا باب «حكم المرتد» للمسلم إذا فعل كذا وكذا؛ ومصداق ذلك في هذه الكتب التي يقول المخالف: جمعوا فيها الثمر، وهم أعلم منا، وهم... وهم... انظروا في متن «الإقناع» في باب «حكم المرتدّ» هل صرّح أنَّ من جعل بينه و بين الله وسائط يدعوهم، أنه كافر بإجماع الأمة؟ وذكر فيمن اعتقد في علي بن ابي طالب دون ما يعتقده طالب في حسين وإدريس أنه لا شك في كفره؟ بل لا يُشَكُّ في كفر من شك في كفره؟ وأنا ألزم عليكم أنكم تحققون النظر في عبارات «الإقناع» وتقرءونها قراءة تفهُّم، وتعرفون ما ذكر في هذا، وما ذكر في التشنيع عليَّ من الأصدقاء — عرفتم شيئاً من مذاهب الآباء وفتنة الأهواء. وإذا تحققتم ذلك وطالعتم الشروح والحواشي. فإذا إني لم أفهمه، وله معنى آخر، فأرْشِدوني؛ وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب و يرضى، ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام، فالله سبحانه يعلم قصدي به.

والسلام.

الرسالة الخامسة عشرة

أرسلها أيضاً إلى عبدالله بن عيسى وابنه عبد الوهاب، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبدالله بن عيسى، وعبد الوهاب.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد ذُكِرَ لي أنكم زعلانين عليَّ في هذه الأيام بعض الزعل، ولا يخفاك أني زعلان زعلاً كبيراً، وناقد عليكم نقوداً أكبر من الزعل. ولكن وابطناه واظهراه! ومعي في هذه الأيام بعض تنغُّص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم؛ والله سبحانه إذا أراد أمراً فلا رادَّ له، وإلا ما خطر على البال أنكم ترضون لأنفسكم بهذا، ثم من العجب كَفكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة، وتقولون: لا يتعيَّن علينا الفُتْيا؛ ثم تبالغون في مثل هذه الأمور، مثل التذكير الذي صرحت الأدلَّة والإجماع وكلام «الإقناع» بإنكاره. ولا وُدِّي أنكم ــ بعد ما أنزلكم الله هذه المنزلة، وأنعم عليكم بما تعلمون وما لا تعلمون، وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم وسنة نبيكم، وجهادكم في ذلك وصبركم على مخالفة دين الآباء ــ أنكم ترتدُّون على أعقابكم!

وسبب هذا أنه ذُكر لي عنكم أنكم ظننتم أني أعْنِيكم ببعض الكلام الذي أجبتُ به من اعتقد حِلَّ الرشوة، وأنه مزعلكم. فياسبحان الله! كيف أعنيكم به وأنا كاتبٌ لكم تسجِّلون عليه، وتكونون معي أنصاراً لدين الله؟

وقيل لي: إنكم ناقدون عليَّ بعض الغلظة فيه على ملقاه، والأمر أغلظ مما ذكرنا. ولولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه ــ لكان شأن آخر، بل والله الذي لا إله إلا هو، لو يعرف

الناس الأمر على وجهه لأفتيتُ بِحلّ دم ابن سحيم وأمثاله، ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حَرَجاً من ذلك. ولكن ــ إن أراد الله أن يتمّ هذا الأمر ــ تبيَّن أشياء لم تخطر لكم على بال. وإن كانت من المسائل التي إذا طلبتم الدليل بيّنا أنها من إجماع أهل العلم.

وبالحاضر لا يخافكم أن معي غيظ عظيم ومضايقة من زعلكم، وأنتم تعلمون أن رضا الله ألزم، والدين لا محاباة فيه، وأنتم من قديم لا تشكُّون فيَّ، والآن غايتكم قريبة، وداخلتكم الريبة. وأخاف أن يطول الكلام فيجري فيه شيء يزعلكم، وأنا فيَّ بعض الحِدَّة. فأنا أشير عليكم وألتزم أن عبد الوهاب يزورنا، سواء كان يومين ولاّ ثلاثة، وإن كان أكثر يصير قطعاً لهذه الفتنة. ويخاطبني وأخاطبه من الرأس، وإن كان كبر عليه الأمر، فيوصي لي، وأعني له؛ فإن الأمر الذي يزيل زعلكم، ويؤلّف الكلمة، ويهديكم الله بسببه ــ نحرص عليه ولو هو أشق من هذا؛ اللهم إلا أن تكونوا ناظرين شيئاً من أمر الله؛ فالواجب عليكم اتِّباعُه، والواجب علينا طاعتكم، والانقياد لكم، وإن أبَيْنا كان الله معكم وخلقه.

ولا يخفاكم أنه وصلني أمس رسالة في صفة مذاكرتكم في التذكير وتطلبون مني جواباً عن أدلتكم، وأنتم ضحكتم على ابن فيروز، وتسافهتموه، وتساخفتم عقله في جوابه، وانحرفتم تعدلون عدالة، لكن ما أنا بكاتب لهم جواباً، لأن الأمر معروف أنه منكم، وأخاف أن أكتب لهم جواباً فينشرونه، فيزعلكم وأشوف غايتكم قريبة، وتحملون الأمر على غير محمله.

والسلام.

الرسالة السادسة عشرة

كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد وصل كتابك وما ذكرت فيه من الظنّ والتجسس وقبول خبر الفاسق، فكل هذا حق وأريد به باطل. والعجب منك إذا كنت من خمس سنين تجاهد جهاداً كبيراً في ردّ دين الإسلام، فإذا جاءك مساعد، أو ابن راجح، ولاَّ صالح ابن سليم، وأشباه هؤلاء الذين تلقنهم شهادة أن «لا إله إلا الله»، وأن عبادة المخلوقات كفرٌ، وأن الكفر بالطاغوت فَرْض — قمتَ تجاهد وتبالغ في نقض ذلك والاستهزاء به. وليس الذي يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين، ولا أنت بمتخفٍّ في ذلك، ثم تظنّ في خاطرك أن هذا يخفى عليَّ. وأنا أصدِّقك إذا قلت: ما قلتُ، ولو أن الذي جرى عشرة أو عشرون أو ثلاثون مرة أمكن تعداد ذلك. وأحسن ما ذكرت أنك تقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا﴾ وتُقِرّ بالذنب، وتجاهد في إطفاء الشرك وإظهار الإسلام، كما جاهدت في ضدِّه، ويصير ما تُقِرُّ به كأن لم يكن.

فإن كنت تريد الرفعة في الدنيا والجاه حصل لك بذلك ما لا يحصل بغيره من الأمور بأضعاف مضاعفة، وإن أردت به الله والدار الآخرة فهي التجارة الرابحة، وأتتك الدنيا تبعاً، وإن كنت تظن في خاطرك أنّا نبغي أن نداهنك في دين الله — ولو كنت أجلّ عندنا مما كنت — فأنت مخالف. فإن كنت تتهمني بشيء من أمور الدنيا فلك الشرهة. فإن كان أني أدعو لك في سجودي، وأنت

وأبوك أجلُّ الناس إليَّ وأحبُّهم عندي. وأمرك هذا أشقُّ عليَّ من أمر أهل الحسا، خصوصاً بعدما استركبت أباك وخربته. فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه القيم، و يطرد عنا الشيطان، و يعيذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين.

الرسالة السابعة عشرة

كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين: أحمد بن محمد، وثنيان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد؛

فقد ذُكِر لي عنكم أن بعض الإخوان تكلّم في عبد المحسن الشريف، يقول: إن أهل الحسا يحبُّون على يدك[1]، وأنك لابس عمامة خضراء. والإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة، فأول درجات الإنكار معرفتُك أن هذا مخالفٌ لأمر الله.

وأما تقبيل اليد فلا يجوز إنكار مثلِهِ، وهي مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم، وقد قبَّل زيد بن ثابت يدَ ابن عباس وقال: هكذا أمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبيِّنا. وعلى كل حال فلا يجوز لهم إنكار كل مسألة لا يعرفون حكم الله فيها.

أما لبس الأخضر فإنها أحْدِثَتْ قديماً تمييزاً لأهل البيت، لئلا يظلمهم أحد، أو يقصِّر في حقهم من لا يعرفهم. وقد أوجب الله لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس حقوقاً، فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم، ويظن أنه من التوحيد، بل هو من الغُلوّ. ونحن ما أنكرنا إكرامهم إلا لأجل الألوهية، أو إكرام المدَّعي لذلك.

---

(١) يحبون على يدك: يقبلون يدك.

وقيل إنه ذكر عنه أنه معتذر عن بعض الطواغيت، وهذه مسألة جليلة ينبغي التفطُّن لها وهي قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا إنْ جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾. فالواجب عليهم ـ إذا ذُكِر لهم عن أحدٍ مُنْكَرٌ ـ عدمُ العجلة؛ فإذا تحقَّقوه أتَوْا صاحبه، ونصحوه، فإن تاب ورجع، وإلاّ أُنْكِرَ عليه، وتُكُلِّم فيه.

فعلى كل حال نبّهوهم على مسألتين:

الأولى: عدم العجلة، ولا يتكلمون إلا مع التحقق، فإن التزوير كثير.

الثانية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف المنافقين بأعيانهم، ويقْبَل علانيتهم، ويَكِلُ سرائرهم إلى الله. فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم جاهدهم.

وغير ذلك عبد الرحمن بن عقيل رجع إلى الحق ولله الحمد؛ ولكن ودِّي أن أقرأ عليه رسالة ابن شلهوب وغيرها؛ وأنت يا أحمد على كل حال أرسل المجموع مع أول من يُقْبِل، وأرسلها فيه، خذه من سليمان لا تغفل تراك خالفت خلافاً كبيراً في هذا المجموع.

والسلام.

الرسالة الثامنة عشرة

أرسلها إلى عبد الله بن سويلم حين غضب على ابن عمه أحمد في شدته على المنافقين قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عبد سويلم[1].

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد ذكر لي ابن زيدان أنك يا عبد الله زاعل على أحمد بعض الزعل لمّا تكلم في بعض المنافقين، ولا يخفاك أن بعض الأمور كما قال تعالى: ﴿ وتَحْسَبونَهُ هيِّناً وهو عِنْدَ اللهِ عَظِيم﴾ وذلك أني لا أعرف شيئاً يُتَقرَّب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال الغربة، فإن انضاف إلى ذلك الجهادُ عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان. فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد فأتاه بعض إخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا أخاف أن يكون هذا من جنس الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات. فأنتم تأملوا تفسير الآية، ثم نزِّلوه على هذه الواقعة. وأيضاً في صحيح مسلم[2]: أن أبا سفيان مرَّ على بلال وسلمان وأجناسهما، فقالوا: ما أخذتْ سيوف الله من عنق عدوِّ الله مأخذها. فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها؟ ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال: يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك.

ومن أفضل الجهاد جهاد المنافقين في زمن الغربة. فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصداً سيِّئاً فلينصحه برفق، وإخلاص الدين لله، وترك الرياء

---

(١) «عبد سويلم» كذا في المطبوعة: ١٥٩، والمصورة، وفي المخطوطة: ١١٠ «عبد الرحمن».

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٧٣ (كتاب فضائل الصحابة).

والقصد الفاسد، ولا يفلّ عزمه عن الجهاد، ولا يتكلم فيه بالظن السيِّىء وينسبه إلى ما لا يليق. ولا يدخل خاطرك شيء من النصيحة؛ فلو أدري أنه يدخل خاطرك ما ذكرته؛ وأنا أجد في نفسي أن ودِّي من ينصحني كلما غلطت.

والسلام.

الرسالة التاسعة عشرة

كتبها إلى أحمد بن إبراهيم مطوع مرات من بلدان الوشم، وكان قد أرسل إليه رسالة فأجابه الشيخ بهذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم، هدانا الله وإياه، وبعد؛

ما ذكرتَ من مسألة التكفير، وقولك أبسط الكلام فيها، فلو بيننا اختلاف أمكنني أن أبسط الكلام أو أمتنع؛ وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعي: لا أنت بمنكر الكلام الذي كتبت إليك، ولا أنا بمنكر العبارات التي كتبتَ إليَّ، وصار الخلاف في أناس معينين أقرُّوا أن التوحيدَ الذي ندعو إليه دينُ الله ورسوله، وأن الذي ننهى عنه في الحرمين والبصرة والحسا هو الشركُ بالله. ولكنْ هؤلاء المعينون هل تركوا التوحيد بعد معرفته، وصدُّوا الناس عنه؟ أم فرحوا به، وأحبُّوه، ودانوا به، وتبرَّءوا من الشرك وأهله؟ فهذه ليس مرجعها إلى طالب العلم بل مرجعها إلى علم الخاص والعام، مثال ذلك: إذا صحَّ أن أهل الحسا والبصرة يشهدون أن التوحيد الذي نقول دينُ الله ورسوله، وأن هذا المفعول عندهم في الأحياء والأموات هو الشرك بالله، ولكن أنكروا علينا التكفير والقتال خاصةً. والمرجع في المسألة إلى الحضر والبدو، والنساء والرجال. هل أهل قُبَّة الزُّبَير وقُبة الكواز تابوا من دينهم، وتبعوا ما أقروا به من التوحيد؟ أو هم على دينهم؟ ولو يتكلم الإنسان بالتوحيد فسلامته على أخذ ماله. فإن كنت تزعم أن الكواوزة وأهل الزبير تابوا من دينهم، وعادَوْا مَنْ لم يتب، فتبعوا ما أقرُّوا به، وعادَوْا من خالفه ـــ هذا مكابرة. وإن أقررتم أنهم بعد الإقرار أشدُّ عداوة ومسبّة للمؤمنين والمؤمنات، كما يعرفه الخاص والعام؛ وصار الكلام في أتباع المويس وصالح بن عبد الله هل هم مع أهل التوحيد؟ أم هم مع أهل الأوثان، بل أهل الأوثان معهم ـــ وهم حزبة العدو وحاملو الراية؟ فالكلام في هذا نحيله على الخاص

والعام. فودّي أنك تسرع بالنفور، فتتوجه إلى الله، وتنظر نظر من يؤمن بالجنة والخلود فيها، و يؤمن بالنار والخلود فيها، وتسأله بقلب حاضر: أن يهديك الصراط المستقيم.

هذا مع أنك تعلم ما جرى من ابن إسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس، لمّا شكونا عند أهل قُبَّة أبي طالب يوم يكسيه صاية وجميع من معك من خاص وعام معهم إلى الآن؛ وتعرف روحة المو يس وأتباعه لأهل قبة الكواز، وسية طالب يوم يكسيه صاية، و يقول لهم: طالع أناس ينكرون قببكم، وقد كفروا وحل دمهم ومالهم. وصار هذا عندك وعند أهل الوشم وعند أهل سدير والقصيم من فضائل المو يس ومناقبه، وهم على دينه الآن، مع أن المكاتيب التي أرسلها علماء الحرمين مع المزيودي سنة الحبس عندنا إلى الآن تتناك[1]. وقد صرَّحوا فيها أن من أقرَّ بالتوحيد كفر، وحلَّ ماله ودمه، وقُتِل في الحلّ والحَرَم. و يذكرون دلائل على دعاء الأولياء في قبورهم، منها قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾. فإن كانت ليست عندك، ولا صبرتَ إلى أن تجيء، فأرسِلْ إلى ولد محمد بن سليمان في وشيقر، ولسيف العتيقي، يرسلونها إليك، ويجيبون عن قوله: ﴿ أولئكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ ﴾ أنهم يدعون على أنهم المُعْطُون المانعون بالأصالة، وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح! ومن أنكره قُتِل في الحلّ والحَرَم.

وأيضاً جاءنا بعض المجلد الذي صنَّفه القباني، واستكتبوه أهل الحسا وأهل نجد، وفيه نقل الإجماع على تحسين قُبَّة الكواز وأمثالها، وعبادتها، وعبادة سية طالب. و يقول في تصنيفه إنه لم يخالف في تصنيفه إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة ــ أنا عاشرهم ــ فالجميع اثنا عشر. فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة. وأنتم إلى الآن على ما تعلم ــ مع شهادتكم أن التوحيد دينُ الله ورسوله، وأن الشرك باطلٌ. وأيضاً مكاتيب أهل الحسا موجودة.

---

(١) أي: تنتظرك.

فأما ابن عبد اللطيف، وابن عفالق، وابن مطلق، فحشوا بالزبيل، أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدّق به، أو أنكر الشرك. ولكن تعرف ابن فيروز أنه أقربهم إلى الإسلام، وهو رجل من الحنابلة، وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصّةً، ومع هذا صنّف مصنفاً أرسله إلينا قرّر فيه أن هذا الذي يفعل عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح، واستدلّ في تصنيفه بقول النابغة:

أيَا قَبْرَ النَّبِيِّ وَصَاحِبَيْهِ ألاَ يا غَوْثَنا لو تسمعونا[1]

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر[2]:

وكُنْ لي شَفِيعاً يومَ لا ذُو شفاعة سِوَاكَ بِمُغْنٍ عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الأول أبلغ من هذا كله، وهو: شهادة البدو والحضر، والنساء والرجال: أن هؤلاء الذين يقولون التوحيد دينُ الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض اليهود والنصارى، ويسبُّونه، ويصدُّون الناس عنه، ويجاهدون في زواله، وتثبيت الشرك بالنفس والمال، خلافَ ما عليه الرسل وأتباعهم — فإنهم يجاهدون حتى لا تكون فتنةٌ، ويكون الدين كله لله.

وأما قولك: أبْغي أشاور إبراهيم، فلا ودّي تصير ثالثاً لابن عباد وابن عيد. أما ابن عباد فيقول: أي شيء أفعل بالعناقر، وإلا فالحق واضح، ونصحتهم، وبيّنت لهم. وابن عيد أنت خابره، حاول إبراهيم في الدخول في الدين، وتعذّر من الناس أن إبراهيم ممتنع. يا سبحان الله إذا كان أهل الوشم وأهل سدير وغيرهم يقطعون أن كل مطوع في قرية — لو ينقاد شيخها — ما منهم أحد يتوقف، كيف يكون قدر الدين عندكم، كيف قدر رضا الله والجنة؟ كيف قدر

---

(١) في الأصل: «ووا مصيبتنا لو تعلمونا» والتصويب من الأغاني (ساسي) ٤: ١٣٧؛ والبيت للنابغة الجعدي.

(٢) انظر الإصابة ٣: ١٤٩؛ والبيت لسواد بن قارب.

النار وغضب الله؟ ولكن وِدِّي تفكر فيما تعلم لما اختلف الناس بعد مقتل عثمان، وبإجماع أهل العلم أنهم لا يقال فيهم إلا الحسنى، مع أنهم عثوا في دمائهم، ومعلوم أن كلا من الطائفتين: أهل العراق وأهل الشام، معتقدة أنها على الحق والأخرى ظالمة؛ ونبغ من أصحاب عليّ من أشرك بعليّ، وإجماع الصحابة على كفرهم وردّتهم وقتلهم، لكن حرقهم عليٌّ، وابن عباس يرى قتلهم بالسيف. أترى أهل الشام لو حملهم مخالفة عليّ على الاجتماع بهم، والاعتذار عنهم، والمقاتلة معهم ــ لو امتنعوا ــ أترى أحداً من الصحابة يشكّ في كفر من التجأ إليهم، ولو أظهر البراءة من اعتقادهم، وإنما التجأ إليهم وزيَّن مذهبهم لأجل الاقتصاص من قَتَلة عثمان؟ فتفكر في هذه القضية فإنها لا تبقي شبهة إلا على من أراد الله فتنته.

وغير ذلك قولك: أريد أماناً على كذا وكذا. فأنت مخالف، والخاص والعام يفرحون بجيئتك، مثل ما فرحوا بجيئة ابن غنام، والمنقور، وابن عضيب؛ مع أن ابن عضيب أكثر الناس سبّاً لهذا الدين إلى الآن؛ وراحوا موقَّرين محشومين. كيف لو تجيء أنت؟ كيف تظن أن يجيئك ما تكره؟ فإنْ أردت تجديد الأمان على ما بغيت فاكتب لي، ولكن تعرف حرصي على الكتب، فإن عزمت على الراضة وعجلتها عليّ قبلك فتراها على بنو الخير، وإن ما جاز عندك كلها فبعضها ولو مجموع ابن رجب ترى ما جاءنا فهو عارية مؤداة وإن لم تأتنا قال ابن القيم في النونية:

يا فِرْقَةً جَهِلَتْ نُصُوصَ نَبيِّها ... وقصوده وحقائقَ الإيمانِ
فَسَطَوْا على أتْبَاعِهِ وجُنُودِه ... بالبَغْيِ والتكفير والطغيان
لله حق لا يكون لغيره ... ولعبده حق هما حَقَّانِ
لا تجعلوا الحقَّيْنِ حقّاً واحداً ... من غير تمييزٍ ولا فُرْقَانِ

المراد تعريفك ــ لما صدقتك أن لك نظراً في الحق ــ أن في ذلك الزمان من يكفِّر[1] العلماء إذا ذكروا التوحيد، و يظنُّونه تنقيصاً للنبي صلى الله عليه وسلم، فما ظنك بزمانك هذا؟ وإذا كان المكفّرون ممن يعدُّون من علمائهم فما ظنك بولد المويس وفاسد وأمثالهما؟ يوضحه تسجيلهم على جواب علماء مكة، ونشره، وقراءته على جماعتهم، ودعوتهم إليه. ذكر ابن عبد الهادي في مناقب الشيخ ــ لما ذكر المحنة التي نالته بسبب الجواب في شد الرحل: فالجواب الذي كفَّروه بسببه ذكر أن كلامه في هذا الكتاب أبلغ منه. فالعجب إذا كان هذا الكتاب عندك والعلماء في زمن الشيخ كفَّروه بكلامٍ دونه فكيف بالمويس وأمثاله لا يكفروننا بمحض التوحيد؟ وذكر ابن القيم في النونية ما يصدق هذا الكلام، لما قالوا له إنك مثل الخوارج رد عليهم بقوله:

مَـنْ لي بمِـثْـلِ خوارجٍ قـد كـفَّـروا　　　بـالـذَّنْـبِ تـأويـلاً بـلا إحـسـانِ

ثم ذكر في البيت الثاني أن هؤلاء يكفِّروننا بمحض الإيمان والخوارج يكفِّرون بالذنوب.

وكلامي هذا تنبيه أن إنكار التوحيد متقدم، وكذلك التكفير لمن اتَّبعه، وأنت لا تعتقد أن الزمان صلح بعدهم، ولا تعتقد أن المويس وأمثاله أجلُّ وأورع من أولئك الذين كفروا الشيخ وأتباعه. وعند[2] ابن عبد الهادي من كتبه كتاب الإغاثة مجلد ولفانا من الشام مع مربد. وسببه: أن رجلاً من فقهاء الشافعية ــ يقال له ابن البكري ــ عثر على جواب للشيخ في الاستغاثة بالموتى في الشدائد، [فأنكر][3] ذلك، وصنف مصنفاً في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يستغاث الله فيه. وصرَّح بتكفير الشيخ في ذلك الكتاب،

---

(١) في المطبوعة ١: ١٦٣ «من يقر العلماء» والصواب من المخطوطة: ١١٢ والمصورة ١: ٢١٤.

(٢) في المخطوطة: ١١٢ «وعد».

(٣) زيادة من المخطوطة: ١١٣ والمصورة ٢: ٢١٥.

وجعله مستنقِصاً للأنبياء، وأورد فيه آيات وأحاديث. فصنف الشيخ كتاب الاستغاثة ردّاً على ابن البكري، وقرر فيه مذهب الرسل وأتباعهم، وذكر أن الكفار لم يبلغ شركُهم هذا، بل ذكر اللهُ عنهم أنهم إذا مسَّهم الضرُّ أخلصوا ونسوا ما يشركون.

والمقصود أن في زمن الشيخ ممن يدَّعي العلم والتصنيف مَنْ أنكر التوحيد، وجعله سبّاً للأنبياء والأولياء. وكفَّر من ذهب إليه. فكيف تزعم أن عَبَدَة قُبَّة الكواز وأمثالها ما أنكروه؟ بل تزعم أنهم قَبِلوه، ودانوا به، وتبرَّءوا من الشرك، ولا أنكروا إلا تكفير من لا يكْفُر.

وأعظم وأطمُّ أنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرءوا من الدين كله، واستهزءوا بالحضر الذين يصدِّقون بالبعث، وفضَّلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزءوا بها، مع إقرارهم بأن محمداً رسولُ الله، وأن كتاب الله عند الحضر ــ لكن كذَّبوا، وكفروا، واستهزءوا، عناداً. ومع هذا تنكرون علينا كفرهم، وتصرِّحون بأن من قال «لا إله إلا الله» لا يكفَّر! ثم تذكر في كتابك أنك تشهد بكفر العالِم العابد الذي ينكر التوحيد، ولا يكفِّر المشركين، ويقول: هؤلاء السواد الأعظم ما يتيهون! فإن قلتم: إن الأولين ــ وإن كانوا علماء ــ فلم يقصدوا مخالفة الرسول بل جهلوا، وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلاً ونهاراً أن هذا الذي أخرجنا للناس من التوحيد وإنكار الشرك أنه دين الله ورسوله، وأن الخلاف منا التكفيرُ والقتالُ، ولو قدَّرنا أن غيركم يُعْذَر بالجهل، فأنتم مصرِّحون بالعلم.

والله أعلم.

الرسالة العشرون

أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثادق، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن ربيعة سلمه الله تعالى،

وبعد؛

فقد وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة، وتذكر أن مرادك اتباع الحق. منها: مسألة التوحيد. ولا يخفاك أن النبي صلى الله عليه وسلم ــ لما بعث مُعَاذاً إلى اليمن ــ قال له: «إن أول ما تدعوهم إليه أن يوحِّدوا الله، فإنْ هم أجابوك لذلك فأَعلِمْهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات» إلى آخره. فإذا كان الرجل لا يُدْعَى إلى الصلوات الخمس إلا بعدما يعرف التوحيد ويقاد له، فكيف بمسائل جزئية اختلف فيها العلماء؟

فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم: إفرادُ الله بالعبادة كلها، ليس فيها حق لمَلَكٍ مقرَّب ولا نبيٍّ مُرْسَل، فضلاً عن غيرهم. فمن ذلك لا يُدْعَى إلا أياه، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لله فَلاَ تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً ﴾، فمن عبد الله ليلاً ونهاراً، ثم دعا نبياً أو وليًّا عند قبره، فقد اتَّخذ إلهين إثنين، ولم يشهد أن لا إله إلا الله؛ لأن الإله هو: المَدْعُوُّ. كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزُّبير أو عبد القادر أو غيرهم، وكما يُفْعَل قبل هذا عند قبر زيد وغيره. ومن ذبح لله ألف ضحية، ثم ذبح لنبيٍّ أو غيره، فقد جعل إلهين اثنين، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إنَّ صَلاَتي ونُسُكي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتي لله ربِّ العَالمين ﴾، الآية. والنسك هو الذبح، وعلى هذا فقِسْ.

فمن أخلص العبادات كلها لله، ولم يشرك فيها غيره، فهو الذي شهد أن لا

إله إلا الله، ومن جعل فيها مع الله غيره، فهو المشرك الجاحد لقوله «لا إله إلا الله». وهذا الشرك الذي ذكره قد طبق اليوم مشارق الأرض ومغاربها، إلا الغرباء المذكورين في الحديث ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾. وهذه المسألة لا خلاف فيها بين أهل العلم من كل المذاهب.

فإذا أردت مصداق هذا فتأمل باب «حكم المرتد» في كل كتاب، وفي كل مذهب؛ وتأمل ما ذكروه في الأمور التي تجعل المسلم مرتدًّا يحلُّ دمُه وماله، منها: مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، كيف حكى الإجماع في «الإقناع» على رِدَّته، ثم تأمل ما ذكروه في سائر الكتب، فإن عرفت أن في المسألة خلافاً ــ ولو في بعض المذاهب ــ فنبِّهني؛ وإن صح عند الإجماع على تكفير من فعل هذا، أو رَضِيَه، أو جادل فيه ــ فهذه خطوط المويس، وابن إسماعيل، وأحمد بن يحيى، عندنا ــ في إنكار هذا الدين، والبراءة منه ومن أهله، وهم الآن مجتهدون في صدِّ الناس عنه. فإن استقمت على التوحيد وتبيَّنت فيه، ودعوت الناس إليه بعداوة هؤلاء، خصوصاً ابن يحيى لأنه من أنجسهم وأعظمهم كفراً، وصبرت على الأذى في ذلك ــ فأنت أخونا وحبيبنا ــ وذلك محل المذاكرة في المسائل التي ذكرت. فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع إليك. وإن لم تستقمْ على التوحيد علماً وعملاً ومجاهدةً فليس هذا محل المراجعة في المسائل.

والله أعلم.

الرسالة الحادية والعشرون

أرسلها جواباً لرجل من أهل الأحساء يقال له أحمد بن عبد الكريم، وكان قد عرف التوحيد وكفر المشركين، ثم إنه حصلت له شبهة في ذلك، بسبب عبارات رآها في كلام الشيخ تقي الدين ففهم منها غير مراد الشيخ رحمه الله، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم،

سلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، أما بعد؛

فقد وصل مكتوبك تُقَرِّر المسألةَ التي ذكرتَ، وتذكر أنَّ عليك إشكالا تطلب إزالته، ثم ورد منك مراسلة تذكر أنك عثرتَ على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال. فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام. وعلى أي شيء يدل كلامه على أن من عبد الأوثان عبادةً أكبر من عبادة اللات والعُزَّى، وسبَّ دين الرسول بعد ما شهد به — مثل سبِّ أبي جهل — أنه لا يكفر بعينه بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح بن عبد الله وأمثالهما كفراً ظاهراً ينقل عن الملة، فضلاً عن غيرهما. هذا صريح واضح في كلام ابن القيم الذي ذكرتَ، وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الإشكال، في كفر من عَبَد الوثن الذي على قبر يوسف وأمثاله، ودعاهم في الشدائد والرخاء، وسبَّ دين الرسل بعد ما أقرَّ به، ودان بعبادة الأوثان بعد ما أقرَّ بها. وليس في كلامي هذا مجازفة، بل أنت تشهد به عليهم، ولكنْ إذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه. وأنا أخاف عليك من قوله تعالى: ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾. والشبهة التي أدخلت عليك هذه البضيعة التي في يدك تخاف تغدي أنت وعيالك في بلد المشركين وشاك في رزق الله.

وأيضاً قرناء السوء أضلُّوك، كما هي عادتهم، وأنت — والعياذ بالله — تنزل درجة درجة أول مرة في الشك وبلد الشرك، وموالاتهم، والصلاة خلفهم، وبراءتك من المسلمين، مداهنةً لهم؛ ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام وغيره،

وتبرَّأت من مِلَّة إبراهيم، وأشهدتهم على نفسك باتِّباع المشركين من غير إكراه، لكنْ خوف ومداراة؛ وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر وأشباهه: ﴿مَنْ كَفَرَ باللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ﴾ إلى قوله: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُم اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ فلم يستثْنِ الله إلا من أُكْرِه وقلبه مطمئن بالإيمان، بشرط طمأنينة قلبه. والإكراه لا يكون على العقيدة، بل على القول والفعل. فقد صرَّح بأن من قال الكفر أو فَعَله فقد كفر إلا الْمُكْرَه، بالشرط المذكور، وذلك أن ذلك بسبب إيثار الدنيا لا بسبب العقيدة.

فتفكر في نفسك: هل أكرهوك، وعرضوك على السيف مثل عمار؟ أم لا؟ وتفكر: هل هذا بسبب أن عقيدته تغيرت أم بسبب إيثار الدنيا؟ ولم يبق عليك إلا رتبة واحدة وهي: أنك تصرح مثل ابن رفيع تصريحاً بمسبَّة دين الأنبياء، وترجع إلى عبادة العَيْدَرُوس وأبي حديدة وأمثالهما.

ولكن الأمر بيد مقلب القلوب، فأول ما أنصحك به أنك تفكَّر: هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك صلى الله عليه وسلم ينهَى عنه أهلَ مكة؟ أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه؟ أم هذا أغلظ؟ فإذا أحكمت المسألة، وعرفت أن غالب من عندكم سمع الآيات، وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين؛ وأقرَّ به، وقال: أشهد أن هذا هو الحق، ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب، ثم بعد ذلك يصرِّح بمسبَّة ما شهد أنه الحق، و يصرِّح بحُسْن الشرك واتِّباعه، وعدم البراءة من أهله ــ فتفكر: هل هذه مسألة أو مسألة الردَّة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة؟ ولكن العجب من دلائلك التي ذكرتَ كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يبصر.

أما استدلالك بترك النبي صلى الله عليه وسلم ومَنْ بَعْدَه تكفيرَ المنافقين وقَتْلَهم، فقد صرَّح الخاص والعام ببديهة العقل: أنهم ــ لو يُظهرون كلمة واحدة أو فعلاً واحداً من عبادة الأوثان، أو مسبَّة التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أنهم يُقْتَلُون أشرَّ قتلة.

فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتِّباعَ الدين، الذي تشهد أنه دين الرسول صلى الله عليه وسلم، وتبرّءوا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبقَ إلا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه، أو فلتة لسان في السرّ، وقد تابوا من دينهم الأول، وقتلوا الطواغيت، وهدموا البيوت المعبودة ــ فَقُلْ لي، وإن كنت تزعم أن الشرك الذي خرج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبرُ من هذا ــ فقل لي. وإن كنت تزعم أن الإنسان ــ إذا أظهر الإسلام ــ لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان، وزعم أنها الدين، وأظهر سبَّ دين الأنبياء، وسمَّاه دين أهل العارض، وأفتى بقتل من أخلص لله الدينَ وإحراقِه وحلِّ ماله ــ فهذه مسألتك! وقد قرَّرْتَها، وذكرتَ أن من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحداً ولم يكفِّروه من أهل الملة. أمّا ذكرت قول الله تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾، واذكر قوله: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ ﴾، الآية. واذكر قوله في الاعتقاد في الأنبياء: ﴿ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾، واذكر ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أشخص[1] رجلاً معه الراية إلى من تزوَّج امرأة أبيه، ليقتله و يأخذ ماله. فأي هذين أعظم؟ تزوُّجُ امرأةِ الأب أو سبُّ دين الأنبياء بعد معرفته؟ واذكر أنه قد همَّ بغزو بني المُصْطَلق لمَّا قيل إنهم منعوا الزكاة، حتى كذَّب الله من نقل ذلك؛ واذكر قوله في أعْبَدِ هذه الأمة وأشدِّهم اجتهاداً (لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قَتْلَ عاد، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة)؛ واذكر قتالَ الصِّدِّيق وأصحابه مانعِي الزكاة، وسَبْيَ ذراريهم، وغنيمةَ أموالهم؛ واذكر إجماع الصحابة على قتل أهل الكوفة وكفرِهم وردَّتهم، لما قالوا كلمة في تقرير نبوَّة مُسَيْلِمة، ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لمَّا تابوا، والمسألة في صحيح

---

(١) في المخطوطة: ١١٥ «أرسل» مكان «أشخص».

البخاري وشرحه في الكفالة؛ واذكر إجماع الصحابة لمَّا استفتاهم عمر على كفر[1] من زعم أن الخمر تحلُّ للخواصّ مستدِلاً بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا ﴾ مع كونه من أهل بدر؛ وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد في علّيٍ مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر، وردَّتهم، وقَتْلِهم، فأحرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم أحياء، فخالفه ابن عباس في الإحراق وقال: يُقْتَلون بالسيف — مع كونهم من أهل القرن الأول أخذوا العلم عن الصحابة؛ واذكر إجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم وأمثاله. قال ابن القيم:

شكر الضحية كل صاحب سنة — لله درُّك من أخي قربان

ولو ذهبنا نعدد من كفَّره العلماء مع ادعائه الإسلام، وأفتَوْا بردَّته وقَتْلِه — لطال الكلام. لكن من آخر ما جرى قصة بني عبيد ملوك مصر وطائفتهم، وهم يدَّعون أنهم من أهل البيت، ويصلون الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاة والمفتين، وأجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مُكْرَهِين مبْغِضِين لهم.

واذكر كلامه في «الإقناع» و «شرحه» في الردَّة كيف ذكروا أنواعاً كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور: وقد عمَّت البلوى بهذه الفِرَق، وأفسدوا كثيراً من عقائد أهل التوحيد، نسأل الله العفو والعافية. هذا لفظه بحروفه، ثم ذكر قَتْلَ الواحد منهم وحُكْمَ ماله، هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة[2] إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفَّر أنواعهم لا أعيانهم؟ وأما عبارة الشيخ التي لبَّسوا بها عليك، فهي أغلظ من هذا كله، ولو نقول بها لكفَّرنا كثيراً من المشاهير

---

(١) في المطبوعة ١: ١٦٧، والمصورة ١: ٢٢٠ «على أن من زعم» وليس لها معنى، وفي المخطوطة: ١١٥ «على من زعم».

(٢) في المخطوطة: ١١٦، والمصورة ١: ٢٢١ والمطبوعة ١: ١٦٨ «من هؤلاء من الصحابة من أصحابه الى زمن منصور»، وحذفنا «من أصحابه».

بأعيانهم؛ فإنه صرّح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجّة، فإن كان المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلامُ الله ورسوله وخلا من شيء يُعْذَر به — فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول الله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أن يَفْقَهُوه ﴾، وقوله: ﴿ إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلون ﴾. وإذا كان كلام الشيخ ليس في الشرك والردّة، بل في المسائل الجزئيات، سواء كانت من الأصول أو الفروع، ومعلوم أنهم يذكرون في كتبهم — في مسائل الصفات، أو مسألة القرآن، أو مسألة الاستواء، أو غير ذلك — مذهبَ السَّلَف، و يذكرون أنه الذي أمر الله به ورسولُه، والذي درج عليه هو وأصحابه، ثم يذكرون مذهب الأشعريّ أو غيره، و يرجّحونه و يسبُّون من خالفه. فلو قدَّرنا أنها لم تقم الحجَّة على غالبهم قامت على هذا المعين الذي يحكي المذهبين: مذهبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، ثم يحكي مذهب الأشعري[1] ومن معه. فكلام الشيخ في هذا النوع يقول إن السلف كفروا النوع، وأما المعين: فإن عرف الحق وخالفه كفر بعينه، وإلاّ لم يكفر. وأنا أذكر لك من كلامه ما يصدق هذا، لعلّك تنتفع إن هداك الله، وتقوم عليك الحجة قياماً بعد قيام؛ وإلاّ فقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا.

قال رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم»[2] في الكلام على قوله: ﴿ ومَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ﴾: ظاهره أنه ما ذُبح لغير الله حَرُمَ، سواء لُفِظ به أو لم يُلْفَظ، وهذا أظْهرُ من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه: باسم المسيح ونحوه؛ فإن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، فكذلك الشركُ بالنُّسُكِ لغيره أعظمُ من الاستعانة باسمه. وعلى هذا لو ذبح لغير الله متقرّباً إليه

(١) الأشعري — هو: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق. مؤسس مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ. له عدة مؤلفات.

(٢) ص: ٢٥٩ (الطبعة الثانية ١٩٥٠) وانظر ما سيأتي ص: ٤٢٤.

وإن قال فيه: بسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدِّين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان. ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من الذبح للجن.

انتهى كلامه بحروفه.

فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله وسمَّى الله عليه عند الذبح أنه مرتدٌّ، تَحْرُم ذبيحته ولو ذبحها للأكل. لكن هذه الذبيحة تحرم من جهتين: من جهة أنها مما أهِلَّ به لغير الله، وتحرم أيضاً لأنها ذبيحة مرتدٍ. يوضِّح ذلك ما ذكرته أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدِّين. فأين هذا من نسبتك عنه[1] أنه لا يكفِّر أحداً بعينه؟

وقال أيضاً في أثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم ــ لمَّا ذكَر عن أئمتهم شيئاً من أنواع الردة والكفر ــ قال رحمه الله: هذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال إنه فيها مخطىء ضالٌّ لم تقم عليه الحجَّة التي يكفَّر صاحبها، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمداً صلى الله عليه وسلم بُعِث بها وكفَّر من خالفها، مثل: أمره بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم؛ فإن هذا أظهرُ شرائع الإسلام. ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع، فكانوا مرتدِّين. وكثير منهم تارةً يرتدُّ عن الإسلام ردَّةً صريحة، وتارةً يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق، والحكاية عنهم في ذلك مشهورة. وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفاً في أول «مختلف الحديث». وأبلغ من ذلك أن منهم من صنَّف في الرِّدَّة كما صنف الفخر الرازي[2] في عبادة الكواكب، وهذه ردَّة عن الإسلام باتفاق المسلمين.

هذه لفظه بحروفه.

---

(١) نسبتك عنه = تكررت في المطبوعة ٢: ٢٤ (سطر ١١) وهي بمعنى: نسبتك إليه.

(٢) الفخر الرازي ــ هو: أبو عبد الله، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين الرازي. ولد في الري سنة ٥٤٤، وإليها نسبته، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦. إمام، مفسر، كثير التصانيف.

فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه في كفر المعين؛ وتأمل تكفيره رؤوسهم: فلاناً وفلاناً بأعيانهم، وردتهم ردّة صريحة؛ وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردّة الفخر الرازي عن الإسلام مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة ــ هل يناسب هذا لِمَا فهمتَ من كلامه أن المعين لا يكفَّر، ولو دعا عبد القادر في الرخاء والشدّة؛ ولو أحب عبد الله بن عون وزعم أن دينه حسن مع عبادته أبي حديدة؛ ولو أبغضك واستنجسك ــ مع أنك أقرب الناس إليه ــ لمّا رآك ملتفتاً بعض الالتفات إلى التوحيد، مع كونك توافقهم على شيء من شركهم وكفرهم؟

وقال الشيخ أيضاً في ردّه على بعض المتكلمين وأشباههم: والقوم ــ وإن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق ــ فهذا لا يوجب السعادة إلا بالإيمان بالله وحده. وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن، وأهلُ الرأي والعلم بمنزلة المُلْك والإمارة؛ فكل منهم لا ينفعه ذلك إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويتخذه إلهاً دون ما سواه؛ وهو معنى قوله «لا إله إلا الله». وهذا ليس في حكمتهم، ليس فيها الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة المخلوقات، بل كل شرك في العالم إنما حدث بزي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك، الفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينْهَ عنه، بل يُقِرُّ هؤلاء وهؤلاء؛ وإنْ رجَّح الموحِّدين ترجيحاً ما فقد يرجِّح غيرُه المشركين وقد يُعْرِض عن الأمرين جميعاً. فتدبر هذا فإنه نافع جداً وكذلك الذين كانوا في مِلّة الإسلام ــ لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد، [بل يسوِّغون الشرك ويأمرون به ــ إذا ادَّعوا التوحيد][1]، فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل. والتّوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين كله لله، وعبادتِه وحده لا شريك له، وهذا شيء لا يعرفونه. والتوحيد الذي يدَّعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات؛ فلوا كانوا موحِّدين بالكلام ــ وهو أن يصفوا الله بما وصفته به

(١) الزيادة من المخطوطة: ١١٧ والمصورة ١: ٢٢٤.

رسله ــ لكان معهم التوحيد دون العمل؛ وذلك لا يكفي في النجاة، بل لابد أن يعبدوا الله وحده ويتخذوه إلهاً دون ما سواه، وهو معنى قوله «لا إله إلا الله» فكيف وهم في القول معطّلون جاحدون، [لا موحّدون][1] ولا مخلصون؟

انتهى.

فتأمل كلامه واعْرِضه على ما غرَّك به الشيطان من الفهم الفاسد الذي كذَّبت به الله ورسولهَ وإجماعَ الأمة، وتحيزت به إلى عبادة الطواغيت. فإن فهمت هذا، وإلا أشير عليك أنك تكثر من التضرُّع والدعاء إلى مَن الهدايةُ بيده، فإن الخطر عظيم. فإن الخلود في النار جزاء الردَّة الصريحة ما يسوى بضيعة تربح توماناً أو نصف تومان، وعندنا ناس يجيئون بعيالهم بلا مال، ولا جاعوا ولا شحذوا، وقد قال الله في هذه المسألة: ﴿ ياعِبَادِيَ الَّذِين آمَنُوا إنَّ أرْضِي واسِعَةٌ فإيَّايَ فاعْبُدُون، وكأيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رزْقَها اللهُ يَرْزُقُها وإيَّاكُمْ وهوَ السَّمِيعُ العَلِيم ﴾.

والله أعلم.

---

(١) زيادة من المخطوطة والمصورة.

الرسالة الثانية والعشرون

أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير بسبب أمر جرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فيجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق، وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكراً، وهو مصيب، لكن يخطىء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون. واعْتَصِمُو بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ الآية، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تُناصِحوا من ولاّه الله أمركم».

وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث: أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه، صابراً على ما جاءه من الأذى.

وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به، فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلّةالعمل بهذا أو قلّة فهمه. وأيضاً يذكر العلماء أن إنكار المنكَر إذا صار يحصل بسببه افتراق، لم يَجُزْ إنكاره. فاللهَ اللهَ في العمل بما ذكرتُ لكم، والتفقه فيه، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مَضَرَّةً على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه.

وبسبب هذه المقالة التي وقعت بين أهل الحوطة أن صار أهل الدين واجباً

عليهم إنكار المنكر؛ فلما غلّظوا الكلام، صار فيه اختلاف بين أهل الدين فصار فيه مضرة على الدين والدنيا.

وهذا الكلام وإن كان قصيراً فمعناه طويل، فلازم لازم تأمَّلوه، وتفقهوا فيه، واعملوا به. فإن عملتم به صار نصراً للدين واستقام الأمر إن شاء الله.

والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره ينصح برفق، خُفية، ما يشترف أحد؛ فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية. فإن لم يفعل، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر يَمّنا[1] خفية.

وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم، ثم يرسلونه: لحرمة، والمَجْمَعَة، ثم للغاط، والزُّلْفي.

والله أعلم.

---

(١) يمنا: ناحيتنا، إلينا.

الرسالة الثالثة والعشرون

انظر الدرر السنية ٢: ٣١.

أرسلها إلى أحمد بن يحيى مطوع من أهل رغبة، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغي أنها تزعلك، أولا: أنه لو خالف فمثلك يحلم ولا يأتي بغايته هذا ولا أكثر منه. وثانياً: أنك إذا عرفت أن كلامه ما له فيه قصد إلا الجهد في الدين، ولو صار مخطئاً فالأعمال بالنيات، والذي هذا مقصدُه يُغتفَر له ولو جهل عليك. ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة وربك ونبيك ودينك لزمتهم لزمة تتلاشى فيها كل لزمة.

وهذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع التي ما زال أهل العلم يختلفون فيها من غير نكير؛ ولكن هذه في شهادة «أن لا إله إلا الله»، والكفر بالطاغوت. ولا يخفاك أن الذي عادانا في هذا الأمر هم الخاصة الذين ليسوا بالعامة. هذا ابن إسماعيل، والمويس، وابن عبيد، جاءتنا خطوطهم[1] في إنكار دين الإسلام ـــ الذي حكاه في «الإقناع» في باب «حكم المرتد» الإجماعُ من كل المذاهب أنَّ من لم يدِنْ به فهو كافر. وكاتبناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن، وما زادهم ذلك إلا نفوراً؛ وزعموا أن أهل «العارض» ارتدُّوا لمَّا عرفوا شيئاً من التوحيد.

---

(١) خطوطهم: كتبهم، رسائلهم.

(٢) كذا في المخطوطة: ١١٨ والمطبوعة ١: ١٧٢ والمصورة ١: ٢٢٧، وفي الدرر السنية ٢: ٣٢ «الاكتفاء بغيرك فيه»، ولعل هذا معنى العبارة السابقة.

وأنت تفهم أن هذا لا يسعك التكفي عنه[٢]، فالواجب عليك نصر أخيك ظالماً أو مظلوماً. وإن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة فلا تُعْذَر، لا عند الله ولا عند خلقه، من الدخول في هذا الأمر. فإن كان الصواب معنا، فالواجب عليك الدعوةُ إلى الله، وعداوةُ من صرَّح بسبِّ دين الله ورسوله. وإن كان الصواب معهم، أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل، أو معنا غُلوٌّ في بعض الأمور ـــ فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا وتورِّينا عبارات أهل العلم، لعلَّ الله أن يردَّنا بك إلى الحق. وإن كان، إذا حرَّرْتَ المسألة، إذ أنها من مسائل الاختلاف، وأن فيها خلافاً عند الحنفية أو الشافعية أو المالكية ـــ فتلك مسألة أخرى.

وبالجملة فالأمر عظيم، ولا نعذرك من تأمل كلامنا وكلامهم، ثم تعرضه على كلام أهل العلم، ثم تبين في الدعوة إلى الحق، وعداوة من حادَّ الله ورسوله منَّا أو من غيرنا.

والسلام.

الرسالة الرابعة والعشرون

أرسلها إلى عبدالله بن عيسى مطوع الدرعية، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى،

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد؛

فقد قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»[1] ﴿ فإنْ لم يَسْتَجِيبُوا لَكَ فاعْلَمْ أنَّما يَتَّبِعُون أهْواءهُمْ ﴾ فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة للرسول، وإما اتِّباع الهوى. وذكر كلاماً في تقرير ذلك، إلى أن قال: ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكَّم الطاغوت وتحاكم عليه ــ يعني الآيات في النساء: ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الّذِين يَزْعُمُونَ أنهم آمَنُوا بمَا أُنْزِلَ إلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أنْ يَتَحَاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أنْ يَكْفُرُوا به ﴾.

قال: والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدَّه من: معبود، أو متبوع، أو مطاع. فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه ــ غير الله ورسوله ــ أو يتَّبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم، إذا تأمَّلْتَهَا وتأمَّلْتَ أحوال الناس معها ــ رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته؛ وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة ــ وهم الصحابة ومن تبعهم ــ قال الله: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون ﴾. والزُّبُر: الكتب. أي كل فرقة صنَّفوا كتباً أخذوا بها، وعملوا بها، دون كتب الآخرين، كما هو الواقع سواء.

---

(١) إعلام الموقعين (مطبعة النيل بمصر) ١: ٥٣ وما بعدها، وقد نقل كلامه مختصراً.

وقال: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه ﴾ قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسودّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف.

هذا كله كلام ابن القيم.

وقال الشيخ تقي الدين في كتاب «الإيمان»[1]: قال الله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾، الآية. وفي حديث عَدِيّ بن حاتم أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «إنّا لسنا نعبدهم. قال: أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويحلون ما حرَّم الله فتحلونه؟ قلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم». رواه الإمام أحمد والترمذي وغيره.

وقال أبو العالية: إنهم وجدوا في كتاب الله ما أُمِرُوا به وما نُهُوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا، لقوله ﴿وَنَبَذُوه وَرَاءَ ظُهُورِهم ﴾. انتهى كلام ابن تيمية.

فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك، ثم نزِّله على أحوال الناس وحالك، وتفكَّر في نفسك وحاسبها: بأي شيء تدفع هذا الكلام، وبأي حجة تحتج يوم القيامة على ما أنت عليه؟ فإن كان عندك شبهة فاذكرها، فأنا أبيِّنها إن شاء الله تعالى. والمسألة مثل الشمس، ولكن من يهْدِ الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادِيَ له. وإن لم يتَّسع عقلك لهذا فتضرع إلى الله بقلب حاضر، خصوصاً في الأسحار: أن يهديك للحق ويريك الباطل باطلاً. وفِرَّ بدينك، فإن الجنة والنار قُدَّامك، والله المستعان. ولا تستهجن هذا الكلام، فوالله ما أردت به إلا الخير.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

---

(١) ابن تيمية، كتاب الإيمان (مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ) ص: ٢٦-٢٧. وقد نقله مختصراً.

الرسالة الخامسة والعشرون

أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبدالله بن عيسى، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى،

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

إنْ تفضلتم بالسؤال فنحمد الله إليكم، الذي لا إله إلا هو؛ ونحن بخير وعافية، جعلكم الله كذلك وأحسن من ذلك. وأبلغوا لنا الوالد السلام ــ سلّمه الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. وغير ذلك في نفسي عليه بعض الشيء من جهة المكاتيب لمَّا حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل، ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض السفهاء يقرءونها على الناس. وأنا أعتقد فيه المحبة، وأعتقد أيضاً أن له غاية وعقلاً؛ وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا، فلا ودّي يُعْقِبه بالأذى ويكدّر هذه المحبة بلا منفعة في العاجل والآجل. وأنا إلى الآن ما تحققتُ ذلك وأهوجس فيه بالهاجوس الجيد[1]. وذكر أيضاً عنه بعض الناس بعض الكلام الذي يشوّش الخاطر.

فإن كان يرى أن هذا ديانة، ويعتقده من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأنا ولله الحمد لم آتِ الذي أتيت بجهالة، وأُشْهِد الله وملائكته أنه ــ إنْ أتاني منه، أو ممن دونه في هذا الأمر، كلمة من الحق ــ لأَقْبلنَّها على الرأس والعين، وأترك قول كل إمام اقتديتُ به، حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يفارق الحق.

---

(١) في المطبوعة ١: ١٧٤ «تحققت ذلك وهو حبس فيه بالهاجوس الجيد» والصواب من المخطوطة: ١٢٠، ومعنى العبارة: أظن فيه ظناً حسناً.

فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان، وزخرفة كلامهم ــ الذي أوحى إليهم ليجادل في دين الله لمَّا رأى أن الله يريد أن يظهر دينه ــ غرَّتْه، وأصغت إليها أفئدتكم، فاذكروا لي حجةً مما فيها، أو كلها، أو في غيرها من الكتب مما تقدرون عليه[1] أنتم ومن وافقكم؛ فإن لم أجاوبه عنها بجواب فاصل بيِّنٍ، يعلم كلٌّ من هداه الله أنه الحق، وأن تلك هي الباطل ــ فأنْكِروا عليَّ.

وكذلك عندي من الحجج الكثيرة الواضحة ما لا تقدرون أنتم ولا هم أن تجيبوا عن حجة واحدة منها. وكيف لكم بملاقاة جند الله ورسوله؟ وإن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه، فهذه كتبهم موجودة ــ ومن أشهرهم وأغلظهم: كلام الإمام أحمد ــ كلهم على هذا الأمر، لم يشذَّ منهم رجل واحد ولله الحمد، ولم يأتِ عنهم كلمة واحدة أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة في أمركم هذا، فضلاً عن أن يوجبوه.

وإن زعمتم أن المتأخرين معكم فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم: ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، عندنا له مصنف مستقل في هذا، ومن الشافعية: الذهبي، وابن كَثِير، وغيرهم. وكلامهم في إنكار هذا أكثر من أن يحصر. وبعض كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيّم في «الطرق الحكمية» فراجعه. ومن أدلة شيخ الإسلام: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾، الآية؛ فقد فسَّرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأئمة بعده، بهذا الذي تسمُّونه: الفقه، وهو الذي سماه الله شركاً واتّخاذهم أرباباً ــ لا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافاً.

والحاصل أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التي أتتكم، وفرحتم بها، وقرأتموها على العامة ــ من عند هؤلاء الذين تظنُّون أنهم علماء،

---

(١) كذا في المطبوعة ١: ١٧٤، وفي المصورة ١: ٢٣٠ «تقررون عنه».

كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذٰلك جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً: شَيَاطِينَ الْإِنْس والجِنِّ يُوحِي بَعْضُهمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ﴾ إلى قوله: ﴿ ولتصْغَى إليه أفئدةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ ﴾. ولكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة. بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن «لا إله إلا الله»، ولا تنكرون هذه الأوثان التي تُعْبَد في «الخَرْج» وغيره، التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم، وأنا لا أقول هذا.

الرسالة السادسة والعشرون

رسالة أرسلها الشيخ إلى أهل العيينة يبطل فيها ما موه به سليمان بن عبد الوهاب في أحد كتبه إليهم؛ قال الشيخ رحمه الله:[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

روى مُسْلِمٌ في صحيحه، عن عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيّ رضي الله عنه قال[2]: «كنت وأنا في الجاهلية أظنُّ أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان. قال: فسمعت برجل في مكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي حتى قدمت عليه، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً، جُرَآءُ عليه قومُه، فتلطَّفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت: وما أنت؟ فقال: أنا نبي، قلت: وما نبي؟ قال: أرسلني الله. فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصِلَة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحَّد اللهُ لا يُشْرَكُ به شيء. فقلت: ومن معك على هذا؟ قال: حُرٌّ وعبد —قال ومعه يومئذ أبو بكر وبِلاَل— فقلت: إني متَّبعك. فقال: إنك لا تستطيع ذلك يومَك هذا، ألاَ تَرى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرتُ فأتني. قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ، وكنتُ في أهلي، فجعلت أتخبَّر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم نفر من أهل يثرب من أهل المدينة. فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سِرَاعٌ وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك. فقدمت المدينة، فقلت: يا رسول الله أتعرفني! قال: أنت الذي لقيتني بمكة؟ فقلت: يا نبي الله أخبِرْني عمَّا علَّمك الله وأجهلُه، أخبِرْني الصلاة. قال: صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرنَيْ

---

(١) هذه الرسالة في المطبوعة ٢: ٢٠ وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم (دار الطباعة العامرة ١٣٢٩) ٢: ٢٠٨-٢١٠.

شيطان، وهي حينئذ يَسجُد لها الكفار؛ ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقلَّ الظلُّ بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تُسْجَر جهنم؛ فإذا أقبل الفيء فإن الصلاة محضورة حتى تصلّي العصر؛ ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار»، وذكر الحديث.

قال أبو العباس رحمه الله: فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب، بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار؛ ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها. ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حَسْماً لمادّة المشابهة. ومن هذا الباب: أنه كان إذا صلى إلى عُود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن، ولم يصمد إليه صَمْداً؛ ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عُبِد من دون الله في الجملة. ولهذا يُنْهَى عن السجود لله بين يدي الرجل، لما فيه من مشابهة السجود لغير الله.

انتهى كلامه.

فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العِبَر، فإن الله سبحانه يقصُّ علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمن من المستأخِرين عِبْرة، فيقيس حاله بحالهم. وقصَّ قِصَص الكفار والمنافقين لتُجْتَنَب، ويُجْتَنَب من تلبَّس بها أيضاً.

فمِمَّا فيه من الاعتبار: أن هذا الأعرابي الجاهل ــ لمَّا ذُكِر له أن رجلاً بمكة يتكلَّم بالدين بما يخالف الناس ــ لم يصبر حتى ركب راحلته، فقدم عليه، وعَلِم ما عنده لِمَا في قلبه من محبة الدين والخير. وهذا فُسِّر به قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ ﴾ أي: حرصاً على تعلُّم الدين؛ لأسمعهم أي: أفهمهم. فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عَدْلٌ منه سبحانه

لِمَا يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين. فتبيَّن أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شرِّ الدواب هو عدم الحرص على التعلم. وإذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب، فما عُذْرُ من ادَّعى اتِّباعَ الأنبياء، وبلغه عنهم ما بلغه، وعنده من يعرض عليه التعليم، ولا يرفع بذلك رأساً؟ فإن حضر أو استمع فكما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَّبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلاَّ اسْتَمَعُوه وَهُمْ يَلْعَبُون لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.

وفيه من العبر أيضاً: أنه لما قال: أرسلني الله. قال: بأي شيء أرسلك؟ قال: بكذا وكذا. فتبيَّن أن زُبْدَة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي: توحيد الله، بعبادته وحده لا شريك له، وكسر الأوثان. ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدَّة العداوة وتجريد السيف. فتأمل زبدة الرسالة.

وفيه أيضاً: أنه فهم المراد من التوحيد، وفهم أنه أمر كبير غريب. ولأجل هذا قال: من معك على هذا؟ قال: حُرٌّ وعبد. فأجابه أن جميع العلماء والملوك والعامة مخالفون له، ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر. فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون أقلَّ القليل، وأن الباطل قد يملأ الأرض. ولله درُّ الفُضَيل بن عياض[1] رحمه الله حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغترَّ بالباطل لكثرة الهالكين. وأحسن منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوهُ إلاَّ فَرِيقاً مِنَ المؤمنين﴾.

وفي الصحيحين «إنَّ بَعْثَ النَّارِ من كل ألفٍ تسعةٌ وتسعون وتسعمائة، وفي الجنَّة واحد من كل ألف. ولما بكوا من هذا لما سمعوه، قال صلى الله عليه وسلم: إنها لم تكن نبوّةٌ قط إلا كان بين يديها جاهلية، فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمَّت، وإلا أكْمِلَتْ من المنافقين». قال الترمذي: حسن صحيح.

(١) ترجمته وتخريجها في «طبقات الصوفية» ص: ٦-١٤.

فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام، ومن اتَّبع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ذاك، ثم ضمَّ إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضاً، أنه قال صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» تبيَّن له الأمر، إن هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية: ﴿فَمَا بَالُ القُرُونِ الأولَى﴾، والحجة القرشية: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهٰذا في المِلَّةِ الآخِرَة﴾.

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى في «اقتضاء الصراط المستقيم»[1] في الكلام على قوله تعالى ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله به﴾: وأيضاً فإن قوله ﴿وما أُهِلَّ لغير الله به﴾ ظاهِرُه: أنه ما ذُبِح لغير الله، سواء لفظ به أو لم يلفظ. وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقال فيه: باسم المسيح، ونحوه. كما أن ما ذبحناه متقرِّبين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه: بسم الله، فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظمُ من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور، والعبادةُ لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله. فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحَرُم وإن قال فيه باسم الله كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة، وإن كان هؤلاء مرتدِّين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان. ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن.

انتهى كلام الشيخ.

وهو الذي ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفِّر المُعَيَّن. فانظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة، وتصريحه أن المنافق يصير مرتداً بذلك. وهذا في المعين، إذْ لا يُتَصوَّر أن تحرم إلا ذبيحة معين.

---

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (الطبعة الثانية ١٩٥٠) ص: ٢٥٩ وانظر ما سلف ص: ٣٩٧.

وقال أيضاً في الكتاب المذكور: وكانت الطواغيت الكبار التي تُشَدُّ إليها الرحال ثلاثة: اللات والعُزَّى ومَنَاة، وكلٌّ واحدٍ منها لمصرٍ من أمصار العرب، فكانت اللات لأهل الطائف ـ وذكروا أنه في الأصل كان رجلاً صالحاً يلتُّ السَّويق للحاجّ فلما مات عكفوا على قبره. وأما العُزَّى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات، وكانت شجرة يذبحون عندها ويَدْعون. وأما مَنَاة فكانت لأهل المدينة، وكانت حَذْوَ قديد من ناحية الساحل. ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمَّه الله وأنواعَه حتى يتبيّن له تأويلُ القرآن ـ فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوالِ العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي في «أخبار مكة» وغيره من العلماء.

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلّقون عليها أسلحتهم ويسمُّونها «ذات أنواط»، فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فقال: الله أكبر إنَّها السنن «لتركبُنَّ سَنَن من كان قبلكم». فأنكر صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفارَ في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلّقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أطمُّ من ذلك من الشرك بعينه؟....

إلى أن قال: فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق، مثل مسجدٍ يقال له: مسجد الكف، الذي فيه تمثال كفٍّ يقال إنه كف عليّ بن أبي طالب، حتى هدم الله ذلك الوثن. وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد، وفي الحجاز منها مواقع.

ثم ذكر كلاماً في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور، فقال: العِلّة لما يفضي إليه ذلك من الشرك، وذكر ذلك الشافعي وغيره، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك: كأبي بكر الأثرم ـ علّلوا بهذه العلة، وقد قال تعالى: ﴿وَقالوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثيراً﴾. ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين

كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، وصوَّروا تماثيلهم؛ ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم. ذكر هذا البخاري في صحيحه، وأهل التفسير: كابن جَريرٍ وغيره.

ومما يبيِّن صحة هذه العلة أنه لعن من يتَّخذ قبور الأنبياء مساجد. ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجساً، وقال في نفسه: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعْبَد» فعُلِمَ أنَّ نْهيَهُ عن ذلك كنَهْيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ فسدَّ الذريعة لئلا يُصَلَّى في هَذه الساعة، وإنْ كان المصلي لا يصلي إلا لله، ولا يدعو إلا إياه، لئلا يُفِضي ذلك إلى دعائها والصلاة عندها؛ وكلا الأمرين قد وقع، فإنَّ من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية؛ وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضلَّ به كثير من الأولين والآخرين، حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وصنَّف فيه بعض المشركين كتاباً على مذهب المشركين، مثل: أبي معشر البلخي، وثابت بن قُرَّة، وأمثالهما ممن دخل في الشرك، وآمن بالجبت والطاغوت، وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذين أوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَاب ﴾

انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى.

فانظر، رحمك الله، إلى هذا الإمام الذي نسب عنه[1] من أزاغ قلبه عدم تكفير المعين، كيف ذكر عن مثل الفخر الرازي ــ وهو من أكابر أئمة الشافعية، ومثل أبي معشر وهو من المشهورين المصنِّفين وغيرهما أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام! والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الردِّ على المتكلمين، لمَّا ذكر تصنيفه الذي ذكر هنا قال: وهذه ردَّة صريحة باتفاق المسلمين؛ وسيأتي كلامه إن شاء الله تعالى. وتأمل ما ذكر أيضاً في اللات والعُزَّي ومَنَاة، وجعله بعينه هذا الذي

(١) «نسب عنه» بمعنى «نسب إليه» مرت في ص: ٣٩٨، وستأتي أيضاً في ص: ٤٣٦.

يفعل بدمشق وغيرها. وتأمل قوله على حديث «ذات أنواط»، هذا قوله في مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة، فكيف بما هو أطمُّ من ذلك من الشرك بعينه؟ فهل للزائغ بعد هذا متعلّق بشيء من كلام هذا الإمام. وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيغهم، قال رحمه الله: أنا من أعظم الناس نهياً عن أن يُنْسَب معينٌ إلى تكفير، أو تبديع، أو تفسيق، أو معصية ـــ إلا إذا عُلم أنه قد قامت الحجَّة الرسالية التي مَنْ خالفَها كان كافراً تارةً، وفاسقاً أخرى. انتهى كلامه.

وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفْنا عليه من كلامه: لا يذكر عدم تكفير المعين إلا و يصله بما يزيل الإشكال: أنَّ المراد بالتوقُّفِ عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجَّة، وإذا بلغته حُكِم عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفيرٍ، أو تفسيق، أو عصيان. وصرَّح رضي الله عنه أيضاً أن كلامه أيضاً في غير المسائل الظاهرة، فقال في الردِّ على المتكلمين ـــ لمَّا ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردَّة عن الإسلام كثيراً ـــ قال: وهذا إذا كان في المقالات الخفية، فقد يقال: إنه مخطيء ضالّ لم تقم عليه الحجَّة التي يكفَّر تاركها، لكن يصدر هذا منهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِث بها وكفَّر من خالفها، مثل: عبادةِ الله وحده لا شريك له، ونهْيِه عن عبادة أحدٍ سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم، فإن هذا أظهرُ شعائر الإسلام؛ ومثل: إيجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها؛ ومثل: تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر، ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدِّين. وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين، كما فعل أبو عبدالله الرازي ـــ يعني: الفخر الرازي ـــ قال: وهذه ردَّة صريحة. فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله، لكن من يُرِدِ اللهُ فتنتَه فلن تملك له من الله شيئاً، على أن الذي نعتقده، ونَدِين الله به، ونرجو أنه يثبّتنا عليه أنه: لو يغلط[1]، أو أجلُّ منه، في هذه المسألة، وهي: مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة، أو المسلم الذي

---

(١) في هامش المصورة: (لعله الشيخ).

يفضِّل هذا على الموحِّد، أو يزعم أنه على حق، أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بيّنه الله ورسوله وبيَّنه علماء الأمة ــ أنَّا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله، ولو غلط من غلط، فكيف والحمد الله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافاً في هذه المسألة؟ وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجَّة فرعون: ﴿فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى﴾، أو حجَّة قريش: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهٰذا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إنْ هَذَا إلاَّ ٱخْتِلاَق. أأُنْزِلَ عَلَيْه الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

وقال الشيخ رحمه الله في الرسالة السنية ــ لمَّا ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وأمْرَه صلى الله عليه وسلم بقتالهم ــ قال: فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام مَنْ مرق منه، مع عبادته العظيمة، حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فيُعْلَم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنَّة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام، وذلك بأسباب منها: الغُلُوُّ الذي ذمَّه الله في كتابه حيث قال: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُم﴾، الآية. وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حرَّق الغَالِيَة من الرَّافضة، فأمر بأخاديدَ خُدَّت لهم عند باب كِنْدَة، فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يُقْتَلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر الصحابة، وقصتهم معروفة عند العلماء. وكذلك الغُلوُّ في بعض المشايخ، بل الغُلُوّ في عليّ بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه. فكل من غَلاَ في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو اجبرني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال ــ فكلُّ هذا شرك وضلال، يُسْتتاب صاحبه، فإن تاب، وإلا قُتِل، فإنَّ الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعْبَد وحده لا يُجْعَل معه إله آخر ﴿والَّذِين يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخَرَ﴾ مثل: المسيح، والملائكة، والأصنام ــ لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، وتنزل المطر، وتنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو صُوَرهم، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللهِ

زُلْفَى ــ وَ يَقُولُونَ هٰؤلاَء شُفَعَاؤنَا عِنْدَ اللهِ ﴾ فبعث اللهُ رسولَه ينْهَى أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاءَ عبادةٍ، ولا دعاءَ استغاثة. وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً. أولٰئك ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِم الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أقْرَبُ ﴾، الآية.

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح، وعُزَيراً، والملائكة... ثم ذكر رحمه الله آيات، ثم قال: عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين، وهي أصل التوحيد الذي بعث به الرسلَ وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، وقال ﴿ ومَا أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ نُوحِي إلَيْه أنَّه لاَ إلهَ إلاَّ أنَا فاعْبُدُون ﴾

وكان صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد، و يعلِّمه أمَّته حتى قال له رجل: «ما شاء الله وشئتَ، قال: أجعلتني لله نِدّاً؟ بل ما شاء الله وحده». ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: «من حلف بغير الله فقد أشرك». وقال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذِّر مما فعلوا، وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعْبَد»، وقال: «لا تتَّخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني» ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يُشْرَع بناء مسجد على القبور ولا الصلاة عندها. وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور. ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلَّم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسَّح بحجرته، ولا يقبِّلها، لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبَّه بيت المخلوق ببيت الخالق. كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه، الذي لا يقبل اللهُ عملاً إلا به، و يغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى: ﴿ إنَّ الله لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به، و يَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاء، وَمَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدِ افْتَرَى إثْماً عَظِيماً ﴾. ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضلَ الكلام وأعظمه؛ فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ الله لاَ إلٰهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: «من

كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله، دخل الجنة» والإله هو الذي يأله القلبُ عبادةً له، واستغاثةً له، ورجاء له، وخشيةً وإجلالاً.

انتهى كلامه.

فتأمل أول الكلام وآخره فيمن دعا نبياً أو ولياً، مثل أن يقول: يا سيدي فلان أغثني، ونحوه ـــ أنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قُتِل، هل يكون هذا إلا في المعين؟ والله المستعان.

وتأمل كلامه في اللات والعزى ومَنَاة، وما ذكر بعده، يتبيَّن لك الأمر إن شاء الله تعالى.

وقال ابن القيم رحمه الله في شرح المنازل في باب التوبة: وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر. فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو: أن يتخذ من دون الله نداً يحبُّه كما يحبُّ الله، بل أكثرهم يحبُّون آلهتهم أعظم من محبتهم لله، و يغضبون لمتنقِّص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحدٌ ربَّ العالمين؛ وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جَهْرةً. وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن استوحش، لا ينكر ذلك و يزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده. وهكذا كان عُبَّاد الأصنام سواء. وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرهم اتخذوها من البشر، قال الله تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء: ﴿ وَالَّذِين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِه أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فيما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُون إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار ﴾. فهذا حال من اتخذ من دونه ولياً يزعم أنه يقرِّبه إلى الله تعالى، وما أعزَّ مَنْ تخلَّص من هذا، بل ما أعزَّ مَنْ لا يعادي من أنكره. والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله؛ وهذا عين الشرك؛ وقد أنكر الله ذلك عليهم في كتابه، وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلاً طويلاً في تقرير هذا الشرك الأكبر، ولكنْ تأمَّلْ قوله: «وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادي من أنكره» تبيَّن لك بطلان الشبهة التي أدلى بها الملحدون، وزعم أن كلام الشيخ في هذا الفصل ــ أعني الفصل الأول ــ في الشرك الأكبر على الآية التي في سورة سبأ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ ولاَ فِي الأَرْضِ﴾، وتكلم عليها، ثم قال: والقرآن مملوء من أمثالها، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته، ويظنُّه في قوم قد خلَوْا ولم يعقبوا وارثاً. وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، كما قال عمر بن الخطاب: إنما تنقض عُرَى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية. وهذا لأنه ــ إذا لم يعرف الشرك، وما عابه القرآن، وما ذمَّه ــ وقع فيه وأقرَّه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عُرَى الإسلام، ويعود المعروفُ مُنْكَراً، والمنكرُ معروفاً، والبدعةُ سنَّةً والسُّنةُ بدعةً، ويكفَّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول، ومفارقة الأهواء والبدع. ومن له بصيرة وقلب حيّ يرى ذلك عِياناً.

والله المستعان.

وأما الشرك الأصغر: فكَيَسِيرِ الرِّياء، والحلف بغير الله، وقولِ: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شركاً أكبر، بحسب حال قائله وقصده.

ثم قال الشيخ رحمه الله ــ بعدما ذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع الشرك: سجودُ المُريدِ للشيخ. ومن أنواعه: التوبة للشيخ، فإنها شرك عظيم. ومن أنواعه: النذر لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غيره، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابةُ والخضوع والذل لغير الله، وإضافة نِعَمِه لغيره. ومن

أنواعه: طلب الحوائج من عند الموتى، والاستغاثة بهم والتوجُّه إليهم. وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، فضلاً عمَّن استغاث به، أو سأله أنه يشفع إلى الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسببٍ يمنع الإذن. والميت محتاج إلى من يدعو له، كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم: إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحَّم عليهم، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة. فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعْبَد؛ فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات. وهم تنقَّصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحِّدين بذمِّهم ومعاداتهم، وتنقَّصوا من أشركوا به غاية التنقُّص إذ ظنُّوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم آمروهم به. وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، ولله دَرُّ خليله إبراهيم حيث يقول: ﴿ واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنام. رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ﴾ وما نجا من شَرَك هذا الشِّرْك الأكبر إلا مَنْ جرَّد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرَّب بمقتهم إلى الله.

انتهى كلامه.

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شركٌ أصغر، وشُبْهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر. وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره ــ في الفصل الأول والثاني ــ صريحاً لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة: أنَّ دعاء الموتى، والنذر لهم، ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر، الذي بُعِث عليه النبي صلى الله عليه وسلم فكفَّر من لم يتب منه، وقاتله وعاداه. وآخر ما صرَّح به قوله آنفاً: وما نجا من شَرَك هذا الشِّرْك الأكبر إلا من عادى المشركين.. إلى آخره.

فتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل هذا الشرك، فإن لم يُعَادِهم فهو منهم، وإن لم يفعله. وقد ذكر في «الإقناع» عن الشيخ تقي الدين أنَّ من دعا عليَّ بن أبي طالب فهو كافر، ومن شكَّ في كفره فهو كافر. فإذا كان هذا حال من شكَّ في كفره ــ مع عداوته له ومقته له ــ فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يُعادِه؟ فكيف بمن أحبَّه؟ فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته، وتعذَّر: أنَّا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذَّر عن التبيين في العمل ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة؟ ولكن الأمر ــ كما تقدم عن عمر ــ إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية، فلهذا لم يفهم معنى القرآن، وأنه أشرُّ وأفسدُ من الذين قالوا: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا.

ومع هذا فكلام هؤلاء الكفَّار نفاق، وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون، وأن عَبَدة الأوثان أهلُ الحق والصواب، كما صرَّح به إمامهم في الرسالة التي أتتكم قبل هذه خطَّه بيده، ويقول: بيني وبينكم أهل هذه الأقطار، وهم خير أمة أخرجت للناس، وهم كذا وكذا. فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس فكيف يصفهم أيضاً بالشرك ومخالطتهم للحاجة؟ وما أحسن قول أصدق القائلين: ﴿ والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِف يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ــ بَلْ كَذَّبُوا بالحَقِّ لمَّا جَاءهم فَهُمْ في أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾.

فرحم الله امرأ نظر لنفسه؛ وتفكَّر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله: بمعاداة من أشرك بالله من قريب أو بعيد، وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله، وعَلِم بما حَكَم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادّعائه للإسلام، وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون: كعلي ابن أبي طالب وغيره، لما حرَّقهم بالنار، مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يُقْتَلون بالحريق؛ والله الموفق.

وقال أبو العباس ابن تَيْمِيَّة في الرد على المتكلمين ــ لما ذكر أحوال بعض أئمتهم ــ قال: وكل شرك في العالم إنما حدث برأي جنسهم، فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم يَنْهَ عنه، بل يُقِرُّ هؤلاء وهؤلاء وإن رجَّح الموحِّدين ترجيحاً ما، فقد يرجِّح غيرُه المشركين، وقد يُعْرِض عن الأمرين جميعاً.

فتدبَّر هذا فإنه نافع جداً. ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك، وكذلك الذين كانوا في مِلَّة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد، بل يسوِّغون الشرك، أو يأمرون به، أو لا يوجبون التوحيد. وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارِقة أنفسَ الأنبياء وغيرِهم ــ ما هو أصلُ الشرك. وهم إذا ادَّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول، لا بالعبادة والعمل. والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بدَّ فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله، وعبادته وحده لا شريك له؛ وهذا شيء لا يعرفونه، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل، وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة، بل لا بدَّ أن يعبد الله ويتخذه إلهاً دون ما سواه، وهو معنى قوله «لا إله إلا الله».

انتهى كلام الشيخ.

فتأمل رحمك الله هذا الكلام، فإنه مثل ما قال الشيخ فيه «نافع جداً» ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال من أقرَّ بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل، وقال بلسانه ما أُرِيدَ منه، ولكنه لا يدين بذلك: إمَّا بُغْضاً له أو عدم محبة ــ كما هو حال المنافقين الذين هم بين أظهرنا، وإمَّا إيثاراً لدنيا مثل تجارة وغيرها، فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه، كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ الآية، وقال: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إيمانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ ﴾، وقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾.

فإذا قال هؤلاء بألسنتهم: نشهد أن هذا دينُ اللهِ ورسوله، ونشهد أن المخالف له باطل، وأنه الشرك بالله ـــ غرَّ هذا الكلامُ ضعيفَ البصيرة وأعظم من هذا وأطمُّ أن أهل «حريملا» ومَنْ وراءهم يصرِّحون بمسبَّة الدين، وأن الحق ما عليه أكثر الناس، ويستدلُّون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين، ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الرِّدَّة وأفحشها. فإذا قالوا: التوحيد حقٌّ، والشرك باطل؛ وأيضاً لم يُحْدِثوا في بلدهم أوثاناً ـــ جادل الملحد عنهم وقال: إنهم يُقِرُّون أن هذا شرك، وأن التوحيد هو الحق. ولا يضرُّهم عنده ما هم عليه من السبِّ لدين الله، وبَغْيِ العِوَج له، ومدح الشرك، وذبِّهم دونه بالمال واليد واللسان. والله المستعان.

وقال أبو العباس أيضاً في الكلام على كفر مانع الزكاة: والصحابة لا يقولون: هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يُعْهَد عن الخلفاء والصحابة، بل قال الصِّدِّيق لعمر رضي الله عنهما: والله لو منعوني عناقاً[1] كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتُهم على منعها. فجعل المُبِيحَ للقتال مجرَّدَ المنع، لا جَحْدَ الوجوب؛ وقد رُوِي أن طوائف كانوا يقرُّون بالوجوب لكن بخلوا بها؛ ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي: قتل مقاتلتهم، وسَبْي ذراريِّهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسمُّوهم جميعهم أهلَ الرِّدَّة. وكان من أعظم فضائل الصِّدِّيق عندهم أنْ ثبَّته الله عند قتالهم، ولم يتوقَّف كما توقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله.

وأما قتال المُقرِّين بنبوَّة مُسَيْلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم.

انتهى.

---

(١) العناق: الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة.

فتأمل كلامه في تكفير المعين، والشهادة عليه -إذا قُتِل- بالنار، وسَبْي حريمه وأولاده عند منع الزكاة. فهذا الذي ينسبون عنه[1] أعداءُ الدين عدمَ تكفير المعين! قال رحمه الله بعد ذلك: وكُفْرُ هؤلاء وإدخالُهم في أهل الردَّة قد ثبت باتفاق الصحابة المستنِدِ إلى نصوص الكتاب والسنَّة.

انتهى كلامه.

ومن أعظم ما يجلو الإشكال في مسألة التكفير والقتال عند مَنْ قَصْدُه اتِّبَاعُ الحقّ -إجماعُ الصحابة على قتال مانعي الزكاة، وإدخالِهم في أهل الردَّة، وسَبْي ذراريِّهم، وفعْلِهم فيهم ما صحَّ عنهم. وهو أول قتالٍ وقع في الإسلام على من ادَّعى أنه من المسلمين. فهذه أول واقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع- أعني: المدّعين للإسلام. وهي أوضح الواقعات التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا.

وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل: لما صعبت التكاليف على الجُهَّال والطَّغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم. وهم عندي كفَّار بهذه الأوضاع، مثل: تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائج، وكَتْبِ الرقَاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وإلقاء الخِرَق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعُزَّى.

انتهى كلامه.

والمراد منه قوله: «وهم عندي كفار بهذه الأوضاع». وقال أيضاً: لقد عظَّم اللهُ الحيوانَ -لا سيَّما ابن آدم- حيث أباحه الشِّرْكَ عند الإكراه، فمن قدَّم حُرْمَة نفسك على حُرْمته حتى أباحك أن تتوقَّى عن نفسك بذكره بما لا

---

(١) أنظر ما سلف ص: ٤٢٦ في الحاشية.

ينبغي له سبحانه ـــ لحَقِيقٌ أن تعظِّم شعائرَه، وتوقِّر أوامرَه وزواجره، وعَصَمَ عِرْضَك بإيجاب الحدّ بقَذْفِك، وعَصَم مالَكَ بقطع يد مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقَّتك، وأقام مَسْحَ الخُفِّ مقامَ الرِّجْل إشفاقاً عليك من مشقة الخلع واللبس، وأباحك المَيْتَةَ سدّاً لرمَقك وحفظاً لصحتك، وزَجَرك عن مضارِّك بحدٍّ عاجل ووعيدٍ آجل، وخَرَق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك ـــ أيحسنُ بك مع هذا الإكرام أن تُرَى على ما نهاك منهمكاً وعمَّا أمرك مرتكباً، وعن داعيه مُعْرِضاً، ولداعي عدوِّك فيه مطيعاً؟ يعظِّمك[1] وهو هو! وتُهمل أمره وأنت أنت! هو حطَّ رُتَب عباده لأجلك، وأهبط على الأرض مَن امتنع مِن سجدةٍ يسجدها لك! هل عادَيْتَ خادماً طالت خدمته لك لترك صلاة؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي؟ فإن لم تعترف اعتراف العبيد للموالي فلا أقلَّ أن تقتضي نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المكافي المساوي! ما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان، بينا أن يكون بحضرة الحق ـــ وملائكة السماء سجودٌ له ـــ تترامى به الأحوال والجهالات إلى أن يوجَدَ ساجداً لصورةٍ في حجر، أو لشجرةٍ من الشجر، أو لشمسٍ أو لقمرٍ، أو لصورة ثور خائر أو لطائر صفر! ما أوحش زوال النِّعَم، وتغيُّر الأحوال، والحَوْر بعد الكَوْر[2]! لا يليق بهذا الحي الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن لا يُرَى إلا عابداً لله في دار التكليف، أو مجازى لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها ـــ انتهى كلامه.

والمراد أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله، ومثَّله بأنواع: منها السجود لشمسٍ أو لقمرٍ، ومنها السجود لصورة كما يسجد للصُّوَر التي في القِباب على القبور. والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض، وقد

---

(١) في المصورة ٢: ٤٣ «يعظك».

(٢) في الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور»، معناه: من النقصان بعد الزيادة، وقيل: معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها. وأصله: من نقض العمامة بعد لفها.

يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض، كما فُسِّرَ به قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا البَابَ سُجَّداً ﴾ قال ابن عباس: أي رُكَّعاً.

وقال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» في إنكار تعظيم القبور: وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنَّف بعض غُلاَتهم في ذلك كتاباً سمَّاه: «مناسك المشاهد»، ولا يخفَى أن هذا مفارَقةٌ لدين الإسلام، ودخولٌ في عبادة الأصنام. وهذا الذي ذكره ابن القيم رجلٌ من المصنِّفين يقال له: ابن المفيد. فقد رأيتَ ما قال فيه بعينه، فكيف ينكِر تكفير المعين.

وأما كلام أتباع سائر الأئمة في التكفير، فنذكر منه قليلاً من كثير:

وأما كلام الحنفية فكلامهم في هذا من أغلظ الكلام، حتى أنهم يكفِّرون المعين إذا قال: مُصَيْحِف أو مُسَيْجِد، أو صلّى صلاة بلا وضوء، ونحو ذلك. وقال في «النهر الفائق»: واعلم أن الشيخ قاسماً قال في «شرح درر البحار» إن النذر الذي يقع من أكثر العوامّ بأن يأتي إلى قبر بعض الصُّلَحاء قائلاً: يا سيِّدي فلان إن رُدَّ غائبي، أو عُوفِيَ مريضي، فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا ــ باطلٌ إجماعاً لوجوه... إلى أن قال: ومنها ظنُّ أن الميت يتصرَّف في الأمر، واعتقادُ هذا كفر... إلى أن قال: وقد ابتُلِي الناس بذلك، ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي ــ انتهى كلامه.

فانظر إلى تصريحه أنّ هذا كفر، مع قوله إنه يقع من أكثر العوام، وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته.

وقال القُرْطبي رحمه الله لما ذكر سماع الفقراء وصورته قال: هذا حرام بالإجماع، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال المِلّة أن مستحِلَّ هذا كافر. ولمّا عُلِم أن حُرْمته بالإجماع لَزِم أن يكفَّر مستحِلُّه، فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي نقل عنه في كفر من استحلَّ السماع، مع كونه دون ما نحن فيه بالإجماع بكثير كثير.

وقال أبو العباس رحمه الله: حدثني الخضيري عن والده الشيخ الخضيري، إمام الحنفية في زمانه، قال: كان فقهاء بُخَارَى يقولون في ابن سينا: كان كافراً ذكياً. فهذا إمام الحنفية في زمنه حكى عن فقهاء بخارى أنهم يقولون في ابن سينا، وهو رجل معيَّن مصنف يتظاهر بالإسلام.

وأما كلام المالكيَّة في هذا فهو أكثر من أن يُحْصَر، وقد اشتهر عن فقهائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التي لا يفطِنُ لها أكثرُ الناس. وقد ذكر القاضي عِيَاض في آخر كتاب «الشفاء» من ذلك طرفاً. ومما ذكروا أنَّ من حلف بغير الله على وجه التعظيم كَفَرَ. وكل هذا دون ما نحن فيه بما لا نِسْبة بينه و بينه.

وأما الشافعية فقال صاحب «الروض» رحمه الله: إن المسلم ـــ إذا ذبح للنبي صلى الله عليه وسلّم ـــ كَفَر. وقال أيضاً: من شكَّ في كُفْرِ طائفة ابن عَرَبي فهو كافر ـــ وكل هذا دون ما نحن فيه. وقال ابن حجر في «شرح الأربعين» في الكلام على حديث ابن عباس «إذا سألت فاسأل الله» ما معناه: أنه من دعا غير الله فهو كافر. وصنَّف في هذا النوع كتاباً مستقلاً سماه «الإعلام بقواطع الإسلام» ذكر فيه أنواعاً كثيرة من الأقوال والأعمال، كل واحد منها ذكَرَ أنه يُخْرِج من الإسلام، و يكفر به المعين؛ وغالبها لا يساوي عشر معشار ما نحن فيه.

وتمام الكلام في هذا أن يقال: الكلام هنا في مسألتين، الأولى ـــ أن يقال هذا الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين، ومع كثير من الأحياء[1]، والأموات، والجن: من التوجُّه إليهم، ودعائهم لكشف الضرّ والنذر لهم لأجل ذلك ـــ هل هو الشرك الأكبر الذي فعله قوم نوح ومَنْ بعدهم، إلى أن انتهى

---

(١) في المطبوعة ٢: ٣٤ والمصورة ٢: ٤٥ «الأخبار» وفي هامش المصورة: «لعله الأحياء».

الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريشٍ وغيرهم، فبعث الله الرسل، وأنزل الكتب، ينكر عليهم ذلك، و يكفِّرهم، و يأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله؟ أم هذا شرك أصغر، وشرك المتقدمين نوع غير هذا؟

فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهلٌ على من يسَّره الله عليه، بسبب أن علماء المشركين اليوم يُقِرُّون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه، إلا ما كان من مُسَيْلِمة الكذَّاب وأصحابه: كابن إسماعيل وابن خالد، مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم؛ فأكثر أحوالهم يقرُّون أنه الشرك الأكبر، ولكن يعتذرون أن أهله لم تبلغهم الدعوة، وتارةً يقولون: لا يكفر إلا من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وتارةً يقولون: إنه شرك أصغر، و ينسبونه إلى ابن القيم في «المدارج» كما تقدم، وتارةً لا يذكرون شيئاً من ذلك بل يعظِّمون أهله وطريقتهم في الجملة، وأنهم خير أمَّة أخرِجت للناس، وأنهم العلماء الذين يجب ردُّ الأمر عند التنازع إليهم، وغير ذلك من الأقاو يل المضطربة.

وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنَّة والإجماع، ومن أصرح ما يجابون به إقرارهم في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر، وأيضاً إقرار غيرهم من علماء الأقطار، مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد، لكن لم يجد بُدّاً من الإقرار به لوضوحه.

المسألة الثانية ــ الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر، لكن لا يكفَّر به إلا من أنكر الإسلام جملةً، وكذَّب الرسولَ والقرآن، واتَّبع يهوديةً أو نصرانيةً أو غيرهما. وهذا هو الذي يجادل به أهل الشرك والعناد في هذه الأوقات، وإلا المسألة الأولى قلَّ الجدال فيها ولله الحمد، لِمَا وقع من إقرار علماء الشرك بها.

فاعلم أن تصوُّر هذه المسألة تصوراً حسناً يكفي في إبطاله من غير دليل خاص، لوجهين:

الأول ـــ أن مُقتَضى قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير، لأن الإنسان إن انتقل عن المِلَّة إلى غيرها، وكذَّب الرسول والقرآن، فهو كافر، وإن لم يعبد الأوثان كاليهود. فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفَّر إذا أشرك الشرك الأكبر لأنه مسلم يقول: لا إله إلا الله، ويصلِّي ويفعل كذا وكذا ـــ لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير، يكون ذلك كالسَّواد في الخِلْقة والعَمَى والعَرَج؛ وإن كان صاحبها يدَّعِي الإسلام فهو مسلم، وإن ادَّعى مِلَّة غيرها فهو كافر! وهذه فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفظيع.

الوجه الثاني ـــ أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم ـــ كفرٌ صريح بالفِطَرِ والعقول والعلوم الضرورية، فلا يتصور أنك تقول لرجل ـــ ولو من أجهل الناس وأبلدهم: ما تقول فيمن عصَى الرسول، ولم يَنْقَدْ له في ترك عبادة الأوثان والشرك، مع أنه يدَّعِي أنه مُسْلِم مُتَّبع؟ إلا ويبادر بحسب الفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر، من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحدٍ من العلماء. ولكن لغلبة الجهل، وغرابة العلم، وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين ـــ اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبُّون الحق. فلا تحقِرْها، وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية لعل الله أن يمنَّ عليك بالإيمان الثابت ويجعلك أيضاً من الذين يهدون بأمره.

ومن أحسن ما يُزيل الإشكال فيها، ويَزيد المؤمن يقيناً: ما جرى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابِه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام، كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البَرَاء ومعه الراية إلى رجل تزوَّج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله؛ ومثل هَمِّه بغزو بني المُصْطَلِق لمّا قيل إنهم منعوا الزكاة؛ ومثل قتال الصِّدِّيق وأصحابه لمانعي الزكاة، وسَبْي ذراريِّهم، وغنيمةِ أموالهم، وتسميتهم مرتدِّين؛ ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قُدَامة بن مَظْعُون وأصحابه إنْ لم يتوبوا لمّا فهموا ـــ من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا﴾ ـــ حلَّ الخمر لبعض الخواصّ؛ ومثل إجماع الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد

الذين ذكروا كلمةً في نبوّة مُسَيْلمة مع أنهم لم يتَّبعوه، وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم؛ ومثل تحريق علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ أصحابَه لما غَلَوْا فيه؛ ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عُبَيْد ومن اتَّبعه، مع أنه يدّعي أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت؛ ومثل إجماع التابعين ومَنْ بَعْدَهم على قتل الجَعْد بن درْهم، وهو مشتهر بالعلم والدين؛ وهلمَّ جرّاً من وقائع لا تُعدُّ ولا تُحْصَى. ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره: كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون: لا إله إلا الله، ويصلون، ويزكُّون؟ وكذلك لم يستشكل أحدٌ تكفيرَ قُدَامة وأصحابه لو لم يتوبوا؛ وهلمَّ جرّاً إلى زمن بني عُبَيْد الذين ملكوا المغرب، ومصر، والشام، وغيرها، مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة، ونصب القضاة والمفتين ـــ لمّا أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا ـــ لم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقَّف فيه، وهم في زمن ابن الجوزي، وصنَّف ابن الجوزي كتاباً لمّا أخِذَت مصر منهم سماه «النصر على مصر».

ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئاً من ذلك، أو استشكله، لأجل ادّعائهم الملّة، أو لأجل قول «لا إله إلا الله»، أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام ـــ إلاَّ ما سمعنا من هؤلاء الملاعين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك، ولكن من فعله، أو حسَّنه، أو كان من أهله، أو ذمَّ التوحيد، أو حارب أهله لأجله، أو أبغضهم لأجله ـــ أنه لا يكفر لأنه يقول «لا إله إلا الله» أو لأنه يؤدِّي أركان الإسلام الخمسة! ويستدلُّون بأن النبي صلى الله عليه وسلم سمّاها الإسلام! هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلُّون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه. ولكن الأمر كما قال اليمني في قصيدته:

أحاديث لا تُعْزَى إلى عالمٍ فلا ... تُسَاوي فُلَيْساً إنْ رجعت إلى النَّقْدِ

ولنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال: باب

تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، ثم ذكر بإسناده قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَاتُ نِساء دَوْسٍ حول ذي الخَلَصَة» وذو الخَلَصة صَنَمٌ لدَوْس يعبدونه؛ فقال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبدالله: ألا تريحني من ذي الخَلَصَة! فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدّمه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، قال فبرك على خيل أحْمَسَ ورجالها خمساً. وعادة البخاري رحمه الله ــ إذا لم يكن الحديث على شرطه ــ ذكره في الترجمة، ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه، ولفظ الترجمة وهو قوله: يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان، لفظُ حديثٍ أخرجه غيره من الأئمة؛ والله سبحانه وتعالى أعلم.

ولنذكر من كلام الله ورسوله، وكلام أئمة العلم، جُمَلاً في جهاد القلب واللسان، ومعاداة أعداء الله، وموالاة أوليائه، وأن الدِّين لا يصحُّ ولا يَدْخُل الإنسانُ فيه إلا بذلك، فنقول:

باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾ وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الّذِين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾ إلى قوله ﴿كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والبَغْضَاء أبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا باللهِ وَحْدَه﴾، الآية، وقوله: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾.

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح: أخبرنا غيرُ واحدٍ أنَّ أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: اعلم يا أخي أنَّ ما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهلُ بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناسَ، وحُسْنِ حالك مما أظهرت من السنّة، وعيبِك لأهل البدْعة، وكثرةِ ذِكْرك لهم وطعنك عليهم،

فَقَمعهم الله بك، وشدَّ بك ظَهْرَ أهل السنَّة، وقوَّاك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم، فأذلَّهم الله بك، وصاروا ببدعتهم مستترين. فأبشر أي أخي بثواب ذلك، واعتدَّ به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد. وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحيا شيئاً من سنتي كنتُ أنا وهو كهاتين في الجنة» — وضمَّ بين إصبعيه. وقال: «أيُّمَا داعٍ دعا إلى هُدىً فاتُّبِع عليه كان له مثلُ أجْرِ من تَبعه إلى يوم القيامة» فمتى يدرك هذا أجر شيء من عمله؟ وذكر أيضاً «إن لله عند كل بدعة كِيْدَ بها أهل الإسلام وليًّا لله يذُبُّ عنها وينطق بعلامتها».

فاغتنم يا أخي هذا الفضل، وكن من أهله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لِمُعَاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه: «لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من كذا وكذا»؛ وعظَّم القول فيه. فاغتنمْ ذلك، وادْعُ إلى السنة، حتى يكون لك بذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إنْ حدث بك حَدَث؛ فيكونون أئمة بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة؛ كما جاء في الأثر.

فاعمل على بصيرة ونية وحسبة، فيردَّ الله بك المبتدع الفتون الزائغ الحائر، فتكون خَلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم، فإنك لن تلقى الله بعملٍ شبهه. وإياك أن يكون لك من أهل البِدَع أخ أو جليس أو صاحب، فإنه جاء الأثر «مَنْ جالَسَ صاحب بدعة نُزِعَتْ منه العِصْمة ووُكِلَ إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام»، وجاء «ما من إله يُعْبَد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى». وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صَرْفاً ولا عدلاً، ولا فريضةً ولا تطوُّعاً، وكلما ازدادوا اجتهاداً وصوماً وصلاةً ازدادوا من الله بُعْداً؛ فارفضْ مجالسهم وأذِلَّهُم وأبْعِدْهم، كما أبعدهم الله، وأذلَّهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده — انتهى.

واعلم رحمك الله أن كلامه، وما يأتي من كلام أمثاله من السَّلَف في معاداة أهل البدع والضلال ضلالة لا تُخْرِج من المِلّة، لكنهم شدّدُوا في ذلك وحذّروا منه لأمرين:

الأول ـــ غلظ البدعة في الدين في نفسها، فهي عندهم أجلُّ من الكبائر، يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبائر كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم ـــ ولو كان عالماً أو عابداً ـــ أبغض وأشد من السُّنِّيّ المجاهر بالكبائر.

الأمر الثاني ـــ أن البِدَع تجرُّ إلى الردّة الصريحة، كما وجد من كثير من أهل البدع. فمثال البدعة التي شدّدوا فيها مثال تشديد النبي صلى الله عليه وسلم على من عبَدَ اللهَ عند قبر رجل صالح مما وقع من الشرك الصريح الذي يصيِّر المسلمَ مرتدًّا. فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردّة ومجاهدة أهلها، والنفاق الأكبر ومجاهدة أهله؛ وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المُحْكَمَات مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾، الآية؛ وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيّ جَاهِدِ الكُفَّار﴾الآية.

وقال ابن وضاح في كتاب «البدع والحوادث» بعد حديث ذكره: أنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبي والأموال، وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال ـــ انتهى كلامه.

وقال رحمه الله أيضاً: أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال: قال ابن مسعود «إن لله عند كل بدعة كِيدَ بها أهل الإسلام وليّاً من أوليائه يذبُّ عنها، وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكلوا على الله». قال ابن المبارك ﴿وَكَفَى بالله وَكِيلاً﴾. ثم ذكر بإسناده عن بعض السَّلَف قال «لَئن أرُدَّ رجلاً عن رأي سيِّىء أحَبُّ إليَّ من اعتكاف شهر».

أخبرنا أسد، عن أبي إسحاق الحذَّاء، عن الأوزاعي، قال: كان بعض أهل العلم يقول: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صياماً ولا صدقةً ولا جهاداً ولا حجًّا ولا صرفاً ولا عدلاً؛ وكانت أسلافكم تشتدُّ عليهم ألسنتهم، وتشمئز منهم قلوبهم، ويحذِّرون الناسَ بدعتهم؛ قال: ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس، ما كان لأحد أن يهتك عنهم ستراً، ولا يُظهِر منهم عَوْرةً الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها؛ وأمَّا إذا جهروا فنَشْرُ العلم حياةٌ والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصرٍّ بإلحاده.

ثم روى بإسناده قال: جاء رجل إلى حُذَيفة، وأبو موسى الأشعري قاعد، فقال: أرأيت رجلاً قاعداً ضرب بسيفه غضباً لله حتى قُتِل، أفي الجنة هو أم في النار؟ قال أبو موسى: في الجنة. فقال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه ما تقول، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فلما كان في الثالثة قال: والله لا نستفهمه. فدعا به حذيفة فقال: رويدك إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار. ثم قال: والذي نفسي بيده ليدخلن النار مثل الذي سئلت عنه أكثر من كذا وكذا.

ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال: لا تجالس صاحب بدعة فإنه يُمْرِض قلبك.

ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره؛ وإما أن يقع في قلبه شيء، فيزلَّ به، فيُدخِله النار؛ وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي؛ فمن أمن الله على دينه طَرْفةَ عينٍ سلبه إياه.

ثم ذكر بإسناده عن بعض السَّلَف قال: من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام. أخبرنا أسد قال، أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال،

قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما تعرفون. قال أيوب: وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب.

أخبرنا أسد عن محمد بن طلحة قال، قال إبراهيم: لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإني أخاف عليكم أن ترتدّ قلوبكم.

أخبرنا أسد بالإسناد عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

أخبرنا أسد، أخبرنا مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن أيوب قال: دخل على محمد بن سيرين يوماً رجلٌ فقال: يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله، لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج. فوضع إصبعه في أذنيه ثم قال: أحرِّج عليك إن كنت مسلماً لما خرجت من بيتي. قال، فقال: يا أبا بكر إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج. قال، فقال بإزاره يشدُّه عليه وتهيأ للقيام، فأقبلنا على الرجل فقلنا: قد حرّج عليك إلاَّ خرجتَ، أفيحلُّ لك أن تخرج رجلاً من بيته؟ قال فخرج. فقلنا: يا أبا بكر ما عليك لو قرأ آية ثم خرج؟ قال: إني والله لو ظننتُ أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ، ولكني خفت أن يُلْقِي في قلبي شيئاً أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع.

أخبرنا أسد قال، أخبرني حمزة، عن سودة قال: سمعت عبدالله بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو أشر منه. قال فذكرت هذا لبعض أصحابنا، فقال: تصديقه في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم «يمرقون من الدين مروق السَّهم من الرَّمِيَّة ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فُوْقه».

أخبرنا أسد قال، أخبرني موسى بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن أيوب قال: كان رجل يرى رأياً فرجع عنه، فأتيت محمداً فرِحاً بذلك أخبره. فقال: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظروا إلى ماذا يتحول، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه. ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حَصاة بيضاء فوضعها في كفه، ثم قال: إن هذا الدين قد استضاء استضاءة هذه. ثم أخذ كفًّا من تراب فجعل يذرُّه على الحصاة حتى واراها، ثم قال: والذي نفسي بيده ليجيئنّ أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة.

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبي الدرداء قال: لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم اليوم ما عرف شيئاً مما كان عليه وهو وأصحابه، إلا الصلاة. قال الأوزاعي: فكيف كان اليوم؟ قال عيسى —يعني الراوي عن الأوزاعي—: فكيف لو أدرك الأوزاعيُّ هذا الزمان؟

أخبرنا محمد بن سليمان بإسناده عن علي قال: «تعلّموا العلم تُعْرَفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله؛ فإنه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم».

أخبرنا يحيى بن يحيى بإسناده عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركتُ عليه الناس إلا النداء بالصلاة.

حدثني إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال: ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس قولكم لا إله إلا الله.

أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول، ثم بُعِث اليوم، ما عرف من الإسلام شيئاً. قال ووضع يده على خده، ثم قال: إلا هذه الصلاة. ثم قال: أما والله لمن عاش في هذه النكر، أو لم يدرك هذا

السلف الصالح، فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيماً، فكذلك فكونوا إن شاء الله.

حدثني عبدالله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران قال: لو أن رجلاً نُشِرفيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القِبْلَة.

أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت: دخل عليَّ أبو الدرداء مغضباً، فقلت له: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً — وفي لفظ: لو أن رجلاً يعلم الإسلام وأهمه ثم تفقَّده ما عرف منه شيئاً.

حدثني إبراهيم بإسناده عن عبدالله بن عمرو قال: لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا[1] بمصحفهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه.

قال مالك — وبلغني أن أبا هريرة تلا قوله تعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ — فقال: والذي نفسي بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً.

قف وتأمل رحمك الله إذا كان هذا في زمن التابعين، بحضرة أواخر الصحابة، فيكف يَغُرُّ المسلمَ الكثرةُ، أو تشكل عليه ولا يستدلُّ بها على الباطل؟

ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبي أمية قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني

(١) هكذا في الأصل؛ والفعل واوي، ولم يرد يائياً، فحقه أن يكون «خلوا».

فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالى ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: أما والله لقد سألتَ بها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحًّا مُطاعاً، وهَوًى مُتَّبعاً، ودنيا مُؤْثَرَة، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه ـ فعليك بنفسك، ودَعْ أمر العوامّ. فإن من ورائكم أياماً الصبرُ فيهن مثل قبضٍ على الجمر؛ للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله. قيل: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم».

ثم روى بإسناده عن عبدالله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «طُوْبَى للغرباء» ثلاثاً. قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: أناس صالحون قليلٌ في ناس سوء كثير، من يبغضهم أكثر ممن يحبهم.

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يُتْرَك، ويعملون بالسنَّة حين تُطْفَأ».

أخبرنا أسد، عن سالم بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بدأ الإسلام غريباً ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس، ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس».

أخبرنا أسد بإسناده عن عبدالله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطُوبَى للغرباء. فقيل: وما الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يَصْلُحون عند فساد الناس».

هذا آخر ما نقلته من كتاب «الحوادث والبدع» للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله تعالى.

قال المؤلف: وتأمل رحمك الله تعالى أحاديث الغربة، وبعضها في الصحيح مع كثرتها وشهرتها؛ وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم: الإسلام في زماننا أغرب منه في أول ظهوره. فتأمل هذا تأملاً جيداً لعلك أن تسلم من الهوّة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس، وهي الاقتداء بالأكثر والسوادِ الأكبر، والنُّفْرةُ من الأقلّ، فما أقل من سلم منها، ما أقلّه! ما أقلّه!

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنّته، ويقتدون بأمره —وفي رواية: يهتدون بهَدْيه ويستنُّون بسنته— ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خَرْدَل».

انتهى ما نقلته والحمدلله رب العالمين.

وقد رأيت للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن إلى بعض إخوانه —لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن— أحببتُ أن أنقل أولها لعظيم منفعته، قال:

الحمدلله، نستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهُدَى ودين الحق ليُظْهِرَه على الدين كلِّه، وكفى بالله شهيداً؛ صلى الله عليه وسلم تسليماً.

أما بعد؛ فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين

الناسكين القدوتين، أيَّدهما الله وسائرَ الإخوان بروح منه، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأدخلهم مُدْخَل صدقٍ، وأخرجهم مُخْرَج صدق، وجعل لهم من لدنه ما يتمُّ به من السلطان: سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان، وسلطان القدرة والنصرة بالسنان والأعوان. وجعلهم من أوليائه المتقين، وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران، ومن أئمة المتَّقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان. والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن، لكن على ما اقتضت ومضت به سنّتُه من الابتلاء والامتحان، الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان؛ إذ قد دلَّ على أن لا بد من الفتنة لكل من ادَّعى الإيمان، والعقوبةِ لذوي السيئات والطغيان، فقال تعالى: ﴿ألم. أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِين مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِين. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أن يَسْبِقُونا؟ ساء ما يَحْكُمُون﴾. فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب، أو أن مدَّعِيَ الإيمان يُتْرَك بلا فتنة تميِّز بين الصادق والكاذب.

وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله، فقال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ: آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُون الَّذِينَ آمَنُوا بالله ورَسُوله ثُمّ لَمْ يَرْتَابُوا وجَاهَدُوا بأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ في سَبِيلِ الله أولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون﴾. وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة التي يعبد الله فيها على حَرْفٍ ــ وهو: الجانب والطَّرَف الذي لا يستقرُّ من هو عليه ــ بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾، الآية. وقد قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِين﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَم المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِين وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾. وأخبر سبحانه أنه عند وجود

المرتدّين لا بد من وجود المحبِّين المحبوبين المجاهدين، فقال تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾، الآية. وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان، الصابرون على الامتحان، كما قال تعالى: ﴿ومَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسُلُ أفائِنْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقَابِكُمْ﴾. فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضي له من القضاء خيراً له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سرَّاء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء فصبر كان خيراً له». والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه. ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشرّ حال؛ وكل واحدة من السراء والضراء في حقه تُفْضِيَ به إلى قبح المآل، فيكف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من مِحَنِ الأنبياء والصِّدِّيقين، وفيها تثبيت أصول الدين، وحفظ الإيمان والقرآن، من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان؟

فالحمدلله حمداً كثيراً طيِّباً مبارَكاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله. والله المسئول أن يثبِّتكم وسائرَ المؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة، ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة، وينصر دينه وكتابَه ورسولَه وعبادَه المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمَرَنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين.

انتهى كلام أبي العباس رحمه الله.

ومن جواب له رحمه الله — لما سئل عن الحشيشة: ما يجب على من يدَّعي أن أكلها جائز؟ فقال:

أكل هذه الحشيشة حرام، وهي من أخبث الخبائث المحرَّمة سواء أكل منها كثيراً أو قليلاً، لكن الكثير منها المُسْكرَ حرامٌ باتفاق المسلمين. ومن استحلَّ ذلك فهو كافرٌ يُسْتَتاب، فإن تاب، وإلاَّ قُتِل كافراً مرتدًّا لا يُغسل، ولا يُصلَّى

عليه، ولا يُدْفَن بين المسلمين ــ وحكم المرتدّ شرٌ من حكم اليهود والنصارى ــ سواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصَّة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر، وأنها تحرِّك العزم الساكن، وتنفع في الطريق. وكان بعض السلف ظن أن الخمر تباح للخاصَّة، متأوِّلاً قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾. فاتَّفق عُمَرُ وعليٌّ وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم: إن أقرُّوا بالتحريم جُلِدوا، وإن أصرُّوا على الاستحلال قُتِلوا. ــ انتهى ما نقلته من كلام الشيخ.

فتأمل كلام هذا الذي يُنسبُ إليه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسبِّ دين الأنبياء؛ وصار مع أهل الشرك، ويزعم أنهم على الحق، ويأمر بالمصير معهم، وينكر على من لا يسبُّ التوحيد، ويدخل مع المشركين ــ لأجل انتسابه إلى الإسلام؛ انظر كيف كفَّر المعين، ولو كان عابداً، باستحلال الحشيشة، ولو زعم حِلَّها للخاصة التي تُعِينهم على الفكرة؛ واستدلَّ بإجماع الصحابة على تكفير قُدَامة وأصحابه إن لم يتوبوا. وكلامه في المعين وكلام الصحابة في المعين، فكيف بما نحن فيه مما لا يساوي استحلالُ الحشيشة جزءاً من ألف جزء منه؟

والحمدلله رب العالمين.

انتهى.

الفصل الثاني

المسائل

المسألة الأولى*

سئل رحمه الله عن معنى «لا إله إلا الله»، فأجاب بقوله:

اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التَّقْوى، وهي العُرْوة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم ﴿كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ وليس المراد قولَها[1] باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها ـ وهم تحت الكفار في الدَّرْك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدَّقون؛ ولكن المراد قولها[1] مع معرفتها بالقلب، ومحبّتها ومحبّة أهلها، وبُغْض ما[2] خالفها ومعاداته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً» وفي رواية «خالصاً من قلبه» وفي رواية «صادقاً من قلبه»، وفي حديث آخر «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَد من دون الله»، إلى غير ذلك من الأحاديث الدَّالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات: نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات، حتى محمدٍ صلى الله عليه وسلم، حتى جبريل[3]، فضلاً عن غيرهما من الأولياء والصالحين[4].

إذا فهمتَ ذلك فتأمَّل هذه الألوهية التي أثبتّها لله ونفيتها[5] عن محمد وجبريل وغيرهما: أن يكون لهم منها مثقال حبة خردل ــ فاعلم أن هذه

---

* انظر: مجموعة التوحيد النجدية: ٢٥٠، والدرر السنية ٢: ٥٨.

(١) في المخطوطة: ١٢١، والمطبوعة ١: ١٧٥، والمصورة ١: ٢٣١: «بقولها»، وأثبتنا ما في المجموعة والدرر.

(٢) في المجموعة: «من خالفها».

(٣) في الدرر: «ومن الملائكة حتى جبريل».

(٤) في المجموعة: ٢٥٠: «والصالحين وإثباتها لله عز وجل».

(٥) في المجموعة، والدرر ٢: ٥٩: «... هذه الألوهية التي أثبتها الله لنفسه ونفاها عن ...».

الألوهية هي التي تسمِّيها العامة في زماننا: السر والولاية. والإله معناه الوَليّ الذي فيه السرّ، وهو الذي يسمُّونه الفقراء «الشيخ»[1] و يسمونه العامة «السيد»، وأشباه هذا. وذلك أنهم يظنُّون أن الله جعل لخواصّ الخَلْق منزلةً يرضى أن الإنسان يلتجىء إليهم، و يرجوهم، و يستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه و بين الله.

فالذي يزعم أهلُ الشرك في زماننا أنهم وسائط هم الذين يسمُّونهم الأولون الآلهة، والواسطة هو الإله، فقول الرجل: «لا إله إلا الله» إبطالٌ للوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفةً تامّةً فذلك بأمرين:

الأول ــ أن تعرف أن الكفَّار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتلهم، ونهب أموالهم، واستحلّ نساءهم ــ كانوا مُقِرِّين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو: أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ، أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصَارَ، وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمْرَ؟ فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾.

وهذه مسألة عظيمة مُهِمَّة، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كلِّه، ومقرُّون به، ومع هذا لم يُدْخِلهم ذلك في الإسلام، ولم يحرِّم دماءهم وأموالهم؛ وكانوا أيضاً يتصدَّقون، ويحجُّون، و يعتمرون، و يتعبَّدون، و يتركون أشياء من المحرَّمات خوفاً من الله عزَّ وجلَّ.

ولكن الأمر الثاني هو الذي كفَّرهم وأحلّ دماءهم وأموالهم؛ وهو أنهم لم يَشْهَدُوا لله بتوحيد الألوهية، وهو: أنه لا يُدْعَى ولا يُرْجَى إلا الله وحده، لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذْبَح لغيره، ولا يُنْذَر لغيره: لا مَلَكٍ مُقَرَّب

(١) في المجموعة، والدرر: «الذي يسمونه الفقير والشيخ».

ولا نبيٌّ مُرْسَل. فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر؛ وأشباه ذلك.

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يَدْعُون الصالحين، مثل: الملائكة، وعيسى، وعُزَيْر، وغيرهم من الأولياء ــ فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر.

إذا عرفتَ هذا عرفت معنى «لا إله إلا الله»، وعرفت أنَّ من نَخَا[1] نبياً أو ملكاً، أو ندبه، أو استغاث به ــ فقد خرج من الإسلام؛ وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبِّر، لكنْ هؤلاء الصالحون مُقَرَّبون، ونحن ندعوهم، وننذر لهم، وندخل عليهم[2]، ونستغيث بهم ــ نريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن الله هو المدبر. فقل: كلامُكَ هذا مذهبُ أبي جهل وأمثاله، فإنهم يَدْعُون: عيسى وعُزَيْراً والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾، وقال تعالى: ﴿وَ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤلاء شُفَعَاؤُنا عِنْدَ اللهِ﴾.

فإذا تأمَّلتَ هذا تأملاً جيِّداً عرفتَ أن الكفَّار يشهدون لله بتوحيد الربوبية، وهو: التفرُّدُ بالخلق والرزق والتدبير؛ فهم ينخون[3] عيسى والملائكة والأولياء، يقصدون أنهم يقرِّبونهم إلى الله، ويشفعون لهم عنده، وعرفت أن الكفار ــ خصوصاً النصارى ــ منهم من يعبد الله الليلَ والنهار، ويزهد في الدنيا،

---

(١) في المطبوعة ١ : ١٧٦ «ناجى» وهو خطأ واضح. ونخاه: دعاه واستغاث به واستعانه.

(٢) ندخل عليهم: نستجير بهم.

(٣) في المطبوعة ١ : ١٧٧ «يناجون» وهو تصحيف.

ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلاً في صومعة عن الناس؛ ومع هذا هو كافر، عدوٌّ لله، مخلَّد في النار، بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء: يَدْعُوه، ويذبح له، وينذر له — فقد تبيَّن لك كيف صِفَةُ الإسلام الذي دعا إليه نبيك صلى الله عليه وسلم، وتبيَّن لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزِل، وتبيَّن لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

فالله َالله َيا إخواني، تمسَّكوا بأصل دينكم، وأوَّله وآخره وأسَّه ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله؛ واعرفوا معناها، وأحبُّوها، وأحبُّوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفرُوا بالطَّواغيت وعادُوهم وأبْغِضُوهم، وأبغضوا من أحبَّهم وجادل عنهم أو لم يكفرهم وقال: ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلَّفني الله بهم — فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلَّفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

فالله َالله َ تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً. اللهم توفَّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكَرها الله في كتابه تُبيِّن لك أن كُفْرَ المشركين من أهل زماننا أعظمُ كفراً من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: ﴿وإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوْنَ إلاَّ إيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إلىَ الْبَرِّ أعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾. فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم — إذا مسَّهم الضرُّ — تركوا السادة والمشايخ، فلم يَدْعُوا أحداً منهم، ولم يستغيثوا به، بل أخلصوا لله وحده لا شريك له، واستغاثوا به وحده؛ فإذا جاء الرَّخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا — ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة — إذا مسَّه الضرُّ قام يستغيث بغير الله، مثل: معروف، أو عبد القادر الجيلاني، وأجَلّ من هؤلاء مثل: زيد بن الخطاب، والزبير، وأجلّ من هؤلاء مثل: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالله

المستعان. وأعظم من ذلك وأطمُّ أنهم يستغيثون بالطواغيت والكَفَرة والمَرَدة مثل: شمسان، وإدريس[1]، و يوسف، وأمثالهم.

والله سبحانه أعلم.

---

(١) في المجموعة: ٢٥٣ «وإدريس (و يقال له : الأشقر) و يوسف... ».

المسألة الثانية

سئل رحمه الله عن قوله تعالى في سورة هود: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾.

فأجاب بقوله:

ذُكِر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه، فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من: صدقةٍ وصلةٍ، وإحسان إلى الناس، ونحو ذلك؛ وكذلك: ترك ظلمٍ أو كلام في عِرْض، مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصاً لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، وإنما يريد أن يجازَى به بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ونحو ذلك. ولا همة لهم في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطَى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس، وقد غلط فيه بعض مشايخنا بسبب عبارة ذكرها في «الإقناع» في أول «باب النية» لما قسم الإخلاص إلى مراتب وذكر هذا، ظن أنه يسمَّى إخلاصاً مدحاً له، وليس كذلك، وإنما أراد أنه [لا][1] يسمى رياء، وإلا فهو عمل حابط في الآخرة.

النوع الثاني، وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أن الآية نزلت فيه، وهو: أن يعمل أعمالاً صالحة ونيَّتُه رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة. ولما[2] ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين أول من تُسْعَر بهم النار، وهم: الذي تعلّم العلم ليقال عالم، وتصدّق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع؛ فبكى معاوية بكاء شديداً، ثم قرأ هذه الآية.

---

(١) زيادة من المخطوطة: ١٢٣.

(٢) في المطبوعة ١: ١٧٨ «وكما ذكر».

النوع الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة و يقصد بها مالاً، مثل: الحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم. فقد ذكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم» إلى آخر الحديث[1].

وكما يتعلم الرجل العلم لأجل مدارسة أهله، أو مكسبهم، أو رياستهم؛ أو يتعلم القرآن، أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيراً — وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم: عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل. والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا الخير الكثير العظيم الدائم وهو: الجنة، ولم يرهبوا من الشر العظيم وهو: النار.

النوع الرابع: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام، مثل: اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدّقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شِرْك أو كُفْرٌ أكبر يخرجهم من الإسلام بالكليّة — إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لأنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام تمنع قبول أعمالهم. فهذا النوع أيضاً قد ذُكِر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها. قال بعضهم: لو أعلم أن الله يقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول: ﴿إنما يتقبل الله من

---

(١) في المطبوعة: «تعس عبد الدينار، إلى آخره». ومن هنا حتى ص ١٨٧ سطر ١٤ من المطبوعة ساقط من المصورة. وقد ذكر في هامش المطبوعة ما يلي: «سقط من أصل الطبعة الأولى أربع كراريس، وأثبتناها هنا، وهي من قوله: «إلى آخره» إلى قوله «وقال الشيخ رحمه الله ورضي عنه: قوله تعالى: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) الآية. عبد المحسن أبا بطين».
وهذا السقط موجود مستوفى في المخطوطة من ص: ١٢٣.

المتقين﴾. فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمكث والمال ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثر فصارت الدنيا أكبر قصده ولذلك قبل قصد الدنيا. وذلك القليل كأنه لم يكن كقوله صلى الله عليه وسلم «فإنك لم تصل». والأول أطاع الله ابتغاء وجه الله، لكن أراد الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال، مثل ما يقول الفسقة فصح أن يقال قصد الدنيا. والثاني والثالث واضح، لكن بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً كثيرة أو قليلة قاصداً بها الدنيا مثل: أن يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع، فهو لما غلب عليه عنهما. وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخُلَّص وأهل النار الخُلَّص ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله. ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال وأما الفرق بين الحبوط والبطلان فلا أعلم بينهما فرقاً.

والله أعلم.

المسألة الثالثة*

قال رحمه الله:

سألني الشريف عما نقاتل عليه وعما نكفِّر به الرجل، فأجبته، وبينت له أيضاً الكذب الذي بهت به الأعداء؛ فسألني أن أكتب له. فأقول:

أركان الإسلام الخمسة أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة. فالأربعة، إذا أقرَّ بها وتركها تهاوناً، فنحن ـ وإن قاتلناه على فعلها ـ فلا نكفِّره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود. ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان.

وأيضاً نكفِّره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول: أعداؤنا على أنواع.

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس، وأقرّ أيضاً أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس ـ هي الشرك بالله الذي بعث الله رسولَه ينهى عنه ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله ـ ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلّمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك. فهذا كافر نقاتله بكفره، لأنه عرف دين الرسول فلم يتّبعه، وعرف دين الشِّرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك ولا يزيِّنه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك كله ولكنه تبين في سب دين الرسول مع ادّعائه[1] أنه عامل به، وتبين في مدح من عَبَد يوسف والأشقر[2] ومن عَبَد أبا علي

---

* انظر الدرر السنية ١: ٥١-٥٢.

(١) في المطبوعة ١: ١٨٠ «مع أعدائه» والتصويب من المخطوطة: ١٢٤ والدرر ٢: ٥٢.

(٢) في المطبوعة: «والأشعري» والتصويب من المخطوطة والدرر.

والخضر من أهل الكويت، وفضّلهم على من وحّد الله وترك الشرك. فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جاءهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ على الكافرين ﴾ وهو ممن قال الله فيه ﴿ وإنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أئمَّة الكُفْرِ إنهم لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُون ﴾ .

النوع الثالث: من عرف التوحيد وأحبه واتبعه. وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد ويحبّ من بقي على الشرك. فهذا أيضاً كافر، وهو ممن ورد فيه قوله تعالى: ﴿ذلكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أعْمالَهُمْ ﴾

النوع الرابع: من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده مصرّحون بعداوة التوحيد واتباع [أهل][1] الشرك وساعون في قتالهم و يتعذر أنَّ تَرْكَهُ وطَنه يشقّ عليه[2]، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه. فهذا أيضاً كافر: فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم ــ فعل، ولو يأمرونه بتزوّج امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بمخالفتهم ــ فعل. وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله ــ مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله ــ أكبر من ذلك بكثير [كثير][3]. فهذا أيضاً كافر، وهو ممن قال الله فيهم ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم﴾ إلى قوله: ﴿سلطاناً مبيناً﴾. فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنا نكفّر من لم يكفر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه. فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدّون به الناس عن

---

(١) زيادة من المخطوطة والدرر.

(٢) في المطبوعة «و يتعذر عليهم تركه وظنه....» والتصويب من المخطوطة والدرر. و يتعذر هنا بمعنى: يعتذر.

(٣) في المطبوعة: «أكثر ممن ذكر لكثير» وهو خطأ واضح. والتصويب والزيادة من المخطوطة: ١٢٤.

دين الله ورسوله. وإذا كنا لا نكفِّر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم وعدم من ينبههم[1] فكيف نكفِّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾. بل نكفِّر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادّتهم الله ورسوله. فرحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاقٍ الله الذي عنده الجنة والنار.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) في المطبوعة ١ : ١٨١ «وعدم من يفهمهم» وأثبتنا ما في المخطوطة والدرر.

المسألة الرابعة

سأل ثنيان بن سعود عن قوله تبارك وتعالى: «فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك» وعن الحديث المذكور في مسند أحمد «أن نوحاً عليه السلام نهى بنيه عن الشرك وأمرهم ب«لا إله إلا الله».

فأجاب بقوله:

من محمد بن عبد الوهاب إلى ثنيان بن سعود.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد سألتم عن معنى قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾، وكونها نزلت بعد الهجرة فهذا مصداق كلامي لكم مراراً عديدة: أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان. وذلك أن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكراراً عليكم وهي التي بُوِّب لها الباب الثاني في «كتاب التوحيد»، وذلك أن العالم لا يسمَّى عالماً إلا إذا أثمر فيه العلم، فإذا لم يثمر فهو جاهل، كما قال تعالى: ﴿إنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَمَاء﴾ وقال عن يعقوب: ﴿وإنَّه لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾. والكلام في تقرير هذا يطول. إذا ثبت أن العلم هو الذي يستلزم العمل فمعلوم أن تفاضل الناس في الأعمال تفاضلٌ لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم. ويكفيك في هذا استدلال الصِّدِّيق على عمر في قصة أبي جندل مع كونها من أشكل المسائل التي وقعت في الأوَّلين والآخرين بشهادة أن محمداً رسول الله. وسر المسألة أن العلم بـ «لا إله إلا الله» ليس أمراً واحداً لا يتفاضل، بل تفاضُلُ الناس في هذه المسألة لا يعلمه إلا الله، وشبه هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قَدِير. أَلَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللهَ له مُلْكُ السَّمٰواتِ والأرض﴾ فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلاً عن غيرهم.

وأما نهي نوح عليه السلام بَنيه عن الشرك، وأمرهم بـ «لا إله إلا الله» فليس هذا تكراراً، بل هذان أصلان مستقلاَّن كبيران، وإن كانا متلازمين. فالنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت، و «لا إله إلا الله» الإيمانَ بالله. وهذا وإن كان متلازماً فنوضحه لكم. والواقع أن كثيراً من الناس يقول: لا أعبد إلا الله، وأنا أشهد بكذا وأقرُّ بكذا، و يكثر الكلام. فإذا قيل له: ما تقول في فلان وفلان إذا عبد وعبد من دون الله؟ قال: ما عليَّ من الناس، الله أعلم بحالهم. و يظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه. فمن أحسن الاقتران أن الله قرن بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت والبداءة بالكفر به على الإيمان بالله؛ وقرن أيضاً بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، مع أن الوصية بـ «لا إله إلا الله» ملازمة للذكر بهذه اللفظة والإكثار منها، وتبين عظمة قدرها، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ على غيرها من السور، وذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصدها؛ وكذلك حديث موسى عليه السلام فإن في ذلك ما يقتضي كثرة الذكر بهذه الكلمة، كما في الحديث «أفضل الذكر: لا إله إلا الله».

ثم أنتم في أمان الله وحفظه، والسلام.

المسألة الخامسة

سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم في أول إسلامهما عن قول الشيخ تقي الدين: من جحد ما جاء به الرسول وقامت به الحجة فهو كافر.

فأجاب بقوله:

إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم.

سلام عليكم ورحمة الله، وبعد؛

فما ذكرتموه من قول الشيخ: من جحد كذا وكذا، وأنكم شاكُّون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من العجب العجاب، كيف تشكُّون في هذا وقد وضَّحتُه لكم مراراً؟ فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهدٍ بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خَفِيَّة، مثل: الصرف والعطف، فلا يكفر حتى يعرف. وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هي القرآن: فمن بلغه فقد بلغته الحجة. ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرِّقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أم تَحْسَبُ أنَّ أكْثَرَهُمْ يَسْمَعُون أو يَعْقِلُون إنْ هُمْ إلاَّ كالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبِيلاً﴾.

وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر. فإن أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»، وقوله: «شرُّ قَتْلَى تحت أديم السماء» مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم. ومع الإجماع أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والاجتهاد وهم يظنون أنهم

مطيعون لله، وقد بلغتهم الحجة. ولكن لم يفهموها. وكذلك قَتْلُ عليٍّ رضي الله عنه الذين اعتقدوا فيه وتحريقُهم بالنار، مع كونهم تلاميذ الصحابة ومع عبادتهم وصلاحهم وصيامهم، وهم أيضاً يظنون أنهم على حق. وكذلك إجماع السلف على تكفير ناس من غُلاَة القدرية وغيرهم، مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم، مع كونهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً. ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل أنهم لم يفهموا، فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا.

إذا علمتم ذلك فهذا الذي أنتم فيه، وهو: الشك في أناس يعبدون الطواغيت، و يعادون دين الإسلام، و يزعمون أنه ردّة لأجل أنهم ما فهموا — كل هذا أظهر وأبين مما تقدّم إلا الذين حرقهم عليٌّ فإنه يشابه هذا.

وأما إرسال كلام الشافعية أو غيرهم فلا يتصور أن يأتيكم أوضح مما أتاكم. فإن كان عليكم بعض الإشكال فارغبوا إلى الله أن يزيله عنكم.

وأيضاً ذكر لي محمد بن سليمان أنه جرى عندكم مسألتان، الأولى: صورة المقاصَّة، يريد بعض الناس أن يحتال على المَنْهيِّ عنه من بيع الطعام قبل قبضه، و يقول الخشيد[1] إذا جاء بدراهم التمر: بعها عليَّ بتمر قدر الذي في ذمته؛ ثم يتساقطان، ويجعل هذه من المقاصة المباحة. وكذلك ذكروا إذا اشترى منه سلعة وشرط عليه أن يوفيه بها صح العقد وفسد الشرط: أن بعض الناس يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدَّيْن الذي في ذمته ديناً آخر، و ينسب الصحة إلى «الإقناع» و «المنتهى» وهما من أشد الناس كلاماً وتحريماً لمثل هذا، حتى إنهما يحرِّمان صوراً مع كون المتعاقدين لم يقصدا الحيلة لئلا يتخذ ذريعة مثل العينة وغيرها. وأنا ذكرت لكم مراراً: إذا ادَّعى أحد في هذا وأمثاله الجوازَ فاسألوا عن الحيل المحرمة التي هي مخادعة لله: ما معناها وما صورتها.

(١) في المخطوطة: ١٢٦ «و يقول للخشير».

مثال ذلك: أنك لو تسألني عن رجل اشترى منك سلعة بعشرين مشخصاً ــ وهي تساوي العشرين ثياباً أو طعاماً أو غيرهم ــ قلت لك: هذا صحيح بالإجماع. فإذا سألتني عن إبرائه من العشرين مشخصاً بعد ما ثبتت في ذمته، قلت: هذا من الإحسان بالإجماع. فإذا قلت: إنه لم يشتر مني ولم أبرئه إلا لأنه يريد أن يقرضني مائتي مشخص بربح عشرين وقال لي: هذا ربا لا يصح، ولكن بِعْني سلعة تساوي عشرين ثم بعد ذلك أبرئني منها. قلت لك: هذا صريح الربا والمخادعة لله بلا شك. وكذلك أشباه هذه الصورة. فالذي يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة، أو يجعل بيع السلعة ليوفيه بها حيلة إلى أجل كون رأس مال المسلم ديناً مع تصريحهم بتحريمه بلا هذه الحيلة، اسألوه ما الفرق بين هاتين الصورتين و بين تلك فإنه لا يجد فرقاً إلا بالمكابرة[1].

وهنا فائدة ينبغي التنبه لها، وهي: أن الحيل على الربا قد نشأتم عليها أنتم ومشايخكم، و يسمونها: التصحيح، والأمور التي نشأ الإنسان عليها صعبٌ عليه مفارقتها بالكلية، والاستجابة لله والرسول، وترك مذهب الآباء وما عليه المشايخ إنه عظيم لا يوافق عليه أكثر الخلق. فأمر الحيل ومسائله مثل أمر الشرك، فكما أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة، ولم تفهموه كله إلى الآن، كذلك الحيل لأجل نشأتكم عليها وتسميتها[2] التصحيح تحتاج منكم إلى نظر وفطنة. فأكثروا التدبر لها والمطالعة والتمثيل في «إغاثة اللهفان» وغيرها.

والله أعلم.

---

(١) هذه العبارة في المطبوعة ١ : ١٨٣ كما يلي: « .. ليوفيه بها حيلة إلى كون رأس السلم ديناً مع تصريحهم بتحريمه بل هذه الحيلة، اسألوه ما الفرق بين هذه الصورة و بين تلك .. ».

(٢) في المطبوعة ١ : ١٨٤ « وتسو يتها ».

المسألة السادسة

سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذي ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشي والمرتشي. وذلك أنه وقع بينه وبين سليمان بن سحيم مجادلة في ذلك.

فقال الشيخ رحمه الله في الجواب:

سألتم رحمكم الله عن رشوة الحاكم الذي ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشي والمرتشي، وذكر له أن بعض الناس حملها على ما إذا حكم الحاكم بغير الحق، وأما إذا أخذ رشوة من صاحب الحق وحكم له به فهي حلال، مستدلًّا بقوله صلى الله عليه وسلم: «أحق ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله»، وأنكم استدللتم بقوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ وأجابكم بأنها نزلت في كعب بن الأشرف، وبأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولّى الأمر درهمين كل يوم، وكذلك قول من قال لا أحكم بينكما إلا بجُعْل.

فأقول: أما صورة المسألة فهي أشهر من أن تُذْكر، بل هي تعلم بالاضطرار فإن حكَّام زماننا ــ لما أخذوا الرشوة ــ أنكرتْ عليهم العقول والفطر بما جبلها الله من غير أن يعلموا أن الشارع نهى عنها، ولكن إذا جادل المنافق بالباطل فربما يروج على المؤمن فيحتاج إلى كشف الشبهة، فنقدم قبل الجواب مقدمة، وهي:

إن الله سبحانه لما أظهر شيئاً من نور النبوة في هذا الزمان، وعرف العامة شيئاً من الإسلام ــ وافق أنه قد ترأس على الناس رجال من أجهل العالمين وأبعدهم من معرفة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وقد صاروا في الرياسة بالباطل وفي أكل أموال الناس، ويدَّعون أنهم يعملون بالشرع، ولا يعرفون شيئاً من الدين إلا شيئاً من كلام بعض الفقهاء في البيع والإجارة والوقف والمواريث، وكذلك في المياه والصلاة، ولا يميزون حقه من باطله، ولا يعرفون مستند قائله.

وأما العلم الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا منه خبراً، ولم يقفوا منه على عين ولا أثر، فقد تزاحمت بهم الظنون ﴿وتَقَطَّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْن﴾.

ومصداق هذا كله أن الداعي ــ لما أمرهم بتوحيد الله ونهاهم عن عبادة المخلوقين ــ أنكروا ذلك، وأعظموه، وزعموا أنه جهالة وضلالة، مع كون هذه المسألة أبْيَنَ في دين محمد صلى الله عليه وسلم من كون العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً؛ بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى ذلك ودلّ عليه وقاتل عليه. فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتدّ إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك، وزعموا أنه دين ومذهب خامس، وأنهم لم يسمعوه من مشائخهم ومن قبلهم.

وبالجملة فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة:

الأولى ــ أنهم لا يعرفونه مع كونهم يظنون أنهم من العلماء.

الثانية ــ أنه فيه مألف عادة نشأوا عليها، ومخالفة العادات شديدة.

الثالثة ــ أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم، وقد أشْرِبوا حُبّه، كما أشربت بنو إسرائيل حبَّ العِجْل.

الرابعة ــ أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرّمة الملعونة.

إلى غير ذلك من الأمور التي يبتلي الله بها العباد.

فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم، وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألسنتهم، فلما غلظ الأمر وبهرهم[1] نور النبوة ولم يجىء على

---

(١) في المطبوعة ١: ١٨٥ «وبعدهم» وهو خطأ، صوابه من المخطوطة: ١٢٧.

عادتهم الفاسدة، فتفرَّقوا فيه كما تفرَّق إخوانهم الأولون، فبعضهم قال: مذهب ابن تيمية، كمالمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أبي كَبْشَة. وبعضهم قال: كتب باطلة، كقولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ وبعضهم قال: هذا يريد الرياسة، كما قالوا: ﴿أجِئْتَنا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءنا وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاء في الأَرْضِ﴾. وتارة يرمون المؤمنين بالمعاصي، كما قالوا لنوح فأجابهم بقوله: ﴿وما عِلْمِي بما كانُوا يَعْمَلُون﴾. وتارة يرمونه بالسفاهة ونقص العقل، كما قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ كما آمَنَ السُّفَهَاء﴾، فأجابهم الله تعالى: ﴿ألاَ إنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء﴾ الآية. وتارة يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بأفعالهم التي خالفت العادات، كقوله تعالى: ﴿إنَّ الذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمنُوا يَضْحَكُون﴾ وتارة يكذبون عليهم الأكاذيب العظيمة، كقوله: ﴿فَقَدْ جَاءوا ظُلْماً وزُوْراً﴾. وتارة يرمون دين [الإسلام][1] بما يوجد في بعض المنتسبين إليه من رثاثة الفهم والمسكنة، كما قالوا: ﴿ما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾. وتارة تقَطَّعُ قلوبهم من الحسرة والغيظ إذا رأوا الله رفع بهذا الدين أقواماً ووضع به آخرين، كقولهم: ﴿أهؤلاء مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾. إلى غير ذلك من الأمور التي يطول ذكرها.

وبالجملة فمن شرح الله صدره للإسلام ورزقه نوراً يمشي به في الناس، بيِّنَتْ له هذه الأمور التي وقعت في وقتنا هذا كثيراً من معاني القرآن، وتبين له شيء من حكمة الله في ترداد هذا في كتابه لشدة الحاجة إليه. فيقال لهؤلاء المردة آكلي أموال الناس بالباطل ومُذْهِبي أديانهم مع أموالهم ما قال عمر بن عبد العزيز: «رويداً يا ابن بُنَانة[2] فلو التقت حَلْقتا البِطَان ورُدَّ الفيء إلى أهله لأتفرَّغنَّ لك ولأهل بيتك حتى أدعهم على المَحَجَّة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأوضعتم في الباطل».

---

(١) في المطبوعة ١: ١٨٥ «وتارة يرمون دين ما يوجد....» والتصويب والزيادة من المخطوطة: ١٢٨.

(٢) في الأصول «نباتة» وهو خطأ. وابن بنانة هو عمر بن الوليد بن عبد الملك؛ وانظر الخبر كاملا في «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم، الطبعة الثانية، ص: ١٢٧-١٢٨ وفيه اختلاف عما هنا.

وأما المسألة والجواب عنها فنقول:

قد عُلِمَ بالكتاب والسنة والفِطَر والعقول تحريمُ الرشوة وقبحها. والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل. وهذه يسلمها لك منازعك. وهي أيضاً ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه، بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة، فهذه حرام، منهيٌّ عنها بالإجماع، ملعون من أخذها، فمن ادَّعى حِلَّها فقد خالف الإجماع.

وقوله: بأي شريعة حكمت بتحريم هذا؟ فنقول: حكمتْ به شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع على ذلك علماء أمته، وأحل ذلك المرتشون الملعونون. ومن أنواع الرشوة: الهدايا التي تُدْفع إلى الحاكم بسبب الحكم ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر؛ لا أعلم أحداً من العلماء رخَّص في مثل هذا. والعجب إذا كان في كتابكم الذي تحكمون فيه: يجب العدل بين الخصمين في لَحْظِهِ ولَفْظِهِ ومجلسه وكلامه والدخول عليه؛ فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين، وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له؟ سبحان الله أيّ[1] شريعة حكمت بحلّ هذا[2]؟ أم أي عقل أجازه؟ ما أجهل من يجادل في مثل هذا، وأقلَّ حياءه، وأقوى وجهه! وأما أدلته التي استدل بها فلا تنس قوله تعالى: ﴿فأمَّا الذين في قلوبِهم زَيْغٌ﴾ الآية. ولما جادل النصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألوهية عيسى، واحتجُّوا عليه بشيء من القرآن، وكذلك الخوارج يستدلون على باطلهم بمتشابه القرآن، وكذلك الذين ضربوا الإمام أحمد يستدلُّون عليه بشيء من متشابه القرآن، وما أنزل ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ إلا لما يعلم من حاجة عباده إليها.

---

(١) في المطبوعة ١: ١٨٦ «أين شريعة».

(٢) في المخطوطة: ١٢٨ «أي شريعة أحكمت هذا؟ أم أي».

وأما استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله «أحقُّ ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله» فجوابه من وجوه:

الأول — أن المؤمنين إذا فسَّروا شيئاً من القرآن بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وكلام المفسرين ليس لهم فيه إلا النقل — اشتد نكيرهم عليهم، وتقول: القرآن لا يحل لكم تفسيره، ولا يعرفه إلا المجتهدون؛ وتارة تفتري الكذب وتقول: إن ابن عباس إذا أراد أن يفسره خرج إلى البرِّيَّة خوفاً من العذاب؛ وأمثال هذه الأباطيل والخرافات. ومرادهم بذلك سد الباب، فلا يفتح لهم طريق إلى هذا الخير، فيكون نقلنا لكلام المفسِّرين مُنْكَراً، وتفسيرُك كتابَ الله على هواك وتحريفُك الكَلِمَ عن مواضعه حسناً! هذا من أعجب العجاب!

الوجه الثاني — أن هذا لو كان على ما أوَّلْته فهو في الأخذ على كتاب الله، وأنتم متبرئون من معرفة كتاب الله والحكم به، وشاهدون على أنفسكم بذلك.

الوجه الثالث — أن هذا لو كان فيما ذهبت إليه لكان مخصوصاً بتحريم الرشوة التي أجمع الصحابة على تحريمها.

الوجه الرابع — أن حمل الحديث على هذا من الفِرْية الظاهرة والكذب البحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن معنى ذلك في الإنسان الذي يداوي المريض بالقرآن فيأخذ على الطب والدواء، لا على الحكم وإيصال الحق إلى مستحقِّه. ويدل عليه اللفظ الآخر «كل فتى أكل بِرُقْيَة باطل فقد أكل برقية حق» والقصة شاهدة بذلك توضحه.

الوجه الخامس — وهو أن يقال لهذا الجاهل الجهل المركب: من استدل قبلك بهذا الحديث على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه يجوز له أن يشترط لنفسه شرطين، فإن حصل له، وإلا لم يفعل؟ فإن وجده في كتاب

فليبين مأخذه. وما ظنُّه بأهل العلم الأولين والآخرين الذين أجمعوا على ذلك؟ لا يجوز أن يظن أن إجماعهم باطل وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو!

وأمَّا استدلاله بأن الناس فرضوا لأبي بكر رضي الله عنه لمَّا ولي عليهم كلَّ يوم درهمين، فهذا من جهله، ومثل هذا مثل من يدَّعي حِلَّ الزِّنا الذي لا شُبْهة فيه، ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطأون زوجاتهم! وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء! وذلك أن استدلاله بقصة أبي بكر رضي الله عنه تدل على شدة جهله بحال السلف الصالح، فإن النبي[1] صلى الله عليه وسلم كان يعطي العُمَّال من بيت المال، وكان الخلفاء الراشدون يأكلون من بيت المال ويفرضون لعُمَّالهم، ولا أعلم عاملاً في زمن الخلفاء الراشدين [لا][2] يأكل من ذلك، بل الزكاة التي هي للفقراء جعل الله فيها نصيباً للعُمَّال الأغنياء، ولكن أبا بكر رضي الله عنه لما ولي واشتغل بالخلافة عن[3] الحرفة، وضع رأس ماله في بيت المال، واحترف للمسلمين فيه، فأكل بسبب وضع ماله في بيت المال وبسبب الحرفة، فأين هذا من أكل الرشوة التي حرمها الله ورسوله؟ وأين هذا من الحاكم الذي إذا وقعت الخصومة فأكثرهم برطيلاً يغلب صاحبه؟[4] ﴿سُبْحَانَكَ هذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾. فإن قالوا: لما عدم بيت المال أكلنا من هذا. قلنا: هذا مثل من يقول: أنا أزني لأني أعزب لا زوجة لي. فهو هذا من غير مجازفة. وقولهم: نفعل هذا لأجل مصلحة الناس. فنقول: ما على الناس أضر من إبليس ومنكم، أذهبتم دنياهم وآخرتهم والناس يشهدون عليكم بذلك. هؤلاء أهل شقرا[5] شرطوا

(١) إلى هنا انتهى الجزء الساقط في المصورة.
(٢) زيادة من المخطوطة: ١٢٩ والمصورة ١: ٢٣٧.
(٣) في المطبوعة ١: ١٨٧ «في الحرفة».
(٤) في المطبوعة ١: ١٨٧ «إذا وقعت الخصومة كان أكثرهم باطلاً»، والصواب من المخطوطة: ١٢٨ والمصورة ١: ٢٣٧.
(٥) في المطبوعة: «أهل شقة» وصوابه من المخطوطة والمصورة.

لابن إسماعيل [كلَّ سنة][1] ثلاثة وثلاثين أحمر، ويسكت عن الناس ويريحهم من أذاه، ولا يحكم بين اثنين، ولا يفتي؛ فلم يفعل واختار حرفته الأولى.

وأما جوابه لمن استدل عليه ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ بقوله نزلت في كعب بن الأشرف. فهذا ترس قد أعدَّه الجُهَّال الضُّلاَّل لردِّ كلام الله — إذا قال لهم أحد: قال الله كذا؛ قالوا: نزلت في اليهود، ونزلت في النصارى، نزلت في فلان.

وجواب هذه الشبهة الجاهلة الظالمة الفاسدة من وجوه:

الأول — أن يقال: معلوم أن القرآن نزل بأسباب، فإن كان لا يُسْتَدَلُّ به إلا في تلك الأسباب بطل استدلاله، وهذا خروج من الدين.

الثاني — أنك تقول: لا يجوز لنا تفسير القرآن، فكيف فسَّرْتَ هذه الآية بأنها خاصة بابن الأشرف؟

[الثالث] — من نقلت عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت في رجل كافر أنها لا تعمُّ من عمل بها من المسلمين؟ من قال بهذا القول قبلك؟ وعمن نقلته؟

الرابع — أن هذا خروج من الإجماع، فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلّون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها، ولكنْ هؤلاء الجاهلون الظالمون الذين يحاجُّون[2] في الله من بعد ما استجيب له — حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضَب، ولهم عذاب شديد.

فأما الكلام في الطواغيت، مثل: إدريس وآل شمسان، فالكلام على هذا

(١) زيادة من المخطوطة والمصورة ١: ٢٣٧.

(٢) في المطبوعة ١: ١٨٨ «يجادلون في الله».

طويل. ولكن هؤلاء الذين يخاصمونك لا يعبأون بكلام الله ولا كلام رسوله شيئاً، ولا عندكم [إلا][1] ما في كتابهم، فقل: إذا كان كتابكم قد صرَّح تصريحاً لا مزيد عليه، ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فِعْلِ هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم والمال، وقد صرح بأن من شكَّ في كفرهم فهو كافر، فكيف إذا مَدَحهم وأثنى عليهم؟ فكيف إذا ضمَّ إلى ذلك مَدْحَ طريقتهم مثل ما يفعله ناس من الظالمين في الرياض: يمدحون طريقتهم ويمدحونهم و يذمُّون دين الإسلام و يسبُّونه وأهله و يسمُّونهم[2] السبابة؛ ومنهم من ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض و يَدْعُون إليه. وهؤلاء عند المجادل الذي يدَّعي أنه يعرف «الإقناع» و يعمل به من الخواصّ، ولو يقال لا يُصلَّى خلفهم، ولا تُقْبَل شهادتهم، وأنهم فَسَقة ــ لأنكر علينا هذا الذي يدَّعي أنه فقيه، بل هم أحبابه وأصحابه وأنصاره؛ فكيف لو يقال: إنهم كُفّار مرتدُّون يجب قتلهم إن لم يتوبوا! فخاصِمْه بكتابه[3]؛ فإنْ بيَّن من العبارات غير ما فهمنا فيذكره بدليله، وإن زعم أن كتابه باطل فيذكر الدليل على بطلانه، وإن ذكر جواباً آخر يريد أن يجمع بين كتابه وبين عدم تكفير هؤلاء فهو كمن يريد أن يجمع بين المجوسية والإسلام، فإن قال: ما رأيناهم فعلوا؛ قلنا: وأنت أيضاً ما رأيت فرعون ولا هامان كفروا، ولا رأيت أبا جهل وأبا لهب، ولا رأيت ظُلْمَ الحجَّاج، ولا رأيت الذين ضربوا الإمام أحمد، وأنت تشهد بهذا كله! فإن قال: هذا متواتر؛ قلنا: وكُفْرُ هؤلاء وادِّعاؤهم الربوبية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء، وهم الآن يعبدون و يدعون الناس إلى ذلك، ومع هذا كله ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ومَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً ــ ومَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾ ولكن إذا أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين فلا بدَّ من ذلك.

والله أعلم.

---

(١) زيادة من المخطوطة: ١٣٠ والمصورة.

(٢) في المطبوعة ١: ١٨٨ «و يسمونه».

(٣) في المطبوعة ١: ١٨٨ «إن لم يتوبوا في صمة فإن بين...» والصواب من المخطوطة والمصورة.

المسألة السابعة

سئل رحمه الله عن هذه المسائل المفيدة:

الأولى ــ إذا رأينا حديثاً في بعض الكتب مثل «الآداب» أو «شرح الأربعين» لابن حجر الهيتمي أو «المنازل» أو «المشارق» أو «الإقناع» أو «المنتهى»، ونسبه صاحبه إلى الصحيحين أو بعض المساند ــ هل يسوغ الأخذ به والعمل به ولو لم نقف على الأصل؟

الثانية ــ إذا وجدنا روايتين عن الإمام أحمد مختلفتين، أو أقوالاً للأصحاب مختلفة، وكلٌّ يُدْلي بدليل؛ هي يجوز العمل بكل منهما؟ وإذا حكى بعض العلماء مثل صاحب «الفروع» أو غيره كلاماً للإمام أحمد أو للأصحاب وأمثالهم في مسألة، ولم يذكر استدلالهم على ذلك بشيء، أو ذكر أن فلاناً قال كذا وفلاناً قال كذا بضد القول الأول ــ ما الحكم في ذلك؟ إذا قال: الصحيح أو المذهب كذا، هل يعمل به؟

الثالثة ــ إذا فسَّر بعض الأصحاب معنى حديث واستدلَّ به على حكم، وفسَّره آخر بضده واستدل به على حكم يقابل الأول، أو نقل عن الإمام تفسير حديث أو نقل آخر عنه ضدَّه مثل حديث «الإغلاق» قال ابن القيِّم عن الإمام أحمد [أنه فسَّره بالغضب، ونقل غيره أنه ــ أي الإمام أحمد ــ فسَّره][1] بالإكراه.

الرابعة ــ قولهم: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وعلى من اجتهد أو قلّد مجتهداً حيًّا أو ميتاً، وإذا ورد حديثان متضادان في الحكم مثل حديث «القُلَّتيْن» و «بئر بُضاعةَ» ذكر بعض العلماء أن حديث «بئر بضاعة» مُطْلَق، وحديث «القلتين» مقيَّد، فيحمل المطلق على المقيد، وذكر غيره أن هذا

---

(١) زيادة من المخطوطة: ١٣٠ والمصورة ١: ٢٤٠.

ـــأي حديث القلتين ـــ [بالمفهوم والمطلق منطوق ما يسوغ لمثلنا، وحديث القلتين][1] استدلوا على صحته وأن غيره يُحْمَل عليه بأنه عليه السلام سئل عن إناء ولغ فيه كلب فأمر بإراقته، ولم يسأل هل تغيَّر أم لا.

الخامسة ـــ الثلاث طلقات المجموعة ذكر الشيخ منصور في شرح «الإقناع» وقوعها، يروى عن ابن عباس وعن عمر وعليّ وابن مسعود وابن عمر قال وعن مالك بن الحارث قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال إن عمي طلق امرأته ثلاثاً، فقال إن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً. وروى النَّسائي بإسناده عن محمود بن لبيد قال «أُخْبِر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً طلَّق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فغضب، وقال: أيُلْعَب بكتاب الله وأنا بين أظهركم! حتى قام رجل فقال: يا رسول الله أفلا أقتله» انتهى. وأما ما روى طاووس عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلافة أبي بكر، وصدر من خلافة عمر: «الثلاث واحدة» إلى آخره، فقال الأشرم سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس: بأي شيء أدفعه؟ قال: ادفعه برواية الناس عن ابن عباس بوجوه خلافه، ثم ذكر عن ابن عباس خلافه من وجوه أنها ثلاث. انتهى.

السادسة ـــ قول أهل العلم: إن اتفاق الأئمة حجة واختلافهم رحمة، فما معنى كون اختلافهم رحمة؟ واحتج بهذه من اتبع [بعض][2] المجتهدين.

السابعة ـــ الحلف بالطلاق، ذكر الشيخ منصور في شرح «الإقناع» نقلاً عن «اختيارات» أبي العباس، قال: [قال][3] أبو العباس: تأملت نصوص أحمد فرأيته يأمر باعتزال الرجل امرأته في كل يمين حلف الرجل عليها. انتهى.

(١) زيادة من المخطوطة والمصورة ١: ٢٤٠.
(٢) زيادة من المخطوطة: ١٣١ والمصورة ١: ٢٤١.
(٣) زيادة من المخطوطة.

فهذا من أبي العباس يدل على أن مذهب الإمام أحمد يدل على صحة الحلف بالطلاق.

الثامنة ـ مسألة الوقف على الأولاد، ذكر مصنف «المنتهى» في شرحه عن «مسند الحميدي»: «أن أبا بكر وسعداً وعمرو بن العاص وحكيم بن حزام تصدقوا على أولادهم بدور المدينة».

التاسعة ـ قوله تبارك وتعالى: ﴿يَظُنُّونَ باللهِ غَيْرَ الحقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾، وقوله: ﴿الظَّانِّينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾، وقوله ﴿وذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾، ما معنى سوء الظن بالله؟ وقوله ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوْءاً يُجْزَ بِهِ﴾ ما معناه؟ وما معنى إدخال البخاري إياه في كتاب الطب؟ وكذلك الحديث الذي أورده «من من مسلم يصيبه أذى»، فإن فسرتم «الأذى» بجميع المكروهات كما هو المشهور من معنى اللفظ الأخير «ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولا حزن ولا أذى» فعَطَف «الأذى» على ما تقدم، والعطف يقتضي المغايرة، هل المراد: [المسلم][1] الذي لم يصدر منه شرك بالكلية أم لا؟ وما معنى قولهم: من الشرك التصنُّع للمخلوق وخوفه ورجاؤه؟ وهل المراد به: الشرك الأكبر أو الأصغر؟ وقوله: «أنا عند ظنِّ عبدي بي إنْ ظنَّ بي خيراً فله وإن ظنَّ بي شرًّا فله» ما معناه؟ والحديث الذي فيه النهي عن قيل وقال وعن كثرة السؤال وإضاعة المال، وقوله عليه السلام «الشؤم في ثلاثة: في المرأة والدار[2] والفرس» ما معناه؟ وترك الخارص الثلث أو الربع هل هو صحيح أم لا؟ فإن قلتم: لا، فما معنى الحديث الذي استدل به من جوَّزه وهو قوله للعباس: هي عليَّ ومثلها معها؟ وقوله «الماهر في القرآن مع السَّفَرة الكرام البَرَرة والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران» هل المراد: حفظ حروفه ويحصل الفضل بذلك أم لا؟

---

(١) زيادة من المخطوطة: ١٣١ المصورة ١: ٢٤١. وقد وردت في المطبوعة خطأً في السطر التالي بعد قوله «للمخلوق».

(٢) في المطبوعة ١: ١٩٠ «في المرأة والولد والفرس».

والحفظ مع فهم المعاني؟ وما معنى المشقة والتعاهد؟ وما معنى «طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة» أفتونا مأجورين.

فأجاب رحمه الله:

اعلم ـ أرشدك الله ـ أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى الذي هو العلم النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح، إذا كان من ينتسب إلى الدين: منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويصول به كالفقهاء، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين. ومن أعظم ما امتنّ الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى؛ وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة. ومن فهم هذه المسألة فهماً جيداً فهم قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلم، إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة. فعلم منه بطلان كل مُحْدَث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما أوصانا بقوله: «عليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثات الأمور، فإن كل مُحْدَثة بِدْعة وكل بدعة ضلالة». وفهم أيضاً معنى قوله ﴿فإنْ تَنَازَعْتُمْ في شيء فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ﴾ فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نردّ ما تنازعنا فيه إلى الله أي إلى كتابه[1]، وإلى الرسول أي إلى سنته ـ علمنا قطعاً أن من ردّ إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع.

وهذه كلمات يسيرة تحتاج إلى بسط طويل وتشير إلى حظ جليل، وإنما قدّمتها لأن من عرفها انجلى عنه إشكالات كثيرة في مسائل لا تحصر، منها بعض هذه المسائل المسئول عنها، من ذلك جواب:

---

(١) في المطبوعة ١: ١٩١ «أي في كتابه».

المسألة الثانية: إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: في محل النزاع التراد إلى الله والرسول، لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام أصحابه، ولا إلى الراجح المرجَّح من الروايتين والقولين، خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً. وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل، فالدلائل الصحيحة لا تتناقض، بل يصدِّق بعضُها بعضاً، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل: إما استدل بحديث لا يصحُّ، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً.

وبالجملة، فمتى[1] رأيت الاختلاف فرُدَّه إلى الله والرسول، فإذا تبيَّن لك الحق فاتَّبعه، فإن لم يتبيَّن واحتجت إلى العمل فقلِّد من تثق بعلمه ودينه، وهل يتخيَّر الرجل عند ذلك أو يتحرَّى أو يقلِّد: الأعلم أو الأورع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه.

فتبين بهذا جواب المسألة الثانية والثالثة والرابعة.

وأما المسألة الأولى: فإن كان صاحب الكتاب[2] ثقة مأموناً، ونسبه إلى الصحيحين وغيرهما جاز العمل بقوله، ولا أحد منع ذلك.

وأما المسألة الخامسة وهي قول من قال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد. فجوابها يُعْلَم من القاعدة المتقدِّمة. فإن أراد القائل مسائل الخلاف كلها فهذا باطل يخالفه إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف أو أخطأ كائناً من كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم. وإذا كان الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق وأمرنا باتِّباعه[3] وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئاً نُبِّه[4] على خطئه، وأُنْكِر عليه.

---

(١) في المطبوعة ١: ١٩١: «فمهما».

(٢) في المطبوعة ١: ١٩١ «صاحب الدلائل».

(٣) في المطبوعة: «بالتباعد».

(٤) في المطبوعة: «أن من خالف من العلماء مخطئاً فيه على خطئه».

وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح، لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم لا يجوز أن ينكر إلا بعلم. وهذا كله داخل في قوله تعالى ﴿ولا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

وأما المسألة السادسة، وهي قولك: إذا ورد حديثان متضادّان مثل حديث «القُلَّتَيْن» وحديث «بئر بُضَاعَةَ» ألخ. وهذه عبارة لا ينبغي أن تقال[1]، وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد، بل كله حقٌّ يصدِّق بعضُه بعضاً. والواجب على المؤمن [في][2] مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله ويقول كما أمر الله ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾. فإذا تبين له الحق فليقل به وليعمل به، وإلا فلْيُمْسِك ولْيَقُل: اللهُ ورسولُه أعلم. فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم، ليعلم من يقف حيث وقفه الله، ومن يقول على الله بلا علم. نعم قد يرد حديثان متضادان، ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخاً، لكنه قليل جدًّا، ومع ذلك لا يرد المنسوخ إلا وقد يرد ما يثبته.

وأما قولك: ما يسوغ لمثلنا؛ فالذي يسوغ بل يجب ما وصفتُ لك: وهو طلب عِلْمِ ما أنزل الله على رسوله، وردّ ما تنازع فيه المسلمون [إليه][3] فإنْ علّمه الله شيئاً فليقل به، وإلا فليُمْسِك، ويقول: الله أعلم؛ ويجعله من العلم الذي لا يعرفه. فلو بلغ الإنسان في العلم[4] ما بلغ لكان ما علمه قليلاً بالنسبة إلى ما لم يعلمه. وقد قال تعالى: ﴿وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَليلاً﴾.

---

(١) في المطبوعة: «لا ينبغي إلى أن قال».
(٢) زيادة من المخطوطة: ١٣٢ والمصورة ١: ٢٤٤.
(٣) زيادة من المخطوطة: ١٣٣ والمصورة ١: ٢٤٤.
(٤) في المطبوعة «فلو بلغ الإنسان في العلم ما علمه ما بلغ ...».

وأما المسألة السابعة فكونها مروية عن الصحابة فمسلَّم، ويكفي في ذلك ما ورد عن المحدَّث الملهم الذي أمِرْنا باتِّباع سنَّته: ثاني الخلفاء عمر بن الخطاب، ولكن ليس في هذا ما يردُّ القول الآخر. وأما الحديث: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم» فهذا يدلُّ على أن جمع الثلاث لا يجوز، وأما كونه ألزم بها فلم يذكر في الحديث؛ والذي يقول إنها واحدة لا يقول إن التلفظ بها يجوز بل يقول هو مُنْكَرٌ من القول وزُور، كما في الحديث. وأما ردُّ الإمام أحمد، رحمه الله، ذلك بما خالفه راويه له، فهذه مبنية على مسألة أصولية وهي: أن الصحابي إذا أفتى بخلاف ما روي: هل يُقْدَح فيه؟ والصحيح أنه لا يقدح فيه، فإن الحجة في روايته لا في رأيه. وبالجملة فالمسألة مسألة طويلة لعل المذاكرة تقع فيها شفاهاً.

وأما المسألة الثامنة وهي قول من قال: اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة، فليس المراد به الأئمة الأربعة بإجماع الأئمة كلهم، وهم علماء الأمة. وأما قولهم: اختلافهم رحمة، فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفُرْقَة عذاب، كما قال تعالى: ﴿ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأبيّاً اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد — صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أيّ[1] فتياكم يصدر المسلمون؟ لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامي[2] هذا إلا فعلت وفعلت. لكن قد روي عن بعض التابعين أنه قال: ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للناس، لأنهم — لو لم يختلفوا — لم يكن رخصة. ومراده شيء آخر غير ما نحن فيه؛ ومع هذا فهو قول مستدرك لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة.

---

(١) في المطبوعة ١: ١٩٣: «ففي أبي فتياكم» والتصويب من المخطوطة: ١٣٣ والمصورة ١: ٢٤٥.

(٢) في المطبوعة «قيامي».

وأما المسألة التاسعة: وهي مسألة الحلف بالطلاق، فغاية ما ذكره أنه مذهب أحمد، ومذهب غيره يخالفه، ومن كانت الحجة معه فهو المصيب.

وأما مسألة الوقف فالكلام فيها طويل يحتاج إلى مذاكرة. وبالجملة فلا ننكر إلا ما خالف أمر الله ورسوله وطريقة الصحابة وأتباعهم. وأما ما فعله الصحابة فعلى الرأس والعين.

وأما قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ باللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾ وقوله: ﴿الظَّانِّينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ فقد بسط الكلام عليها في الهدى على وقعة أحد، وقد فسره بأشياء كثيرة نقولها ونعتقدها ولا نظن إلا أنها عقل وصواب، فتأمل كلامه تأملاً جيداً. وأما قوله: ﴿من يَعْمَل سُوْءاً يُجْزَ به﴾ وإدخال البخاري لها في كتاب الطب، فمراد البخاري أن هذه الأمراض التي يكرهها العبد هي مما يكفر الله بها عن المؤمن سيئاته ويطهّره بها، لأن قوله: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ عامٌّ في جزاء الدنيا والآخرة. وأما إدخاله هذا في كتاب الطب فواضح، وأهل العلم يذكرون في الباب ما هو أبعد من هذا تعلُّقاً واستطراداً.

وأما قوله «ما من مسلم يصيبه أذى» فهو عامٌّ. وأما عطف الأذى على الوَصَب والنصب والهمّ فمن عطف العام على الخاص، وهو كثير جدًّا في كلام العرب وفي كلامنا.

وأما سؤالكم: هل هذا في المسلم الذي لم يصدر منه شرك بالكلية، [فنقول][1]: أما الشرك الذي يصدر من المؤمن وهو لا يدري مع كونه مجتهداً في اتباع أمر الله ورسوله ــ فأرجو أن لا يخرجه هذا من الوعد، وقد صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب: كحلفهم بآبائهم، وحلفهم بالكعبة[2]، وقولهم: ما

---

(١) زيادة من المخطوطة والمصورة ١: ٢٤٦.

(٢) في المطبوعة ١: ١٩٤ «وحلفهم بالله» وهو خطأ واضح صوابه من المخطوطة: ١٣٤ والمصورة ١: ٢٤٧.

شاء الله وشاء محمد، وقولهم: اجعل لنا ذات أنواط. ولكن إذا بان لهم الحق اتَّبعوه، ولم يجادلوا فيه حَمِيَّة الجاهلية لمذهب الآباء والعادات. وأما الذي يدَّعي الإسلام وهو يفعل من الشرك الأمور العظام فإذا تليت عليه آيات الله استكبر عنها ــ فليس هذا بالمسلم. وأما الإنسان الذي يفعلها بجهالة، ولم يتيسَّر له من ينصحه، ولم يطلب العلم الذي أنزله الله على رسوله، بل أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فلا أدري ما حاله[1]. وأما قول من قال: من الشرك التصنُّعُ للمخلوق، فلعل مراده: التصنع بطاعة الله الذي يسمَّى الرياء، وهو كثير جداً، فهذا صحيح في أمور لا يفطن لها صاحبها. وأما خوف المخلوق فالمراد به: الخوف الذي يحملك أن تترك ما فرض الله عليك وتفعل ما حرم الله عليك، خوفاً من ذلك المخلوق. وأما الرجاء فلعل المراد: الذي يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده. وكل هذه الأمور كثيرة جدًّا.

[وأما قولك: «هل المراد به الشرك الأصغر أو الأكبر»، فهذا يختلف باختلاف الأحوال، وقد يتصنع لمخلوق فيخافه أو يرجوه فيدخل في الشرك الأصغر، وقد يتزايد ذلك و يتوغل فيه حتى يصل إلى الشرك الأكبر][2].

وأما قوله: «الشؤم في ثلاث» الخ. فهذا أشكلَ على مَنْ قبلنا، حتى إن عائشة كذَّبته وقالت: هذا كلام أهل الجاهلية، ولكنه صح، وقد تكلموا في تفسيره ولم يتبين لي معناه، والله أعلم بمراد رسوله.

وأما ترك الخارص الثلث فقد سمع الجماعة فيها ما تيسر؛ وبالجملة فأرجح الأقوال فيها عندي قول أكثر أهل العلم إنه غير مقدر[3] بل يترك [له][2] قدر ما يأكله ويخرجه رطباً باجتهاد الخارص. وعلى هذا تجتمع الأدلة و يصدِّق بعضُها بعضاً.

---

(١) في المطبوعة ١: ١٩٤ «فقد أخلد إلى الأرض واتبع هواه ولا أدري ما حاله».

(٢) زيادة من المخطوطة: ١٣٤ والمصورة ١: ٢٤٧.

(٣) في المطبوعة «غير مطرد».

وأما ما ورد من الفضل في حفظ القرآن: هل المراد حفظه مع حفظ المعاني؟ فلا يحضرني جواب يَفْصِلُ المسألة، ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء إلا شيئاً لا أعلمه[1]، وأظنه لو وجد في زمانهم لكان مشهوراً [كشهرة الرجل][2] الذي يسمى عندنا [حمار][2] الفروع، لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولا يفهمه، وقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾. وذكر ابن القيم أن هذه لو نزلت في التوراة فالقرآن كذلك لا فرق بينهما. ولذلك ذمَّ الذين يقرءون بلا فهم كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلاَّ أَمَانِيَّ﴾ أي تلاوةً بلا فهم! والمراد من إنزال القرآن فهمُ معانيه والعملُ به لا مجرَّد تلاوته.

وأما قوله «طعام الواحد يكفي الاثنين» إلخ، فلا أعلم له معنى غير ظاهره.

وأما إغلاق الباب وقت الجِداد[3] فلا أتجسر على الجزم بتحريمه، ولكن أظنه لا يجوز في هذا المعنى في الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ما ذكره الله في سورة نٓ عن أصحاب الجنة ﴿إذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ وهم لم يغلقوا الباب بل تحيَّلوا بالصِّرام في وقت [لا][4] يأتي فيه المساكين.

وأما تأخير الزكاة فلا يجوز، ومن استدل بحديث «هي عليّ ومثلها معها» فقد أخطأ خطأً واضحاً؛ الأول: أن ظني أن الحديث لا يدل على المسألة المسئول

---

(١) في المطبوعة ١: ١٩٤ «لا يوجد فهذا من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء لا أعلمه» والصواب من المخطوطة والمصورة ١: ٢٤٧.

(٢) زيادة في المخطوطة: ١٣٤ والمصورة ١: ٢٤٧.

(٣) الجداد (بفتح الجيم وكسرها): أوان الصرام، وفي الحديث: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن جداد الليل، الجداد: صرام النخل، وهو قطع ثمرها. قال أبو عبيد: نهى أن تجد النخل ليلاً، ونهيه عن ذلك لمكان المساكين لأنهم يحضرون في النهار فيتصدق عليهم منه (اللسان).

(٤) زيادة من المخطوطة: ١٣٤ والمصورة ١: ٢٤٨.

عنها. فإن المسألة المسئول عنها: أن صاحب المال هل يحل له تأخير الزكاة عن وقتها لحاجة أو غيرها، والمسألة التي قال بعض أهل العلم الحديثُ يدل عليها ليست هذه، بل إذا رأى الإمام أو الساعي أن يؤخر الزكاة لمصلحة؛ وهذه مسألة غير الأولى، والدليل: أن أحمد سئل عن تأخير الزكاة فمنعه وشدَّد فيه، وسئل عن الساعي إذا أراد تأخيرها في سَنَة مُجْدِبة فرخَّص له واستدل بفعل عمر. مثال ذلك أن وليّ اليتيم إذا قيل له إنه يجوز له بيع عقاره لمصلحةٍ، هل يحلّ لأحد أن يستدل بهذه المسألة. إذا كان عندهم ليتيم دار أو عقار لا يعلم بها وليُّه فأراد أن يعطي الوليَّ أو اليتيم عنها لمصلحة المعطي هل يقول أحد إن هذا جائز؟ ولو استدل أحد على جوازه ببيع وليِّه عقارَه لمصلحةٍ لَعَدَّهُ الناس ضُحْكة! فينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذي يدل عليها ويجيل نظره في ذلك، فإن كثيراً من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جدًّا، ويُستدَلّ بشيء من القرآن أو السنة، وهو لا يدل على ذلك، كما فعله الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم، قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتاب﴾ الآية. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لما يحبه ويرضاه.

المسألة الثامنة*

سئل الشيخ رحمه الله عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، فأجاب:

توحيد الربوبية هو الذي أقرَّ به الكفار كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماء والأرْضِ أمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصَارَ ومَنْ يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ ومَنْ يُدَبِّرُ الأمْرَ فَسَيَقُولونَ اللهُ فَقُلْ أفَلاَ تَتَّقون﴾. وأما توحيد الألوهية فهو: إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق، لأن الإله في كلام العرب هو الذي يُقْصَد للعبادة؛ وكانوا يقولون: إن الله سبحانه هو إله الآلهة، لكن يجعلون معه آلهة أخرى، مثل: الصالحين والملائكة وغيرهم، يقولون إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده. فإذا عرفت هذا معرفة جيِّدة تبيَّن لك غربة الدين؛ وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم، لأنه ــ إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرَّة ــ فكيف يَدْعُونه ويَدْعُون معه غيره مع إقرارهم بهذا؟

وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات.

والله أعلم.

(*) انظر الدرر السنية ٢: ٣٧.

المسألة التاسعة

سئل رحمه الله: ما قول الشيخ في تسمية المعبودات أرباباً: إذ الرب يطلق على المالك، والمعبود على الإله، وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم؟ والجواب:

الرب والإله في صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة، فالرب من الملك والتربية بالنعم، والإله من التأله وهوالقصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة. ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله، فسمَّوا معبوداتهم أرباباً من دون الله لأجل ذلك، أي لكونهم يسمُّون الله ربًّا بمعنى إلهاً.

المسألة العاشرة*

سئل رحمه الله عن مسائل:

الأولى ــ أحاديث الوعد والوعيد وقول وهب بن منبه: «مفتاح الجنة: لا إله إلا الله» إلخ.

الثانية ــ حديث أنس: «من صلى صلاتنا» إلخ.

الثالثة والرابعة ــ شيء من أحاديث الوعد والوعيد.

الخامسة ــ الحديث الذي فيه «يخرج من ثقيف كذاب» إلخ.

السادسة والسابعة ــ قوله: «ألا أخبركم بأهل الجنة» إلخ.

فأجاب: الحمد لله، الذي يجب العلم به أن كل ما قال الرسول حق يجب الإيمان به ولو لم يعرف الإنسان معناه، وفي القرآن آيات الوعد والوعيد كذلك، وأشكل الكل على كثير من الناس من السلف ومَنْ بعدهم. ومن أحسن ما قيل في ذلك: «أمرُّوها كما جاءت»[1]. معناه: لا تتعرضوا لها بتفسير لا علم لكم به. وبعض الناس تكلم فيها ردًّا لكلام الخوارج والمعتزلة الذين يكفِّرون بالذنوب ويخلِّدون أصحابها في النار، أنه ينفي الإيمان عن بعض الناس لكونه لم يتمّه، كقوله للأعرابي: «صلِّ فإنَّك لم تُصَلِّ». والجواب الأول أصوب وأهون وأوسع وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿والرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يَقُولُونَ آمنَّا بهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ الآية.

إذا فهمت ذلك فالمسألة الأولى واضحة، ومراده الرد على من ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال. وأما إذا أتى به وبالأعمال، وأتى بسيئات ترجح على حسناته أو تحبط عمله ــ فلم يتعرض وَهْبٌ لذلك بنفي ولا إثبات، لأن السائل لم يُرِدْهُ[2]. وأما الثانية وهي قوله «من صلى صلاتنا» إلى آخره؛

(*) انظر الدرر السنية ١: ٩١.

(١) في المطبوعة ١: ١٩٦ «اقرءوها كما جاءت».

(٢) في المطبوعة «لم يروه».

فهو على ظاهره، ومعناه لو عرف منه النفاق فما أظهر يحمي دمه وماله[1]، وإلا فمعلوم أن من صدّق مسيلمة، أو أنكر البعث، أو أنكر شيئاً من القرآن، أو غير ذلك من أنواع الردّة ـ أنه لم يدخل في الحديث.

وأما الثالثة والرابعة التي فيها أحاديث الوعد والوعيد. فسبق الجواب عنهما[2] وأما قوله: أما الكذاب فقد عرفناه هو رجل من ثقيف خرج يطلب بدم الحسين وأهل البيت وانتصر وقتل من قتلهم ثم ملك العراق، وغلظ أمره، فسيَّر إليه ابن الزبير عسكراً فقتلوه؛ وفتحوا العراق، لأنه أظهر الزندقة وادعى النبوة وأما المبير وهو الذي يفني الناس بالقتل فهو الحجّاج المعروف.

وأما السادسة: فلا علمت أن الحديث صحيح.

وأما السابعة: فقوله «ضعيف» فهو ضد القوي، والمتضعف قيل إنه المتواضع، والعُتُلّ قيل هو الغليظ الجافي، والزنيم المعروف بالشر، والمتكبر معروف، والذي لا زبر له فسره بقوله لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والشنظير فسره بالفاحش[3]، وباقي الأوصاف في الخير والشر معروفة.

والله أعلم.

---

(١) في المطبوعة ١: ١٩٦ «فما أظهر نفاق وعليه وباله».

(٢) في المطبوعة «فسبق لجرائمها» والصواب من المخطوطة: ١٣٦ والمصورة ١: ٢٥١.

(٣) في المطبوعة ١: ١٩٧ «فسره بالغاش» وأثبتنا ما في المخطوطة: ١٣٦.

المسألة الحادية عشرة

سئل رحمه الله عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه هل هو صحيح أم غير ذلك؟ أيضاً نبهني عبد الوهاب في خطه للموصلي[1] أنك ما رضيت قوله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في مشيئته وإرادته، حتى إني أفكر فيها ولا بان لي فيها شيء أيضاً سوى المذكور عند النووي «اللهم إني أسلمت نفسي إليك» إلخ بين لي معناه جزاك الله خيراً.

الجواب: الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ثابت عند أهل الحديث، فإن كنت قد حفظت القرآن أو شيئاً منه ثم نسيته، فودِّي أن تعود إليه.

وأما قوله في الخطبة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك في مشيئته وإرادته، فعجب كيف يخفى عليك هذا للألوهية، والمذكور في الخطبة توحيد الربوبية الذي أقرَّ به الكفار.

وأما قوله: «اللهم إني أسلمت نفسي إليه» إلى آخره فترجع إلى الإخلاص والتوكل، ولو كان بينهما فروق لطيفة.

والله أعلم.

(١) في المطبوعة «يفهمني عبد الوهاب في خط للموصلي» وأثبتنا ما في المخطوطة والمصورة ١: ٢٥١.

المسألة الثانية عشرة

قال السائل: عفا الله عنك، خطبت ووقفت على «يومَ يُبَعْثَرُ من في القبور، ويُحَصَّلُ ما في الصُّدُور»، ثم قلت: جعلنا الله وإياك من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بارك الله لي ولكم، إلخ. ولا فطنت إلا بعد ما انقضت الصلاة، وأردت أن آمر المؤذن يؤذن ونعيد الخطبة والصلاة، ثم تأملت يوم «يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور» وإذا كأنها آية تقوم بالمعنى وتجزي، ثم كثر عليّ الهمّ والتردد. وأيضاً عفا الله عنك عندي دبيش ولي عييل وحاير تطمع نفسي لمنزلة الفقراء ولو لم يكن إلا سبقهم إلى الجنة بما ذكر، ويعارض ذلك أيّ الفقير الصابر أو الغني الشاكر أفضل؟ وقوله صلى الله عليه وسلم «أن تذر ورثتك» إلخ.

أيضاً بيّن لي حد الشكر وحد الصبر. وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله صادقاً» الحديث، واللفظ الآخر «مخلصاً دخل الجنة» ما معنى الصدق والإخلاص والفرق بينهما.

أيضاً حديث البطاقة وما معه من سجلات الذنوب حتى وضعت في كفة والبطاقة في كفة فرجحت بتلك السجلات لما تضمنت من الإخلاص.

وما تقول فيمن خالف شيئاً من واجبات الشريعة: ماذا يقع عليه، وما معنى «كل ذنب عُصِي الله به شِرْك»، وهل يقع في جزء من الكفر، والمراد به الكفر بالله أو بآلائه[1] مع صغره؟ وما معنى قول من قال: كفر دون كفر؟ وقول من قال: كفر نعمة أي نعمة؟ أيضاً وماذا ترى في الرؤيا التي ذكرت لك[2].

---

(١) في المطبوعة ١: ١٩٨ «بالإله»، وصوابه من المخطوطة: ١٣٦ والمصورة ١: ٢٥٣ والدرر ١: ٩٣.

(٢) الفقرة السابقة وردت في الدرر السنية ١: ٩٣.

أيضاً تفكرت[1] في الإيمان قوته وضعفه وأن محله[2] القلب، وأن التقوى ثمرته مركَّبة عليه، فبقوَّته تقوى، و بضعفه تضعف.

وهذا فهمي ولكن ورد عليَّ شبهة اعرف من خالف دين الإسلام وصد عنه تقوى عن بعض التعديات ولا سيما أموال الناس. وإلا العبادة البدنية والمالية مثل الصلاة والزكاة تكون عادة وفطرة، أي شيء ترى في ذلك منه؟ وما ذكرت لك في أول السؤال صحيح أمْ لا؟

الجواب و بالله التوفيق.

أما مسألة الخطبة في الجمعة فلا علمتُ فيها خلافاً وأرجو أن تكون تامَّة.

وأما مسألة الغنى والفقر فالصابر والشاكر كلٌّ منهما من أفضل المؤمنين، وأفضلُهما أتقاهما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وأما حدُّ الصبر وحد الشكر فلا عندي علم إلا المشهور بين العلماء أنَّ الصبر عدم الجزع، والشكر أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك.

وأما قوله من قال: «لا إله إلا الله صادقاً» والحديث الآخر «مخلصاً» فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة. ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال: بهما ارتفع القوم، ولكن يقرِّبها إلى الفهم التفكّر في بعض أفراد العبادة مثل الصلاة والإخلاص، فالإخلاص فيها يرجع إلى إفرادها عما يخالف كثيراً من الرياء والطبع والعبادة وغير ذلك، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع ولو أبغضه الناس في ذلك.

---

(١) في المطبوعة «تذكرت» وصوابها من المخطوطة والمصورة والدرر.

(٢) في المطبوعة. «وإلا فمحله» وصوابها من المخطوطة والمصورة والدرر.

وحديث البطاقة ذكر الشيخ أنه رزق عند الخاتمة قولها على ذلك الوجه، والأعمال بالخواتيم، مع أن عليَّ بقية إشكال، والله أعلم.

وأما معنى «كل ذنب عُصِي الله به شرك أو كفر»، فالشرك والكفر نوع، والكبائر نوع آخر، والصغائر نوع آخر. ومن أصرح ما فيه حديث أبي ذرٍّ فيمن لقي الله بالتوحيد قوله «وإن زنى وإن سرق» مع أن الأدلة كثيرة. وإذا قيل: من فعل كذا فقد أشرك أو كفر، فهو فوق الكبائر. وما رأيت مني ما يخالف ما ذكرت لك فهو بمعنى الذي هو أخفى من دبيب النمل. وقول القائل «كفر نعمة» خطأ ردّه الإمام أحمد وغيره. ومعنى [«كفر دون كفر»][1] أنه ليس يخرج من الملة مع كبره. والرؤيا أرجو أنها من البشرى ولكن الرؤيا تسرّ المؤمن ولا تضرّه.

وقولك إن الإيمان محله القلب، فالإيمان أجمع السلف على أن محله القلب والجوارح جميعاً كما ذكره الله تعالى في سورة الأنفال وغيرها. وأما كون الذي في القلب والذي في الجوارح يزيد وينقص فذاك شيء معلوم؛ والسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان [من النفاق أو][2] سلب الإيمان كله.

وأما الشبهة التي وردت عليك إذا كان الرجل مخالفاً دين الإسلام، ويصدُّ عنه، ولكنْ فيه وَرَع عن بعض المحرَّمات — فأنت خابر أن الإنسان يكفر بكلمة واحدة، فكيف الصدُّ عن سبيل الله؟ واذكر قوله تعالى: ﴿ذلك بأَنَّهمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ فإذا كانت الكراهية تحبط الورع الذي تذكر فكيف الصدّ مع الكراهة؟ واليهود والنصارى فيهم أهل زهد أعظم من الورع.

والله أعلم.

---

(١) زيادة من الدرر ١: ٩٣.

(٢) زيادة من المخطوطة: ١٣٧ والدرر ١: ٩٢ والمصورة ١: ٢٥٤.

المسألة الثالثة عشرة*

سئل رحمه الله: ما يقول الشيخ ــ شرح الله صدره و يسّر أمره ــ في مسائل أشكلتْ عليّ فيما يجب علينا من معرفة الله إذا كان موجب الإلهية الربوبية، وأشوفك قليل التعريج عليها عند تقرير التوحيد للألوهية؟ و يشكل علينا أيضاً كون مشركي العرب أقرُّوا به: هل يكون من غير معرفة لوضوحه؟ أم توغلوا في التقليد ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة؟ أم زعمتم أن هذا شيء يرضاه الرب أم كيف الحال؟ وأيضاً كلمة التوحيد كونها محتوية على جميع الدين من إنزال الكتب وإرسال الرسل أنها نافية جميع المقصودات المسماة بالإلهية الباطلة إذا صيرها القصد فتسمى بذلك من غير استحقاق لأنها مخلوقة مربوبة مقهورة، والواحد في القصد هو الواحد في الخلق، أرى بعض الناس تكلم في معناها وعلمها، وأن ألفاظها مجردة من غير معرفة لا يفيد شيئاً، لكن نظرت في حديث الشفاعة الكبرى عند قوله: ﴿عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ وإخراجه العصاة من أمته بإذن ربه حتى قال «ائذن لي فيمن قال لا إله الله» هذا مشكل عليّ جدّاً، وفهمي قاصر عن معرفته إذا كان كلمة التوحيد هي الغاية وتقييدها بالمعرفة[1]، وإخراجه صلى الله عليه وسلم من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة خردل من إيمان. فأنت جزاك الله خيراً بيِّن لي معنى هذه الكلمة لا أَضِلُّ ولا أُضِلُّ وأخبرك يوم أنا غافل عن الفهم في الربوبية ما فهمي جيِّد في الألوهية فلما بان لي شيء من معرفتها واتضح لي بعض المعرفة في الألوهية في ضرب المثل أن فيصل ما استعبد لعريعر إلا لأجل كبر ملك عريعر[2] مع أنه قبيل له، وأظن

(*) انظر الدرر السنية ٢: ٣٢-٣٣.

(١) في الدرر: «وتقييدها بالمعرفة مع العمل».

(٢) في المطبوعة ١: ١٩٩ «ما استعبد لعدير إلا لأهل كبر ملك عدير» وصوابها من المخطوطة والمصورة ١: ٢٥٥ والدرر.

غالب الناس كذلك وفيهم من [لا][1] يرى الربوبية، ولا يعتبرها ويتهاون بها وهذا نسمعه من بعضهم. فجزاك الله خيراً صرح لي بالجواب؟

فأجاب:

إلى الأخ حسن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

سرني ما ذكرت من الإشكال وانصرافك إلى الفكر في توحيد الربوبية. ولا يخفاك أن التفصيل يحتاج إلى طول، ولكن مالا يُدْرَك كله لا يُتْرَك كله. فأما توحيد الربوبية فهو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤفَكُون﴾ ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه، والتوكل من أعلا مقامات الدين ودرجات المؤمنين، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، كما قال تعالى ﴿وإذَا مَسَّ الإنسانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ منيباً إليه﴾ الآية.

وأما عبادته سبحانه وتعالى بالإخلاص دائماً في الرخاء والشدة فلا يعرفونها، وهي نتيجة الإلهية، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسل وغير ذلك. وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية. وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية. وهذا وأمثاله لا يُعْرَف إلا بالتفكر، لا بالمطالعة وفهم العبارة.

وأما الفرق بينهما فإن أُفْرِدَ أحدُهما مثل قوله: ﴿إنَّ الذين قالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ استقاموا﴾ فهو توحيد الإلهية؛ [وكذلك إذا أُفْرِد توحيد الإلهية.][2] مثل قوله ﴿فاعْلَمْ أنَّهُ لا إلهَ إلا الله﴾ وأمثال ذلك، فإذا قُرِنَ بينهما فُسِّرَت كل لفظة بأشهر معانيها كالفقير والمسكين.

---

(١) زيادة من المخطوطة والدرر.

(٢) زيادة من المخطوطة والمصورة ١: ٢٥٦ والدرر ٢: ٣٤.

وأما ما ذكرت من أهل الجاهلية: كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقرُّوا بالربوبية فهل هو كذا أو كذا أو غير ذلك؟ فهو لمجموع ما ذكرت وغيره. وأعجب من ذلك ما رأيت وما سمعت ممن يدعي أنه أعلم الناس و يفسر القرآن و يشرح الحديث مجلدات، ثم يشرح البردة و يستحسنها و يذكر في تفسيره وشرحه للحديث أنه شِرْك ويموت ما عرف ما خرج من رأسه. هذا هو العجب العجاب أعجب بكثير من أناس لا كتاب لهم ولا يعرفون جنة ولا ناراً ولا رسولاً ولا إلهاً.

وأما كون «لا إله إلا الله» تجمع الدين كله وإخراج من قالها من النار إذا كان في قلبه مثقال ذرة، فلا إشكال في ذلك. وسر المسألة أن الإيمان يتجزأ ولا يلزم مِنْ ذهاب بعضه ذهابُ كله[1]، بل هذا مذهب الخوارج. فالذي يقول: الأعمال كلها من «لا إله إلا الله» فقوله الحق، والذي يقول: يخرج من النار من يقولها وفي قلبه من الإيمان مثقال ذرة، فقوله الحق. والسبب ما ذكرت لك من التجزؤ. و بسبب الغفلة عن التجزؤ غلط أبو حنيفة وأصحابه في زعمهم: أن الأعمال ليست من الإيمان والإسلام.

---

(١) في المخطوطة والمصورة والدرر «ولا يلزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله»، وهما بمعنى واحد.

المسألة الرابعة عشرة

سئل رحمه الله عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» إلخ، إلى أن قال «أفلا أبشِّر الناس؟ قال: لا تبشِّرهم فيتَّكِلوا». ومعنى: لا يدخل أحد الجنة بعمله. أيضاً ما معنى عقد اللحية، والضرب بالأرض هو الذي نعرف أن بعضهم يخط خطوطاً ثم يعدُّها: إن ظهرت شفعاً فكذا، وإن ظهرت وتراً فكذا، أم غير ذلك. وتفسير الحسن «الجبت» برنة الشيطان، ما رنة الشيطان؟ وحديث «من ردته الطيرة فقد أشرك، وكفارة ذلك أن تقول: اللهم لاطير إلا طيرك» إلخ، أم كيف يزول ذلك الشرك بهذا اللفظ مع أن الطيرة مخامرة باطنة واللفظ وحده لا يفيد، أو فائدة قليلة؟ وما معنى الفخر والطعن؟ وما معنى مكر الله بالعبد؟ وما الفرق بين الروح والرحمة؟ وما معنى «لا يؤمن أحدكم حتى يحب» ذات أورثتها المتابعة ومعرفة الدين، أو إيثار متابعة الأمر والنهي عن ورود الشهوات[1]. وأيضاً كسوة المرأة إذا كانت كسوة عرس هل للمرأة أن تطلب من الزوج كسوة بدن أم هي كسوة بدن حتى يحول عليها الحول؟ وأيضاً قيد الكسوة بالحول صواب؟ وأيضاً إذا كان صواباً فهل هو بكل أحد للعالي والمتوسط والداني أم فيها تفضيل؟ وأيضاً إذا عريت قبل مضي الحول يجب على الزوج أن يكسوها أم لا؟ وأيضاً إن مضى بعض الحول؟.

الجواب:

أما حديث معاذ فالمعنى عند السلف على ظاهره[2]؛ وهو من الأمور التي يقولون: أمِرُّوها كما جاءت، أعني نصوص الوعد والوعيد، لا يتعرضون للمُشْكِل منه.

---

(١) هكذا وردت العبارة، ولم أتبين وجه الصواب فيها.

(٢) في المطبوعة ١: ٢٠١: «فالمعنى عند السلف الحلال ظاهر» وما أثبتناه من المخطوطة: ١٣٩ والمصورة ١: ٢٥٧، والدرر ١: ٩٢.

وأما قوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» فتلك مسألة أخرى على ظاهرها، وهو أن الله لو يستوفي حقَّه كما يستوفي السيد حقه من عبده[1] لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال الله تعالى ﴿ لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الذي عَمِلُوا ﴾ الآية.

وعقد اللحية لا أعلمه، لكن ذُكِر في «الآداب» ما يقتضي أنه شيء يفعله بعض الناس في الحرب لا على وجه التكبر.

وأما الضرب فهو مشهور جدًّا حتى إن بعض الناس يخطّ فمن وافق خطه فذاك. والذي يبدو للذهن أنه عام في كل أنواع الخط، وخطُّ ذلك النبيِّ عُدِمَ لا يوجد من يعرفه. ورنة الشيطان لا أعرف مقصود الحَسن، بل عادة السَّلَف يفسِّرون اللفظ العام ببعض أفراده، وقد يكون السامع يعتقد أن ذلك ليس من أفراده، وهذا كثير في كلامهم جدًّا ينبغي التفطن له.

وقوله في الطِّيَرة «وكَفَّارة ذلك أن تقول» الخ. فالطِّيَرة تعمّ أنواعاً، منها ما لا إثم فيه، كما قال عبد الله: وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل. فإذا وقع في القلب شيء وكرهه ولم يعمل به بل خالفه وقال لم يضرّه، فإن قال من الحسنات شيئاً فهو أبلغ وأتمُّ في الكفَّارة، فلو قدرنا أن تلك الطيرة من الشِّرْك الخفي أو الظاهر ثم تاب وقال هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك.

وأما الفخر بالأحساب، فالأحساب: الذي يذكر عن مناقب الآباء السالفين التي نسمِّيها المراجل. إذا تقرر هذا ففخر الإنسان بعمله مَنْهِيٌّ عنه، فكيف افتخاره بعمل غيره؟ وأما الطعن في الأنساب ففُسِّر بالموجود في زماننا: ينتسب إنسان إلى قبيلة ويقول بعض الناس: ليس منهم، من غير بيِّنة، بل الظاهر أنه منهم.

---

(١) في الدرر ١ : ٩٢ «إن الله لا يستوفي حقه من عبده».

وأما مكر الله فهو أنه إذا عصاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه.

وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه، ولعله فرق لطيف، لأن الروح فُسِّر بالرحمة في مواضع.

وأما قوله «لا يؤمن أحدكم» إلخ، ففسّر بأن المراد: اعتقاد ذلك بالقلب، والعمل بذلك الاعتقاد، فإذا كان في القلب ضدُّه وكرهه وصار الكلام والعمل بمقتضى الأمر الممدوح فهو ذلك.

وأما كسوة العرس وتقييد الكسوة بالحول مطلقاً ومقيَّداً فالذي يُفْتَى به أن هذه الأمور ترجع إلى عرف الناس، وهو مذهب الشيخ وابن القيم، وأظنه المنقول عن السلف، فأما في العدة فعليه الكسوة والنفقة.

والله أعلم.

المسألة الخامسة عشرة

وسئل ـ عفا الله عنه ـ عن كون الأذان أوله التكبير وختم بالتكبير؛ كذلك قول الله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) إلى قوله سبحانه (لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ما معنى هذا التكرار؟ هل هو تأكيد أم غير ذلك؟ وعن الإيمان والإسلام هل هما نوع واحد أم نوعان؟ وعن حديث القرض الذي يقال إنه بثمانية عشر ضعفاً صحيح أم لا؟

الجواب:

ذكروا أن التكبير مناسب في الأذان لأنه مشروع على الأمكنة العالية، كقوله «كنا إذا هبطنا سبَّحنا وإذا علَوْنا كبَّرنا».

وأما قوله «شهد الله» إلى آخره فذكروا في تفسيرها أن الكلمة الأولى إعلام بأنه سبحانه شهد بهذا، كذلك كل عالم يشهد به، وليس هذا ثناء على نفسه مجرداً بل هو قيام بالقسط. وأما الكلمة الثانية فهي تعليم وإرشاد.

وأما الإسلام والإيمان هل هما نوع واحد؟ فذكر العلماء أن الإسلام إذا ذُكِر وحده دخل فيه الإيمان، كقوله ﴿فإن أسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ وكذلك الإيمان إذا أفْرِد، كقوله في الجنة ﴿أعِدَّتْ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا بالله ِ وَرُسُلِهِ﴾ فيدخل فيه الإسلام، وإذا ذُكِرا معاً كقوله ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ والمؤمِنينَ والمؤمناتِ﴾ فالإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة، كما في الحديث «الإسلام علانية والإيمان في القلب». وقوله في الحديث «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة» إلى آخره يوافق ما ذكرناه، فإن الإيمان أعلى من الإسلام، ويخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصاً كما في آية الحجرات ﴿وإنْ تُطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أعْمَالِكم شَيْئاً﴾. وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعاً. وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لا يستلزمه.

وحديث القرض لا يصححه الحفاظ.

والله أعلم.

المسألة السادسة عشرة

سئل رحمه الله تعالى عن مسائل:

الأولى ــ قوله في باب حكم المرتد: أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر، ما وَصْفُ هذا الاستهزاء المُكَفِّر؟.

الثانية ــ قول الشيخ: أو كان مبغضاً لما جاء به الرسول اتفاقاً، فما معنى هذا؟ وقوله: أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ما وصف هذه الوسائط والتوكل والدعاء والسؤال؟.

الثالثة ــ قولهم: أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين كَفَر، فما وصف هذا الدين[1] والقول المكفر؟

الرابعة ــ قوله: أو نطق بكلمة كفرٍ ولم يعلم معناها فلا يكفر بذلك، هل المعنى: نَطَق بها ولم يعرف شَرْحَها أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره؟.

الخامسة ــ قولهم: ومن أطلق الشارع كفره كدعواه إلى غير الله، إلى آخره، فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب؟

السادسة ــ الذبح للجن، قال الشيخ: وأما ما يذبحه الآدمي خوفاً من الجن فمنهيٌّ عنه. ونحن لم نفهم إلا هذا من النهي، فإذا قلنا: يكفر من ذبح للجن فما دليلنا على المخالف؟.

السابعة ــ قولهم: إذا دعاه إمام أو نائبه، وقولهم: ولا يكفر ولا يقاتل قبل الدعاية، هل المتغلِّبُ على بَلدٍ حُكْمُهُ حُكْمُ الإمامِ في الدعاية وإقامة الحدود أم

---

(١) كذا في المخطوطة: ١٤٠ والمطبوعة ١: ٢٠٣ والمصورة ١: ٢٦٠. ولعل صوابها «الفعل والقول المكفر؟».

لا؟ وهل يلزمه ذلك شرعاً أم لا؟ فإذا تركه وهو يقدر عليه فما حكمه؟.

الثامنة ــ المسائل الفروعية من الطهارات والصلاة والزكاة والحج والمعاملات والأنكحة والدعاوى وغيرها، عندنا أنَّ تعلمها وتعليمها بعد معرفة الله وتوحيده وإفراد العبادة له: أنه هو الفقه المتفق على فضله، وهو العلم النافع، وهو الأفضل بعد الجهاد، وهل الفتوى من كتب الترجيح المسماة عند أهل العلم، أفردوا فيها الراجح عندهم وأوردوا القول المقابل المقوي عندهم في بعض المسائل؟ أم الفتوى من المطولات؟ فربما أطلقوا الأقوال فلم ندر ما نفتي به أو نعمل به من الأقوال إلا من كتب المتأخرين وكتب أهل الترجيح، ونحن فرضنا[1] التقليد فما نفتي به منه؟

التاسعة ــ بعض الناس يحتج علينا أن المرتد لا يُقْتَل إلا بعد الاستتابة وقبلها ثبوت الردة، فما الجواب؟

العاشرة ــ قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتَّقين، وقولهم: يجوز أن يُسْتَشْفَع إلى الله برجل صالح، وقيل: يستحب، قال أحمد: إنه يُتَوسَّل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه؛ وقال أحمد وغيره في قوله عليه السلام «أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق» الاستعاذة لا تكون بمخلوق، فما معنى هذا الكلام؟ وما العمل عليه منهما أم على قوله فما المعنى؟ وقولهم في الشرح: قال إبراهيم الحربي: الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرَّب[2]، فما معنى هذا الكلام؟ قال في الفروع: قال شيخنا: قصدُه الدعاء عنده رجاء الإجابة بدعةٌ لا قربة باتفاق الأئمة، فما معنى هذا الكلام؟

الحادية عشرة ــ قال في «الإقناع» في آخر الجنائز: ولا بأس بلمسه ــ أي القبر ــ باليد، وأما التمسح به والصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقداً

(١) «فرضنا» كذا في المخطوطة والمطبوعة والمصورة، ولعل صوابها «رفضنا».

(٢) في المطبوعة ١: ٢٠٤ «الترياق المجيد».

أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره أو النذر له ونحو ذلك ـــ قال الشيخ ـــ وليس هذا من دين المسلمين، بل هو مما أُحْدِثَ من البدع القبيحة التي هي من شُعَبِ الشِّرْك، فهل هذا شرك أصغر أم أكبر؛ مع قوله هناك في باب النذر: قال الشيخ: النذر للقبور وأهل القبور كالنذر لإبراهيم عليه السلام أو الشيخ فلان نذر معصية لا يجوز الوفاء به، مع قوله في الجنائز قبله قال في الشرح: يكره البناء على القبور، إلى أن قال ابن القيم: يجب هدم القباب، إلى أن قال: ويكره المبيت عنده وتجصيصه وتزويقه إلى آخره، إلى أن قال: فالظاهر من هذا الكراهة أو التحريم. فهل يترتب على هذا غير الكراهة أو التحريم؟

أفدنا جزاك الله خيراً.

فأجاب رحمه الله تعالى: بعد السلام فسرّني ما ذكرتَ ـــ ألهمك الله التوفيق ـــ ولا تعتذر من السؤال فإن هذا هو الواجب عليك وعلى غيرك، كما قالوا: مفتاح العلم السؤال. ولكن اعلم أن المسائل والعلوم المهجورة لا يفهمها الانسان إلا بعد المراجعة والمذاكرة ولو كانت واضحة. وهذه المسائل من العلوم المهجورة كما ذكرت فعل الطلبة في باب حكم المرتد، مع أن معرفة الله ومعرفة حقه أجلّ العلوم وأشرفها، فلا تَسْتَحِ من المراجعة وكثرة السؤال ما بقي عليك شيء من الإشكال. وقولك: إن أهل العلم لم يشرحوها، فكثير من الكتب لم يوجد عندكم وإلا جميع ما ذكرتَ قد شرحوه.

فالمسألة الأولى: قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى في حق بعض المسلمين المهاجرين في غزوة تبوك ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾، وذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول. وصفة كلامهم أنهم قالوا: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء. يعنون بذلك رسول الله والعلماء من أصحابه، فلما نقل الكلام عوف بن مالك أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه

اللعب كما يفعل المسافرون[1]. فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان ولو كان على وجه المزح. والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جادًّا لا[2] لاعباً. إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم في الله عز وجل بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب على وجه الجِد، وأنه لا يستحق هذا، وأنه ليس بأكبر الناس ذنباً. وكذلك من يدعي العلم والفقه ـ إذا استدللنا عليه بآيات الله ـ أظهر الاستهزاء؛ وهذه المسألة لعلك لا تحررها تحريراً تامًّا إلا من الرأس إذا أوقفناك على نصوص أهل العلم ذكروا أشياء لعل كثيراً من الناس لا ينكرها لو سمعها.

الثانية ـ قوله: أو كان مبغضاً لما جاء به الرسول ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدَّعي العلم ويقرِّر أنه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويُحِلُّون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام. وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول ما أنذر عنه وأعظم ما أنذر عنه، ويقرُّون أنه أتى بهذا، ويقولون: خلق الله ما يتيهون، وينصرون بالقلب واللسان واليد. والتفكير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه وأبغض الأمر بمعاداة أهله ولو لم يتكلم ولم ينصر فكيف إذا فعل ما فعل؟ وكذلك من جعل بينه وبين الله وسائط: يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم إجماعاً، وذكروا أن هذا بعينه هو الذي يفعله أهل زمانهم عند القبور فكيف بزماننا؟ يبينه لك قول الشارح لما ذكر هذا وذكر بعده أنواعاً من الكفر المخرج عن المِلّة[3] قال: لقد عمَّت البلوى بهذه الفِرَق، وأفسدوا كثيراً من عقائد أهل التوحيد؛ نسأل الله العفو والعافية. انتهى كلامه في شرح «الإقناع». فإذ كان هذا في زمنه لم يذكره عن عشرة أو مائة بل عمَّت به البلوى في مصر والشام في زمن الشارح فأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل مصر والشام في زمن الشارح. فتفطَّن لهذه المعاني

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: «المسامرون» من السمر.

(٢) في المطبوعة ٢٠٥:١ «أو لاعباً». والتصويب من المخطوطة: ١٤١ والمصورة ٢٦٣:١.

(٣) في المطبوعة: «عن الله» والتصويب من المخطوطة: ١٤٢ والمصورة.

وتدبَّرْها تدبراً جيداً. واعلم أن هذه المسألة أمُّ المسائل ولها ما بعدها، فمن عرفها معرفة تامة تبيَّن له الأمر؛ خصوصاً إذا عرف ما فعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها، وما فعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد في مكة سنة الحبس مع أهل قبة أبي طالب، وإفتائهم بقتل من أنكر ذلك، وأن قَتْلَهم وأَخْذَ أموالهم قربةٌ إلى الله، وأن الحرم الذي يحرم اليهودي والنصراني لا يحرمهم. ثم تفكر في الأحياء الذين صالوا معهم، هل تابوا من فعلهم ذلك، وأسلمْوا، وعلموا أن عشر معشار ما فعلوا ردَّة عن الإسلام بإجماع المذاهب كلها؟ أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس؟ والمويس وابن إسماعيل وأضرابهما[1] إلى اليوم علماء يُعظَّمون ويُترحَّم عليهم، ومن دعا الناس إلى التوحيد وترك الشرك هم الخوارج الذين خرجوا من الدين اليوم!! فالله! الله! استعن بالله في فهم هذه المسألة، واحرص على ذلك لعلك أن تخلص من هذه الشبكة. فلو سافر المسلم إلى أقصى المشرق أو المغرب في تحرير هذه المسألة لم يكن كثيراً.

والفكرة فيها في أمرين: أحدهما في صورة المسألة وما قاله الله ورسوله وما قال العلماء. والفكرة الثانية: إذا عرفت التوحيد الذي دعت إليه الرسل، أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأقرَّ به من أقرَّ، كيف فعلوا: هل أحبُّوه ودخلوا فيه؟ أم عادَوْه وصدُّوا الناس عنه؟ وكذلك لما عرفوا ما جاء به من إنكار الشرك والوسائط، وعرفوا قول العلماء إنه الذي عمَّت به البلوى في زمانهم، هل فرحوا بالسلامة منه، ونهوا الناس عنه؟ أم زيَّنوه للناس، وزعموا أن أهله السوادُ الأعظم، وثبَّتوه بما قدروا عليه من الأقوال والأعمال، وجاهدوا في تثبيته كجهاد الصحابة في زواله؟ فالله! الله! بادر ثم بادر ثم بادر، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ». فأنت تعرف بَدْأه يوم قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: من معك على هذا؟ قال: حر وعبد ــ ومعه يومئذ أبو بكر وبلال. وقد قال الفضل بن عياض

---

(١) في المطبوعة ١:٢٠٥ «وأحزابهما».

في زمانه ــ وهو قبل الإمام أحمد: لا تترك طريق الحق لقلة السالكين، ولا يغرّك الباطل لكثرة الهالكين. ومع هذا وأمثاله من البيان أضعاف أضعاف ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وليًّا مُرْشِداً﴾ وما أشكل عليك من هذا فراجع فيه، فإن كلام العلماء في أنه الشرك الأكبر، وأنه أشهر عند كثير في زمانهم من أن يحصر[1].

وأما الثالثة ــ فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين مثل ما قدّمتُ لك. وأما الفعل فمثل مدّ الشَّفة وإخراج اللسان أو رمز العين[2]، مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة، فكيف بالتوحيد.

الرابعة ــ إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها، صريحٌ واضحٌ أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه. وأما كونه أنه لا يعرف أنها تكفِّره فيكفي فيه قوله ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ﴾ فهم يعتذرون للنبي صلى الله عليه وسلم ظانين أنها لا تكفِّرهم، والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُون أَنَّهُمْ يُحْسِنُون صُنْعاً ــ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِنْ دُوْنِ اللهِ ويَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُون ــ وإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُون﴾ أيظن أن هؤلاء ليسوا كفاراً؟ ولكن لا تستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها. ومن أحسن ما يكشف لك الإشكال ما قدّمتُ لك بإجماع العلماء أن هذا كَثر في زمانهم[3]، وأيضاً علماء بلدانهم أكثر من علماء بلدانكم.

---

(١) في المطبوعة «وأنه اشتهر عند كثير من أن يحصر» وما أثبتناه من المخطوطة والمصورة.

(٢) في المطبوعة «وإخراج أدر من العين» والصواب من المخطوطة والمصورة.

(٣) في المطبوعة ١: ٢٠٧ «أن هذا أكثر من زمانهم» والتصويب من المخطوطة: ١٤٣ والمصورة ١: ٢٦٦.

الخامسة ــ أن من أطلق الشارع كفره بالذنوب، فالراجح فيها قولان: أحدهما ما عليه الجمهور أنه لا يخرج من الملة. والثاني الوقف كما قال الإمام أحمد: أمِرُّوها كما جاءت؛ يعني لا يقال يخرج ولا ما يخرج[1]، وما سوى هذين القولين غير صحيح.

السادسة ــ قوله: الذبح للجن منهيٌّ عنه، فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك، وهي: أن لفظ «التحريم» و «الكراهة» وقوله: «لا ينبغي» ــ ألفاظ عامة تستعمل في المكفِّرات، والمحرَّمات التي هي دون الكفر، وفي كراهة التنزيه التي هي دون الحرام. مثل استعمالها في المكفرات: قولهم لا إله إلا الله لا تنبغي العبادة إلا له، وقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ ولفظ التحريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَن لَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾. وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم «يحرم كذا» لما صرحوا في مواضع أُخَرَ أنه كفر، وقوله «يكره» كقوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ وأما كلام الإمام أحمد في قوله: ﴿أكره كذا﴾ فهو عند أصحابه على التحريم.

إذا فهمت هذا فهم صرحوا أن الذبح للجن ردّة تخرج[2]، وقالوا: الذبيحة حرام ولو سُمِّي عليها، قالوا لأنها يجتمع فيها مانعان، الأول: أنها مما أُهِلَّ به لغير الله، والثاني: أنها ذبيحة مرتدّ والمرتد لا تحل ذبيحته وأن ذبحها للأكل وسمّى عليها. وما أشكل عليك في هذا فراجعني وأذكر لك لفظهم بعينه.

السابعة ــ إذا دعاه إمام أو نائبه فالأئمة مجمعون في كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت

---

(١) في المطبوعة «يخرج وللمانة يخرج» وهو تطبيع قبيح.

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الأصول، ولعل صوابها «إذا فهمت هذا فهم [ما] صرحوا [به من] أن الذبح ...».

الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم. وقولك: هل يجب عليك، فنعم يجب على كل من قدر عليه وإن لم يفعل أثِمَ. ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في ردِّ ما لا يقدرون على جحده، كما أني لما أمرت برجم الزانية قالوا: لا بد من إذن الإمام، فإن صح كلامهم لم يصح ولا يتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها.

الثامنة ـــ مسائل: الحلال، والحرام، والبيوع، والأنكحة وغيرها من أهم أمور الدين وأفضل الأعمال، ولكن تفصيل ما ذكرت من الراجح يحتاج إلى تطويل لا تحتمله الأوراق، ولعله بالمذاكرة إذا التقينا إن شاء الله.

التاسعة ـــ لا يُقتَل المرتد إلا بعد الاستتابة فهذا صحيح، ولم نفعل ذلك مع أحد قاتلناه إلا بعد اللتيَّا والتي من الاستتابة[1].

العاشرة ـــ قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين، وقول أحمد: يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصةً، مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق، فالفرق ظاهر جدًّا، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعضٍ يرخِّص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصُّه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور إنه مكروه فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد، لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره: يطلب فيه تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات، فأين هذا ممن يدعو الله مخلصاً له الدين لا يدعو مع الله أحداً، ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيك، أو بالمرسلين، أو بعبادك الصالحين، أو

---

(١) في المطبوعة ١: ٢٠٨ «إلا بالاستتابة والتي من الاستتابة» والتصويب من المخطوطة والمصورة ١: ٢٦٧.

يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو [إلّا][1] الله مخلصاً له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟

المسألة الحادية عشرة ــ في لمس القبر أو قصده للدعاء عنده، فليس هذا من دين المسلمين، فهذا هو الصواب بلا ريب. وكون الشارح ذكر كلام الحربي أن قبر معروف ترياق مجرَّب، فهذا لا ينكر لأن العلماء يذكرون في المسألة القولين أو أكثر، و يرجِّحون الراجح أو يتوقف بعضهم، ولكن كلام الشيخ بضد كلام الحربي مخالف له منكر له، ولكن ليكن منك على بال ما أخرج في الصحيحين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه أن يوحِّدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات» فتدبَّر هذا، وأرْعِهِ سمعك، وأحضر قلبك، إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس إلا إن استجابوا للتوحيد، فكيف بمن لا يهمه في دينه إلا بعض مسائل الاجتهاد مع ما يراه من سبِّ الناس للتوحيد، واستحلالهم دم من دان به وماله، ودعوتهم إلى الشرك الأكبر، ودعواهم أن أهله السواد الأعظم، ثم مع هذا إذا أخذهم السيف كرهاً قالوا: ما خالفنا والناس يكذبون علينا وعرفنا الكذب، وإلا جميع ما جرى منهم لم يقرُّوا به ولم يتوبوا منه، والرسول صلى الله عليه وسلم هذه وصيته لمعاذ. فاتق الله في تدبُّر هذا الحديث، وتدبُّر ما عليه أعداء الله من العداوة للتوحيد.

وأما المسائل التي ذكر في الجنائز: من لمس القبر، والصلاة عنده، وقصده لأجل الدعاء، أو كذا وكذا، فهذا أنواع. أما بناء القباب عليها فيجب هدمها، ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر؛ وكذلك الصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث

---

(١) زيادة من المخطوطة: ١٤٤ والمصورة ١ : ٢٦٧.

الشرك، فيشتد نكير العلماء لذلك، كما صحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لعنة الله على اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وذكر العلماء أنه يجب التغليظ في هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك؛ كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب وَدّ وسُوَاع ويَغُوث ويَعُوق ونسْر، لما عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة، ثم بعد ذلك بقرونٍ عُبدوا، فكذلك في هذه الأمة كما قال صلى الله عليه وسلم «لتتبعُنّ سَنَن من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه» فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك، ثم بعد ذلك بقرونٍ وقع الشرك. وأول ما جرى من هذا أن بني أمية ـــ لما بنوا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ـــ وسَّعوه واشتروا بيوتاً حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه قبره وقبر صاحبيه، ولكن أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد ولم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك، لكن قصدوا تعظيم المسجد، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك. فانظر إلى سد العلماء الذرائع.

وأما النذر له ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر، فتأمل ما ذكره البغوي في تفسير سورة نوح في قوله تعالى ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ﴾ الآية، وما ذكر أيضاً في سورة النجم في قوله ﴿أفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ والعُزَّى﴾ أن اللات قبر رجل صالح. فتأمل الأصنام التي بُعِثَت الرسل بتغييرها كيف تجد فيها قبور الصالحين؟

والحمد لله رب العالمين.

المسألة السابعة عشرة

سئل رحمه الله عن الجد هل يكون بمنزلة الأب في الميراث؟ وما حجة من قال بذلك؟ وعن قسم المال جزافاً؟ وما معنى الاحتساب في نفقة الأهل؟ وعن قول إبراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتى). وقوله في كلام البقر والذيب «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» إلى آخره.

فأجاب رحمه الله:

أما كون الجَدّ أباً فرُجِّح بأمور؛ الأول: العموم، واستدل ابن عباس على ذلك بقوله ﴿يا بني آدم﴾. الثاني: محض القياس، كما قال ابن عباس: ألا يتقي الله زيد: يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أبا الأب أباً. الثالث: أنه مذهب أبي بكر الصديق. الرابع: أن الذين ورّثوا الإخوة معه اختلفوا في كيفية ذلك كما قال البخاري لما ذكر قول الصديق، ويذكر عن علي وابن مسعود وزيد أقاويل مختلفة. الخامس: أن الذين ورّثهم لم يجزموا بل معهم شك، وأقرُّوا أنهم لم يجدوه في النص لا بعموم ولا غيره. السادس، وهو أبْيَنُها كلها: أن هذا التوريث وكيفياته لو كان من الله لم يُتَصوَّر أن يهمله النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية مع صعوبته والاختلاف فيه. وأما حجة المخالف منهم فمقرُّون أنه محض رأي لا حجة فيه إلا قياساً فيما زعموا.

وأما قَسْمُ المال جزافاً فأرجو أنه لا بأس به، كما في ثمرة النخل.

وأما المساقاة [على الزرع][1] كما أردتم، فلا أدري وأنا أكرهه.

وأما معنى الاحتساب في نفقة الأهل فمشكل عليّ.

وأما قوله ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ فمن أعظم الأدلة على تفاوت

---

(١) زيادة من المخطوطة: ١٤٥ والمصورة ١: ٢٧٠.

الإيمان ومراتبه، حتى الأنبياء: فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمناً، فإذا كان محتاجاً إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره؟ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح «نحن أحق بالشك من إبراهيم».

وأما قوله في كلام البقرة والذيب «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» وليسا في ذلك المكان، فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم فلما أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا جرى فيما مضى تعجبوا من ذلك مع إيمانهم فقال: «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه مع كونهما ليسا في المجلس محل ذلك، على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما خصوصاً لما قرنهما بإيمانه صلى الله عليه وسلم. ومع هذا فأمور الإيمان من الأمور الميتة لكن لعلكم تفهمون منها شيئاً إذا قرأتم في كتاب الإيمان.

والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

المسألة الثامنة عشرة

سئل رحمه الله عن قوله تعالى: (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) الآية فأجاب رحمه الله:

اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شيء، يعلم ما يقع على خلقه وما يقعون فيه، وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة. وأنزل هذا الكتاب المبارك الذي جعله تِبْياناً لكل شيء، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومَنْ بعدهم، كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم. ومن أعظم البيان الذي فيه بيان الحجج الصحيحة، والجواب عما يعارضها، وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها. فلا إله إلا الله ماذا حُرِمه المُعْرِضون عن كتاب الله من الهدى والعلم! ولكن لا معطِيَ لما منع الله، وهذه التي سألت عنها فيها بطلان شُبَهٍ يحتجُّ بها بعض أهل النفاق والريب في زماننا هذا في قضيتنا هذه.

وبيان ذلك: أن هذه في آخره قصَّة آدم وإبليس، وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجلّ عن الوصف؛ فمن ذلك: أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم، ولو فعل لكان فيه طاعة لربه وشرف له، ولكن سوَّلت له نفسه أن ذلك نقص في حقه إذا خضع لواحدٍ دونه في السن ودونه في الأصل على زعمه. فلم يطع الأمر، واحتجَّ على فضله بحجة وهي: أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه، بل العكس. فعارض النص الصريح بفعل الله الذي هو الخلق، فكان في هذا عبرة عظيمة لمن ردَّ شيئاً من أمر الله ورسوله واحتج بما لا يجدي. فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل، بل طرده، ورفع آدم، وأسكنه الجنة. فكان مع عدو الله من الحفظ والفطنة ودقة المعرفة ما يجلّ عن الوصف، فتحيل على آدم حتى ترك شيئاً من أمر الله، وذلك بالأكل من الشجرة، واحتج لآدم بحجج. فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج، بل أهبطه إلى الأرض، وأجلاه من وطنه، ثم قال ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عدُوٌّ فإمَّا يَأتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً﴾ يقول تعالى: لأجلِيَنَّكم عن وطنكم، فإن

بعد هذا الكلام وهو أني أرسل إليكم هدى من عندي لا أكِلُكم إلى رأيكم ولا رأي علمائكم، بل أنزل عليكم العلم الواضح الذي يبيِّن الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار﴿لِئَلاَّ يَكُوْنَ لِلنَّاس عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن. فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد فقد كذَّب الله بخبره أنه هُدىً، فإنه على هذا القول الباطل لا يكون هدى إلا في حق الواحد من الآلاف المؤلفة وأما أكثر الناس فليس هدى في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء. فما أبطل هذا من قول! وكيف يصحُّ لمن يدَّعي الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجري عليها ما جرى على من قبلها من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرُّون أن كتاب الله هو الحق لكن يعتذرون بالعجز، وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموا لغموضه قال: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاي فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾ وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء. قال ابن عباس: تكفّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه لا يضلُّ في الدنيا ولا يشقي في الآخرة.

وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعموا أنهم لو تركوا طريقة الآباء، واقتصروا على الوحي، لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون، كما قالوا: قلوبنا غُلْفٌ، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفرِهِمْ﴾ فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضلُّ كما ضلَّ من اتَّبع الرأي؛ فتجدهم في المسألة الواحدة يحكمون سبعة أقوال أو ستة ليس منها قول صحيح، والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه.

والحاصل أنهم يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفاً من الخطأ، ولم نقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة فعكس الله كلامهم، وبيّن أن العصمة في اتّباع القرآن إلى يوم القيامة.

وأما قوله: ﴿ولا يشقى﴾ فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه في الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا. فذكر الله أن من اتبع القرآن أمِنَ من المحذور الذي هو الخطأ عن الطريق، وهو الضلال، وأمن من عاقبته وهو الشقاء في الآخرة. ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ وذِكْرُ الله هو القرآن الذي بيَّن اللهُ لخلقه فيه ما يحبُّ ويكره، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين﴾ الآيتين. فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين؛ إحداهما: المعيشة الضَّنك، وفسَّرها السلف بنوعين، أحدهما: ضنك الدنيا، وهو أنه ـــ إن كان غنياً ـــ سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب والبدن في جميع الدنيا حتى يأتيه الموت، ولم يَتَهَنَّ بعيش. الثاني: الضنك في البرزخ وهو عذاب القبر. وفسر الضنك في الدنيا أيضاً بالجهل، فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما، فصار في هذا مصداق قوله في الحديث عن القرآن «من ابتغى الهدى من غيره أضلّه الله». فبان لك أن الله عاقبهم بضدّ قصدهم، فإنهم قصدوا معرفة الفقه فجازاهم بأن أضلَّهم وكدَّر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم لخوف الفقر وقلة غناء أنفسهم، وعذاب أبدانهم بأن سلّط عليهم الظلمة والفقر، وأغرى بينهم العداوة والبغضاء. فإن أعظم الناس تعادياً هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة، ثم قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾ والعمى نوعان: عمى القلب، وعمى البصر[1]. فهذا المُعْرِض عن القرآن ـــ لما عَمِيَت بصيرته في الدنيا عن القرآن ـــ جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى. قال بعض السلف: أعمى عن الحجة لا يقدر على المجادلة

(١) في الأصل: «وعمى البصيرة»، والتقسيم الذي ذكره يقتضي المخالفة بين النوعين.

بالباطل كما كان يصنع في الدنيا ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أعمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾. فذكر الله أنه يقال له: هذا بسبب إعراضك عن القرآن في الدنيا وطلبك العلم من غيره. قال ابن كثير في الآية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي. أعرض عنه: تناساه وأخذ من غيره هُدَاه ﴿فإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ أي: في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعُّم. وظاهره أن قوماً أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا فكانت معيشتهم ضنكاً؛ وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخالفاً لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله. ثم ذكر كلاماً طويلاً، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة التاسعة عشرة

سئل رحمه الله عن رجل خاشر خشراء[1] وطلبوا ضمان أخيه، وقال له أخوه: لا أضمن عليك إلا أن ترهنني رهانة. وأرهنه نصف نخله في هذا الدين الذي ضمن، والنصف الآخر مرهون عند غيره، وعليه دين غير هذا كثير؛ وذكر لنا عنك أن الرهن لا يصح، وأن ديانيه مشتركون فيما عنده. وهذه كثيرة الوقوع وغالب من يدينونه الديانون فقير، فإن لم يصح له رهن ولا وفاء إلا من الجميع، ولم يحجر عليه ـــ فاذكر لنا صورة المسألة. وأنا طالعتها ولا رأيت الاختلاف إلا في التبرعات المالية: كالعتق والصدقة. وذكروا أن مذهب الإمام أحمد وغيره نفوذ تصرفه ولو استغرق ماله، وخالف الشيخ ابن تيمية في ذلك، وقال: لا ينفذ لأن عليه واجباً. وأما غير التبرعات فلا وجدنا شيئاً. فأنت اذكر لنا عن مأخذ المسألة. والذي ظهر لنا في هذا أن هذه المسألة إن قيل بها ما احتيج لحجر الحاكم أو من يستغرق الدين ماله لم ينفذ تصرفه، ويلزم على هذا لوازم كثيرة. فأنت اذكر لنا شيئاً نعتمد عليه، فإن الخطب كبير. أفتنا مأجوراً.

فأجاب رحمه الله:

صورة المسألة أولاً: أن الراجح الذي عليه كثير من العلماء أو أكثرهم أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض، وقبض كل شيء هو المتعارف وقبض الدار والعقار هو تسلم المرتهن له ورفع يد الراهن عنه. هذا هو القبض بالإجماع، ومن زعم أن قوله «مقبوض» يصيره مقبوضاً خارق الإجماع[2] مع كونه زوراً مخالفاً للحس. إذا ثبت هذا فنحن[3] ما أفتينا بلزوم هذا الرهن إلا لضرورة وحاجة، فإذا أراد صاحبها أن يأكل أموال الناس ويخون في أمانته لمسألة مختلف فيها فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور في هذه المسألة. فإن رجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله في إيجاب العدل وتحريم الخيانة فهذا هو الأقرب قطعاً، وإن رجعت إلى غالب كلام العلماء فهم لا يلزمون ذلك إلا برفع يد الراهن وكونه في يد المرتهن.

---

(١) في الأصل «خاشد خشداء» بالدال المهملة، وانظر ما سبق ص: ٤٧١ والهامش وصوابها هناك «الخشير» بالراء. وقد أخبرني ثقة من علماء نجد أن «خاشر» معناها في لهجتهم «شارك» و«الخشير» «الشريك» وجمعها «خشراء».

(٢) في المطبوعة ١: ٢١٣ «يصير مقبوضاً خارج الإجماع»، وأثبتنا ما في المخطوطة والمصورة.

(٣) في المطبوعة: «إذا ثبت هذا فيجوز ما أفتينا» وهو خطأ صوابه من المخطوطة والمصورة.

وأما قولك: لم أجد الخلاف إلا في الصدقة والهبة؛ فهذا هو العجب. أتراهم يبطلون العتق الذي هو من أحب الأشياء إلى الله، ويسري في ملك الغير[1]، ويردون الصدقة بعد ما يأخذها الفقير لأجل العدل ووفاء الدين[2]، ويمنعونه في الرهن ولو كان صحيحاً؟

وأما قولك: إن صحّ هذا لم يحتج إلى الحجر، فيقال: إن الحجر يمنع تصرفه مطلقاً ولو كان فيه إصلاح لنفسه أو للغرماء. وأما هذه المسألة فتصرفه صحيح كله إلا ما عصى الله فيه ورسوله وخان أمانته وظلم الناس، فهذا هو المطابق للعقل والنقل، ولكن هذا أوحشته الغربة كما استُوْحِش من إنكار الشرك.

والله أعلم

(١) في المطبوعة ١: ٢١٤: «وسيري في تلك الفقير» والتصويب من المخطوطة: ١٤٧ والمصورة ١: ٢٧٥.

(٢) في المطبوعة «ووفاء من المدين» والتصويب من المخطوطة.

المسألة العشرون

سئل رحمه الله عن هذه المسألة وهي: قلب الدين في ذمة المدين بتمر أو غيره.
فأجاب بقوله:

من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فقد وصل كتابك تسأل عن المسألة التي يفعلها كثير إذا ورد له على رجل دراهم وأراد أن يقلبها بزاد وأخرج من بيته دراهم، وصحح بها وأوفاه بها، وأنا قد ذكرت لك أنها من الحيل الباطلة التي ينكرها الإمام أحمد وغيره من الأئمة، وأغلظوا القول في أهلها. وذلك أن عندهم لا بد من كون رأس مال السَّلَم[1] مقبوضاً في مجلس العقد، وعندهم أن كونه ديناً أعني رأس مال السلم ربا وهذه بعينها مسألتكم؛ إلا أنه لما اعترف[2] بكونه ربا أحضر من بيته عدة الدين المقلوب وعقد بها، والعارف والشهود ومن حضرهم يعلمون أن المكتوب هو الدين الحالّ والتاجر يقول له: أوفني أو اكتبها؛ والمشتري يقول: ورد له دراهم وكتبتها منه. ويفهمون أن الدراهم الحاضرة غير مقصودة، ويسمون هذا العقد التصحيح. وهذا لا ينكره إلا مكابر معاند، وحينئذ فعباراتهم والحيل التي تُحِلُّ حراماً أو تحرِّم حلالاً لا تجوز في شيء من الدين، وهي أن يظهرا عقداً صحيحاً ومرادهما التوسل به إلى عقد غير صحيح، هذا معنى عبارة «الإقناع» و«شرحه». فإن جادلكم أحد في أن هذه الصورة غير داخلة في ذلك، فقل له: مثل صورة الحيل المحرمة، فإنه لا يذكر شيئاً من الصور إلا ومسألتكم[3] مثلها أو أشد بطلاناً. وأعجب من هذا أن ابن القيم ذكر في «إعلام الموقعين» في

(١) السلم (محركة): انظر اللسان، وإعلام الموقعين ٢: ١٠٢-١٠٤.

(٢) في المطبوعة: «وهذه بعينها مسألة إلا أنه اعترف».

(٣) في المطبوعة: «إلا وسئلتم مثلها».

صورة أحسن من هذه وأقرب إلى الحل ما صورته: لو أراد أن يجعل رأس مال السلم ديناً يوفيه إياه في وقت آخر بأن يكون معه نصف دينار، ويريد أن يسلم إليه ديناراً غير معين في كونه حنطة، فالحيلة أن يسلم إليه ديناراً غير معين، ثم يوفيه نصف الدينار، ثم يعود فيستقرضه منه، ثم يوفيه إياه، فيفترقان وقد بقي له في ذمته نصف دينار. وهذه الحيلة من أقبح الحيل فإنهما لا يخرجان بها عن تأخير رأس مال السلم، ولكن توصلا إلى ذلك بالقرض الذي جعلا صورته مبيحة لصريح الربا ولتأخير رأس مال السلم. وهذا غير القرض الذي جاءت به الشريعة وإنما اتخذه المتعاقدان تلاعباً بحدود الله. انتهى كلامه.

فانظر فهذا كان كلامه فيمن أراد أن يسلم إلى الرجل مائة محمدية من بيته باطناً وظاهراً ولكن لم يحضر في المجلس إلا خمسين، وكتبها عليه، ثم استقرضها وكتبها أخرى، إلا أنه يخرج الخمسين في آخر النهار أو غد، فكيف بكلامه في التحيل على قلب الدين وجعله رأس مال السلم؟ وإذا كان هذا كلامه في «إعلام الموقعين» وهو الذي ينسبون عنه إذا أراد أن يشتري دابة بخمسين وجاء رجل وربّحه في الخمسين خمساً أو أكثر أو أقل وقال: أنا موكلك تشتريها، ثم تبيعها على نفسك. وهذه الحيلة الملعونة التي هي أغلظ من الربا، فاستباح بها إلى الآن أكثر المطاوعة الربا الصريح، وينسبونها إلى «إعلام الموقعين» وحاشاه منها، بل هذا صفة كلامه في رأس مال السلم الحاضر إذا تأخر قبض بعضه إلى آخر النهار فضلاً عن هذه وأمثالها. ومع هذا فالله سبحانه لا مردَّ لحكمه يَهْدِي مَن يشاء وَيضِلُّ مَن يشاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾.

والسلام.

المسألة الحادية والعشرون

قال رحمه الله:

سألني رجل عن وقف نخل تعطل، وبيع نصفه لإصلاح النصف الآخر بمائة أحمر، واستأجروا بمائة الأحمر من يسقي النصف الآخر عشر سنين[1]، فمات الذي استأجره لما مضى بعض المدة وهي سنتان، وأراد ورثته أن يُتِمُّوا باقي مدته، وأراد المؤجر الفسخ.

فأجبت:

إن الإجارة صحيحة ثابتة لا تنفسخ بموت المستأجر، فإذا تمم الورثة ما على ميتهم استحقوا ما استحقه وليس للمؤجر الفسخ. ودليل هذا أن القول بانفساخ الإجارة أو المساقاة قول ضعيف ردَّه أهلِ العلم بالنص الثابت. من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ساقى أهل خيبر لم يجد الخلفاء بعده عقداً، فإذا ثبت هذا فقد أمر الله بالوفاء بالعقود بقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا أَوْفُوْا بالعُقُود﴾ وهذا اللفظ عام من جوامع الكلم. فمن ادَّعى في صورة من العقود أنه لا يجوز ولا يجوز الوفاء به لأجل موت أو غيره فعليه الدليل ﴿والله يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل﴾.

(١) في المصورة ٢٧٧:١ «عشرين سنة».

المسألة الثانية والعشرون*

قال رحمه الله تعالى: الذي يعلم به من يقف على هذا من الإخوان المتَّبعين محمداً صلى الله عليه وسلم أن ابن صباح سألني عما ينسب إليَّ، فأجبته، فطلب مني أن أكتب له في ورقة، فكتبت له:

الحمد لله، أما بعد؛ فما ذكره المشركون عني أني أنهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، أو أني أقول: لو أنَّ لي أمراً هدمت قبة النبي صلى الله عليه وسلم، أو أني أتكلم في الصالحين، أو أنهى عن محبتهم ــ فكل هذا كذب وبهتان افْتَراه عليّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل، مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس الذين يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينخونهم ويندبونهم، وكذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله وهو منهم بريء كبراءة عليّ بن أبي طالب من الرافضة. فلما رأوني آمر الناس بما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أن لا يعبدوا إلا الله، وأن من دعا عبد القادر فهو كافر وعبد القادر منه بريء، وكذلك من نخا الصالحين أو الأولياء، أو ندبهم[1]، أو سجد لهم، أو نذر لهم، أو قصدهم بشيء من أنواع العبادة التي هي حق الله على العبيد؛ وكل إنسان يعرف أمر الله ورسوله لا ينكر هذا الأمر بل يقرُّ به ويعرفه.

وأما الذي ينكره فهو بين أمرين: إن قال إنَّ دعوة الصالحين واستغاثتهم والنذر[2] لهم، وصيرورة الإنسان فقيراً لهم ــ أمرٌ حسن ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر، فهذا مصرِّحٌ[3] بتكذيب الله ورسوله، ولا خَفاء في كفره فليس له معنا

(*) انظر الدرر السنية ١:٣٧.

(١) في المطبوعة ١:٢١٦ «أو مذهبهم» وهو خطأ واضح.

(٢) في المطبوعة ١:٢١٦ «والتذلل لهم».

(٣) في الدرر ١:٣٨ «مصر».

كلام. وإنما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر، ويحب ما أحب الله ورسوله، و يبغض ما أبغض الله ورسوله، لكنه جاهل قد لبست عليه الشياطين دينه، و يظن أن الاعتقاد في الصالحين حق، ولو يدري أنه كُفرٌ يُدْخِل صاحبَه النار [ما فعله][1] فنحن نبين لهذا ما يوضح الأمر فنقول: الذي يجب على المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله و يسأل عنه، فالله سبحانه أنزل القرآن وذكر لنا فيه ما يحبه وما يبغضه، وبيَّن لنا فيه ديننا وأكمله، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء، فليس على وجه الأرض أحد أحب إلى أصحابه منه[2]: فهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم، و يعرفون قدره، و يعرفون أيضاً الشرك والإيمان. فإن كان أحد من المسلمين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه أو نذر له أو ندبه، أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله أو يندبه أو يدخل عليه ملتجئاً به عند القبر — فاعرف أن هذا أمر صحيح حسن، ولا تطعني ولا غيري. وإن كان إذا سألت وجدت أنه صلى الله عليه وسلم تبرَّأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين، وقتلهم، وسباهم وأولادهم، وأخذ أموالهم، وحكم بكفرهم — فاعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالحق، والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به.

و بالجملة فالذي أُنْكِرُه: الاعتقادُ في غير الله مما لا يجوز صرفه لغيره، فإن كنتُ قلتُه من عندي فارْمِ به، أو من كتاب لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك، أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به أيضاً. وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه، لأجل أهل زمانه، أو أهل بلده، أو أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه.

---

(١) زيادة من المخطوطة والدرر والمصورة ١: ٢٧٨.

(٢) في المخطوطة والمطبوعة والمصورة: «أحب من أصحابه له» وأثبتنا ما في الدرر فهو أولى بالسياق.

واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة جداً، لكنْ أمثِّل لك بدليل واحد ينبِّهك على غيره: قال الله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ذكر المفسِّرون في تفسيرها أن جماعة كانوا يعتقدون في عيسى عليه السلام وعُزَيْرٍ فقال الله تعالى: هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي. فيا عباد الله تفكروا في كلام ربكم تبارك وتعالى إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دينهم الذي كفَّرهم به هو الاعتقاد في الصالحين، وإلا فالكفار يخافون الله و يرجونه ويحجُّون و يتصدّقون، ولكنهم كفروا بالاعتقاد في الصالحين، وهم يقولون إنما اعتقدنا فيهم ليقرِّبونا إلى الله زلفى و يشفعون لنا، كما قال تعالى ﴿والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُوْنِه أَوْلِياء مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى﴾ وقال تعالى ﴿وَ يَعْبُدُون مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هٰؤلاء شُفَعاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾.

فيا عباد الله إذا كان الله ذكر في كتابه أن دين الكفار هو الاعتقاد في الصالحين، وذكر أنهم اعتقدوا فيهم ودعوهم وندبوهم لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، هل بعد هذا البيان بيان؟ فإذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم ــ مع أنه نبي من الأنبياء ــ وندبه ونخاه فقد كفر، فكيف بمن يعتقد في الشياطين كالكلب أبو حديدة وعثمان الذي في الوادي، والكلاب الأُخَر في الخَرْج، وغيرهم في سائر البلدان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل و يصدُّون عن سبيل الله؟ وأنت يا من هداه الله لا تظن أن هؤلاء يحبون الصالحين، بل هؤلاء أعداء الصالحين، وأنت والله الذي تحب الصالحين، لأن من أحب قوماً أطاعهم، فمن أحب الصالحين وأطاعهم لم يعتقد إلا في الله، وأما من عصاهم ودعاهم يزعم أنه يحبهم فهو مثل النصارى الذين يدعون عيسى و يزعمون محبته وهو بريء منهم، ومثل الرافضة الذين يدعون علي بن أبي طالب وهو بريء منهم.

ولنختم الكتاب بكلمة واحدة وهي أن أقول: يا عباد الله لا تطيعوني، ولكن تفكروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله، وأنا أنصحكم لا تظنوا أن الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقة، بل هو عبادة الأصنام من فعله كفر، وتبرَّأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. يا عباد الله تفكروا وتذكروا، والسلام.

المسألة الثالثة والعشرون

قال رحمه الله:

الذي يعلم به الأخ مقرن بن عبد الله ـ بعد إبلاغ السلام ـ أن ابن صالح سألني عن التذكير، فقلت: إنه بدعة. فذكر أن عندنا من لا يعرف الجمعة إلا به، وذكرت له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم منا بصالح أمته، وهو سنّ الأذان ونهى عن الزيادة، فإذا فتح الله لكم باباً في اتباع نبيكم صلى الله عليه وسلم فلا تستثقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله، والسلام.

المسألة الرابعة والعشرون

قال رحمه الله:

إلى الأخ سليمان، وبعد،

مسألة الخمس، فاعلم أن الأمر أمران: أمر تأمر به، وأمر يفعله الغير وتحتاج إلى الإنكار فيه. والثاني نتوسع فيه إلا أن نرى منكراً صريحاً. إذا ثبت هذا فمسألة الخمس لا أكره فعلهم إذا أخذوه باسم الخمس. وأما سهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوي القربى ففيه كلام طويل. وقد ذكر أن أبا بكر وعمر لم يعطيا بني هاشم، فالذي أرى أن يجري في المصالح حتى يتبين فيه حكم. وأما مصرف المصالح عندكم فهذا الذي تذكر أنهم يفعلونه ما علمت فيه خلافاً لكن لا يقتصر عليه بل من المصالح ما هو أهم منه. وأما عقوبة من تخلَّف وعصى الأمر يأخذ شيئاً من ماله، فقد ذكر ابن القيم أن بعض السلف أفتى به، وظاهر كلامه أنه مقرر له. والسلام.

المسألة الخامسة والعشرون

قال رحمه الله:

يعلم من يقف عليه أني وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم يريد أن يصدّ بها الناس عن دين الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله، فأردت أن أنبه على ما فيها من الكفر الصريح، وسب دين الإسلام، وما فيها أيضاً من الجهالة التي يعرفها العامة. فأما تناقض كلامه فمن وجوه: الأول ـ أنه صنّف الأوراق يسبُّنا ويردُّ علينا في تكفير كل من قال لا إله إلا الله، وهذا عمدة ما يشبّه به على الجهال، وعقد لها فصلاً في أوراقه يقول: أما من قال لا إله إلا الله لا يكفر، ومن أمّ القبلة لا يكفر. فإذا ذكرنا لهم الآيات التي فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت، يقول: نزلت في اليهود، نزلت في النصارى، نزلت في فلان. ثم رجع في أوراقه يكذّب نفسه ويوافقنا، ويقول: من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أملس الكف، كفر، ومن قال كذا كفر. وتارة يقول: ما يوجد الكفر فينا، وتارة يقرر الكفر أعجب ليأتيه[1].

الثاني ـ أنه ذكر في أوراقه أنه لا يجوز الخروج عن كلام العلماء، وهو صادق في ذلك. ثم ذكر فيها كفر القدرية والعلماء لا يكفرونهم فكفرنا سالم[2] وأنكر علينا تكفير أهل الشرك.

الثالث ـ أنه ذكر معنى التوحيد أن تصرف جميع أنواع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده، ولا تجعل فيها شيئاً لملك مقرّب ولا نبي مرسَل، وهذا حق. ثم يرجع يكذّب نفسه، ويقول: إن دعاء شمسان وأمثاله في الشدائد والنذر لهم ليبرءوا المريض ويفرجوا عن المكروب ـ الذي لم يصل إليه عَبَدَةُ الأوثان، بل

(١) في المخطوطة: ١٥١ «لبانيه يخربه».

(٢) في المخطوطة «فكفرنا سالم يكفروا وأنكر علينا...».

يخلصون لله في الشدائد– ويجعل هذا ليس من الشرك. ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه «إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب» إلى آخره.

الرابع– أنه قسم التوحيد إلى نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويقول: إن الشيخ بيّن ذلك، ثم يرجع يردُّ علينا في تكفير طالب الحمضي وأمثاله الذين يشركون بالله في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ويزعمون أن حسيناً وإدريس ينفعون ويضرون –وهذه الربوبية، ويزعم أنهم ينخون ويندبون– وهذا توحيد الألوهية.

الخامس– أنه ذكر في ﴿قل هو الله أحد﴾ أنها كافية في التوحيد، فوحد نفسه في الأفعال فلا خالق إلا الله، وفي الألوهية فلا يعبد إلا الله، وبالأمر والنهي فلا حكم إلا لله. فيكرر هذه الأنواع الثلاثة، ثم يكفر بها كلها ويرد علينا. فإذا كفّرنا من قال: إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون، قال: كفّرتم الإسلام. وإذا كفّرْنا من يدعو شمسان وتاجاً وحطاباً، قال: كفّرتم الإسلام. والعجب أنه يقول: إن من التوحيد توحيد الله بالأمر والنهي فلا حكم إلا لله، ثم يردّ علينا إذا عملنا بحكم الله، ويقول: من عمل بالقرآن كفر، والقرآن ما يفسر.

السادس– أنه ينهى عن تفسير القرآن ويقول: ما يعرف. ثم ينحرف يفسره ويقول ﴿قل هو الله أحد﴾ فيها كفاية، فلما فسّرها كفر بها.

السابع– أنه ذكر أن التوحيد له تعلق بالصفات وتعلق بالذات. وقبل ذلك قد كتب إلينا أن التوحيد في ثلاث كلمات: أن الله ليس على شيء، وليس في شيء، ولا من شيء. فتارة يذكر أن التوحيد إثبات الصفات، وتارة يقول غير ذلك، ويقول التوحيد إنكار الصفات.

الثامن ــ أنه ذكر آيات وأحاديث في النهي عن الشرك، وقال: المراد بهذه الآيات والأحاديث الشرك الجلي كشرك عباد الشمس، لا على العموم كما يتوهمه الجهال. فصرح أن مراد الله ومراد النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل فيه إلا عبادة الأوثان، وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه، وسمّى الذين أدخلوه الجهال. ثم في آخر الصحيفة بعينه قال: ويطلق الشرك بعبارات أخر، وكل ذلك في قوله ﴿وما أنا من المشركين﴾ فرد علينا في الصحيفة، وكذب على الله ورسوله في أن معنى ذلك بعض الشرك، ثم رجع يقرِّر ما أنكره ويقول: إن الشرك الأكبر والأصغر داخل في قوله تعالى ﴿وما أنا من المشركين﴾.

التاسع ــ أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع: شرك الربوبية، وشرك الألوهية، وشرك العبادة، وشرك الملك. وهذا كلام من لا يفهم ما يقول. فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك الربوبية هو شرك الملك.

العاشر ــ أنه قال في مسألة الذبح والنذر: ومن قال إن الذبح والنذر عبادة فهو منه دليل على الجهل، لأن العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفيّ ولا اقتضاء عقلي، والبهم لا يفهم معنى العبادة. فاستدل على النفي بدليل الإثبات.

الحادي عشر ــ أنه بعد أربعة أسطر أكذب نفسه في كلامه هذا، فقال: من ذبح لمخلوق يقصد به التقرُّب، أو لرجاء نفع، أو لدفع ضرر من دون الله ــ فهذا كفر. فتارة يردّ علينا إذا قلنا إنه عبادة، وتارة يكفر من فعله.

الثاني عشر ــ أنه قرر أن من ذبح لمخلوق لدفع ضر أنه كفر، ثم أنه يقرر أن الذبح للجن ليس بكفر.

الثالث عشر ــ أنه ردّ علينا في الاستدلال بقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ثم رجع يقرر ما قلنا بكلام البغوي: كان ناس يذبحون لغير الله فنزلت فيهم الآية. فيا سبحان الله من عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر لا يُميِّز بين التين والعنب.

المسألة السادسة والعشرون

سأله الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل، فأجاب بقوله:

من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع حفظه الله تعالى،

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛

فنحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، بخير وعافية أتمها الله علينا وعليكم في الدنيا والآخرة، وكل من تسأل عنه فهو طيب، والأمور على ما تحب، والإسلام يزداد ظهوراً، والشرك يزداد وهناً. نسأل الله تمام نعمته.

وسرّ الخاطر ما ذكرت من جهة جماعتكم عسى الله[1] أن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، فإنه عليه سهل هيِّن مع كونه سفت عليه السوافي حتى وارته. وصاحب الورقة الذي اسمه عثمان بن عقيل إن كنت تظن أنه صادق ما هو منافق فلا يخلي بكشف الشبهة التي أوردها.

وأما المسائل التي ذكرت فاعلم أولاً أن الحقّ إذا لاح واتضح[2] لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق. وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذي هو أوضح من الصلاة والصوم[3]، ولم يضره ذلك. فإذا فهمت قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم فإنْ تنازعتم في شيء فَرُدُّوهُ إلى الله والرسول إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف في كتب المختصرات. ذكر في شرح «الإقناع» في أول «الوقف» أنهم اتفقوا على صحة

---

(١) في المطبوعة ١:٢٢٠ «من جهة جاز بن عبدالله أن يهدينا» وأثبتنا ما في المخطوطة: ١٥٢ والمصورة ١:٢٨٥.

(٢) في المطبوعة «فاعلم أولاً أن الذي اتضح...» والصواب من المخطوطة والمصورة.

(٣) في المطبوعة ١:٢٢٠ «التوحيد الذي هو دين الإسلام من الصلاة والصوم». والتصويب من المخطوطة: ١٥٢ والمصورة ١:٢٨٥.

وقف المساجد والقناطر يعني نفعهما لا الوقف عليهما[1]، واتفقوا فيما سوى ذلك. إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ»، وفي لفظ حديث صحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ» وتقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بهذا ولو يأمر به لكان الصحابة[2] أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه. وتقطع أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتى بسد الذرائع[3]، وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله، هذا على تقدير أن العالم المنسوب إليه هذا يصحّح مثل[4] أوقافنا، وأنّى ذلك وحاشا وكلا! بل هم يبطلون الوقف الذي يقصد به وجه الله على أمر مباح، ويقولون لا بد منه على أمر قربة[5]. وأما كونه جعل ماله بعد الورثة على بدله فلا يرد إلا بعد انقراضهم، وعادتنا نفتي ببطلان مثل هذا ولا نلتفت إلى الصرف الثاني وذكر بطلان مثل هذا في الشرح الكبير وغيره.

وأما المسألة الثانية وهي: وقف المرأة على ولدها وليس لها زوج إلخ، فكذلك أن تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس إليه سواء شرعاً على قسم الله أم لا، وهذا في الحقيقة يريد أمرين: الأول ــ تحريم ما أحلّ الله لهم من بيعه وهبته والتصرف فيه، والثاني ــ يحرم زوجات الذكور وأزواج الإناث فيشابه مشابهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين في سورة الأنعام. ولكن كون الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر به كاف في فساده، صلحت نية صاحبه أم فسدت.

---

(١) في المخطوطة: ٢٥٣ «يعني بقعهما لا الوقف عليهما». وفي المصورة ١: ٢٨٥ «يعني تبعهما لا الوقوف عليهما».

(٢) في المطبوعة ١: ٢٢١ «بهذا ولو يكن الصحابة» وفي المصورة ١: ٢٨٥ «بهذا ولم يأمر به لكان الصحابة». وأثبتنا ما في المخطوطة وتستقيم به العبارة.

(٣) في المطبوعة: «أتى إليه»، والصواب من المخطوطة والمصورة.

(٤) في المطبوعة ١: ٢٢١ «المنسوب إليه أن هذا يصح مع أوقافنا» والصواب من المخطوطة.

(٥) في المطبوعة: «أمد مباح....على أمد قربة» وأثبتنا ما في المخطوطة.

وأما المسألة الثالثة: إذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا ولكن الإفاضة على أنه من يرث؛ فأنا لا أدري عن هذه المسألة شيئاً لكن أرى التوقف عنها ولا ينزع من يد من يأكله إلا ببينة.

وأما المسألة الرابعة هي: الوقف على المحتاج من ذريته، فهو صحيح ذكره البخاري عن ابن عمر أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من آل عبد الله.

وأما المسألة الخامسة وهي: مسألة الجمعة، فهي باطلة لكونها وقفاً على الورثة وأيضاً لم تشرع. وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصبرة على صاحب العقار أو غيره فلا يجوز بل الصبرة باطلة من أصلها. فإن كان هذا الجواب أزال عنك الإشكال، وإلا فلو ذكرت لي طولت لك وذكرت لك العبارات والأدلة. والسلام.

الفَصْلُ الثَّالِث

الكَلام عَلى آيات مُتَفَرِّقَة مِنَ القُرْآن

سورة الفاتحة

وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبد العزيز، حفظه الله تعالى، كتب له ـــ وهو إذ ذاك في بلد العُيَيْنَة ـــ يسأله أن يكتب له تفسير «الفاتحة»؛ فكتبها له وهو إذ ذاك صغير السن قد ناهز الاحتلام.

قال رحمه الله:

اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبّها هو: إقبال العبد على الله فيها؛ [فإذا صلّيت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه، و يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين الذي هم عن صلاتهم ساهون﴾. ففُسِّر «السَّهْو» بالسَّهْو عن وقتها أي: إضاعته، والسهو عمّا يجب فيها][1]؛ والسهو عن حضور القلب، و يدلّ على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قَرْنَيْ شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً». فوصفه بإضاعة الوقت بقوله «يرقب الشمس». وبإضاعة الأركان بذكره «النقر»، وبإضاعة حضور القلب بقوله «لا يذكر الله فيها إلا قليلاً».

إذا فهمت ذلك فافهم نوعاً واحداً من الصلاة وهو: قراءة الفاتحة، لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلاة المقبولة المضاعفة المكفِّرة[2] للذنوب. ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة حديث أبي هريرة الذي في صحيح مسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمدلله رب العالمين؛ قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى

---

(١) زيادة من المصورة ١: ٢٨٧.

(٢) في المطبوعة ١: ٢٢٢ «المكثرة»، وهو خطأ واضح يؤدي إلى نقيض المعنى المراد، والصواب من المصورة.

عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجّدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». انتهى الحديث.

فإذا تأمَّل[1] الإنسان هذا، وعلم أنها نصفان: نصف لله وهو أولها إلى قوله ﴿إياك نعبد﴾ ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه، وتأمل أن الذي علّمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعو به، ويكرره في كل ركعة، وأنه، سبحانه من فضله وكرمه، ضَمِنَ إجابة هذا الدعاء [إذا دعاه][2] بإخلاص وحضور قلب — تبين له ماذا أضاع أكثر الناس:

قد هيَّئوك لأمر لو فَطِنْتَ لهُ فَارْبأ بنفسِك أن تَرْعَى مع الهَمَلِ

فأنا أذكر لك [بعض][3] معاني هذه السورة العظيمة، لعلك تصلّي بحضور قلب، ويَعْلَم قلبُك ما نطق به لسانُك، فإن ما نطق به اللسان ولم يعتقده القلب ليس بعمل صالح، كما قال تعالى: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾. وأبدأ بمعنى الاستعاذة ثم البسملة على طريق الاختصار والإيجاز:

فمعنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: ألوذ وأعتصم بالله، وأستجير بجنابه من هذا العدوّ أنْ يضرّني في ديني أو دنياي، أو يصدّني عن فعل ما أُمِرْتُ به، أو يحثّني على فعل ما نُهِيتُ عنه، لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك، وذلك أنه لا حيلة لك في دفعه إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه

---

(١) في المطبوعة «فإذا قال الإنسان» وهو خطأ صوابه من المصورة.

(٢) زيادة من المصورة ١: ٢٨٨.

(٣) زيادة من المصورة ١: ٢٨٨.

واعتصمت به كان هذا سبباً لحضور القلب. فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان فقط كما عليه أكثر الناس.

وأما البسملة، فمعناها: أدخُلُ في هذا الأمر: من قراءة، أو دعاء، أو غير ذلك ــ بسم الله، لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعيناً بالله، متبركاً باسمه تبارك وتعالى. هذا في كل أمر تسمّي في أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا. فإذا أحضرت في قلبك أن دخولك في القراءة مستعيناً بالله، متبرّئاً من الحول والقوة، كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كل خير.

الرحمن الرحيم: اسمان مشتقّان من الرحمة، أحدهما أبلغ من الآخر، مثل: العلاّم والعليم، قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرقُّ من الآخر، أي أكثر من الآخر رحمة.

وأما الفاتحة، فهي سبع آيات: ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد، فأولها: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، فأخرج بقوله: «الثناء باللسان» الثناء بالفعل الذي يسمّى لسان الحال، فذلك من نوع الشكر، وقوله «على الجميل الاختياري» الذي يفعله الإنسان بإرادته. وأما الجميل الذي لا صنع له فيه مثل الجمال ونحوه، فالثناء به يسمّى مدحاً، لا حمداً، والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يتضمّن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان إحساناً إلى الحامد، أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور. فمن هذا الوجه الحمد أعمُّ من الشكر، لأنه لا يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله يُحْمَدُ على ماله من الأسماء الحسنى وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال: ﴿الحمدلله الذي لم يتخذ ولداً﴾، الآية. وقال: ﴿الحمدلله الذي خلق السموات والأرض﴾ وغير ذلك من الآيات.

وأما الشكر، فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخصُّ من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ والحمد إنما يكون بالقلب واللسان. فمن هذا الوجه الشكر أعمُّ من جهة أنواعه، والحمد أعمُّ من جهة أسبابه. والألف واللام في قوله «الحمد» للاستغراق، أي: جميع أنواع الحمد لله لا لغيره. فأما الذي لا صنع للمخلوق فيه، مثل: خلق الإنسان، وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق، وغير ذلك — فواضح. وأما ما يحمد عليه المخلوق مثل ما نثني به على الصالحين[1]، والأنبياء والمرسلين، وعلى من فعل معروفاً، خصوصاً إن إسداه إليك، فهذا كله [لله][2] أيضاً، بمعنى [أنه][2] خلق ذلك الفاعل، وأعطاه ما فعل به ذلك، وحبَّبه إليه، وقوّاه عليه، أو غير ذلك من أفضال الله الذي لو يختلُّ بعضها[3] لم يُحْمَد ذلك المحمود. فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار.

وأما قوله ﴿ لله رب العالمين ﴾: فالله عَلَمٌ على ربنا تبارك وتعالى. ومعناه: الإله، أي: المعبود، لقوله ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴾ أي المعبود في السموات، والمعبود في الأرض ﴿ إنْ كُلُّ من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ﴾، الآية. وأما «الرب»، فمعناه المالك المتصرِّف. وأما «العالمين» فهو اسم لكل ما سوى الله تبارك وتعالى، فكل ما سواه من: مَلَكٍ ونبي وإنس وجن وغير ذلك — مربوب مقهور، يتَصَرّف فيه، فقير محتاج إليه، كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له في ذلك، وهو الغني الصَّمَد. وذكر بعد ذلك ﴿ مالك يوم الدين ﴾، وفي قراءة ﴿ ملك يوم الدين ﴾، وذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف الألوهية والربوبية والملك، كما ذكره في آخر سورة في المصحف ﴿ قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس ﴾ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا

---

(١) في المطبوعة ١: ٢٢٤ «على الصبا بخير» والتصويب من المصورة ١: ٢٩.

(٢) زيادة من المصورة.

(٣) في المطبوعة «لو يخيل منها» والتصويب من المصورة.

تبارك وتعالى، ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في آخر ما يطرق سمعك من القرآن. فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع، و يبذل جهده في البحث عنه، و يعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينها في أول القرآن، ثم في آخر القرآن إلا لما يعلم من شدّة حاجة العباد إلى معرفتها، ومعرفة الفرق بين هذه الصفات، فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى، [كما يقال: محمد رسول الله، وخاتم النبيين، وسيد ولد آدم؛ فكل وصفٍ له معنى غير معنى الآخر][1].

فإذا عرفت أن معنى «الله» هو: الإله، وعرفت أن الإله هو المعبود، ثم دعوت الله، أو ذبحت له، أو نذرت له ــ فقد عرفت أنه هو الله، وإن دعوت مخلوقاً طيباً أو خبيثاً، أو ذبحت له، أو نذرتَ له ــ فقد زعمت أنه هو الله. فمن عرف أنه جعل شمسان أو تاجاً برهة من عمره هو الله، عرف ما عرفتْ بنو إسرائيل لمّا عبدوا العِجْل، فلما تبيّن لهم ارتاعوا، وقالوا كما ذكر الله عنهم ﴿ولما سُقِطَ في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا و يغفر لنا لنكوننّ من الخاسرين﴾. وأما «الرب» فمعناه المالك المتصرِّف، فالله تعالى مالك كل شيء، وهو المتصرف فيه، وهذا حقٌّ، ولكن أقرّ به عُبَّاد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكر الله فيهم في القرآن في غير موضع، كقوله: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار﴾ إلى قوله: ﴿أفلا تتقون﴾.

فمن دعا الله في تفريج كربته، وقضاء حاجته، ثم دعا مخلوقاً في ذلك خصوصاً إنْ قَرَن بدعائه المخلوقَ نسبةَ نفسِه إلى عبوديته، مثل قوله في دعائه: فلان عبدك، أو قول: عبد عليٍّ، أو عبد النبي، أو عبد الزبير ــ قد أقرّ له بالربوبية في دعائه عليًّا، أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى، وأقرَّ له بالعبودية

(١) زيادة من المصورة ١: ٢٩٠-٢٩١.

ليأتي له بخير أو يصرف عنه شرّاً مع تسميته نفسه عبداً له[1] ــ قد أقرّ له بالربوبية، ولم يقرّ بأنه رب العالمين كلهم، بل جحد بعض ربوبيته. فرحم الله عبداً نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات. وسئل[2] عن كلام أهل العلم، وهم أهل الصراط المستقيم: [هل فسّروا][3] هذه السورة بهذا أم لا؟

وأما «الملك» فيأتي الكلام عليه، وذلك أن قوله: «مالك» وفي القراءة الأخرى ﴿ ملك يوم الدين ﴾ فمعناه عند جميع المفسّرين كلهم ما فسّره الله به في قوله ﴿ وما أدراك ما يوم الدين، ثم ما أدراك ما يوم الدين، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ فمن عرف تفسير هذه الآية، وعرف تخصيص الملك بذلك [اليوم][3] مع أنه سبحانه وتعالى مالك كل شيء: ذلك اليوم وغيره، عرف تخصيصه بهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها، وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها. فيالها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها! فاين هذا المعنى والإيمان بما جاء به القرآن مع قوله صلى الله عليه وسلم: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً» من قول صاحب البردة:

ولن يضيقَ رسولَ الله جاهُكَ بي … إذَا الكريمُ تحلَّى باسم منتقمِ
فإنَّ لي ذمَّةً منه بتسميتي … محمَّداً وهو أوفَى الخلق بالذِّمَمِ
إنْ لم يكن في مَعَادِي آخذاً بيدي … فضلاً وإلا فَقُلْ يا زلَّةَ القَدَمِ

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأبيات ومعناها، ومن فُتِن بها من العباد وممن يدعي أنه من العلماء، واختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن: هل يجتمع في قلب

---

(١) في المطبوعة ١: ٢٢٥ «قد أنزل بالربوبية في دعائه علياً، أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى، وأقر له بالعبودية ليأتي له بهذا في شرائع تسميته نفسه عبد الله»، ولا معنى لهذا الكلام، فأثبتنا ما في المصورة ١: ٢٩١.

(٢) هكذا في المطبوعة والمصورة، ولعل صوابها: «واسأل».

(٣) زيادة من المصورة.

عبدِ التصديقُ بهذه الأبيات والتصديقُ بقوله: ﴿ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ للهِ ﴾، وقوله: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً»؟ لا والله، لا والله، إلا كما يجتمع في قلبه أن موسى صادق وأن فرعون صادق، وأن محمداً صادق على الحق، وأن أبا جهل صادق على الحق. والله ما استويا، ولن يتلاقيا، حتى تشيب مفارق الغربان.

فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة ومن فُتِن بها ــ عرف غُرْبة الإسلام، وعرف أن العداوة لنا، واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا، ليس عند التكفير والقتال، بل هم الذين بدءونا بالتكفير والقتال، بل عند قوله ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾، وعند قوله ﴿ أولَئِكَ الذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ وقوله ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ الآية.

فهذه بعض المعاني من قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ بإجماع المفسرين كلهم. وقد فسرها الله سبحانه في سورة ﴿ إذا السَّماء انْفَطَرَتْ ﴾ كما قدمت لك. فاعلم أرشدك الله أن الحق لا يتبيَّن إلا بالباطل، كما قيل: وبضدها تتميز الأشياء.

فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، لعلك أن تعرف ملة إبراهيم ودين نبيك محمد، فتحشر معهما، ولا تُصَدَّ عن الحوض يوم الدين كما يُصَدُّ عنه من صدَّ عن طريقهما. ولعلك أن تمرَّ على الصراط المستقيم يوم القيامة ولا تزلّ عنه كما زلّ عنه من زلّ عن صراطهما المستقيم في الدنيا. فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوفٍ وتضرُّع.

وأما قوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فالعبادة: كمال الخضوع، وكمال المحبة، والخوف والذل. وقدّم المفعول وهو «إياك» وكرَّر للاهتمام والحصر؛ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك. وهذا هو كمال الطاعة، والدينُ كله يرجع إلى هذين المعنيين؛ فالأول: التبرِّي من الشِّرْك، والثاني: التبرِّي من

الحول والقوة. فقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ إياك نوحّد، ومعناه: أنك تعاهد ربك أن لا تشرك في عبادته أحداً: لا مَلَكاً ولا نبيًّا ولا غيرهما، كما قال تعالى للصحابة ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلاَئِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فتأمل هذه الآية، واعرف ما ذكرتُ لك في الربوبية أنها التي نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان، فإذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد إسلامهم، فكيف بمن فعلها في تاج وأمثاله؟

وقوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ هذا فيه أمران: أحدهما سؤال الله الإعانة، وهو التوكّل والتبرِّي من الحول والقوة، وأيضاً طلب الإعانة من الله كما مرَّ أنها من نصف العبد.

وأما قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فهذا هو الدعاء الصريح الذي هو حظّ العبد من الله، وهو التضرع إليه، والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم الذي لم يُعْطَ أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه، كما منّ الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح بقوله ﴿ وَيَهديكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾. والهداية هنا: الإرشاد والتوفيق. وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة [فإن الهداية إلى ذلك][1] تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات إلى أن يلقى الله.

والصراط: الطريق الواضح المستقيم الذي لا عوج فيه، والمراد بذلك: الدين الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فأنت دائماً في كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم. وعليك من الفرائض أن تصدق الله في أنه هو المستقيم، وكل ما خالفه من طريق أو

---

(١) زيادة من المصورة ١: ٢٩٤.

علم أو عبادة فليس بمستقيم بل معوج. وهذا أول واجبات هذه الآية، وهو اعتقادك ذلك بالقلب. وليحذر المؤمن من خدع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملاً وتركه مفصلاً، فإن أكثر الناس من المرتدّين يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق وأن من خالفه على الباطل، فإذا جاء بما لا تَهْوَى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى ﴿ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾.

وأما قوله ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى. وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالُّون ظنَّ الجاهل أن ذلك مخصوص بهم وهو يقرُّ أن ربَّه فارضٌ عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويتعوّذ من طريق أهل هذه الصفات، فياسبحان الله كيف يعلّمه الله، ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً مع أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أن فعله هذا هو ظن السوء بالله.

هذا آخر الفاتحة.

وأما قوله: آمين، فليست من الفاتحة ولكنها تأمين على الدعاء؛ ومعناها: اللهم استجب. فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله. والله أعلم.

تمت ولله الحمد.

وقال أيضاً رحمه الله في مسائل ذكرها على سورة الفاتحة.

الأولى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فيها التوحيد.

الثانية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فيها المتابعة.

الثالثة: أركان الدين الحب والرجاء والخوف، فالحب في الأولى وهي: ﴿ الحمدلله رب العالمين ﴾، والرجاء في الثانية وهي ﴿ الرحمن الرحيم ﴾، والخوف في الثالثة وهي ﴿ مالك يوم الدين ﴾.

الرابعة: هلاك الأكثر في الجهل بالآية الأولى، أعني: استغراق الحمدلله، واستغراق ربوبية العالمين.

الخامسة: أول المنعم عليهم وأول المغضوب عليهم والضالين.

السادسة: في ذكر المنعم عليهم ظهور الكرم والحمد.

السابعة: ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين.

الثامنة: دعاء الفاتحة مع قوله «لا يستجاب دعاء من قلب غافل».

التاسعة: قوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فيه حجة الإجماع.

العاشرة: ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وُكِلَ إلى نفسه.

الحادية عشرة: ما فيها من النص على التوكل.

الثانية عشرة: ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك.

الثالثة عشرة: التنبيه على بطلان البدع.

الرابعة عشرة: آيات الفاتحة كل آية لو يفهمها الإنسان كان فقيهاً، وكل آية أفرد معناها بالتصنيف.

آيات من سورة البقرة

قال رحمه الله في كلامه على آيات من سورة البقرة:

أمَّا قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] ففيه مسائل:

الأولى ــ كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة، وأرادوا إقامة الدليل عليها، تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون، واحتجُّوا بما في الكتب الباطلة.

الثانية ــ أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل.

الثالثة ــ أن الكلام يدل على أنهم يعلمون، لقوله ﴿كأنهم لا يعلمون﴾.

الرابعة ــ أن المسائل الباطلة قد تنسب إلى الأنبياء كذباً عليهم.

الخامسة ــ أن الكتب [الباطلة][1] قد تضاف إلى بعض الصِّدِّيقين.

السادسة ــ أن ذلك مما تتلو الشياطين على زمان الأنبياء، كما وقع أشياء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

السابعة ــ أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان.

الثامنة ــ بيان ضلال من ضلَّ ممَّن يدَّعي العلم في شأن سليمان ممن نسب ذلك إليه واستحسنه، أو قدح في سليمان، كما ضلَّ أناس كثير في عليٍّ لما قُتِل عَثمان.

التاسعة ــ أن من فَعَل السِّحر كَفَر، ولو عرف أنه باطل.

العاشرة ــ أن الشياطين يعلِّمُونه الناس.

الحادية عشرة ــ أن العبد لو بلغ ما بلغ في العلم والعمل فلا يأمن مكر الله.

---

(١) زيادة من المصورة ١: ٢٩٦.

الثانية عشرة ــ لا ينبغي له التعرُّض للفتن وثوقاً بنفسه، بل يسأل الله العافية.

الثالثة عشرة ــ سعة حلم الله ومغفرته ورحمته.

الرابعة عشرة ــ يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر.

الخامسة عشرة ــ أن النساء من أكبر الفِتَن.

السادسة عشرة ــ أن طاعة الهوى جِمَاع الشر، كما أن مخالفته جِمَاع الخير.

السابعة عشرة ــ أن الشرك الأكبر مما يخطر بالبال[1].

الثامنة عشرة ــ أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لا يشترط في كفر من تكلَّم بها عقيدة القلب ولا عدم الكراهة للشرك.

التاسعة عشرة ــ أن المتكلم لا يعذر ولو أراد أن يقضي به غرضاً مهمًّا.

العشرون ــ أن قتل النفس أعظم من الزنا.

الحادية والعشرون ــ أن المعاصي بريد الكفر.

الثانية والعشرون ــ أن بعضها يجرُّ إلى بعض.

الثالثة والعشرون ــ أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم.

الرابعة والعشرون ــ أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكل أحد، بل هو فضلٌ من الله.

الخامسة والعشرون ــ أن من النعيم تعذيب العبد بذنبه في الدنيا.

السادسة والعشرون ــ حسن الظن بالله.

السابعة والعشرون ــ القاعدة التي هي خاصية العقل وهو ارتكاب أدنى الشرَّين لدفع[2] أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما.

الثامنة والعشرون ــ أن السحر نوعان.

التاسعة والعشرون ــ أن له تأثيراً لقوله ﴿يُفَرِّقُونَ به بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾.

الثلاثون ــ الإرشاد إلى التوكل، بكونه لا يضرُّ أحداً إلا بإذن الله..

---

(١) في المصورة «أن الشرك أكثر مما يخطر بالبال».

(٢) في المطبوعة ١: ٢٢٩ «لرفع» بالراء.

الحادية والثلاثون ــ أن في من يدّعي العلم مَن اختار كتب السحر على كتاب الله.

الثانية والثلاثون ــ أنهم يعارضون به كتاب الله.

الثالثة والثلاثون ــ أن اتباع كتابٍ غيرِ كتاب الله ضلالٌ.

الرابعة والثلاثون ــ لا تأمن الكتب ولا من ينتسب إلى العلم على دينك.

الخامسة والثلاثون ــ أن فساد العلماء يفسد الرعية.

السادسة والثلاثون ــ أن السحر وقع في زمن خلافة النبوة، حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه كما استتاب المرتدّ.

السابعة والثلاثون ــ أن الحسد سببٌ لردّ كتاب الله.

الثامنة والثلاثون ــ أن الحاسد قد يبغض الناصح ويسعى في قتله.

التاسعة والثلاثون ــ أن الحسد يحمله على ردّ حظه من الله في الدنيا والآخرة.

الأربعون ــ أنه من أخلاق اليهود.

الحادية والأربعون ــ أن المحسود يرفعه الله على الحاسد.

الثانية والأربعون ــ أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة وبالمعصية العكس.

الثالثة والأربعون ــ أن في من ينتسب إلى العلم من يختار الكفر على الإيمان مع علمه أن من اختاره لا حظَّ له في الآخرة.

الرابعة والأربعون ــ أن الإنسان يجتمع فيه الضِّدّان: يعلم ولا يعلم.

الخامسة والأربعون ــ بيان غبنهم[1] والتسجيل على فرط جهلهم في هذا الشرط[2].

السادسة والأربعون ــ أن السبب في هذا الشرط[2] اشتراء شيء خسيس تافه من الدنيا.

السابعة والأربعون ــ أنهم لمحبتهم ما هم عليه من الجاهلية وغرامهم به

(١) كذا في المطبوعة، وفي المصورة النقط غير واضح، ولعلها «غيهم».

(٢) في المصورة «الشر».

نبذوا كتاب الله الذي عندهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعرفونه.

الثامنة والأربعون ــ أن الذي حملهم على هذه العظائم أنهم أتاهم أمر من الله موافق لدينهم، لكن مخالف لعاداتهم الجاهلية.

التاسعة والأربعون ــ الفرق بين المعجزات والكرامات، وبين ما يفعله الشياطين وتشبيهها بذلك[1].

الخمسون ــ التنبيه على قول الصحابي «أو يأتي الخير بالشر»، وجوابه صلى الله عليه وسلم.

الحادية والخمسون ــ أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر ما لم يحط به علماً، فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فئام[2] من الناس لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق، وتكلم بسببها ناس في نبي الله سليمان بن داود عليه السلام. [والله أعلم][3].

[وقال رحمه الله تعالى:][3] وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩-١١٠] فيه مسائل:

الأولى ــ كون أناس ممن ينتسبون إلى العلم والدين يجري منهم هذا عمداً جرأة على الله، وما أكثر من ينكر هذا.

الثانية ــ التنبيه على كثرة هذا الصنف.

الثالثة ــ كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه.

الرابعة ــ أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد، لا خوف مضرة ولا طلب مصلحة.

---

(١) في المصورة ١: ٢٩٨ «تشبهاً بذلك وتشبيهاً».

(٢) الفئام: الجماعة من الناس.

(٣) زيادة من المصورة.

الخامسة ــ أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أنه مصلحة لدنياه ليزيله، وفيما يعلم أنه مضرة لدنياه ليأتي به، فإنهم يعلمون أن زوال المفاسد وحصول المصالح في هذا الدين، وكانوا يستفتحون به على من ظلمهم، فلما جاءهم حملهم الحسد على ما ذكر.

السادسة ــ أن الحسد سبب للكفر كما وقع لهؤلاء ولإبليس.

السابعة ــ ذكر العفو الذي هو من أسباب العز وقهر الخصم، كما ورد في الحديث.

الثامنة ــ الرفق في الأمر وفعله بالتدريج، كما فعل عمر بن عبد العزيز.

التاسعة ــ أنه سبحانه يمهل ولا يهمل.

العاشرة ــ الإشعار بالنسخ قبل وقوعه.

الحادية عشرة ــ تسلية المظلوم المحسود.

الثانية عشرة ــ التنبيه على العلة.

الثالثة عشرة ــ أن الظالم الحاسد يذله الله كما جرى لهؤلاء إلى يوم القيامة، وقوله فيه: ﴿إنَّ الله على كل شيء قدير﴾.

الرابعة عشرة ــ وهي الاستدلال بالصفات على الأفعال.

الخامسة عشرة ــ وهي الاستدلال بالقدرة على ما لا يظن وقوعه.

السادسة عشرة ــ وهي الاستدلال بها على جعل العفو سبباً لعز العافي وذلة المعفوّ عنه، عكس ما يظن الأكثر. وأما الاستدلال بها على ما كذب به الجهال استبعاداً مثل عذاب القبر وغيره، أو مثل الصراط والميزان وغيرهما، وما يجري في الدنيا من تبديل الأحوال من الغنى إلى الفقر وضده، ومن الذل إلى العز وضده، فأكثر من أن يحصر، ومن أحسن ما فيها.

المسألة السابعة عشرة ــ وهي تنبيه أعلم الناس على أشكل المسائل بقوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كلما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون.

[1]ذكر بعض ما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿يَعْمَلونَ﴾ [البقرة: ١٣٩-١٤١] من بيان الحق وإبطال الباطل.

الأول ــ إذا كانت المحاجّة في الله سبحانه من قرب إليه من المختلفين في مسألة التوحيد، وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه، ومعرفة حالنا وحالكم في مسألة، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم في العبودية، بخلاف ملوك الدنيا، فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها. ومجمعون أيضاً أنه لا يظلم أحداً من عبيده، بل كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، بخلاف ملوك الدنيا فإنهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا. فإذا كان الأمر كذلك فكيف تدّعون أنكم أولى بالله منا، ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟ وكيف يُظَنُّ به أنه يساوي بين من قَصَدَهُ وحده لا شريك له ومن قصد غيره وأعرض عنه؟ وهل يظنُّ عاقل أو سفيه برجل من بني آدم، خصوصاً إذا كان كريماً، أنَّ من قصده وضاف عنده يكرهه ولا يُضيفه، ويخصُّ بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره، مع استواء الجميع في القرب منه والبعد؟ هذا لا يُظَنُّ في الآدمي، فكيف يُظَنُّ برب العالمين؟ فتبيَّن بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل، وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل. فيالها من حجة ما أعظمها وأبيَنَها، لكن لمن فهمها كما ينبغي.

قال الشيخ رحمه الله: ذِكْرُ بعض ما في قوله تعالى[2] ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] إلى الجزء. ففي الآية الأولى مسائل:

الأولى ــ [معرفة][3] أنه تعالى حكيم، لا يضع الأشياء إلا في مواضعها؛ لأنه

---

(١) من هنا حتى السطر السابع عشر سقط من المصورة ١: ٢٩٩.
(٢) انتهى السقط في المصورة ١: ٢٩٩.
(٣) زيادة من المصورة.

ما جعله إماماً إلا بعد ما أتم ما ابتلاه به. وسأل بعضهم: أيما الابتلاء أو التمكين؟ فقال: الابتلاء ثم التمكين.

الثانية ــ إذا كان يبتلي الأنبياء: هم يفعلونه أم لا، فكيف بغيرهم؟

الثالثة ــ الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التي ابتلاه بها. وقيل إن الله لم يبتلِ أحداً بهذا الدين فأتمَّه إلا إبراهيم، ولهذا قال ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾.

الرابعة ــ أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمور، منها أنه جعله للناس إماماً.

ولمَّا علم عليه السلام كِبَر هذه العطيّة سألها للذرية، وهي الخامسة.

والسادسة ــ أن الله أجابه أن هذه المرتبة لا ينالها ظالم ولو من ذرية الأنبياء.

السابعة ــ أن هذا يدل على أن الإمامة في الدين تحصل لغير ظالم فليست بمختصة.

الثامنة ــ معرفة قدر هذه المرتبة التي أكْرِمَ بها وهي الإمامة في الدين.

وأما الآية الثانية ففيها مسائل:

[الأولى][1]: كونه سبحانه جعل البيت الذي بناه إبراهيم مثابة [للناس وأمناً][1] مع المشاق العظيمة، وذلك من الآيات.

الثانية ــ أنه جعله أمناً عند الكفار، وذلك من أعجب الآيات.

الثالثة ــ أمره أن يتَّخذ من مقام إبراهيم مُصَلًّى، وهذا من الخصائص، فليتفطن المؤمن لشبهة المبتدعة، لأنه لا يجوز أن يُتَّخذ من مقام غيره مصلًّى.

الرابعة ــ أن فيها الرد على أهل الكتاب الذين لا يعظِّمونه مع ما فيه من الآيات، ومع ما عندهم من العلم بذلك.

وأما الآية الثالثة ففيها مسائل:

---

(١) زيادة من المصورة.

الأولى ــ ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهّراه لهذه الطائفة، ولذلك أنزل الله ﴿ إنما المشرِكون نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا المسجدَ الحرامَ ﴾.

الثانية ــ أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين.

الثالثة ــ العجب العجاب معاكستهم هذا الأمر فلا يردون عنه إلى الطائفة المأمور بتطهيرهم له[1].

الرابعة ــ أنه نعتهم بالطواف والركع والسجود والعكوف، فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة.

الخامسة ــ أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لا بالنسب، فأمر بتطهيرهم له[1] وإن لم يكونوا من ذريته، وأمر بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك.

وأما الآية الرابعة ففيها مسائل:

الأولى: دعوة إبراهيم للبلد وأهله، ولا يناقض تحريمه يوم خلق الله السموات والأرض.

الثانية ــ دعوة إبراهيم للبلد وأهله بالأمن والرزق.

الثالثة ــ الآية العظيمة في إجابة هذه الدعوة.

الرابعة ــ تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر.

الخامسة ــ قوله: ومن كفر، فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته. ولما خصّ بالأمر الآخر من آمن بالله، قال الله: ومن كفر، وذلك للفرق بين الدارين.

السادسة ــ أنه لما أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره فقد يتوهم منه كرامة الجميع، فأخبر أنه لو عمَّ العاصي فيه بالأمن والرزق فإنه يضطره إلى عذاب النار.

السابعة ــ أن المجاورة عنده ــ كما أنها تنفع المطيع ــ فهي تضرُّ العاصي، لقوله ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلى عَذابِ النَّارِ﴾ ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف.

---

(١) في المصورة ١ : ٣٠٠ «تطهيره لهم».

وأما الآية الخامسة ففيها مسائل:

الأولى ــ التصريح بأن الاثنين بنياه.

الثانية ــ جلال الله وعظمته في قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول. وكان بعض السلف إذا قرأها يبكي ويقول: خليل الله يرفع قواعد بيت الله ويخاف أن لا يقبله.

الثالثة ــ توسلهما بالصفات.

الرابعة ــ طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام وهما هما، والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب.

الخامسة ــ إشراكهما في الدعوة بعض الذرية، ففيها رغوب[1] المؤمن وحرصه على صلاح ذريته.

السادسة ــ طلبهما أن يعلمهما المناسك، ففيها حرصهما على العمل بالنصّ مع عصمتهما.

السابعة ــ طلبهما أن يتوب عليهما وهما هما، ففيها خوفهما من الذنوب.

الثامنة ــ التوسل بالصفات.

التاسعة ــ التعليل بكونه التواب الرحيم، ولولا ذلك لاستحقَّا العقوبة.

العاشرة ــ الردّ على المشركين وأهل الكتاب.

الحادية عشرة ــ أن دعوتهما بهذه النعمة التي هي أعظم النعم للذرية جعلها الذرية من اغظم المصائب.

وأما الآية السادسة ففيها مسائل:

الأولى ــ دعوتهما للذرية ببعثة الرسول، فكانت عندهم أعظم البلاء مع دعواهم أنهم على ملتهما.

---

(١) انظر كذلك الصفحة التالية سطر: ١٩، فقد كرر استعمال لفظة « الرغوب » مصدراً بمعنى « الرغبة ».

الثانية ــ أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة ويتلو عليهم الآيات ويزكّيهم، قيل إن استماع التلاوة والتزكي بها فرض عين، وأما علم الكتاب والحكمة ففرض كفاية.

الثالثة ــ أن نسبة الزكاة إلى السبب لا بأس به مع أن المزكّي في الحقيقة هو الله وحده.

الرابعة ــ التوسل بالصفات.

وأما الآية السابعة فهي من جوامع الكلم وأظهر البراهين، فنذكر شيئاً من ذلك:

الأولى ــ أنه بيَّن أن ملة إبراهيم هي الإسلام ومنه تعظيمه وحجّه، ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه. وهذه مسألة مهمة يدل عليه قوله «ومن رغب عن سنتي فليس مني».

الثانية ــ أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام، وعندهم لا فضيلة فيه، ولا بدَّ عندهم من نسبة دين خاص.

الثالثة ــ أعجب من ذلك: أنهم لا يعرفون معنى الإسلام، بل هذا عندهم صورة لا معنى لها.

الرابعة ــ أعجب من الجميع: أنهم إذا بُيِّن لهم معناه اشتدَّ إنكارهم لذلك، مع قراءة هذه الآية وأمثالها.

الخامسة ــ التي سيق الكلام لأجلها: أنك إذا عرفت ملَّته فالواجب الاتِّباع، لا مجرَّد الإقرار مع الرغوب عنها.

السادسة ــ أن من فعل ذلك لم يضرّ إلا نفسه.

السابعة ــ أن ذلك في غاية الجهل والسفه الواضح، مع ادعائهم الكمال في العلم.

الثامنة ــ كيف يطلب أفضل من طريقه والله سبحانه هو الذي اصطفاه ووعده في الآخرة ما وعده بسبب طريقه؟

وأما الآية الثامنة ففيها مسائل:

الأولى ــ أن مسألة الإسلام الذي هو سبب الكلام والخصومة أن الله سبحانه هو الذي أمره بذلك.

الثانية ــ أنه استجاب لله فيما أمره فقال ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العالَمين﴾.

الثالثة ــ وصفه ربَّه سبحانه بما يوضح المسألة، وهو الربوبية للعالم كله. فانظر رحمك الله إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام مع حقارته[1] وإنكاره عند من يقرأ هذه الآيات وما بعدها.

وأما الآية التاسعة ففيها العجب العجاب:

الأولى ــ أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصَّى بالإسلام ابنيه وهما هما.

الثانية ــ أن يعقوب وصَّى بها بنيه وهم هم.

الثالثة ــ تحريضه الذرية على ذلك بأن الله الذي اختاره لهم، فلا ترغبوا عن اختيار الله.

الرابعة ــ مع هذا التقرير الواضح عند من يدَّعي كمال العلم ويدَّعي اتباع الملة أحقر الطرائق ولا مدح فيه، ولا يصير من المسكوت عنه إلا من رغب عنه إلى اسم غيره، وإلا من اقتصر عليه اتخذوه هزواً فاعتقدوا غاية جهله بل أفتوا بكفره وقتله.

وأما قوله[2] ﴿فلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون﴾ فحرضوهم على لزوم ذلك إلى الممات وعدم الزيادة عليه لما في طبع الإنسان من طلب الزيادة خصوصاً مع طول الأمل.

---

(١) كذا في المطبوعة ١: ٢٣٣، وفي المصورة ١: ٣٠٢ «مع خفارته» ولعل صوابها «مع خفائه» أو لعله يقصد: مع احتقار من يقرأ هذه الآيات له.

(٢) في المصورة ١: ٣٠٣ «الخامسة ــ قوله».

وأما الآية العاشرة ففيها مسائل:

الأولى — وصية يعقوب عند الموت ولم يكتفِ بما تقدم.
الثانية — لبنيه وهم هم.
الثالثة — لشدة التحريض وكبر الأمر عنده أخرجه مخرج السؤال.
الرابعة — أنه قال: ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ لأن الغالب أن الأتباع بعد موت كبيرهم ينقصون.

الخامسة — جوابهم له ﴿نعبد إلهك﴾ الآية، لأن في هذا معنى الحجة وظهور الأمر: أن من اتبع الصالحين يسلك طريقهم، وأما كونه يترك طريقهم بزعمه أنه اتباع لهم فهذا خلاف العقل.

السادسة — ﴿إلهاً واحداً﴾ يعنون للخلائق كلهم لكل مهتد وضال.
السابعة — إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعد موته.
الثامنة — ذكرهم له أن ذلك الإسلام لله وحده لا شريك له، ليس لك ولا لآبائك منه شيء.

التاسعة — أن العمَّ أبٌ، لأن إسماعيل عمُّه لكن مع التغليب.
العاشرة — أن ذلك من أوضح الحجج على ذريتهم مع إقرارهم بذلك، ومع هذا يزعمون أنهم على ملتهم مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها.
الحادية عشرة — أن فيها ردًّا عليهم في المسألة الخاصة وهي اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً.

وأما الآية الحادية عشرة ففيها مسائل:

الأولى — المسألة التي ضل بها كثير وهي ظنهم أن صلاح آبائهم ينفعهم.
الثانية — بيان أن الذي ينفع الإنسان عمله.
الثالثة — أن الذي يضرُّه عمله، ولا يضره معصية أبيه وابنه.

وأما الآية الثانية عشرة ففيها مسائل، وهي من جوامع الكلم أيضاً:

الأولى ــ من دُعي إلى أية ملّة كانت، وهي[1] من الملل الممدوحة السالم أهلها، قيل له ﴿بل ملة إبراهيم﴾ لإنها إن كانت باطلة فواضح، وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل، كما قال صلى الله عليه وسلم «أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفية السمحة».

الثانية ــ وهي مما ينبغي التفطن لها: أنه سبحانه وصفها بأنها [ملّة] إبراهيم حنيفاً[2] بريئاً من المشركين، وذلك لأن كلاً يدّعيها، فمن صدّق قولَه بالفعل، وإلا فهو كاذب.

الثالثة ــ أن الحنيف معناه المائل عن كل دين سوى الإسلام لله.

الرابعة ــ أن من الناس من يدعي أنه لا يشرك وأنه مخلص، ولكن لا يتبرأ من المشركين، وملة إبراهيم الجمع بين النوعين[3].

.وأما الآية الثالثة عشرة ففيها مسائل:

الأولى ــ أمر الله سبحانه أن نقول ما ذكر في الآية، وليس هذا من إظهار الذي إخفاؤه أفضل.

الثانية ــ الإيمان بجميع المُنْزَل.

الثالثة ــ عدم التفريق بينهم.

الرابعة ــ التصريح بالإسلام.

الخامسة ــ التصريح بإخلاصنا ذلك لله، وليس هذا من باب الثناء على النفس بل من بيان الدين الذي أنت عليه. ولهذا قال بعض السلف: ينبغي لكل أحد أن يعلّم هذه الآية أهلَ بيته وخدمه.

---

(١) في المطبوعة ١: ٢٣٤ «من عبر إلى ملة كانت هي...».

(٢) في الأصل: «وصفها بأن إبراهيم حنيفاً...» ولعل الصواب ما استظهرناه.

(٣) كذا في الأصل.

وأما الآية الرابعة عشرة ففيها مسائل:

الأولى ــ قوله ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ وفيها التصريح أن الإيمان هو العمل.

الثانية ــ أن هذا الكلام في غاية إنصاف الخصم.

الثالثة ــ أن الذي لا ينقاد له ليس داؤه داء جهالة بل مُشَاقَّة.

الرابعة ــ أنك إذا أنصفته وأصرَّ فهو سبب الانتقام لله منه.

الخامسة ــ الاستدلال بالصفات.

وأما الآية الخامسة عشرة ففيها مسائل:

الأولى ــ قوله ﴿ صبغة الله ﴾ أي: دين الله، فدلَّ على أن ذلك هو العمل.

الثانية ــ الدلالة الواضحة وهي: أنه لا أحسن من الدين الذي تولى الله بيانه والأمر به.

الثالثة ــ أنكم أيها الخصوم افتخرتم بإسلامكم للأنبياء والصالحين فإسلامنا لله وحده، ومعنى ذلك لزوم هذا الدين الذي تولى الله بيانه.

وأما الآية السادسة عشرة ففيها مسائل:

الأولى ــ أمر الله لنا أن نُحاجَّهم بهذه الحجة القاطعة. فإذن كان الله رب الجميع، وأيضاً أنه بإقراركم عَدْلٌ لا يظلم، بل كل عامل فعمله له، وافترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له، وأنتم قصدتم غيره، فكيف يسوِّي بينكم وبيننا؟ أو يخصُّ بكرامته من أعرض عنه دون مَنْ قَصَدَه؟ هذا لا يدخل عقل عاقل.

الثانية ــ أن الخصوم مُحاجَّتُهم في الله لا في غيره مع فعلهم هذا في الخصومة.

وأما الآية السابعة عشرة ففيها مسائل:

الأولى ــ إن كانت الخصومة في الصالحين ودعواهم أنهم على طريقتهم فهم يقدرون أنهم يدّعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [وأصحابه][1] على طريقتهم، فلا يقدرون، بل يصرحون أنهم على غيرها، ولكن يعتذرون أنهم لا يقدرون عليها، فكيف هذا التناقض؟ يدّعون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتّباعهم وزعمهم أن أحداً لا يقدر عليه.

الثانية ــ قوله ﴿ءأنتم أعلم أم الله﴾ فهذه لا يقدر أحد أن يعارضها، فإذا سلمها وسلم لك أن العلم الذي أنزله الله ليس هو لعدم القدرة، فهذا الذي عليه غيره، وهذا إلزام لا محيد عنه.

الثالثة ــ أن منهم من يعرف الحق ويكتمه خوفاً من الناس مع كونه لا ينكره ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ فكيف بمن جمع مع الكتمان دفْعَها وسبَّها وتكفير من آمن بها؟

الرابعة ــ الوعيد بقوله ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾

والله أعلم.

(١) زيادة من المصورة ١: ٣٠٥.

آيات من سورة آل عمران

وقال رضي عنه.

قوله تبارك وتعالى ﴿ما كان لِبَشَرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكتابَ والْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يقولَ لِلناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾ الآيتين [آل عمران: ٧٩-٨٠]، إذا عرفت أن سبب نزولهما قول أهل الكتاب: نحن مسلمون نعبد الله إلا أن كنت تريد أن نعبدك — عرفت أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص والبراءة من الشرك، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المَهديِّين من الأئمة المُضِلِّين. وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفي والإثبات: فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم، أو بالشرك بالملائكة والأنبياء، وهم أصلح المخلوقات؛ وأثبت أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين. فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ولا بغيره من الأنبياء والملائكة، فغيرهم أظهر وأظهر. وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم. ومعرفةُ الإخلاص والشرك، ومعرفةُ أئمة الهدى وأئمة الضلال أفضلُ ما حصَّل المؤمن.

لكن فيه من البيان قول اليهود: إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى، وقول النصارى: إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت اليهود عُزَيْراً — أن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل، ولكن الهوى يعمي ويصمّ. وفيه معرفة الإنسان بعيب عدوه ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه ولو كان فيه منه أضعاف مضاعفة. وفيه أن يكون ربَّانياً. وفيه أن سبب ذلك درس الكتاب وعلمه وتعليمه. وفيه أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه. وفيه معرفة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عليه من العدل والتواضع، كيف يتفوَّهون له بهذا الكلام وهم تحت يده محتاجون له. وفيه أن من أشرك بشيء فقد اتخذه رباً. وفيه أن قوله في القرآن ﴿من دون الله﴾

ليس كما يقول الجاهلون، لأن أهل الكتاب لا يتركون عبادة الله.

وقوله عز وجل: ﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ من كتابٍ وحِكمةٍ ﴾ الآيتين [آل عمران: ٨١-٨٢]، فيه ما هو من أبين الآيات للخاصِّ والعامّ، وكونه صلى الله عليه وسلم مذكوراً مبشَّراً به في كتب الأنبياء. وفيه حجة على أن دعوته عامة في الظاهر والباطن. وفيه أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته، بل لا بد من هذا وهذا. وفيه أخذُه تعالى الميثاقَ على الأنبياء بذلك دليل على شدته إلا على من يسَّره الله عليه، وفيه أن من آتاه الله الكتاب والحكمة أحقُّ بالانقياد للحق إذا جاء به مَنْ بَعْدَه، بخلاف ما عُرِف من حال الأكثر من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم. وفيه مزيد التأكيد بقوله ﴿ أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ﴾ أو فيه إشهادهم مع شهادته سبحانه. وفيه أن من تولّى بعد ذلك فجُرْمه أكبر. وفيه أن الآخر مصدّق لما معهم لا مخالف له، فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم وهو الذي ينتحلونه، فإن تولوا بعد معرفته ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾؛ فإن جمعوا مع التولي تكذيبَه؛ فإنْ جمعوا مع التكذيب الاستهزاء، فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة؛ فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدَّق كتابَهم ونبيَّهم واستحلال دمه وماله، فإن أضافوا إلى ذلك كله اتِّباعَ دين المشركين أعداء نبيِّهم، ونَصْرَه بما قدروا عليه، وبَذْلَ النفوس والأموال في نصرته وعداوة دين نبيهم وإزالته من الأرض حتى لا يُذْكر الله فيها ـــ فالله المستعان. و﴿الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾.

ومن قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنْ تُطِيعوا فَرِيقاً مِنَ الذين أوتُوا الكتاب ﴾ إلى قوله: ﴿ وما الله يريد ظلماً للعالمين ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠٨]:

الأولى ـــ سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها، فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم؟

الثانية ــ الخوف على مثلهم الرِّدَّة بذلك فكيف بمن دونهم؟

الثالثة ــ أن في من أوتي الكتاب مَنْ يدعو إلى الرِّدَّة مثلما أن فيهم من يدعو إلى الله.

الرابعة ــ التصريح بأن ذلك بعد الإيمان.

الخامسة ــ لطف الله تعالى بعبيده بدعوتهم بهذا الوصف.

السادسة ــ استبعاد الكفر ممن تُتْلَى عليه آيات الله وفيهم رسوله، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية.

السابعة ــ أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام، كما أن رسوله لا نظير في له في سائر الأشخاص في دفع ذلك.

الثامنة ــ الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لا يُفْهَم معناه.

التاسعة ــ أن الاعتصام بحبل الله جامع.

العاشرة ــ أن الطُّرق فيها المعوجّ وفيها المستقيم.

الحادية عشرة ــ ذكر حق تقَاته.

الثانية عشرة ــ لطافة الخطاب.

الثالثة عشرة ــ لزوم الإسلام إلى الممات.

الرابعة عشرة ــ فيه التنبيه على قوله «لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» لأن ذلك سبب النزول.

الخامسة عشرة ــ كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك.

السادسة عشرة ــ خوفك الرِّدَّة وإن كنت من الصالحين.

السابعة عشرة ــ ذكر الاعتصام بحبل الله وهو القرآن، ففيه دليل على أنه عصمة.

الثامنة عشرة ــ الأمر بالاجتماع على ذلك.

التاسعة عشرة ــ تأكيده ما تقدم بالنهي عن الافتراق.

العشرون ــ تذكيرهم بالنعمة العظمى وهي إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شَفَا جُرفٍ منها.

الحادية والعشرون ــ ذكره هذا البيان الواضح في آياته.

الثانية والعشرون ــ أن الفائدة في تعليم العلم تذكيرُ المتعلم واهتداؤه.

الثالثة والعشرون ــ ذكر الأمر بطائفة متجرِّدة للدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

الرابعة والعشرون ــ تخصيصها بالفلاح.

الخامسة والعشرون ــ نهيه عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات.

السادسة والعشرون ــ فيه دليل على أن الله ذكر في دواء هذا الداء ما فيه الشفاء.

السابعة والعشرون ــ وعيد من ارتكب هذا المنْهِيَّ عنه بالعذاب الأليم.

الثامنة والعشرون ــ بياض الوجوه وسوادها.

التاسعة والعشرون ــ أن الذين اسودَّت وجوههم: الذين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجرد إليه.

الثلاثون ــ الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك.

الحادية والثلاثون ــ أن هذه النصائح والمواعظ هي آيات الله.

الثانية والثلاثون ــ أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا.

الثالثة والثلاثون ــ تذكيرنا بأن تلك التلاوة بالحق.

الرابعة والثلاثون ــ الاعتقاد[1] بأنه لا يريد ظلم أحد من العالمين.

الخامسة والثلاثون ــ تذكيرنا بأن له ما في السموات وما في الأرض.

السادسة والثلاثون ــ تذكيرنا بالرجوع إليه.

---

(١) في المصورة ٣٠٩:١ «الاعتذار بأنه».

آيات من سورة الأنعام

وأما قوله تعالى: ﴿قل أرأيْتَكُمْ إنْ أتَاكُمْ عذابُ اللهِ أو أتتْكُمُ الساعةُ أغَيْرَ اللهِ تَدْعُون إنْ كنتمْ صادقين * بل إيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إليه إن شاء وتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُون﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]، ففيها من المسائل:

الأولى ــ أمره سبحانه وتعالى بمُحاجَّتهم بهذه الحجة الواضحة للجاهل والبليد لكن بشرط التفكُّر والتأمُّل. فيا سبحان الله ما أقطعها من حجة وكيف يخالف من أقرَّ بها.

الثانية ــ إذا تحققت معنى هذا الكلام، مع ذكر الله تعالى له في مواضع من كتابه، عرفتَ الشرْك الأكبر، وعبادة الأوثان، وقول بعض أئمة المشركين «إن الذي يُفْعَل في زماننا شرك أصغر» في غاية الفساد، فلو نقدر أن في هذا أصغر وأكبر لكان فعل أهل مكة مع العُزَّى، وفعل أهل الطائف مع اللات، وفعل أهل المدينة مع مَناة ــ هو الأصغر، وفعل هذا مع هذا هو الأكبر. ولا يستريب في هذا عاقل إلا إن طُبِع على قلبه.

الثالثة ــ أن إجابة دعاء مثل هؤلاء، وكشْفَ الضُّرِّ عنهم، لا يدل على محبته لهم، ولا أن ذلك كرامة. وأنت تفهم لو يجري شيء من هذا في زماننا على يدي بعض الناس ما يظن فيه أهل العلم مع قراءتهم هذا ليلاً ونهاراً.

الرابعة ــ معرفة العلم النافع والعلم الذي لا ينفع، فمع معرفتهم أن ما يكشفه إلا الله ،ومع معرفتهم بعجز معبوداتهم ونسيانهم إياها ذلك الوقت ــ يعادون الله هذا المعاداة، ويوالون آلهتهم تلك الموالاة؛ قال تعالى: ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾.

وأما قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ أرسلنا إلى أمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٥] ففيها مسائل:

الأولى ــ ذكر سُنَّته سبحانه في خلقه.

الثانية ــ أن ذلك تسليطه البأساء وهو: القحط والمجاعة، والضراء وهو: الأمراض.

الثالثة ــ أنه سبحانه أخبرنا بمراده أنه سلّط ذلك عليهم ليتوبوا فيحصلوا سعادة الدنيا والآخرة، وليس مراده تعذيبهم على عظم جهالتهم وعُتوِّهم كيف لم يتضرعوا لمّا جاءهم ذلك، ليعرفك أن هذا من أعظم الجهالة والعُتُوّ.

الرابعة ــ ذكر السبب الذي منعهم من ذلك مع اقتضاء العقل والطبع له، وهو: قسوة القلب، وكون عدوهم زيّن لهم ما أغضب الله عليهم، فلم يعرفوا قبحها بل استحسنوها.

الخامسة ــ أنهم لما فعلوا هذه الفعلة العظيمة فتحت عليهم أبواب كل شيء، فيالها من مسألة.

السادسة ــ أنهم استبشروا بسبب عذابهم كما استبشر قوم لوط بسبب أضيافه.

السابعة ــ أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرح.

الثامنة ــ أن ذلك الأخذ بغتة.

التاسعة ــ أنه بعد ذلك النعمة.

العاشرة ــ أنه سبحانه المحمودُ على إنعامه لأوليائه ونصرهم.

وأما قوله تعالى: ﴿قُل لا أقولُ لكم عندي خزائنُ الله﴾ إلى قوله ﴿ولِتَسْتَبِينَ سبيلُ المجرمين﴾ [الأنعام: ٥٠-٥٥] ففيها مسائل:

الأولى ــ أمر الله سبحانه رسولَه أن يخبرهم بأنه بريء من ادّعاء خزائن الله.

الثانية ــ إخبارهم بالبراءة من ادعاء علم الغيب.

الثالثة ــ إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه مَلَك؛ وأنت ترى من ينتسب إلى العلم كيف اعتقاده في هذه المسائل بالمعاكسة.

الرابعة ــ الاقتصار على ما يوحَى إليه، واليوم عند الناس هو هو.

الخامسة ــ أن الذي يقتصر على الوحي هو البصير، وضده الأعمى؛ ومن

يدّعي العلم بالعكس في هذه والتي قبلها، ولست أعني العمل بل عقيدة القلب.

السادسة ـــ حثُّه سبحانه على التفكُّر الذي هو باب العلم، كما حثَّ عليه سبحانه في غير موضع.

السابعة ـــ الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين.

الثامنة ـــ أن من فقدهما لم تنفعه النذارة.

التاسعة ـــ فائدة الإنذار وثمرته واحتياج هذه الطائفة لها.

العاشرة ـــ النهي عن طرد المتصفين بما ذكرنا.

الحادية عشرة ـــ عظمة شأن صلاة العصر والصبح.

الثانية عشرة ـــ عظمة الإخلاص.

الثالثة عشرة ـــ كون الأمر اليسير كبيراً مع الإخلاص.

الرابعة عشرة ـــ ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية، وهي ﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

الخامسة عشرة ـــ أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة الظالمين؛ ففيه التحذير من إيذاء الصالحين.

السادسة عشرة ـــ أن حسن النية في ذلك ليس عذراً.

السابعة عشرة ـــ أن منعهم من الجلوس مع العظماء في مجلس العلم هو الطرد المذكور.

الثامنة عشرة ـــ ذكر فتنته سبحانه بعض خلقه ببعض.

التاسعة عشرة ـــ ذكر بعض الحكمة في ذلك.

العشرون ـــ أن من ذلك رفعة من لا يظن الناس فيه ذلك.

الحادية والعشرون ـــ أن الدين، إن صح، فهو المِنّة العظيمة التي لا تساويها منن الدنيا.

الثانية والعشرون ـــ أن من الفتنة حرمانَه سبحانه من لا يظن الناس أنه يُحْرَمُها.

الثالثة والعشرون ـــ المسألة العظيمة الكبيرة وهي: الاستدلال بصفات الله

على ما أشكل عليك من القدرة، لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع في أنفسهم من استبعاد كون الله حرمهم وخص هؤلاء بالكرامة.

الرابعة والعشرون ــ جلالة هذه المسألة وهي: مسألة علم الله، لأنه سبحانه ردَّ بها على الملائكة لما قالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء﴾، الآية، كما ترى.

الخامسة والعشرون ــ أنه متقرر عند الكفار، عَبَدةِ الأوثان، مُنْكِري البعث: أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء في موضعها، والأشعرية يزعمون أنه لا يفعل شيئاً لشيء. والله عليم.

وأما قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُو من دُونِ اللهِ ما لا ينفعنا ولا يَضُرُّنا ﴾ إلى قوله: ﴿ وهو الحكيم الخبير ﴾ [الأنعام: ٧١-٧٣] ففيه أربعة عشر جواباً لمن أشار عليك بموافقة السَّواد الأعظم على الباطل لأجل ما فيه من مصالح الدنيا والهرب من مضارِّها، ولكن ينبغي أن تعرف أولاً أن الكلام مأمور به مؤمن نفيه[1]:

فالأول ــ أن تجيبه بقوله: ﴿ قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ﴾ وهذا تصوُّره كاف في فساده.

الثاني ــ ﴿ ونُرَدُّ على أعقابنا بعد إذْ هدانا الله ﴾ وهذا أيضاً كذلك.

الثالث ــ هذا المثل الذي هو أبلغ ما يرغِّبك في الثبات و يبغِّض إليك موافقته.

الرابع ــ قولك، إذا زعم أن الهدى في موافقة فلان وفلان بدليل الأكثر، فتجيبه: ﴿ إن هُدَى الله هو الهُدَى ﴾.

الخامس ــ أن تجيبه بقوله: ﴿ وأمِرْنا لِنُسْلِمَ لربِّ العالمين ﴾ فإذا أمرتني بالإسلام لفلان وفلان فالله أمرني بما لا أحسن منه.

---

(١) كذا في الأصل.

السادس ـــ أن تقول: وأمرنا بإقامة الصلوات، وهذه خصلة مسلَّمة لا جدال فيها، ولا يقيمها إلا الذي أمرتني بتركه، والذين أمرتني بموافقتهم لا يقيمونها.

السابع ـــ أنَّا مأمورون بتقوى الله، وأنت تأمرني بتقوى الناس.

الثامن ـــ أن هذا الذي أمرتني بترك أمره ﴿ هو الذي إليه تحشرون ﴾، كما قال السَّحَرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك ﴿ إنا إلى ربنا منقلبون ﴾.

التاسع ـــ أنه ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض بالحق ﴾ وهذا مقتضى ما نهيتني عنه، والذي تأمرني به يقتضي أنه خلقهما باطلاً.

العاشر ـــ أن هذا الذي تأمرني بترك أمره حشر هذا الخلق العظيم ما دونه إلا قوله: ﴿ كن فيكن ﴾.

الحادي عشر ـــ أن هذا الذي أمرتني بترك أمره قولهُ الحقُّ، وقد قال ما لا يخفى عليك، ووعد عليه بالخلود في النعيم، ونهى عما أمرتني به، وتوعَّد عليه بالخلود في الجحيم، وهو لا يقولُ إلا الحق، فكيف مع هذا أطيعك؟

الثاني عشر ـــ أن له الْمُلكَ يوم يُنْفَخُ في الصُّور، فإذا أقررت بذلك اليوم، وأن عذابه ونعيمه دائمان، فما ترجو في الشفاعات، كلها باطلٌ ذلك اليوم. وقد بيَّن تعالى معنى ملكه لذلك اليوم في آخر «الانفطار».

الثالث عشر ـــ أنه عالم الغيب والشهادة، فلا يمكن التلبيس عليه، بخلاف المخلوق ولو أنه نبي.

الرابع عشر ـــ أنه هو الحكيم الخبير، فلا يجعل من اتَّبع أمره، ولو خالف الناس، كمن ضيَّع أمره موافقةً للناس؛ حاشاه من ذلك، ولهذا يقول الموحِّدون يوم القيامة ـــ إذا قيل لهم: قد ذهب الناس ـــ: فارقناهم في الدنيا أحوج ما كنا إليهم، إلى آخره.

والله أعلم.

ومن قوله تعالى: ﴿ وإذْ قال إبراهيمُ لأبيه آزرَ ﴾ إلى قوله ﴿ إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرَى للعالمين ﴾ [الأنعام: ٧٤-٩٠]، ففيه مسائل:

الأولى ــ قوله: ﴿ أتتخذ أصناماً آلهة ﴾ السؤال عن معنى الآلهة فإنها جمع إله، وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، فكيف يتخذ جماداً؟ وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جَعْلِ الحمار قاضياً، لأن الحيوان أكمل من الجماد، فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعصِ الله، فكيف بمن اتَّخذ فاسقاً إلهاً مثل: نمرود وفرعون، فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب!!

الثانية ــ القَدْح في حجتهم لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هي، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله: ﴿ إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾.

الثالثة ــ قوله تعالى: ﴿ وكذلكَ نُري إبراهيمَ مَلَكُوتَ السمواتِ والأرض ﴾ فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل، لأن من رأى نخلاً كثيراً لا يتخالجه شك أن المدبِّر له ليس نخلة واحدة منه، فكيف بملكوت السموات والأرض؟

الرابعة ــ أن هذا النفي إنما [هو] نفي لأجل الإثبات.

الخامسة ــ ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ فلم يكمل غيره حتى كمل.

السادسة ــ عظم مرتبة اليقين عند الله لجعله التعلم علة لإيصاله إليه.

السابعة ــ براءته من شركهم نفى أولاً كونها لا تستحق، وثانياً عن نفسه الالتفات إليها.

الثامنة ــ نفي النقائض عن ربه.

التاسعة ــ ذكر توجهه الذي هو العمل.

العاشرة ــ ذكر الدليل الذي دله على النفي والإثبات.

الحادية عشرة ــ تحقيقه ذلك بكونه حنيفاً، وهذه المسألة التي قال الله في ضدِّها: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾.

الثانية عشرة ــ تصريحه لهم بما ذكر ولم يدارِ مع كثرتهم ووحدته.

الثالثة عشرة ــ تصريحه بالبراءة منهم بقوله: ﴿ وما أنا من المشركين ﴾.

الرابعة عشرة ــ قوله ﴿ وحاجَّه قومه ﴾ ولم يذكر حجتهم لأن كلامه كافٍ عن كل ما يقولون.

الخامسة عشرة ــ أنهم لما خصموا رجعوا إلى التخويف كفعل أمثالهم، فذكر أنه لا يخاف إلا الله لتفرده بالضر والنفع، بخلاف آلهتهم، فذكر النفي والإثبات.

السادسة عشرة ــ سعة العلم وما قبله سعة القدرة، وهما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا لهما.

السابعة عشرة ــ من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجَبٌ، ولذلك قال: ﴿ أفلا تتذكرون ﴾.

الثامنة عشرة ــ قوله: ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ إلخ، يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم.

التاسعة عشرة ــ قوله: ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم.

العشرون ــ البشارة العظيمة والخوف الكثير في فصل الله هذه الخصومة إذا عرف ما جرى للصحابة وما فسَّرها لهم به النبي صلى الله عليه وسلم.

الحادية والعشرون ــ تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه وأنه الذي أعطاها إبراهيم عليه السلام ردًّا عليهم.

الثانية والعشرون ــ أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع اللهُ به المؤمنَ درجاتٍ.

الثالثة والعشرون ــ معرفة أن الربَّ تبارك وتعالى حكيمٌ يضع الأشياء في مواضعها.

الرابعة والعشرون ــ كونه عليماً بمن هو أهل لها، كما قال تعالى: ﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾.

الخامسة والعشرون ــ ذكر نعمته على إبراهيم بالذرية التي أنعم عليهم بالهداية.

السادسة والعشرون ــ أن العلم والهداية أفضل النعم لقوله: ﴿ ونوحاً هدينا من قبل ﴾.

السابعة والعشرون ــ هدايتهم وأصولهم وفروعهم ومن في درجتهم.

الثامنة والعشرون ــ ذكره الذي هداهم إليه، وهو: الصراط المستقيم، وهو المقصود من القصة.

التاسعة والعشرون ــ التنبيه على استقامته.

الثلاثون ــ القاعدة الكلية: أن هذا الطريق هو هدى الله، ليس للجنة طريق إلا هو.

الحادية والثلاثون ــ التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته ليظهر العجب وتشكر النعمة.

الثانية والثلاثون ــ العظيمة التي لم يعرفها أكثر من يدّعي الدين، وهو: تكفير من أشرك وحبوط عمله، ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم.

الثالثة والثلاثون ــ أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتاب والحكم والنبوة؛ فلا يرغب عن طريقهم إلا من سَفِهَ نفسه.

الرابعة والثلاثون ــ ما في قوله: ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء ﴾ إلى آخره، من التحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم، وما فيه من التنفير من الجهل وتقبيحه.

الخامسة والثلاثون ــ قوله: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ أن دينهم واحد، وأن شرعهم شرع لنا.

السادسة والثلاثون ــ النهي عن البِدَع، فإن في التحريض عليه نهياً عن ضده.

السابعة والثلاثون ــ كون النذير البشير، مع مقاساة الشدائد في ذلك، لم يطلب منا أجراً عليه.

الثامنة والثلاثون ــ كونه «ذِكْرَىٰ»، ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر.

التاسعة والثلاثون ــ قوله: ﴿ للعالمين ﴾ فيه تكذيب من قال: لا يعرفه إلا المجتهد.

الأربعون ــ الحصر فيما ذكر.

والله سبحانه أعلم.

آيات من سورة الأعراف

ومن كلامه رحمه الله على آيات من سورة الأعراف:

الآية الأولى ــ وصفه بأنه كتاب. الثانية: كونه منزلاً إليه. الثالثة: النهي عن الحرج. الرابعة: التفريع. الخامسة: ذكر الحكمة في ذلك، وهي الإنذار العام والذكرى الخاصة.

الآية الثانية ــ فيها الأمر باتباعه. الثانية: التحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا. الثالثة: النهي عن اتباع ما سواه. الرابعة: أنه لا بد من هذا وهذا. الخامسة: ذكر أن التذكر منا قليل.

الآية الثالثة ــ ذكر عقوبات من لم يفعل. الثانية. أن ذلك كثير. الثالثة: أن البأس جاءهم وقت الغفلة. الرابعة: ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله. الخامسة: أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره.

الآية الرابعة ــ لما ذكر عقوبات الدنيا توعد بالحساب. الثانية: أن الحساب على الرسالة. الثالثة: أنه عامّ حتى المرسلين. الرابعة: أنه يقص عليهم ما فعلوا. الخامسة: بسبب أنه شهيد على الجزئيات.

الآية الخامسة ــ ذكر الوعيد بالميزان. الثانية: أنه الحق لقطع الأطماع. الثالثة: أن الفلاح بسبب ثقله. الرابعة: أن الخسارة بسبب خفته. الخامسة: ذكر سبب الخفة.

الآية السادسة ــ ذكر نعمته بالتمكين في الأرض. الثانية: ذكر نعمته بما فيها من المعايش. الثالثة: ذكر قلة شكرهم.

وأما قوله عز وجل: ﴿ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم﴾ إلى آخر القصة، قال ابن القيم:

قال ابن عباس: «خلقناكم» يعني آدم و «صورناكم» [يعني ذريته][1]، ومثال هذا ما قال مجاهد: «خلقناكم» يعني آدم «وصورناكم» في ظهر آدم. وفي الحديث المعروف: أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر. ونظيره: ﴿ فإنا خلقناكم من ترابٍ ثم من نُطْفَةٍ ﴾ والله سبحانه يخاطب الموجودين، والمراد آباؤهم، كقوله: ﴿ وإذْ قلتم يا موسى لن نؤمنَ لك حتى نرى الله جَهْرَةً ﴾ وغير ذلك من الآيات. وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع كقوله: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين ثم جعلناه نُطْفةً في قَرارٍ مَكِينٍ ﴾ إلى آخره. فالمخلوق من سلالةٍ آدمُ، ومن نطفةٍ ذرِّيتُه. وقيل إن «صوّرناكم» لآدم أيضاً لقوله تعالى: ﴿ فإذا سوَّيْتُهُ ونفختُ فيه من روحي فَقَعُوا له ساجدين ﴾ فأضاف النفخ إلى نفسه، وفي الصحيح في حديث الشفاعة: «فيقولون أنت آدم، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء». فذكروا له أربع خصائص. فالمنفوخ منه الروح المضافة إلى الله إضافة تخصيص وتشريف، والله هو الذي نفخ في طينته عن تلك الروح، هذا الذي دل عليه النص. وأما كون النفخة مباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده، أو أنها بأمره كقوله ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ مع قوله ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ إلى آخره — فهذا يحتاج إلى دليل فإنه أضاف النفخ في مريم لكونه بأمره، وإلى الملك لكونه المباشر للنفخ.

وفي القصة فوائد عظيمة، وعِبَر لمن اعتبر، منها: أنه خلق آدم من تراب، من أبين الأدلة على المعاد، كما استدل عليه سبحانه في غير موضع، وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وهيبته وإنعامه وكرمه، وغير ذلك من صفاته.

ومنها: أنها من أدلّة الرسل عامة، ومن أدلّة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة.

---

(١) زيادة يستقيم بها النص، وانظر: تفسير الطبري، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، طبع دار المعارف، ١٢: ٣١٨— ٣٢٠.

ومنها: الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم.

ومنها: الدلالة على القدر خيرِه وشرِّه، فقد اشتملت على أصول الإيمان الستة في حديث جبريل.

ومنها ــ وهو أعظمها: أنها تفيد الخوف العظيم الدائم في القلب، وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتيه الملائكة عند الموت تبشِّره، وذلك من قصة إبليس وما كان فيه أوّلاً من العبادة والطاعة. ففي ذلك شيء من تأويل قوله صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع» إلى آخره.

ومنها: ألا يأمن من عاقبة العذاب ولو كان قبله طاعات كثيرة وهو ذنب واحد، فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل عالج؟ ومن هذا قول بعض السلف: نضحك ولعل الله أطّلع على بعض أعمالنا فقال اذهبوا ولا أقبل منكم عملاً، أو كلاماً هذا معناه، وأبلغ منه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه». قال علقمة: كم من كلام مَنَعَنِيه حديث بلال؛ يعني هذا.

ومنها: أنها تخلع من القلب داء العُجْب الذي هو أشد من كثير من الكبائر.

ومنها: وهي من أعظمها: أنها تعرِّف المؤمن شيئاً من كبرياء الله وعظمته وجبروته، ولا يدلي[1] عليه ولو بلغ في الطاعة ما بلغ. وقد وقع في هذه الورطة كثير من العباد، فمستقلّ ومستكثر.

ومنها: التحذير من معارضة القدر بالرأي لقوله: ﴿ أرأيْتَكَ هذا الذي كَرَّمْتَ عليَّ ﴾ وهذه بلية عظيمة لا يتخلَّص منها إلا من عصمه الله، لكن مكثر ومقلل.

---

(١) كذا في المطبوعة ١: ٢٤٤ والمصورة ١: ٣١٨. ولعلها «يدل» مضارع «أدل».

ومنها ــ وهو من أعظمها: تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأي كما استدل بها السلف على هذا الأمر؛ ولا يتخلص من هذا إلا من سبقت له من الله الحسنى.

ومنها: عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية لقوله: ﴿ فبما أغْوَيْتَني ﴾[1] بل يقول كقول أبيه: ﴿ ربَّنا ظلَمْنا أنفسَنا ﴾.

ومنها: معرفة قدر المتكبر عند الله خصوصاً مع قوله: ﴿ فاهْبطْ منها فما يكون لك أن تتكبَّر فيها ﴾[2].

ومنها: الفخر بالأصل، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم التشديد في ذلك، والفخر مَنْهِيٌّ عنه مطلقاً ولو كان بحق، فكيف إذا كان بباطل؟

ومنها: الشهادة لما كان عليه السلف أن البدعة أكبر من الكبائر، لأن معصية اللعين كانت بسبب الشبهة، ومعصية آدم بسبب الشهوة.

ومنها: عدم الاغترار بالعلم، فإن اللعين كان من أعلم الخلق فكان من أمره ما كان.

ومنها: عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة، فإنه كان له منزلة رفيعة، وكذلك بلعام وغيره ممن له علم.

ومنها: معرفة العداوة التي بين آدم وذريته، وبين إبليس وذريته، وأن هذا سببها لما طرد عدو الله ولكن بسبب آدم لما لم يخضع له. وهذه المعرفة مما يغرس في القلب محبة الرب جل جلاله، ويدعوه إلى طاعته، وإلى شدَّة مخالفة الشيطان، لأنه سبحانه ما طرد إبليس ولعنه وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة إلا لأنه لم يخضع لنا. فليس من الإنصاف والعدل موالاته وعصيان المُنْعِم جل

(١) في الأصل: (رب بما أغويتني)، وهي في سورة الحجر، وأما الذي في سورة الأعراف فهو الذي أثبتناه.

(٢) في الأصل: (أخرج منها...) وهو سهو في الحفظ أو خطأ من الناسخ.

جلاله، كما ذكر هذه الفائدة بقوله: ﴿أفتتَّخذونه وذريَّته أولياء من دوني وهم لكم عدوٌّ بئس للظالمين بدلاً﴾.

ومنها: معرفة شدة عداوة عدو الله لنا وحرصه على إغوائنا بكل طريق، فيعدّ المؤمن لهذا الحرب عُدَّته[1]، ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربته إلا بمعونة الله، كما قال قتادة: إن عدواً يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم إنه لشديد المؤونة إلا من عصم الله. وقد ذكر الله عداوته في القرآن في غير موضع وأمرنا باتخاذه عدوّاً.

ومنها: وهو من أعظمها: معرفة الطرق التي يأتينا منها عدو الله، كما ذكر الله تعالى عنه في القصة أنه قال: ﴿لأقْعُدَنَّ لهم صِراطَكَ المستقيم ثم لآتِيَنَّهُمْ من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيْمانهم وعن شَمائلهم﴾. وإنما يعرف عظمة هذه الفائدة بمعرفة شيء من معاني هذا الكلام. قال جمهور المفسرين: انتصب «صراط» بحذف «على»، التقدير: لأقعدن لهم على صراطك. قال ابن القيم: والظاهر أن الفعل مُضْمَر، فإن القاعد على الشيء ملازم له، فكأنه قال: لألزمنَّه ولأرصُدَنَّه، ونحو ذلك. قال ابن عباس: [«صراطك المستقيم» يعني:] دينك الواضح؛ «ومن بين أيديهم» يعني: الدنيا أو الآخرة، «ومن خلفهم» يعني: الآخرة أو الدنيا، «وعن أيمانهم»، قال ابن عباس: أشبِّه عليهم أمرَ دينهم. وعنه أيضاً [«وعن أيمانهم»]: من قبل الحسنات، وقوله: «وعن شمائلهم» الباطل أرغِّبهم فيه[2].

قال الحسن: السيئات يحثهم عليها ويزينها في أعينهم.

قال قتادة: أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه، إلا أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطيع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

---

(١) كذا في المطبوعة والمصورة: «والحرب» مؤنث وقد تذكر.

(٢) انظر تفسير الطبري، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، ١٢: ٣٣٨-٣٣٩.

وهذا يوافق قول من قال: ذكر هذه الأوجه للمبالغة في التوكيد، أي: أتصرّف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم. ولا يناقض ما ذكر السلف، فإن ذلك على جهة التمثيل. فالسبل التي للإنسان أربعة فقط، فإنه تارة يأخذ على جهة شماله؛ وتارة على يمينه، وتارة أمامه، وتارة يرجع خلفه؛ فأي سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصداً له؛ فإنْ سلكها في طاعةٍ ثبَّطه، وإن سلكها بالمعصية حَدَاه. وأنا أمثِّل لك مثالاً واحداً لما ذكر السلف، وهو: أن العدو الذي من بني آدم — إذا أراد أن يمكر بك — لم يستطيع أن يمكر إلا في بعض الأشياء، وهي الأشياء الغامضة والأشياء التي ليست بعالية، فلو أراد أن يمكر بك في أمر واضح بيِّن مثل: التردِّي من جبل، أو بئر، وأنت ترى ذلك — لم يستطيع، خصوصاً إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة؛ ولو أراد ليمكر بك لتتزوج عجوزاً شوهاء وأنت تراها لم يستطع ذلك؛ وأنت ترى اللعين أعاذنا الله منه يأتي الآدمي في أشياء واضحة بيِّنة أنها من محارم الله فيحمله عليها حتى يفعلها، ويزيّنها في عينه حتى يفرح بها، ويزعم أن فيها مصلحة، ويذم من خالفه كما قال تعالى: ﴿ لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أتَوْا ﴾ الآية، وقوله: ﴿ ولا تَلْبِسُوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ وقوله ﴿ ولقد علموا لَمَنِ اشتراه ماله في الآخرة من خَلاَقٍ ﴾. وهذا معنى قول من قال: «بين أيديهم» من قِبَل الدنيا، فإنهم يعرفونها وعيوبَها ومجمعون على ذمِّها، ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحامهم وسفكوا دماءهم وفعلوا ما فعلوا. وهذا معنى قول مجاهد: «من بين أيديهم» من حيث يبصرون. فهو لم يقنع بإتيانه من الجهة التي يجهلون أنها معصية مثل ما فسر به مجاهد «خلفهم» قال: من حيث لا يبصرون. ولا من جهة الغيب كما قال فيها بعضهم الآخر: أشككهم فيها. لم يقنع بذلك عدو الله حتى أتاهم في الأمور التي يعرفونها عِياناً أنها النافعة وضدها الضار، وفي الأمور التي يعرفون أنها سيئات وضدها حسنات، ومع هذا فأطاعوه في ذلك، إلا من شاء الله، كما قال تعالى: ﴿ ولقد صدّق عليهم إبليسُ ظنَّهُ فاتَّبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾ وقال تعالى حكاية عنه: ﴿ وقال لأتَّخِذَنَّ مِنْ عبادك نصيباً

مفروضاً ولأضِلَّنَّهُمْ ولأمَنِّيَنَّهُمْ ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأنعام ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله﴾ الآية. قال الضحاك: «مفروضاً»: معلوماً، وحقيقة الفرض: التقدير. والمعنى أن من اتَّبعه فهو من نصيبه المفروض؛ فالناس قسمان: نصيب الشيطان ومفروضه، وحزب الله وأولياؤه. وقوله «ولأضلنهم» يعني عن الحق. «ولأمنينهم» قال ابن عباس: تسويف التوبة وتأخيرها، وقال الزجاج: أجمع لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة. وقوله «ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام» البتك: القطع، وهو ها هنا: قطع آذان البَحِيرة، وقوله «ولآمرنهم فليغيرن خلق الله» قال ابن عباس: دين الله. وقال ابن المسيّب والحسن وإبراهيم وغيرهم: معنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة وهي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿فأقِمْ وجهك للدِّينِ حَنيفاً فِطْرةَ الله التي فَطَر الناسَ عليها﴾ الآية. وفي الصحيح «ما من مولود يولد إلا على الفطرة وأبواه يهوِّدانه» الحديث، فجمع صلى الله عليه وسلم بين الأمرين: تغيير[1] الفطرة بالتهويد وغيره، وتغيير الخِلْقة بالجَدْع، وهما اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن يغيِّرهما. ثم قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ و يُمَنِّيهِمْ﴾ فوعده ما يصل إلى قلب الانسان، نحو: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا وتعلو، والدنيا دُوَلٌ ستكون لك، و يطوِّل أمله، و يعده الحسنى على شِرْكه ومعاصيه، ويمنّيه الأمانيَّ الكاذبة على اختلاف وجوهها. فالوعد: في الخير، والتمنّي: في الطلب والإرادة.

ومنها: أن معرفة هذه القصة تزرع في قلب المؤمن حبَّ الله تعالى الذي هو أعظم النعم على الإطلاق، وذلك من صنعه بالإنسان وتشريفه وتفضيله على الملائكة، وفعله بإبليس ما فعل لمَّا أبى أن يسجد له، وخلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسكانه جنته. وقد خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل مع آبائهم، وذكَّرهم بذلك، واستدعاهم به، وذكر أنه فعل بهم كقوله: ﴿وإذْ فَرَقْنَا بكم البحر فأنجيناكم

---

(١) في الأصل: «تفسير الفطرة».

وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ وغير ذلك. وذكر النعم هي أصل الشكر الذي هو الدين، لأن شكرها مبنيٌّ على معرفتها وذكرها، فمعرفة النعم من الشكر، وهي أم الشكر، كما في الحديث: «من أسْدِيَ إليه معروف فذكره فقد شكره، فإن كتم فقد كفره». هذا في الأشياء التي تصدر من بني آدم، فكيف بِنعَم المُنْعِم على الحقيقة والكمال؟ واجتمع الصحابة يوماً في دار يتذاكرون ما منَّ الله عليهم به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وجلس الفضيل وابن أبي ليلى يتذاكرون...

ومنها: أن التأويل الفاسد في ردِّ النصوص ليس عذراً لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي ألقاها، كما لم يعذر من خالف النصوص متأوِّلاً مخطئاً، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره.

ومنها: أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق، كما يفعلون مع المخطىء المتأول، بل يُبَادَر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، والإعراض عنه إن لم يقدر عليه، كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا؛ فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قيلهم أبدى لهم شيئاً من حكمته وتابوا، وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاته التي فتح الله فيها مكة: فإنه لما أعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم، ووجدت عليه الأنصار، عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم وبين لهم شيئاً من الحكمة. ولما قال له الرجل العابد: اعدل، قال له كلاماً غليظاً، واستأذنه بعض الصحابة في قتله، ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره. ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل ردَّ عليهم ما أخذ منهم ووَدَاهم، ولا نعلم أنه عاتب خالداً ولا منعه ذلك من تأميره على الناس.

ومنها: أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها، فإنَّ الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته. وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في ردِّ باطلهم كما عليه المتأخرون،

بل يعاقبونهم إن قدروا، وإلا أعرضوا عنهم. وقال أحمد لمن أراد أن يردَّ عليهم: اتَّقِ الله ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشد فأرشده. وهو سبحانه لما قال اللعين ﴿أنا خير منه﴾ قال: ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾، ولما قالت الملائكة ما قالت ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ثم بيَّن لهم ما بيَّن حتى أذعنوا.

ومنها: معرفة قدر الإخلاص عند الله، وحماية الله أهلَه، لقول اللعين: ﴿إلا عبادك منهم المُخْلَصِين﴾ فعرف عدو الله أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص.

ومنها: أن كشف العورة مستقرٌّ قُبْحُه في الفِطَر والعقول لقوله: ﴿فوسوس لهما الشيطان لِيُبْدِيَ لهما ما وُورِيَ عنهما من سَوْءاتهما﴾ وقد سمّاه الله فاحشة.

ومنها: أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغترَّ بالفَجَرة، بل ليكُنْ على حذر منهم ولو قالوا ما قالوا، خصوصاً أولياء الشيطان الذين تسبق شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينُه شهادته، فإن اللعين حلف ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾.

ومنها: أن زخرفة القول قد تُخرِج الباطل في صورة الحق كما في الحديث: «إن من البيان لسحراً» فإن اللعين زخرف قوله بأنواع، منها: تسمية الشجرة شجرة الخلد، منها: تأكيد قوله: ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ وغير ذلك مما ذكر في القصة. فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره حتى يعجم العود.

ومنها: أن في قصة شاهداً لما ذكر في الحديث «إن من العلم جهلاً» أي من بعض العلم ما العلم به جهل، والجهل به هو العلم، فإن اللعين من أعلم الخلق بالحِيَل التي لا يعرفها آدم مع أن الله علمه الأسماء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل. وفي الحديث «إن الفاجر خَبٌّ[1] لئيم، وإن المؤمن غِرٌّ كريم[2]». وأبلغ من ذلك وأعمُّ منه قول الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها؟﴾

---

(١) الخب (بفتح الخاء وكسرها): الخداع الخبيث الغشاش.

(٢) الغر (بكسر الغين): الطاهر القلب الذي لا يفطن للشر.

فقيل لهم ما قيل وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا ﴾ فكان كمالهم ورجوعهم عن العتب وكمال علمهم: أن أقرُّوا على أنفسهم بالجهل إلا ما علَّمهم سبحانه.

ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة المنبه عليه في مواضع، منها: قوله صلى الله عليه وسلم «وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

ومنها: أنه لا ينبغي أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله، فإن اللعين أنْظَره الله تعالى ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له، وحكمة بالغة يعلمها العليم الخبير؛ فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها و يعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة.

ومنها: أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، والجاهل يظنها نعمة، مثل: المال والجاه وطول العمر، فإن الله أعطى اللعين من النَّظِرَة ما أعطاه.

ومنها: أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه، وأن كثيراً منها قد لا يعلمه من نفسه، فإن أكثر الكبائر القلبية، مثل: الرياء والكِبْر والحسد وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك، قد يتلطخ بها الرجل وهو لا يشعر، ولعلَّه يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة وهو في غفلة عن هذه العظائم.

ومنها: أن يعرف قدر معصية الحسد، وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به ما فعل.

ومنها ــ وهو من أحسنها: أن يعرف صحة ما ذكر عن بعض السلف أن من لم يجاهد في سبيل الله ابْتُلي بالجهاد في سبيل الشيطان، ومن بخل في إنفاقه المال في طاعة الله ابْتُلي بإنفاقه في المعاصي وفيما لا ينفعه، ومن لم يمش في

طاعة الله خطوات مشى في معصية الله أميالاً، وأشباه ذلك. والدليل من القصة شيء أبلغ من هذا بكثير فإن اللعين أبى أن يسجد لزعمه أن ذلك نقصٌ في حقه، ثم صار بعد ذلك يكدح جهده في القيادة والدياثة وأنواع الرذائل.

ومنها: أن في القصة معنى قوله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبوه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه» إلى آخر. ومن ذلك قوله حكاية عن إبليس: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ فإنهم ذكروا في معناه أنه أمرهم بتغيير خلق الله، وهي فطرته التي فطر عباده عليها، وهي الإسلام لله وحده لا شريك له.

ومنها: أن فيها معنى القاعدة الكبرى في الشريعة المذكورة في مواضع، منها: قولَ النبي صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ»[1] وهي من قوله: ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ فإنهم ذكروا أن معناه قطع آذان البَحِيرة تقرُّباً إلى الله على عادات الجاهلية.

ومنها: أن تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ وما في معناه من النصوص، وذلك مستفاد من منع اللعين، فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه، وأنه لا محيص له عنه، و يعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم — ومع ذلك لم يتب ولم يرجع، بل أصرّ وعاند، وطلب النَّظِرة لأجل المعصية، مع علمه بعقابه وعدم مصلحة من فعله. وهذا باب عظيم من معرفة الرب، وقدرته، وتقليبه القلوب كيف يشاء، وتيسيره كلَّ عبد لما خُلِق له فيفعله باختياره.

ومنها: أن الله سبحانه قد يعاقب العبد إذا غضب عليه بعقوبات باطنة في دينه وقلبه لا يعرفها الناس، مع إمداده إياه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فأعقبهم نِفاقاً في قلوبهم إلى يوم يَلْقَوْنَه بما أخلفوا الله ما وعدوه﴾ كما فعل إبليس.

---

(١) رد: أي: مردود عليه.

ومنها: أن فيها شهادة لما ذكر عن بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها.

ومنها: أن تفيد القاعدة المعروفة أن الجزاء من جنس العمل، وذلك أن قصده الترفع فقيل له: ﴿ فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ فقصد العزَّ فأذلَّه الله بأنواع الذل.

ومنها: الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السلف في قوله: والله إن معالجة التقيّ التقوى أهونُ من معالجة غير التقي الناس، وقول من قال: مصانعة وجه واحد أهون من مصانعة ألف وجه. وبيان ذلك أن اللعين لما تخيل أن عليه من أمر الله شيئاً من النقص، فلو قدم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم، فلو قدر أن ما تخيَّله صحيح وأن ذلك غضاضة ــ لكان في جانب ما آتاه من الشر والهوان والصغار جزاء يسيراً والله المستعان؛ فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعادته كما هو عادة الله في خلقه: أن من تواضع لله رفعه!

ومنها: أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيراً من القوى والإدراكات في العلوم والأعمال حتى في صحة الفراسة كما ذكر عن اللعين حيث تفرس فيهم أن يغويهم إلا المخلصين فصدَّق الله فراسته في قوله (ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) فإن قيل في الحديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ولا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق، كما كان في العلم والايمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك؛ ولو كان للفجار شيء من هذا.

ومنها: الشهادة المعروفة للقاعدة المعروفة في الشريعة أن كل عمل لا يُقْصَد به وجهُ الله فهو باطل، لاستثنائه المخلصين.

ومنها: الشهادة للقاعدة الثانية، وهي أن كل عمل على غير اتِّباع الرسول غير مقبول، لقوله في القصة ﴿ اهبطوا منها جميعاً فإمَّا يأتينكم منّي هدى ﴾ الآية؛ فقسم الناس إلى قسمين: إلى أهل الجنة وهم الذين اتبعوا الهدى المنزل من الله، وأهل الشقاق والضلال وهم من أعرض عنه.

فانتظمت هذه القصة لهاتين الآيتين العظيمتين اللتين هما من أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق؛ القاعدة الأولى: فيها حديث عمر «إنما الأعمال بالنيات»، والقاعدة الثانية: فيها حديث عائشة «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ».

الثامنة عشرة[1] — فيها: تذكير ما يواري السوءتين. الثانية: تذكيره بإنزال الريش. الثالثة: تذكيره بإنزال لباس التقوى. الرابعة: إخباره بخير اللباسين. الخامسة: ذكره أن ذلك من آياته. السادسة: ذكره الحكمة في ذلك.

التاسعة عشرة — إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان. الثانية: تمثيله بما لا يستطيع أحد دفعه. الثالثة: ما جرى فى طاعته من التعب العاجل. الرابعة: نزعه عنهما لباسهما. الخامسة: مراده في ذلك. السادسة: تنبيه هذا على المهم وهو كونهم يروننا ولا نراهم. السابعة: القاعدة الكلية وهي من مسائل الصفات.

العشرون — فيها إنكاره عليهم هذه الفاحشة. الثانية: الرد على من أنكر التحسين والتقبيح العقلي. الثالثة: إنكار حجتهم الأولى والثانية. الرابعة: أمره بالقول الذي فيه تنزيه الله عن ذلك. الخامسة: اشتمال هذا الكمال على ما لم يحص من المسائل. السادسة: أن معرفة الله نفي ما لا يجوز عليه. السابعة: إنكاره القول عليهم بلا علم.

(١) يقصد: «الآية الثامنة عشرة»، وهو استمرار لحديثه عن الآيات الذي فصله آية آية فيما سلف ص: ٥٨٠؛ ثم أجمل الآيات في حديثه الطويل في الصفحات من ٥٨١ إلى ٥٩١.

الحادية والعشرون ـــ الأولى: أمره أن تقول هذا الإثبات. الثانية: الاستدلال بالصفات على الأفعال. الثالثة: الاستدلال بالعموم. الرابعة: ذكر أمره بالعدل. الخامسة: إقامة الوجه عند كل مسجد. السادسة: دعوته بالإخلاص. السابعة: ذكر المعاد. الثامنة: الاستدلال عليه بالمبدأ. التاسعة: ذكر الإيمان بالقدر بذكر الهداية والإضلال. العاشرة: الإشارة إلى الأمرين. الحادية عشرة: ذكر الأمر العظيم وهي اتخاذهم الشياطين أولياء. الثانية عشرة: ذكر حسبانهم أنهم مهتدون. الثالثة عشرة: أن ذلك ليس عذراً.

الثانية والعشرون[1] ـــ ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد. الثانية: ذكر الأكل والشرب. الثالثة: ذكر النهي عن السرف. الرابعة ـــ ذكره أنه لا يحب المسرفين.

وقوله عز وجل: ﴿ وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجَدْنا عليها آباءنا والله أمَرَنا بها قُلْ إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ إلى قوله: ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ [الأعراف: ٢٨-٣٠] هذه الآية ذكرها الله سبحانه بعد ما ردّ على الكفار عبادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها، منها: أنهم إذا حجوا طافوا بالبيت عراة يقولون: الثياب التي عصينا الله فيها لا نطوف فيها، فقال الله رداً عليهم ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾.

والفاحشة في هذا الموضع: إخراج العورة للعبادة، مثل ما يفعل كثير من الناس: يكشف عورته للاستنجاء، وغيره ينظره، يريد بالاستنجاء في هذه الحالة التقرب إلى الله، فلما ردَّ عليهم الباطل أخبرهم بالحق الذي شرعه فقال: ﴿ قل أمر ربي بالقِسْطِ ﴾ وهو العدل ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ وهو إقامة الصلاة بحقوقها، ﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾ يقول: ادعوه بهذا الشرط لا تدعوا

(١) انظر التعليقة في الصفحة التالية.

مع الله أحداً. يقول الأمور التي تعبدونني بها ما أمرتكم بها، والأمور التي أمرتكم بها لا تفعلونها. فالظلم والبغي ضدّ القسط، وهو جاهكم وسمتكم الذي تبذلون فيه الأعمار والأموال، وإقامة الوجه عند كل مسجد لا تفعلونها، بل إن فعلتم صليتم صلاة لا تجزيء والإخلاص ليس عندكم، ودينكم الذي ترجون عليه الثواب هو الشرك. إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف، ونزّل هذه الآية على أحوالهم تَرَ العجب. ثم قال: ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ أي: لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة ثم قال: ﴿ فريقاً هَدَى وفريقاً حقّ عليهمُ الضّلالةُ ﴾ فهذا القدر ﴿ يهدي من يشاء و يضل من يشاء ﴾.

فجمع في هذه الآية: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالشرع، والإيمان بالقدر. وذكر فيها تفصيل الشرع الذي أمر به. وذكر حال من عكس الأمر فجعل المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة وهي: ﴿ إنهم اتَّخَذُوا الشياطينَ أولياء مِن دُونِ اللهِ، ويحسبون أنَّهم مُهْتَدُون ﴾. فلا أجهل ممن هرب من طاعة الله واختار طاعة الشيطان، ومع هذا يحسب أنه مهتدٍ مع هذا الضلال الذي لا ضلال فوقه. والله أعلم.

الثانية والعشرون[1] ــ ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد. الثانية: إضافتها إلى الله. الثالثة: تنبيه على العلة بقوله من الرزق. الرابعة: أمره أن نقول هذا القول. الخامسة: ذكر تفصيل الآيات. السادسة: ذكر أهل هذا التفصيل.

الرابعة والعشرون ــ أمر أن نقول هذا القول. الثانية: حصر المحرّمات فيما ذكر. الثالثة: تحريم الفواحش. الرابعة: تحريم الاثم والبغي بغير الحق. الخامسة: تحريم الشرك. السادسة: ذكر هذا القيد العظيم. السابعة: تحريم القول على الله بلا علم.

---

(١) هكذا في المطبوعة ١: ٢٥٢ والمصورة ١: ٣٣٠، وهي تكرار لما ورد في رقم (١) في الصفحة السابقة. فلعلها هنا «الثالثة والعشرون» إذ أن ما بعدها: «الرابعة والعشرون».

قوله: ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ الآية [الأعراف: ٥٩-٦٤] فيه مسائل:

الأولى ــ تفصيل شيء من قوله: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ﴾.

الثانية ــ معنى قوله: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً وبُعِثْتُ إلى الناس عامةً».

الثالثة ــ الملاطفة في الدعوة إلى الله لقوله «يا قومِ» أضافهم إلى نفسه.

الرابعة ــ التي أرْسِلتْ الرسل وخُلِقَتْ الخلق لأجلها.

الخامسة ــ تفسير الإله.

السادسة ــ دعاؤهم بالرغبة.

السابعة ــ دعاؤهم بالتخويف.

الثامنة ــ جواب الملأ لهذا الكلام بهذه الجهالة.

التاسعة ــ كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة، بل إلى السحر، بل إلى الجنون.

العاشرة ــ حسن جوابه لهم ومقابلته الإساءة بالتي هي أحسن.

الحادية عشرة ــ تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعصوا رب العالمين.

الثانية عشرة ــ تعريفهم بما فيه من الخصال التي لا غناء لهم عنها.

الثالثة عشرة ــ تعريفهم أن تلك الخصال لا تقتضي الحسد بل تقتضي المحبة والانقياد.

الرابعة عشرة ــ لما عرفهم أن الرسالة التي أتتهم منه وعَظَهم بأنه رب العالمين.

الخامسة عشرة ــ تعريفهم أن هذا الذي استغربوا، ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون، هو الواجب في العقل، وهو أيضاً حظهم ونصيبهم من الله.

ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق، وذكر أدلته العقلية، وإبطال الباطل وذكر الأدلة العقلية على بطلانه ــ ما لا يخفى على من له بصيرة.

السادسة عشرة ــ ذكر أنهم كذَّبوه مع هذا البيان، ففضل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل بالفريقين.

السابعة عشرة ــ ذكر أن ذلك بسبب التكذيب بآياته، فدل على أنه أتاهم بآيات الله.

الثامنة عشرة ــ أن السبب في ذلك التكذيب هو العمى والجهالة، فهي وصفهم لا وصف خصومهم.

وأما قصة عاد [الأعراف ٦٥ــ٧٢] فنذكر ما فيها من الفوائد خاصة:

الأولى ــ التبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك.

الثانية ــ وصفه الملأ منهم بالكفر.

الثالثة ــ وصفهم نبيهم بالسفاهة التي هي أبلغ من الجهل.

الرابعة ــ وصفهم إياه بالكذب.

الخامسة ــ استعطافه إياهم بأمانته.

السادسة ــ وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة.

السابعة ــ فيه ما يدل على أنهم يعلمون ذلك لقوله ﴿ واذكروا ﴾.

الثامنة ــ وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم في الأرض بعد قوم نوح.

التاسعة ــ وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم في الخلق بسطة.

العاشرة ــ ذكر أن ذلك لا يدل على الكرامة بل قد يكون السبب للإهانة.

الحادية عشرة ــ ذكر أن هذا الذي كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم.

الثانية عشرة ــ ذكر ما أجابوه به عن هذا الكلام الذي هو في غاية الحسن.

الثالثة عشرة ــ ذكره أن هذا الخلاف بينه وبينهم في توحيد العبادة لا في أصل العبادة.

الرابعة عشرة ــ ذكر أن عمدتهم اتباع السواد الأعظم.

الخامسة عشرة ــ زيادة العقوبة لهم ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾.

السادسة عشرة ــ ذكر أن الصدق ممدوح عندهم، وكذلك الكذب مذموم عندهم.

السابعة عشرة ــ ذكر المسألة المهمة وهي إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل مع كونه لم ينزل فيه نص من الله.

الثامنة عشرة ــ كونه بيّن لهم كبر جهالتهم كيف تجاسروا على الجدال بذلك.

التاسعة عشرة ــ معرفة الأشياء التي لا حقيقة لها من الحقائق.

العشرون ــ كون الشيء معمولاً به قرناً بعد قرن من غير نكير لا يدل على صحته.

الحادية والعشرون ــ أمره إياهم بانتظار الوعيد.

وأما قصة ثمود [الأعراف: ٧٣-٧٩] فنذكر ما فيها من الزوائد على القصتين أيضاً:

الأولى ــ وعظه اياهم بالآية العظيمة.

الثانية ــ استعطافهم بذكر ربوبية من جاءت منه لهم.

الثالثة ــ ذكر إضافة الناقة إلى الله.

الرابعة ــ تفسير البيّنة لهذا.

الخامسة ــ تخصيص الله إياهم بناقته.

السادسة ــ العجب العجاب من كراهتهم الأمر المطلوب منهم، وهو كفُّ الأذى عن ناقة الله التي فيها من نعم الدين والدنيا لمن قبلها مالا يظنه الظانون.

السابعة ــ أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفُّوا عنه الأذى.

الثامنة ــ تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور في السهل.

التاسعة ــ نعمة الله عليهم في هذه القوة العظيمة وهي قدرتهم على نحت الجبال بيوتاً.

العاشرة ــ تذكيرهم بنعم الله فدلّ على أنهم يعرفون ذلك.

الحادية عشرة ــ وعظه إياهم أن الذي ينهاهم عنه هو الفساد في الأرض، وهو قبيح بإجماع العقلاء.

الثانية عشرة ــ ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة التي جمعت لهم خير الدنيا والآخرة.

الثالثة عشرة ــ نعته الملأ منهم بالكِبْر.

الرابعة عشرة ــ أن الذين استجابوا للحق هم الضعفاء، وأما الملأ المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم.

الخامسة عشرة ــ جمعهم بين هذه الثلاث: عَقْر الناقة، والعُتُوّ عن أمر ربهم، وقولهم لرسولهم هذا.

السادسة عشرة ــ ذكر قولهم ﴿ إن كنت من المرسلين ﴾ فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة.

السابعة عشرة ــ ذكر توليه عنهم لما وقع عليهم ما استعجلوه.

الثامنة عشرة ــ ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكن.

التاسعة عشرة ــ ذكر أن العلة في عدم القبول عدم المحبة للناصح لا عدم البيان.

وأما قصة [قوم] لوط [الأعراف: ٨٠-٨٤] فسنذكر أيضاً ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث:

الأولى ــ التصريح أن هذا الفعل لم يُفْعَل قبلهم.

الثانية ــ موعظة نبيهم إياهم بذلك، فدلّ على أنه متقرِّرٌ عندهم أن أول من ابتدع القبيح ليس كغيره.

الثالثة ــ تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام.

الرابعة ــ تغليظها بالألف واللام، فدل على الفرق بينها وبين الزِّنا لقوله: ﴿ إنه كان فاحشة ﴾.

الخامسة ــ تنبيههم على مخالفة العقول والشهوات لقوله ﴿ لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴾ فتتركون موضع الشهوة مع حسنه عقلاً ونقلاً، وتتبدّلون به غير المُشْتَهى مع قبحه عقلاً ونقلاً.

السادسة ــ تنبيههم على العلة أنها ليست الشهوة بل السَّرف.

السابعة ــ هذا الجواب العُجَاب لتلك النصيحة والبيان بأدلّة العقل والنقل.

الثامنة ــ إقرارهم أن آل لوطٍ الطَّيِّبون وأنهم الخبيثون.

التاسعة ــ تصريحهم أن هذا الذي نقموه عليهم وجعلوه سبباً لإخراجهم من البلد.

العاشرة ــ ما في إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد، والدلالة على أن من أحبَّ قوماً حُشِر معهم وإن لم يعمل عملهم.

الحادية عشرة ــ ذكر الأمر بالنظر في عاقبة المجرمين.

وقوله عز وجل ﴿ وَٱتْلُ عليهم نَبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ [الأعراف: ١٧٥] فيه مسائل:

الأولى ــ معرفة أن لا إله إلا الله كما في قصة آدم وإبليس، ويعرف ذلك من عرف أسباب الشرك، وهو الغلو في الصالحين، والجهل بعظمة الله.

الثانية ــ معرفة أن محمداً رسول الله يعرفه من عرف عداوة علماء أهل الكتاب له.

الثالثة ــ معرفة الدين الصحيح والدين الباطل، لأنها نزلت في إبطال دينهم الذي نصروا، وتأييد دينه الذي أنكروا.

الرابعة ــ معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حيله.

الخامسة ــ أن من انسلخ من الآيات أدركه الشيطان، ومن لم ينسلخ منها حمته منه، ثم صار أكثر من انتسب إلى العلم يظن العكس.

السادسة ــ خوف الخاتمة، كما في حديث ابن مسعود.

السابعة ــ عدم الاغترار بغزارة العلم.

الثامنة ــ عدم الاغترار بصلاح العمل.

التاسعة ــ عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء.

العاشرة ــ أن الانسلاخ لا يُشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه.

الحادية عشرة ــ أن من أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه لو عرف الحق أحبه، ولو عرف الباطل أبغضه.

الثانية عشرة ــ معرفة الفتنة فإنه لا بد منها، فليتأهب ويسأل الله العافية لقوله: ﴿ أحسب الناس أن يُتْرَكُوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنُون ﴾، الآيتين.

الثالثة عشرة ــ عدم أمن مكر الله.

الرابعة عشرة ــ عقوبة العاصي في دينه ودنياه.

الخامسة عشرة ــ ذكر مشيئة الله وذكر السبب من العبد.

السادسة عشرة ــ أن محبة الدنيا تكون سبباً لرِدَّة العالِم عن الإسلام.

السابعة عشرة ــ تمثيل هذا العالم بالكلب في اللهث على كل حال.

الثامنة عشرة ــ أن هذا مثل لكل من كذَّب بآيات الله، فليس مختصًّا.

التاسعة عشرة ــ كونه سبحانه أمر بقص القصص على عباده.

العشرون ــ ذكر الحكمة في الأمر به.

الحادية والعشرون ــ قوله: ﴿ ساء مَثَلاً ﴾ كقوله: ﴿ بئس مَثَلُ القوم ﴾.

من سورة يونس

قوله: ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍّ من دِيني فلا أعبدُ الذين تعبدون من دُون الله ولكنْ أعبدُ اللهَ الذي يَتَوَفَّاكم وأمِرْتُ أن أكونَ من المؤمنين * وأنْ أقِمْ وَجْهَك للدِّين حنيفاً ولا تكوننَّ من المشركين * ولا تَدْعُ من دون الله مالا ينفعُك ولا يضرُّك فإنْ فعلتَ فإنك إذاً من الظالمين﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٦] فيه ثمان حالات:

الأولى ــ ترك عبادة غير الله مطلقاً، ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة، كما جرى لسعد مع أمه.

الحال الثانية ــ أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفطن لما يريد الله من قلبه من: إجلاله وإعظامه وهيبته، فذكر هذه الحال بقوله: ﴿ ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ﴾.

الحال الثالثة ــ إن قدَّرنا أنه ظنَّ وجود الذكر[1] والفعل منه فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يقضِ هذا الغرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرِّح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحال الرابعة ــ إن قدَّرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين والجد والصدق وهو إقامة الوجه للدين.

الحال الخامسة ــ إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع فلا بد له من مذهب ينتسب إليه، فأمِر أن يكون مذهبه الحنيفية، وترك كل مذهب سواها، ولو كان صحيحاً؛ ففي الحنيفية عنه غنية.

---

(١) في المصورة ١:٣٣٥ «الترك».

الحال السادسة ـــ إنا إن قدَّرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلا بد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثِّر سوادهم.

الحال السابعة ـــ أنا إن قدرنا انه ظن وجود الحالات الست فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غيره لشيء من مقاصده، ولو كان ديناً، يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصاً عند الخوف أنه لا يدخل في هذه الحال.

الحال الثامنة ـــ إن ظن سلامته من ذلك لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين، أو يقول أكفِّره وهو يحب الدين و يبغض الشرك؟ وما اعزَّ من تخلص من هذا، بل ما أعزَّ من يفهمه، وإن لم يعمل ، بل ما أعزَّ من لا يظنه جنوناً!

والله أعلم.

من سورة هود

ذكر ما في سورة هود من العلوم:

الأولى ــ علم معرفة الله: ذكر أنه حكيم. الثانية: أنه خبير. الثالثة: أنه قدير. الرابعة: أنه ذكر شيئاً من تفصيل العلم في قوله: ﴿ ألآ إنَّهم يَثْنُونَ صدورَهم ﴾ الآية. الخامسة: ذكر شيئاً من تفاصيل القدرة في قوله: ﴿ وما من دابة ﴾، الآية. السادسة: ﴿ خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾. السابعة: كون عرشه على الماء. الثامنة: ذكر شيئاً من تفصيل الحكمة في قوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أحسنُ عملاً ﴾. التاسعة: كونه وكيلاً على كل شيء.

الثاني ــ الإيمان باليوم الآخر: ذكر أنه إليه المرجع. الثاني: ﴿ ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ﴾. الثالث: ذكر الجنة والنار. الرابع: ذكر العرض عليه. الخامس: كلام الأشهاد. السادس: ضل عنهم افتراؤهم. السابع: كونهم هم الأخسرون في الآخرة.

الثالث ــ تقرير الرسالة: ذكر أولاً المسألة الكبرى. الثانية: أنه نذير من الله وبشير لنا. الثالثة: تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم إنها سحر مبين، مع موافقتها للعقل. الرابعة: تقريرها بقولهم: ﴿ لولا أُنْزِلَ عليه كَنْزٌ ﴾. الخامسة: تقريرها بمعرفة العلماء بها. السادسة: تقريرها بالتحدي. السابعة: تقريرها بأنها الحق من الله.

الرابع ــ ذكر الوعد والعيد: ذكر المتاع الحسن لمن قبله. الثانية: ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى. الثالثة: ﴿ يومَ يأتيهم ليس مصروفاً عنهم ﴾. الرابعة: وعيد من أراد الدنيا. الخامسة: وعيد من افترى عليه. السادسة: وعد

المؤمنين المخبتين. السابعة: وعيد من كفر. الثامنة: ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾[1] بالقرآن.

الخامس ـــ ذكر الأمر والنهي: فذكر النهي عن الشرك والأمر بالإخلاص. الثانية: الأمر بالاستغفار والتوبة. الثالثة: الأمر بالمضي على أمر الله بالتحدي. الرابعة: نهيه عن المرية فيه.

السادس ـــ أمور مَدَحها لنفعلها منها الصبر. الثانية: عمل الصالحات. الثالثة: مدح العلم الصادر عن اليقين. الرابعة: مدح معرفة القرآن. الخامسة: ذكر نتيجة الأمرين. السادسة: الإيمان. السابعة: الإخبات إلى الله.

السابع ـــ أمور كرهها ذكرها لتترك: منها التولي. الثانية: ثني الصدر. الثالثة: الاعتراض على الحق الصريح [بالجهل الصريح][2]. الرابعة: استبطاء وعيد الله. الخامسة: كون الإنسان يئوساً عند الضراء. السادسة: كونه كفوراً عندها. الثامنة: كونه فرحاً عند النعماء فخوراً عندها، ولو كانت بعد ضراء، والتي قبلها ولو كانت بعد سرّاء. التاسعة: نتيجة معرفة الإيمان. العاشرة: فائدة النتيجة. الحادية عشرة: كونه يريد الدنيا. الثانية عشرة: كونه يفتري على الله الكذب. الثالثة عشرة: الصد عن سبيل الله. الرابعة عشرة: بغي العوج لها.

الثامن ـــ النشور: ذكر أن الأكثر لا يؤمنون به. الثانية: ذكر مثل المؤمنين. الثالثة: ذكر مثل الكافرين. الرابعة: التنبيه على التذكير بالحالين. الخامسة: كونهم ما يستطيعون السمع. السادسة: الفرق بين العالم والجاهل. [السابعة ـــ كون عرشه على الماء][3].

---

(١) في الأصل: «... مغفرة ورزق كريم»، وهي في سورة سبأ، وأما الذي في سورة هود فهو ما أثبتناه.

(٢) زيادة من المصورة ١ : ٣٣٧.

(٣) زيادة من المصورة ١ : ٣٣٨.

وقوله عز وجل لما ذكر قصة نوح: ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومُكَ مِن قبلِ هذا فاصْبِرْ إن العاقبة للمتقين ﴾ إذا تأمل الإنسان حاله أولَ ما تعلم من العلوم من أهله، ثم تفكر في هذه القصة: هل علم منها زيادة على ما عنده ولا عرف، فيه مسائل:

الأولى ــ عظمة الشرك ولو قصد ما فيه صاحبه التقرب إلى الله، وذلك ما فعل الله بأهل الأرض لما عبدوا وَدًّا وَسُواعاً وَ يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَنَسْراً.

الثانية ــ شدة بطشه وعقوبته حيث أرسل الطوفان فأهلك به الطيور والدواب وغير ذلك.

الثالثة ــ معرفة آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما قصه مع كونهم يعلمون أنه لم يأخذ ممن يعلم ما عند أهل الكتاب، فلم يستطيعوا أن يردُّوا عليه مع شدة العداوة.

الرابعة ــ التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شيء ولو كان نبياً مرسلاً، لسبب ما فيها من قصة ابن نوح.

الخامسة ــ تبيين الله سبحانه وتعالى الحججَ الباطلة والتحذير منها مع أنها عندنا أولى، وعند أكثر الناس حجج صحيحة.

السادسة ــ تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خزائن الله أو علم الغيب، مع أن الطواغيت في زمننا ادَّعوا ذلك وصُدِّقوا وعُبِدوا لأجل ذلك.

السابعة ــ التحذير من استحقار الفقراء والضعفاء لقوله: ﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً، الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين ﴾ مع أنه سائغ ممن يدعي العلم و يستحسنه الناس منهم.

الثامنة ـــ وهي من أعظم الفوائد: التحذير من الشبهة التي أدْخَلت أكثر الناس النار وهي السواد الأعظم، والنفرة من القليل لقوله: ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾.

التاسعة ـــ معرفة شيء من عظمة الله في تأديبه الرسل لما قال لنوح: ﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾.

العاشرة ـــ وهي من أهمها: أن فيها شاهداً لقول الحسن: نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا وقال لا أغفر لكم، وذلك من قوله: ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾ مع سخريتهم منه.

الحادية عشرة ـــ التحذير من اتباع رؤساء الدنيا وقبول حججهم لقوله: ﴿ فقال الملأ ﴾ وهم الأشراف والرؤساء.

الثانية عشرة ـــ بيان الله تعالى لتلك الحجج، فقولهم: ﴿ ما نراك إلا بشراً مثلنا ﴾ فيه القياس الفاسد وقولهم: ﴿ ما نراك اتَّبعَك إلا الذين هم أراذلُنا ﴾ احتجاج بما ليس حجة، وقولهم: ﴿ وما نرى لكم علينا من فضل ﴾ احتجاج برؤيتهم[1] وهو من أفسد الحجج، وقولهم: ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ احتجاج بالظن.

الثالثة عشرة ـــ أنهم لم يصرِّحوا بأن هذا الذي عليه نوح وأتباعه أمر الله، ثم جاهروا بعصيانه، بل قالوا: ﴿ نظنكم كاذبين ﴾ وقالوا: ﴿ لو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ وغير ذلك. وأنت ترى الذين يكونون من أهل العلم والعبادة كيف يقرُّون ويجادلون بالكفر: ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾.

---

(١) في هامش المصورة ١: ٣٣٩ «لعلها. برأيهم».

من سورة يوسف

وقال رضي الله عنه ـــ في الكلام على قوله تعالى حكايةً عن يوسف: ﴿ يا صاحِبَي السِّجْنِ ءَ أربابٌ متفرِّقون ﴾ ـــ: دعاهم يوسف عليه السلام إلى التوحيد بأنواع من الأدلة، أحدها: أنه ذكر أن هذا العلم الذي تميز به عليهما وعلى غيرهما أنه من تعليم ربِّه إياه، فالذي يعطي ويمنع هو الذي يستحق العبادة. الثاني: أنه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، فشرَّفني بسببين: ترك الشرك، وفعل التوحيد. الثالث: أن ذلك الفعل والترك هو ملة الأنبياء. الرابع: أن الشرك لم يرخَّص فيه لأحد من الأنبياء كما قد يرخَّص في غيره. الخامس: أنه منفيّ عما سوى الله فليس يصحّ منه شيء لغيره ولو علت درجته. السادس: أن الهداية إلى ذلك مجرّد منّة الله على العبد وهو أفضل النعم. السابع: أن الله إذا يسَّر لك العلم لذلك فهو من فضله عليك. الثامن: أن الإسلام واتباع ملة الأنبياء هو العلم بذلك والعمل به لا مجرد العلم. التاسعة: أنه ذكر لهم ما يحرّضهم على القبول، وهو أن الداعي من أهل ذلك البيت. العاشرة: أن مع هذا البيان الواضح أكثر الناس لا يشكر.

ثم قرره بالأدلة العقلية وذلك من وجوه؛ الأول: أن الله خير من المخلوقين. والثاني: أنه واحد وأولئك أرباب متفرقون. الثالث: أنه قهار وهم عاجزون. الرابع: العجب العجاب من إعراضكم عنه بإقبالكم على أسماء لا حقيقة لها. الخامس: أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها. السادس: نفي الأدلة عنها وهي إنزال الله الحجة بذلك. السابع: تقرير القاعدة الكلية أن أمر التشريع من الله لاغيره. الثامن: أن الذي له الحُكْم حَكَمَ بهذا أو ألزم به واختص به عن جميع ما سواه. التاسع: أن هذا هو الدين الصحيح فقط. العاشر: أن مع وضوحه بالنقل والعقل وإجماع الأئمة وغير ذلك، لا يعلمه إلا قليل.

من سورة الكهف

ومن قصة أول سورة الكهف: ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشاً بعثت النَّضْر بن الحارث وعُقْبة بن أبي مُعَيْط إلى أحبار يهود فقالوا: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول. ففعلوا. فقالوا: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فهو متقوِّل: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول فإن لهم حديثاً عجيباً، وسلوه عن طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح. فأقبلا فقالا: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. فسألوه عن الثلاث. فقال: سأخبركم، ولم يستثنِ. فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبريل، فشقّ ذلك عليه، حتى جاء بالسورة فيها المعاتبة على حزنه عليهم وخبر مسائلهم.

ففي الآية مسائل:

الأولى ــ حمده نفسه على إنزاله الكتاب الذي هو أكره شيء أتاهم في أنفسهم، مع كونه أجلّ ما أعطاهم من النعم.

الثانية ــ أن الإنزال على عبده فيه إبطال مذهب النصارى والمشركين، وفيه نعمة عليهم حيث أُنْزِل على رجل منهم.

الثالثة ــ أنزله معتدلاً لا عوج فيه، ففيه معنى قوله: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض﴾.

الرابعة ــ أن الأعداء والمشبّهين لا يجدون فيه مغمزاً بل ليس فيه إلا ما يكسرهم.

وقوله: ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ ذكر الفائدة في إنزاله، فذكر فوائد:

الأولى ــ لينذر عذاب الله فيصير سبباً للسلامة منه.

الثانية ــ بشارة من انقاد إليه بالحظ المذكور.

الثالثة ــ الإنذار عن الكلمة العظمى التي تفوّه بها من تفوه تقرباً إلى الله بتعظيم الصالحين.

الرابعة ـ الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم لا منهم ولا ممن قبلهم.

الخامسة ـ تعظيم الكلمة كما قال تعالى: (تكاد السموات يتفطرن منه ﴾

السادسة ـ أن الكذب يسمى كذباً، ويسمى صاحبه كاذباً، ولو ظن أنه صادق، ويصير من أكبر الكذابين المفترين.

وقوله: ﴿ فلعلك باخِعٌ نفسَك على آثارهم ﴾ أي: قاتلها أسفاً على هلكتهم، ففيه: ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفقة عليهم وتسلية الله سبحانه له.

وقوله: ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فيه مسائل: ﴾

الأولى ـ التسلية للمؤمن عمن أدبر عنه.

الثانية ـ أن حكمة الله التزيين ليبين الأحسن عملا من غيره.

الثالثة ـ أن جميعها يصير صعيداً جُرُزاً، أي: لا نبات ينبت فيه.

قوله: ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ﴾ يعني: أن قصتهم ـ مع كونها عجيبة ـ فيها مسائل جليلة، أعظمها الدلالة على التوحيد وبطلان الشرك، والدلالة على نبوّته صلى الله عليه وسلم، ومن قبله الدلالة على اليوم الآخر.

ففي الآيات المشاهدة من خلق السموات والأرض وغير ذلك ما هو أعجب وأدل على المراد من قصتهم مع إعراضهم عن ذلك. وأما دلالتها على التوحيد وبطلان الشرك فواضح. وأما دلالتها على النبوات فكذلك، كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته. وأما دلالتها على اليوم الآخر فمن طول مكثهم لم يتغيروا، كما قال تعالى: ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾.

وقوله: ﴿ إذْ أوَى الفتيةُ إلى الكهف ﴾ الآية، فيه مسائل:

الأولى ـ كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة، وهذا هو الصواب: عند وقوع الفتن الفرار منها.

الثانية ــ قولهم: ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ أي: من عندك، لا نحصّلها بأعمالنا ولا بحيلتنا.

الثالثة ــ قولهم: ﴿ وهيِّىء لنا من أمرنا رَشَداً ﴾ طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشداً، مع كونه عملاً صالحاً. فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبه، أو يثمر له العجب والكبر! وفي الحديث «وما قضيت [لي][1] من قضاء فاجعل عاقبته رشداً».

وقوله تعالى: ﴿ نحن نقصُّ عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ إلى قوله: ﴿ من أمركم مِرْفقاً ﴾ فيه مسائل:

الأولى ــ من آيات النبوة، وإليه الإشارة بقوله: «الحق».

الثانية ــ «إنهم فتية» وهم الشبان، وهم أقْبَلُ للحق من الشيوخ، عكس ما يظن الأكثر.

الثالثة ــ قوله: «آمنوا بربهم» فلم يسبقوا إلا بالإيمان بالله.

الرابعة ــ ما في الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد.

الخامسة ــ في قوله: «وزدناهم هدى» أن من ثواب الحسنة الحسنةَ بعدها، و «من عمل بما يعلم أورثه الله تعالى عِلْمَ ما لا يعلم».

السادسة ــ أن المؤمن أحوج إلى أن يربط الله على قلبه، ولولا ذلك الربط لافتتنوا.

السابعة ــ قولهم: ﴿ ربنا رب السموات والأرض ﴾ فهذه الربوبية هي الألوهية.

الثامنة ــ المسألة الكبرى: أن من ذبح لغير الله ودعا غيره فقد كذَّب بقول: لا إله إلا الله؛ وقد دعا إلهين اثنين، واتَّخذ ربَّين.

التاسعة ــ المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس من أنه إذا وافقهم بلسانه مع

---

(١) زيادة من المصورة ٣٤٢:١.

كونه مؤمناً حقًّا كارهاً لموافقتهم فقد كذب في قوله: «لا إله إلا الله» واتخذ إلهين اثنين، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها!.

العاشرة — أن ذلك لو يصدر منهم — أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك — فهو قوله «شططاً» والشطط: الكفر.

الحادية عشرة — قوله: ﴿ لولا يأتون عليهم بسلطان بيّنٍ ﴾ فهذه المسألة مفتاح العلم، وما أكبر فائدتها لمن فهمها!.

الثانية عشرة — قوله: ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ ففيه أن مثل هذا: من افتراء الكذب على الله، وأنه أعظم أنواع الظلم ولو كان صاحبه لا يدري، بل قصد رضاء الله.

الثالثة عشرة — قوله: ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ﴾ فيه اعتزال أهل الشرك، واعتزال معبوديهم، وأن ذلك لا يجرُّك إلى ترك ما معهم من الحق كما قال تعالى: ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكم شَنَآنُ قوم على أن لا تعدلوا ﴾.

الرابعة عشرة — قوله تعالى: ﴿ فأووا إلى الكهف ﴾ فيه شدة صلابتهم في دينهم، حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة والنعمة العظيمة، واستبدلوا بها كهفاً في رأس جبل.

الخامسة عشرة — حسن ظنهم بالله ومعرفتهم ثمرة الطاعة، ولو كان مباديها ذهاب الدنيا حيث قال: ﴿ يَنْشُرْ لكم ربُّكم من رحمته و يهيِّىء لكم من أمركم مرفقاً ﴾.

السادسة عشرة — الدليل على الكلام المشهور: أن التعب يثمر الراحة والراحة تثمر التعب.

السابعة عشرة — عدم الاغترار بصورة العمل الصالح، فرب عمل صالح في الظاهر لا يثمر خيراً، وعمل صالح يهيىء لصاحبه مرفقاً.

وقوله تعالى: ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ﴾ فيه مسائل:

الأولى — كما أماتهم سبحانه لحكمة بعثهم لحكمة.

الثانية ـ أن الصواب في المسائل المشكلة عدم الجزم بشيء، بل قول: الله أعلم؛ فالجهل بها هو العلم.

الثالثة ـ التورع في المأكل.

الرابعة ـ كتمان السر.

الخامسة ـ المسألة العظيمة وهي وقولهم: ﴿ إن يَظْهَرُوا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في مِلَّتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً ﴾ عرفوا أنه لا بد من أمرين: إما الرجم، وإما الإعادة في الملة. فإن وافقوا على الثانية لم يفلحوا أبداً ولو كان في قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر.

وقوله تعالى: ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ﴾ فيه مسائل:

الأولى ـ أن الإعثار عليهم لحكمة.

الثانية ـ معرفة المؤمن إذا أعثر عليه: ﴿ أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ كما رد سبحانه موسى إلى أمه ﴿ لتعلم أن وعد الله حق ﴾. فتأمل هذا العلم ما هو.

الثالثة ـ أن الساعة آتية لا ريب فيها لما وقع بينهم من النزاع، وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة، فأعثر عليهم ليكون دليلاً على بعث الأجساد.

الرابعة ـ أن الذين غُلِبوا على أمرهم قالوا لنتخذنَّ عليهم مسجداً. فإذا تأملت ما قالوا، وأن الذي حملهم عليه محبة الصالحين، ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم «أولئك إذا مات [فيهم][1] الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شِرَار الخلق عند الله يوم القيامة» ـ عرفت حقيقة الأمر.

وقوله: ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ الآية، فيه مسائل:

---

(١) زيادة من المصورة ١:٣٤٤.

الأولى ــ الإخبار بالغيب .
الثانية ــ بيان الجهل والباطل بالتناقض .
الثالثة ــ الإنكار على المتكلم بلا علم .
الرابعة ــ إسناد الأمر في هذه المسائل إلى علم الله سبحانه .
الخامسة ــ الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه .
السادسة ــ أن من العلماء من يعرف عِدَّتهم لكنهم قليل .
السابعة ــ النهي عن المراء في شأنهم .
الثامنة ــ الاستثناء .
التاسعة ــ النهي عن استفتائنا أحداً من هؤلاء فيهم .

[وقوله]:[1] ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً . إلا أن يشاء الله ﴾ فيه مسائل :

الأولى ــ النهي عن مثل هذا الكلام .
الثانية ــ الرخصة مع الاستثناء .
الثالثة ــ الأمر بذكر الله عند التسيان .
الرابعة ــ الاستثناء يقع في مثل هذا .
الخامسة ــ الدعاء بهذا الدعاء عند النسيان إن صح التفسير بذلك .

وقوله : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةٍ سنين ﴾ إلى آخر الكلام ، فيه مسائل :

الأولى ــ النص على مدة لبثهم .
الثانية ــ الرد على المخالف بقوله ﴿ الله أعلم بما لبثوا ﴾ .
الثالثة ــ الرد عليه بقوله ﴿ له غيب السموات والأرض ﴾ .
الرابعة ــ الرد عليه بقوله ﴿ أَبْصِرْ به وأَسْمِعْ ﴾ .

---

(١) في المطبوعة ١: ٢٦٣ والمصورة ١: ٣٤٥ «العاشرة» وقد حذفناها ووضعنا مكانها «وقوله» ليستقيم السياق.

الخامسة ــ قولهم: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾.

السادسة ــ كونه لا يشركُ في حكمه أحداً.

السابعة ــ النهي عن إشراك مخلوق في حكم الله، على قراءة الجزم.

الثامنة ــ الحث على تلاوة الوحي وإن عارضه شبهة أو شهوة.

التاسعة ــ تقريره ذلك بقوله: ﴿لا مبدِّل لكلماته﴾.

العاشرة ــ تقرير ذلك بقوله: ﴿ولن تجد من دونه مُلْتَحَدا﴾.

الحادية عشرة ــ الكبيرة: وهي أمرُه نبيَّه أن يصبر نفسه مع من ذكر.

الثانية عشرة ــ لا يضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها.

الثالثة عشرة ــ أن بلوغهم هذه الرتبة بسبب فعلهم ما ذكر.

الرابعة عشرة ــ أن صلاة البَرْدَيْنِ[1] بإخلاص توصل إلى المراتب العالية.

الخامسة عشرة ــ فيه قوله «ربَّ أشْعَثَ أغْبَرَ ذي طِمْرَيْن[2] لا يُؤْبَهُ له لو أقسم على الله لأبرَّه».

السادسة عشرة ــ النهي عن طلوع العين عنهم إرادة لمجالسة الأجلاء.

السابعة عشرة ــ المسألة الكبرى، وهي: اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله.

الثامنة عشرة ــ أنه لما ذكر المحثوث على مجالستهم ذكر ضدهم.

التاسعة عشرة ــ نهيه عن طاعة الضد.

العشرون ــ سبب ذلك.

الحادية والعشرون ــ ذكر الخصال الثلاث: إغفال القلب عن ذكر الله، واتباع الهوى، وانفراط الأمر.

الثانية والعشرون ــ إثبات القدر، وهو الإغفال.

الثالثة والعشرون ــ لا يخرجه من الذم أن قلبه يفهم غير ذلك فهماً جيداً.

الرابعة والعشرون ــ قوله ﴿وقل الحق من ربكم﴾ الآية.

وأما قصة موسى والخضر عليهما السلام ففيها مسائل:

---

(١) البردان: الغداة والعشي.

(٢) الطمر: الثوب الخلق.

الأولى ــ ما يتعلق بجلال الله وعظمته، وفيه مسائل:

الأولى ــ سعة العلم بقوله: «ما نقص علمي وعلمك»، وهذا من أعظم ما سمعنا من عظمة الله.

الثانية ــ الأدب مع الله لقوله فعتب الله عليه.

الثالثة ــ الأدب معه أيضاً في قوله: ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ وقوله: ﴿ فأراد ربك أن يبلُغا أشُدَّهما ﴾.

الرابعة ــ معرفة أنواع سعة جود الله تعالى ومن ذلك العلم اللدُنِّي.

الخامسة ــ الأدب معه تعالى بمعرفة أن له أسراراً في خلقه تخفى على الأنبياء، فلا ينبغي الغفلة عن هذه المهمة.

السادسة ــ الأدب معه في تعليق الوعد بمشيئة الله مع العزم.

السابعة ــ معرفة شيء من عظيم قدرة الله من إحياء الموتى، وجعله سبيل الحوت في الماء طريقاً، وغير ذلك. ومعرفة هذا مع الأولى هما اللتان خلق العالم العلوي والسفلي لأجل معرفتنا بهما.

الثانية ــ ما يتعلق بأحوال الأنبياء، وفيه مسائل:

الأولى ــ أن النبي يجوز عليه الخطأ.

الثانية ــ أنه يجوز عليه النسيان.

الثالثة ــ فضل نبيّنا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة لقوله: «موسى بني إسرائيل».

الرابعة ــ ما جبل عليه موسى عليه السلام من الشدة في أمر الله.

الخامسة ــ أنه لا ينكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة لقوله: ﴿ نَسِيَا حُوتَهما ﴾ مع قوله: ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان ﴾.

السادسة ــ ما عليه الإنسان من البشرية ولو كان نبيًّا، وذلك من أدلة التوحيد؛ وذلك من وجوه: منها قوله: ﴿ استطعما أهلها ﴾.

الثالثة ــ مسائل الأصول، وفيه مسائل أعظمها التوحيد، ولكن سبق آنفاً فنقول:

الأولى ــ الدليل على اليوم الآخر، لأن من أعظم الدلالة إحياء الموتى في دار الدنيا.

الثانية ــ إثبات كرامات الأولياء على القول بعدم نبوة الخضر.

الثالثة ــ أنه قد يكون عند غير النبي صلى الله عليه وسلم [من العلم][1] ما ليس عند النبي.

الرابعة ــ إذا احتمل اللفظ معاني فأظهرُها أَوْلاها كما قال الشافعي.

الخامسة ــ إثبات الصفات كما هو مذهب السلف.

الرابعة ــ ما فيها من تفسير:

الأولى ــ أن المذكور هو الخضر، لا كما قال الحر بن قيس.

الثانية ــ موسى هو المشهور عليه السلام، خلافاً لنوف.

الثالثة ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر لهم ألفاظ القرآن كلها كما بلغها.

الرابعة ــ قوله ﴿ ألم أقل ﴾.

الخامسة ــ أن قوله ﴿ يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ المراد: سفينة سالمة من العيب.

السادسة ــ أن غداءهما هو الحوت.

السابعة ــ أن قوله: «عجباً» أي: لموسى وفتاه.

الثامنة ــ لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الإسرائيليات، وإن وقع فيه من وقع.

التاسعة ــ أن السلف يشددون في ذلك تشديداً عظيماً لقوله: «كذب عدو الله».

العاشرة ــ أن الوعد على العمل الصالح ليس مختصاً بالآخرة، بل يدخل فيه أمور الدنيا حتى في الذرية بعد موت العامل.

الخامس ــ أدب العالم مع المتعلم، ففيه مسائل:

الأولى ــ تسمية التلميذ الخادم فتى.

---

(١) زيادة من المصورة ١: ٣٤٧.

الثانية ــ أن تلك الخدمة مما يرفع الله بها كما رفع يوشع.

الثالثة ــ تعلم العالم ممن دونه.

الرابعة ــ اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها لا نعمة يبغضها.

الخامسة ــ التعلم بعد الرياسة.

السادسة ــ الرحلة في طلب العلم.

السابعة ــ رحلة الفاضل إلى المفضول.

الثامنة ــ ركوب البحر لطلب العلم.

التاسعة ــ اشتراط الشيخ على المتعلم.

العاشرة ــ الشروط والتزام المتعلم المشروط.

الحادية عشرة ــ الاعتذار بالنسيان.

الثانية عشرة ــ قبول الاعتذار.

الثالثة عشرة ــ قبول المتعلم لقوله: ﴿ هل أتَّبِعُك ﴾ إلى آخره.

الرابعة عشرة ــ قبول نصيحة الشيخ لعلمه منك ما لا تعلمه من نفسك، وإن كنت أفضل منه.

الخامسة عشرة ــ أن من المسائل ما لا يجوز السؤال عنه.

السادسة عشرة ــ أن من المسائل ما لا ينبغي للمسئول أن يجيب عنه.

السابعة عشرة ــ إعفاء المتعلم مما يكره.

الثامنة عشرة ــ مفارقة المتعلم إذا خالف الشرط.

التاسعة عشرة ــ احتمال المشاق في طلب العلم لقوله: ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً ﴾.

السادس ــ ما فيها من مسائل الفقه:

فالأولى ــ عمل الإنسان في مال الغير بغير إذنه إذا خاف عليه الهلاك.

الثانية ــ [ليس][1] من شرط الجواز خوف الهلاك، بل قد يجوز للإصلاح، لقصة الجدار.

---

(١) زيادة من المصورة ١:٣٤٨.

الثالثة ــ أنه ليس من شرط المسكين في الزكاة أنه لا مال له.

الرابعة ــ أنه استدل بها على أنه أحسن حالاً من الفقير.

الخامسة ــ أنه لا بأس بالسؤال في بعض الأحوال لقوله: ﴿ استطعما أهلها ﴾.

السادسة ــ أنه من لم يُعْطَ يَتَعَزَّ بهذه القصة، وكم ممن هان على الناس هو جليل عند الله، وقد قيل:

فإن رُدِدْتَ فما في الرَّدِّ مَنْقَصَة عليك، قد رُدَّ موسى قَبْلُ والخضرُ

السابعة ــ أن الإجارة تجوز بغير بعض الشروط التي شرطها بعض الفقهاء.

الثامنة ــ أنه يجوز أخذ الأجرة على العمل الذي لا يكلف، خلاف ما توهمه بعضهم.

التاسعة ــ الترحم على الأنبياء، وأنه لا ينقص من قدرهم، بل هو من السنة.

العاشرة ــ أن تمني العلم ليس من التمني المذموم.

الحادية عشرة ــ أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة.

الثانية عشرة ــ كيف الجواب إذا سئل: أي الناس أعلم؟

الثالثة عشرة ــ خطأ من قال: تخلو[1] الأرض من مجتهد.

الرابعة عشرة ــ التعزِّي باختيار الله، وحسن الظن فيما تكره النفوس.

الخامسة عشرة ــ الخوف من مكر الله عند النعم.

السادسة عشرة ــ قوله: ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ لا يُعَدُّ من الشكوى.

السابعة عشرة ــ الفرق من المسألة المأمور بها والمنهي عنها، وإن كان معذوراً بل مأجوراً.

الثامنة عشرة ــ سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة.

---

(١) في المصورة: «لا تخلو».

التاسعة عشرة ــ أن الخضر معروف في ذلك الزمان لقوله «لما عرفوه حملوه بلا نول»[1].

العشرون ــ أن احتمال المنّة في مثل هذا لا بأس به.

الحادية والعشرون ــ شكره نعمة الخلق.

السابع ــ المنثور الجامع:

الأولى ــ القصة بجملتها من أعجب ما سُمِع، ولا يُعْرَف في نوعها مثلها.

الثانية ــ عين الحياة، وما لله من الأسرار في بعض المخلوقات.

الثالثة ــ ما ابتلي به موسى عليه السلام مما لا يحتمله، وعده الصبر، وتعليقه بالمشيئة.

الرابعة ــ نسيان الفتى الحوت في ذلك اليوم وتلك الليلة ونصف اليوم الثاني، مع أنه لم يكلف إلا ذلك، ومع أنه زادهما يحمل على الظهر.

الخامسة ــ الأمر العظيم في الماء صار طاقاً حتى قيل إن هذا لم يقع إلا له منذ خلقت الدنيا.

السادسة ــ أن الشيطان يتسلّط تسلطاً لا يعرف، لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب.

السابعة ــ الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة.

الثامنة ــ الرد على منكري الأسباب، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة وتثبيت أبوي الغلام وإخراج الكنز له بدون ما جرى.

التاسعة ــ الرد على من قال: إن موسى لا يجوز له السكوت عنه لأنه اعتذر من النسيان ولأنه لا يعد من نفسه ترك واجب.

العاشرة ــ الحكم بالظاهر لقوله عليه السلام: «نفساً زكية».

الحادية عشرة ــ تسمية المدينة قرية.

---

(١) أي: بغير جعل ولا أجرة (انظر: الفائق للزمخشري ٣:١٣٢).

الثانية عشرة ــ أن التأويل في كلام الله وكلام العرب غير ما يريد المتأخرون.

الثالثة عشرة ــ أن المال قد يكون رحمة وإن كان مكنوزاً.

الرابعة عشرة ــ فائدة طلب العلم للرشد.

الخامسة عشرة ــ نصيحة العالم للمتعلم إذا أراد السؤال عما لا يحتمله.

السادسة عشرة ــ أن ذلك الممنوع قد يكون أفضل ممن يعرف ذلك.

السابعة عشرة ــ أن الكلام يقتصر على المتبوع لقوله: ﴿ فانطلقا ﴾ كما قيل: ﴿اهبطوا منها جميعاً﴾.

وقوله عز وجل: ﴿ قل إنما أنا بَشَرٌ مثلُكُم يوُحَى إليَّ أنَّما إلهُكُم إلهٌ واحد، فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشْرِكْ بعبادة ربه أحداً ﴾فيها خمس مسائل:

الأولى ــ كون الله فرض على نبيه أن يخبرنا عن نفسه الخبر الذي تصديقه ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾بتوحيد الألوهية؛ وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفَّار الذين كذَّبوه وقاتلوه.

الثالثة ــ تعظيمه بقوله: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ كما تقول لمن خالفك: كلامي مع من يدَّعي أنه من أمة محمد.

الرابعة ــ أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً؛ ففيه التصريح بأن الشرك في العبادة ليس في الربوبية، وفيه الرد على من قال أولئك يستشفعون بالأصنام ونحن نستشفع بالصالحين؛ لأنه قال: ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾فليس بعد هذا بيان. وافتتح الآية بذكره براءة النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسيلة وختمها بقوله: ﴿ أحداً ﴾.

اعلم رحمك الله أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة التي تنفعه إلا من يميز بين توحيد

الربوبية وبين توحيد الألوهية تمييزاً تاماً، وأيضاً يعرف ما عليه غالب الناس: إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل شرك المشركين إليه، وإما مصدّق لهم تابع لهم، وإما رجل شاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله ولا يميز بين دين الرسول ودين النصارى.

والله أعلم.

من سورة المؤمنون

وقوله عز وجل: ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ الآيتين [٥١-٥٢]، فيه مسائل:

الأولى ـ أن الله أمر الرسل بهذا مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، فيدل على أنه من عظيم الأمور.

الثانية ـ أن الرسل إذا أُمِرُوا بذلك فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك. فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة.

الثالثة ـ إذا فرض هذا على الرسل مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمة واحدة نبيها واحد وكتابها واحد.

الرابعة ـ أن خطاب الرسل عام للأمم بدليل قوله: ﴿ فتقطعوا أمرهم ﴾.

الخامسة ـ الأمر بالأكل من الطيبات، ففيه ردٌّ على الغُلاَة الذين يمتنعون عنها، وفيه ردّ على الجُفَاة الذين لا يقتصرون عليها.

السادسة ـ الأمر بالإصلاح والعمل مع الأكل من الطيبات، ففيه ردٌّ على ثلاث طوائف: أولها ـ الآكلون الطيبات بلا شكر، والشكر هو العمل المرضي؛ وثانيها ـ من يعمل العمل غير الخالص، مثل: المُرَائي، وقاصد الدنيا. وثالثها ـ الذي يعمل مخلصاً لكنه على غير الأمر.

السابعة ـ المسألة العظيمة التي سبق الكلام لأجلها وهي: فرض الاجتماع في المذهب وتحريم الافتراق، فإذا فرضه على الأنبياء ـ مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ـ فكيف بأمة واحدة، نبيها واحد، وكتابها واحد، ودينها واحد؟

الثامنة ــ ذكره سبحانه فعلهم الذي صدر منهم بعدما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهي عن الافتراق، وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً، كلُّ حِزْبٍ بما لديهم فرحون، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعدما سمعوها بما يضادُّها غاية المضادَّة، وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا، ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتباً غير كتب الآخرين، ثم قال: كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى وفرحت بما ابتدعته من الضلال كما قيل:

حَـلَـفَـتْ لـنـا ألاَّ تَـخُونَ عُـهُـودَهـا   فَـكَـأنَّـهـا حَـلَـفَـتْ لَـنَـا أن لا تَـفِـي

من سورة القصص

﴿ طسٓمٓ * تلك آيات الكتاب المبين * نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ فيه مسائل :

الأولى ــ التنبيه على جلالة القرآن وعظمته .

الثانية ــ التنبيه على وضوحه ، وقوله : «بالحق» فيه علامة النبوة .

الثالثة ــ أن العلم بيّنٌ يعرفه أهل القرآن والإيمان وإنْ جَهِلَه غيرُهم .

قوله : ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ إلى آخره ــ فيه ذمُّ العُلوّ في الأرض .

الثانية ــ ذم جعل الرعيَّة شِيَعاً .

الثالثة ــ التنبيه على كبر هذا الظلم .

الرابعة ــ التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة ، فمن أراد من الرؤساء أن يكون منهم مثله فهذا فعله ، ومن أراد اتِّباع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم .

وقوله : ﴿ ونريدُ أن نَمُنَّ على الذين ٱسْتُضْعِفُوا في الأرض ﴾ إلى آخره ــ هذه الإرادة القدرية بخلاف قوله : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ وأمثالها ، فهي إرادة شرعية .

الثانية ــ أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب المنّة عليهم ، وكونهم أئمة ، وكونهم الوارثين ، والتمكين لهم في الأرض ، وتعريف عدوِّهم بما يحذره ؛ فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى .

الثالثة ــ تبيين قدرته العظيمة لعباده .

الرابعة ــ أن الحذر لا يفك من القدر .

وقوله : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ إلى آخره ــ هذا وحي إلهام ؛ ففيه إثبات كرامات الأولياء .

الثانية ــ أنها أُمِرَتْ بإلقائه في اليَمّ وبُشِّرَتْ بأربع .

وقوله : ﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ــ فيه حكمة هذا الالتقاط .
الثانية ــ أنّ اللام لام العاقبة .
الثالثة ــ أن الإنسان قد يختار ما يكون هلاكه فيه .
الرابعة ــ أن ذلك القدر بسبب خطيئات سابقة .

وقوله : ﴿ وقالت امرأة فرعون ﴾ إلخ ــ فيه أن المرأة الصالحة قد يتزوجها رجل سوء .
الثانية ــ قولها : «قُرَّةُ عينٍ لي ولك» فيه محبة الفأل .
الثالثة ــ ذكر الترجي .
الرابعة ــ عدم الشعور .

وقوله : ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ﴾ الآية ــ فيه ما ابتليت به .
الثانية ــ لولا منة الله عليها بالربط .
الثالثة ــ «لتكون من المؤمنين» .
الرابعة ــ أن الإيمان يزيد و ينقص .

وقوله : ﴿ وقالت لأخته قُصِّيه ﴾ الآية ــ فيه أن التوكل واليقين لا ينافي السبب .
الثانية ــ تسبب الأخت أيضاً .
الثالثة ــ عدم شعورهم مع ذكائهم وظهور العلامات .

وقوله : ﴿ وحَرَّمْنا عليه المراضع ﴾ الآية ــ هذا التحريم قدري ؛ وأما قوله : ﴿ حرمنا عليهم الطيبات أحلت لهم ﴾ وأمثالها فتحريم شرعي .
الثانية ــ أن هذه العلامة الظاهرة في كلامها ولم يفهموه مع فطنتهم .

وقوله ــ ﴿ فرددناه إلى أمِّهِ ﴾ إلى آخره ــ فيه أن الرد لثلاث فوائد .
الثانية ــ تفاوت مراتب العلم لقوله : ﴿ ولتعلم ﴾ .
الثالثة ــ أن بعض المعرفة لا يسمَّى علماً يصحُّ فيه نَفْيُه من وجه وإثباتُه من وجه .

الرابعة ــ المسألة العظيمة الكبيرة: تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لا يعلمون أن وعده حق.

وقوله: ﴿ ولما بلغ أشُدَّهُ واستوى ﴾ فيه أن ذلك الإيتاء بعد بلوغ الأشُدّ والاستواء.
الثانية ــ الفرق بين العلم والحكم.
الثالثة ــ ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين.
الرابعة ــ ترغيب عباده في الإحسان.
الخامسة ــ أن من جزاء الحسنةِ الحسنةَ بعدها.
السادسة ــ فيه أسرار القدر.

وقوله: ﴿ ودخل المدينة ﴾ إلى آخره ــ فيه أن الرجل الصالح قد يسخَّر له الفاجر وينشأ في حجره.
الثانية ــ قد ييسر الكمال العظيم بسبب أعظم المكروهات.
الثالثة ــ أن قتل الرجل صار ذنباً.
الرابعة ــ نسبة ذلك إلى عمل الشيطان.
الخامسة ــ قوله: ﴿ إنه عدوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾.
السادسة ــ ذكر توبته عليه السلام.
السابعة ــ ذكر مغفرة الله له.
الثامنة ــ ذكر سبب المغفرة.
التاسعة ــ شكر نعمة الخالق.
العاشرة ــ كون شكرها عدم مظاهرة المجرمين.

وقوله: ﴿ فأصبح في المدينة ﴾ إلى آخره ــ فيه أن هذا الخوف غير المذموم في قوله: ﴿ ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾.
الثانية ــ أن ذلك الترقب لا يذم.
الثالثة ــ ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الشدة.

الرابعة ــ قوله لذلك الرجل ﴿ إنك لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ أن مثل ذلك لا يذم.

الخامسة ــ العمل بالقرائن.

السادسة ــ الفرق بين الصلاح بالقوة و بين إرادته الفساد في الأرض بالتجبر.

وقوله: ﴿ وجاء رجل ﴾ إلى آخره ــ فيه قوة ملكهم.

الثانية ــ ما عليه الرجل من محبة الحق وأهله.

الثالثة ــ تأكيده عليه بالأمر بالخروج، وذكره أنه له من الناصحين بعد النذارة.

وقوله: ﴿ فخرج منها خائفاً يترقب ﴾ ــ فيه أن ذلك الخوف والترقب لا يذم.

الثانية ــ استغاثته بالله مع فعله السبب.

الثالثة ــ أن كراهة الموت لا تذم.

الرابعة ــ أن الظالم يوصف بالظلم وإن كان في تلك القضية غير ظالم.

وقوله: ﴿ ولما توجه ﴾ إلى آخره ــ فيه أنه توجه من غير سبب.

الثانية ــ سؤاله الله أن يدلّه[1] الطرق.

الثالثة ــ أن «عسى» في هذا الموضع سؤال.

وقوله: ﴿ ولما ورد ماء مَدْيَنَ ﴾ إلى آخره ــ فيه ما أعطي عليه السلام من القوة.

الثانية ــ إحسانه إليهما في هذا الحال.

الثالثة ــ مخاطبة النساء لمثلة.

الرابعة ــ ظهور النساء في خدمة أموالهن للحاجة.

الخامسة ــ قائدها في عدم مزاحمة الرجال.

السادسة ــ ذكرها له السبب.

السابعة ــ أن المانع لها عدم القوة لا الترف[2].

الثامنة ــ سؤاله ربه.

---

(١) في المطبوعة ١ : ٢٦٩ «يدخله الطرق».

(٢) في المطبوعة: «المانع له...» وفي المصورة ١ : ٣٥٤ «لا التراب».

التاسعة ــ تأدبه في السؤال بذكر حاله للاستعطاف.

العاشرة ــ أن الشكوى لا تذم.

وقوله: ﴿ فجاءته إحداهما ﴾ إلى آخره ــ فيه التنبيه على الحياء.

الثانية ــ الثناء على المرأة.

الثالثة ــ إرسالها إلى الرجل المجهول للحاجة.

الرابعة ــ عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح.

الخامسة ــ قوله: ﴿ لا تخف ﴾ لأنهم ليس لهم سلطان عليهم.

السادسة ــ كونهم معروفين بالظلم عندهم.

وقوله: ﴿ قالت إحداهما ﴾ إلى آخره ــ فيه أن المرأة قد تصيب وجه الرأي.

الثانية ــ ما أعطيت من الذكاء.

الثالثة ــ أن طاعتها في مثل هذا لا تذم.

الرابعة ــ أن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، فالأمانة ترجع إلى خشية الله، والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق.

الخامسة ــ أن الاحتياط للمال لا يذم.

وقوله: ﴿ قال إني أريد ﴾ إلى آخره ــ فيه أن هذه الإجارة صحيحة بخلاف قول كثير من الفقهاء من منعهم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة.

الثانية ــ أن المنفعة يصحُّ جعلها مَهْراً للمرأة خلافاً لمن منع ذلك.

الثالثة ــ أن هذه المهنة لا نقص فيها، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم».

الرابعة ــ أنها صفة كمال لا يكمل إلا بها.

الخامسة ــ أن ذكر مثل هذا في الإجارة وهي قوله: ﴿ أيّما الأجلين قضيتُ ﴾ لا يبطل الإجارة.

السادسة ــ المسألة الكبيرة الدقيقة وهي قوله صلى الله عليه وسلم: «قضى أطيب الأجلين» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل.

السابعة ــ تأكيد العقد بقوله: ﴿ والله على ما نقول وكيل ﴾.

وقوله: ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ﴾ ـ فيه أنه أقام هذه المدة أجرته فيها طعام بطنه وعفَّة فَرْجه.

الثانية ـ تسمية ذلك النور ناراً.

الثالثة ـ هذا الفَرَج بعد الشدة الذي أفرد بالتضييق ولم يذكروا لهذه نظيراً ولا ما يقاربها.

الرابعة ـ أنهم مع هذه الشدة بالبرد ولا نار معهم.

الخامسة ـ أنهم ضلوا الطريق.

السادسة ـ جواز مثل هذا السفر للحاجة.

السابعة ـ ذكر الموضع الذي ناداه منه.

الثامنة ـ إثبات الصفات.

التاسعة ـ الرد الواضح على الجهمية في قولهم: هذه عبارة...

العاشرة ـ تقريبه نجياً، فذكر النداء والمناجاة لاختصاص موسى بهذه المرتبة، ولذلك ذكرها إبراهيم عليه السلام إذ طلبت منه الشفاعة.

الحادية عشرة ـ كونه أمر بإلقاء العصا فصارت آية.

الثانية عشرة ـ كونه أمر بإدخال اليد آية أخرى.

الثالثة عشرة ـ كونه ولَّى مدبراً ولم يُعَقِّبْ.

الرابعة عشرة ـ قوله: ﴿ أقبل ولا تخف ﴾.

الخامسة عشرة ـ تبشيره أنه من الآمنين.

السادسة عشرة ـ كونه أمر بضم جناحه من الرَّهْب.

السابعة عشرة ـ تسميتها برهاناً.

الثامنة عشرة ـ كونه من ربك.

التاسعة عشرة ـ كونها إلى فرعون ومَلَئه.

العشرون ـ التعليل بأنهم قوم فاسقون[1].

---

(١) في الأصل: «قوم ظالمون» وغيرناها لتتفق مع الآية التي يتحدث عنها (إنهم كانوا قوماً فاسقين).

الحادية والعشرون ــ هذه العطية العظيمة في هذه الشدة العظيمة.
الثانية والعشرون ــ اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم.
الثالثة والعشرون ــ [اعتذاره][1] برثاثة لسانه.
الرابعة والعشرون ــ طلبه الاعتضاد بأخيه.
الخامسة والعشرون ــ طلبه الرسالة.
السادسة والعشرون ــ تعليله بخوف تكذيبهم.
السابعة والعشرون ــ إجابة الله إياه.
الثامنة والعشرون ــ تبشيره أنه يجعل لهما سلطاناً فلا يصلون إليهما.
التاسعة والعشرون ــ تبشيره بغلبته وغلبة أتباعه.

وقوله: ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا ﴾ إلى آخره ــ فيه أنه أتاهم بآيات منسوبة إلى الله وأنها بينات.
الثانية ــ أنهم قابلوها بما ذكر.
الثالثة ــ أنهم احتجوا بقولهم فيها بعدم سماعهم لهذا في آبائهم.
الرابعة ــ جواب موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ﴾ إلى آخره ــ هذا الإنكار الذي هو غاية الكفر.
الثانية ــ قوله لهامان: «أوقِدْ لي» كيف اجترأ على الله في قول العاصين.
الثالثة ــ استدل بها الأئمة على الجهمية.

وقوله: ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض ﴾ ــ وصفهم بأن فيهم المهلك وأنهم عدموا المنجي ولذلك أخذهم بما ذكر.
الثانية ــ أمر المؤمن بالنظر في عاقبتهم.
الثالثة ــ أنه أتى بلفظ الظالمين ليبين أن ذلك مختص بهم.

---

(١) زيادة من المصورة ١:٣٥٦.

وقوله: ﴿وجعلناهم أئمَّةً يدعون إلى النار﴾ — هذا الجعل القدري، وأما قوله: ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ ومثاله فهذا الجعل الشرعي.

الثانية — أن معرفة هذا يوجب الحرص على النظر في الأئمة إذ كان منهم من جعله الله يدعو إلى النار ومنهم من قال فيه: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾.

الثالثة — ذكر ما لهم في القيامة.

الرابعة — ما ألقى على ألسنة الناس في الدنيا.

الخامسة — ما لهم في الآخرة.

وأما الزيادة التي في سورة طه، فالأولى — استفهام التقرير الدال على عظمة القصة والتحريض على إفهامها.

الثانية — ﴿أو أجِدُ على النار هُدىً﴾ دليل على أنه ضل الطريق.

الثالثة — أمره بخلع النعلين.

الرابعة — إخباره أنه بذلك الوادي.

الخامسة — الإخبار بأنه مطهر.

السادسة — تبشيره بأن الله اختاره.

السابعة — أمره بالاستماع.

الثامنة — أن أول ذلك[1] المسائل على الإطلاق: التوحيد، وهو إفراده بالعبادة.

التاسعة — أمره بإقامة الصلاة.

العاشرة — تعليل ذلك.

الحادية عشرة — وقت الإقامة.

الثانية عشرة — قوله: ﴿إن الساعة آتية﴾ إلى آخره، لما ذكر الإيمان بالله ذكر الإيمان باليوم الآخر.

الرابعة عشرة — أن علته الإيمان.

الخامسة عشرة — مبالغته سبحانه في إخفائها.

---

(١) كذا، وقد مر مثل هذا الاستعمال.

السادسة عشرة ــ [ذكر][1] الحكمة في إقامتها.
السابعة عشرة ــ تحذيره من صاحب السوء.

وقوله: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ إلى آخره ــ فيه سؤاله عنها وهو أعلم.

الثانية ــ جوابه عليه السلام.
الثالثة ــ أمره بأخذها ولا يخاف فإنه سيعيدها.
الرابعة ــ أن ذلك من الآيات الكبرى.
الخامسة ــ تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه.
السادسة ــ سؤاله عليه السلام.
السابعة ــ أنه لم يسأل حل [عُقَدِ][2] لسانه بل عقدة منه.
الثامنة ــ أن مراده ليفقهوا كلامه.
التاسعة ــ أنه علمه ما سأله لأجل أن يسبّحاه و يذكراه كثيراً.
العاشرة ــ تعليله بقوله: ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾.
الحادية عشرة ــ إجابة سؤاله.
الثانية عشرة ــ ذكر مِنّته عليه من قِبَل ثمانية أمور.
الثالثة عشرة ــ نهيهما أن لا يَنِيَا في ذكره.
الرابعة عشرة ــ رفقه سبحانه ومحبته للرفق.
الخامسة عشرة ــ شكواهما إلى الله تعالى الرفق.
السادسة عشرة ــ الفرق بين التذكر والخشية.
السابعة عشرة ــ شكواهما.

وقوله: ﴿ فَأْتِيَاه فقولا إنّا رسولا ربك ﴾ إلى آخره ــ فيه من الرفق والتلطف إشارات:
إحداها ــ ﴿إنا رسولا ربك﴾ فإن أطعت ما أطعت إلا هو.

---

(١) زيادة من المصورة ١:٣٥٧.
(٢) زيادة من المصورة ١:٣٥٨.

الثانية ـ ﴿ فأرْسِلْ معنا بني إسرائيل ولا تُعَذِّبهم ﴾ فالمطلوب أن يرسل جيرانه ورعيته ولا يعذبهم.

الثالثة ـ ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ فربك قد قطع عذرك.

الرابعة ـ إضافته إلى الله.

الخامسة ـ ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ أي هذا هو الذي فيه السلامة التي هي مطلوبة لكل أحد خصوصاً الملوك.

السادسة ـ ﴿ إنَّا قد أوْحِيَ إلينا أن العذاب ﴾ أي: كما دللناك على أمور السلامة دللناك على طريق الهلاك.

السابعة ـ لم يقولا: إن العذاب لك إذا تولّيْتَ، بل كلام عامٌّ.

الثامنة ـ ذكر سبب العذاب.

التاسعة ـ الفرق بين التكذيب والتولي.

وقوله: ﴿ قال فَمَنْ رَبُّكُما يا موسى ﴾ إلى آخره ـ هذا جواب اللعين بهذا الكلام اللين.

الثانية ـ جواب موسى عليه السلام الجواب الباهر.

الثالثة ـ التفكر في الخلق والهداية.

الرابعة ـ جواب اللعين عن هذه.

الخامسة ـ جواب موسى عليه السلام عن شبهته، وهي أن العلم أجلُّ الفوائد عند المناظرة[1].

السادسة ـ ذكر العلم والكتاب، ولأن ذلك الكتاب ليس لخوف نسيان أو خطأ.

الثامنة ـ الاستدلال بالآيات الأرضية والسماوية.

التاسعة ـ ذكر إسباغ نعمته.

العاشرة ـ ذكر أن في ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة.

الحادية عشرة ـ لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا وما يجري لنا فيها.

---

(١) في المصورة ١: ٣٥٨ «وهي أن أجل الفوائد عند المناظرة رد ما ننازع فيه الناس إلى عالمه».

وقوله: ﴿ ولقد أريناه آياتِنا كلَّها فكذَّب وأبَى ﴾ـ فيه الفرق بين التكذيب والإباء.

الثانية ـ ما أكثر الله له ولقومه من الآيات.

الثالثة ـ مكابرته في تسميته ذلك سحراً.

الرابعة ـ رمية موسى بِنيَّةِ طلب الملك.

الخامسة ـ معارضة آيات الله بالسحر.

السادسة ـ اهتمامه بذلك الموعد.

السابعة ـ دعاء الإنصاف بقوله «سُوًى».

الثامنة ـ إجابة موسى إياه.

التاسعة ـ ذكر جميع كيده قبل إتيانه.

العاشرة ـ وعظه إياهم.

الحادية عشرة ـ كونه يقول: ﴿ لا تفتروا على الله كذباً ﴾.

الثانية عشرة ـ قوله: ﴿ وقد خاب من افترى ﴾ كلمة جامعة.

الثالثة عشرة ـ سرهم بينهم بما ظنوه في موسى وأخيه.

الرابعة عشرة ـ اغترارهم بطريقتهم.

الخامسة عشرة ـ ذكرهم الاجتماع والإتيان صفاً.

السادسة عشرة ـ قوله: ﴿ وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾.

السابعة عشرة ـ دعواهم الإنصاف في الخصومة.

الثامنة عشرة ـ احتضار إلقائهم أولا.

التاسعة عشرة ـ هذا السحر العظيم.

العشرون ـ إيجاس الخيفة في مثل هذا غير مذموم.

الحادية والعشرون ـ بشارة الله إياه.

الثانية والعشرون ـ أمره له بإلقاء العصا.

الثالثة والعشرون ـ ما فعلت العصا.

الرابعة والعشرون ـ القاعدة الكلية: فما فعلوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى.

الخامسة والعشرون ـ ما فعل السحرة من سرعة انقيادهم لما عرفوه من فعلهم وقولهم.

السادسة والعشرون ـ كون الإيمان برب هارون وموسى.

السابعة والعشرون ـ قولهم وما ذكر أنه يفعل بهم.

الثامنة والعشرون ـ جوابهم لهذا الطاغي الغادر وهي سبع جمل كل جملة مستقلة.

وفي سورة الأعراف من الزيادة ـ قوله عليه السلام: ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أن لاَّ أقولَ على الله إلا الحقَّ ﴾ [آية: ١٠٥ وما بعدها].

الثانية ـ استعظام الله سحرهم.

الثالثة ـ قوله: ﴿ فوقع الحق ﴾ الآيتين.

الرابعة ـ قوله لهم: ﴿ إن هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتموه في المدينة ﴾ لهذا.

الخامسة ـ قولهم: ﴿ إنا إلى ربنا منقلبون ﴾.

السادسة ـ قولهم: ﴿ وما تَنْقِمُ منَّا ﴾ إلى آخره.

السابعة ـ سؤالهم الله هذه المسألة.

الثامنة ـ كلام الملأ.

التاسعة ـ جوابه لهم.

العاشرة ـ إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات.

الحادية عشرة ـ ذكر الحكمة في ذلك.

الثانية عشرة ـ أنهم لم يفهموا مراد الله بالحسنة والسيئة التي تأتيهم بل عكسوا الأمر.

الثالثة عشرة ـ قوله: ﴿ ألاَ إنَّما طائرُهُمْ عند الله ﴾.

الرابعة عشرة ـ كون الأكثر لا يعلمون هذه المسألة.

الخامسة عشرة ـ شدة عنادهم.

السادسة عشرة ـ ذكره إرسال الآيات عليهم.

السابعة عشرة ـ كونهم مع ذلك استكبروا.

الثامنة عشرة ـ قوله: ﴿ وكانوا قوماً مجرمين ﴾.

التاسعة عشرة ــ كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرِّجْز.
العشرون ــ نكثهم ما قالوا.
الحادية والعشرون ــ قوله: ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالفاء.
الثانية والعشرون ــ ذكره السبب.
الثالثة والعشرون ــ ذكره فضله على الضعفاء.
الرابعة والعشرون ــ أن ذلك سبب صبرهم.
الخامسة والعشرون ــ تدمير ما استعملوه وما كانوا يعرشون.

وأما ما في سورة الشعراء من الزيادة ــ فقوله: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فينا وَلِيداً ﴾.
الثانية ــ جواب موسى عليه السلام.
الثالثة ــ قوله: ﴿ وما ربُّ العالمين ﴾.
الرابعة ــ جواب موسى عليه السلام.
الخامسة ــ قوله: ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴾.
السادسة ــ جواب موسى عليه السلام.
السابعة ــ قوله: ﴿ إنَّ رسولكم ﴾ إلى آخره.
الثامنة ــ جواب موسى عليه السلام.
التاسعة ــ كونه فزع إلى القدرة لما بهرته الحجة.
العاشرة ــ جواب موسى عليه السلام.
الحادية عشرة ــ أتته الآيات.
الثانية عشرة ــ قوله: ﴿ هل أنتم مجتمعون ﴾.
الثالثة عشرة ــ توسلهم بعزة فرعون.
الرابعة عشرة ــ قولهم: ﴿ لا ضير ﴾.
الخامسة عشرة ــ قولهم: ﴿ إنا نطمع ﴾ الآية.
السادسة عشرة ــ كونه أمره أن يسري بهم.
السابعة عشرة ــ كونه ذكر لهم أنهم مُتَّبَعُون.
الثامنة عشرة ــ إرساله في المدائن حاشرين.

التاسعة عشرة ــ ذكره لرعيته لما حشرهم.

العشرون ــ اتباعهم إياهم مُشْرِقين.

الحادية والعشرون ــ ذكره المقام والنعيم والكنوز والجنات التي سُلِبوها.

الثانية والعشرون ــ كونه أورث الجميع بني إسرائيل.

الثالثة والعشرون ــ كون إتباعهم مُشْرِقين.

الرابعة والعشرون ــ قوله: ﴿ لما تراءى الجمعان ﴾.

الخامسة والعشرون ــ جواب موسى عليه السلام لهم.

السادسة والعشرون ــ ذكره أنه أمره أن يضرب بعصاه فكان ما كان.

السابعة والعشرون ــ ذكره نجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء.

الثامنة والعشرون ــ تنبيه العباد على فائدة القصة.

التاسعة والعشرون ــ هذا العجب العجاب: عدم إيمان الأكثر مع ذلك.

الثلاثون ــ أنه هو العزيز الحكيم.

وأما ما في سورة النمل من الزيادة ــ فقوله: ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ ومَنْ حَوْلَها ﴾.

الثانية ــ تسبيحه في هذا المقام.

الثالثة ــ قوله: ﴿ إنّي لا يخاف لَدَيَّ المُرْسَلُون ﴾.

الرابعة ــ الاستثناء.

الخامسة ــ ذكره أن اليد في جملة تسع آيات.

السادسة ــ جحدهم الآيات مع اليقين.

السابعة ــ أن سببه الظلم والعلو.

وأما ما في سورة يونس من الزيادة ــ فقول موسى: «أتقولون للحق لما جاءكم» إلى آخره [آية ٧٧ وما بعدها].

الثانية ــ قوله: ﴿ أجئتنا لِتَلْفِتَنا عمَّا وجدنا عليه آباءنا ﴾.

الثالثة ــ ﴿ وتكون لكما الكبرياء في الأرض ﴾.

الرابعة ــ قوله: ﴿ ما جئتم به السحر ﴾.

الخامسة ـــ القاعدة الكلية : ﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾.
السادسة ـــ كونه يُحِقُّ الحق بكلماته .
السابعة ـــ ﴿ ولو كره المجرمون ﴾.
الثامنة ـــ ما آمن لموسى إلا من ذكر.
التاسعة ـــ أنه على خوف من فرعون وملئه .
العاشرة ـــ وصف فرعون بالعلو والإسراف .
الحادية عشرة ـــ نصيحة موسى [لقومه][1] .
الثانية عشرة ـــ التوكل من لوازم الإسلام والإيمان .
الثالثة عشرة ـــ جوابهم وقبولهم النصح .
الرابعة عشرة ـــ دعاؤهم وما فيه من الفوائد .
الخامسة عشرة ـــ قوله : ﴿ أن تَبَوَّءا لقومكما ﴾ إلى آخره .
السادسة عشرة ـــ كون المؤمن داعياً .
السابعة عشرة ـــ قوله في هذا المقام : ﴿ فاستقيما ﴾ إلى آخره .
الثامنة عشرة ـــ كلام فرعون عند الغرق .
التاسعة عشرة ـــ ما أجيب به .
العشرون ـــ ذكر غفلة الجميع عن آياته .

وفي سورة هود ـــ قوله : ﴿ وما أَمْرُ فرعون برشيد ﴾ [آية : ٩٧ وما بعدها] .
الثانية ـــ كونه يوم القيامة يقْدُمهم و يوردهم النار .

وفي سورة الإسراء ـــ ذكر أن التسع آيات كلها بينات [آية : ١٠١ وما بعدها] .
الثانية ـــ أمره نبيَّه عليه الصلاة والسلام بسؤال بني إسرائيل .
الثالثة ـــ قول فرعون له .
الرابعة ـــ جوابه .

---

(١) زيادة من المصورة ١ : ٣٦٢.

الخامسة ــ أنه عوقب بنقيض قصده.

السادسة ــ قوله: ﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل ﴾ إلى آخره.

وفي سورة الحج ــ ﴿ وكُذِّبَ موسى فأمْلَيْتُ للكافرين ﴾ إلى آخره. [آية: ٤٤].

وفي سورة الصَّافَّات ــ كون فعل فرعون معهم كرب عظيم[1].

وفي سورة المؤمن ــ قوله: ﴿ بآياتنا وسلطان مبين) [سورة غافر: ٢٣ وما بعدها].

الثانية ــ إلى الثلاثة.

الثالثة ــ جوابهم له.

الرابعة ــ ما قالوه لما جاءهم الحق من عند الله.

الخامسة ــ أن ذلك الكيد في ضلال مبين.

السادسة ــ قوله: ﴿ ذَرُوني أقْتُلْ موسى ﴾ الآية.

السابعة ــ قول موسى.

الثامنة ــ كلام المؤمن وما فيه من الفوائد.

التاسعة ــ جواب فرعون.

العاشرة ــ قول المؤمن الثاني وما فيه من الأصول، ووصف القيامة، وتذكيرهم برسالة يوسف وما فعلوا.

الحادية عشرة ــ قوله: ﴿ لَعلِّي أبْلُغُ الأسباب ﴾ إلى آخره.

الثانية عشرة ــ كون كيد فرعون في تباب.

الثالثة عشرة ــ قول المؤمن الثالث وما فيه من المعارف.

الرابعة عشرة ــ وقاية الله له مكرهم.

الخامسة عشرة ــ كونهم يعرضون على النار.

السادسة عشرة ــ استدلال العلماء على عذاب القبر.

---

(١) كذا، وصوابه: «كرباً عظيماً».

وفي سورة الزخرف ــ مقابلتهم آيات الله بالضحك منها [آية: ٤٧ وما بعدها].

الثانية ــ قوله: ﴿ وما نريهم من آية ﴾ إلى آخره.
الثالثة ــ قوله: ﴿ لعلهم يرجعون ﴾.
الرابعة ــ خطبة فرعون وما فيها من استدلاله على النفي والإثبات.
الخامسة ــ قوله: ﴿ فاستخفَّ قومه ﴾ إلى آخره.
السادسة ــ قوله: ﴿ فجعلناهم سَلَفاً ﴾ إلى آخره.

وفي سورة الدخان ــ قوله: ﴿ أنْ أدُّوا إليَّ عِبَادَ الله ﴾.
الثانية ــ وصفه نفسه بالأمانة.
الثالثة ــ نهيه إياهم عن العلو على الله.
الرابعة ــ قوله: ﴿ وإنِّي عُذْتُ بربي وربكم ﴾ إلى آخره.
الخامسة ــ قوله: ﴿ واتْرُكِ البحرَ رَهْواً ﴾.
السادسة ــ ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾.
السابعة ــ عدم الإنظار.
الثامنة ــ أن فعله لهم عذاب مُهِين.

وفي سورة المؤمنين ــ كونهم كلهم قوماً عالِين [آية: ٤٥ وما بعدها].
الثانية ــ حجتهم على عدم الإيمان لهما.
الثالثة ــ التنبيه على أنهم من جملة من أهلك وليس مختصاً بهم.

وفي سورة الذاريات ــ ﴿ فتولَّى بِرُكْنِه ﴾ [آية: ٣٨ــ٤٠].
الثانية ــ قوله: ﴿ ساحر أو مجنون ﴾.

وفي سورة القمر ــ تكذيبهم بالآيات كلها [آية: ٤١ــ٤٢].
الثانية ــ تكذيبهم بالنذير.
الثالثة ــ ذكر العبرة لهذه الأمة فيهم.

وفي سورة المزمل ــ المسألة الكبيرة لهذه الأمة .

وفي النازعات ــ قوله : ﴿ إلى أن تَزَكَّى ﴾ إلى آخره .

الثانية ــ قوله : ﴿ ثم أدبر يسعى فحشر فنادى ﴾.

الثالثة ــ الكلمة العظيمة .

الرابعة ــ الجمع بين الآخرة والأولى .

الخامسة ــ ﴿ إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى ﴾.

من سورة الزُّمَر

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تأمرونِّيَ أعْبُدُ أيُّها الجاهلون * ولقد أوْحِيَ إليك وإلى الذين مِنْ قَبْلِكَ لئن أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُك ولتَكونَنَّ من الخاسرين ﴾ إلى قوله ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [آيات ٦٤–٦٧] فيه مسائل:

الأولى — الجواب عن قول المشركين: هذا في الأصنام، وأما الصالحون فلا. قوله: ﴿ قل أفغير الله ﴾ عامٌّ فيما[١] سوى الله.

الثانية — أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كَفَرَ، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان؛ فإنهم لم يريدوا من النبي صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته. ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهاً.

الثالثة — أن الجهل وسخافة العقل موافقتهم في الظاهر، وأن العقل والفهم الذكي هو التصريح بمخالفتهم، ولو ذهب مالُكَ، خلافاً لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل، وذلك في آخر الآية ﴿ أيها الجاهلون ﴾.

وأما الآية الثانية ففيها مسائل:

الأولى — شدة الحجة إلى تعلم التوحيد. فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه، فكيف بغيرهم؟ ففيها ردٌّ على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه.

الثانية — المسألة الكبرى وهي: كشف الشبهة لعلماء المشركين الذين

---

(١) في المطبوعة ١: ٢٧٦ «عام فيه ما سوى الله» وأثبتنا ما في المصورة ١: ٣٦٤.

يقولون: هذا شرك ولكن لا يَكْفُر من فَعَلَه لكونه يؤدِّي الأركان الخمسة. فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا، فكيف بغيرهم.

الثالثة ــ أن الذي يكفِّر المسلم ليس عقيدة القلب خاصة، فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ــ مع كونه يعرف كفرهم و يبغضهم ــ فهذا كافر إلا من أُكْرِه.

وأما الآية الثالثة ففي الصحيح «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على المنبر، وقال: إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه، ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه، وأنه يقول: أنا الجبَّار، أنا المتكبِّر، أنا الملك العزيز، أنا الكريم. قال ابن عمر: فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم [المنبر][1] حتى قلنا لَيَخِرَّنَّ به»[2] وفيها ثلاث مسائل أيضاً:

الأولى ــ التنبيه على سبب الشرك، وهو أن المشرك بان له شيء من جلالة الأنبياء والصالحين ولم يعرف الله سبحانه وتعالى، وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق. وهذا معنى قوله: ﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ الآية.

المسألة الثانية ــ ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا، وهذا قَدْرُ ما تحتمله العقول، وإلا فعظمة الله وجلاله أجلُّ من أن يحيط بها عقل، كما قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم» فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يُجْعَلُ في رتبته مخلوقٌ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً. هذا هو أظلم الظلم وأقبح الجهل، كما قال العبد الصالح لابنه ﴿ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيم ﴾.

---

(١) زيادة من المصورة ١:٣٦٥.

(٢) في المصورة: «لتحرك به» وهو تصحيف من الناسخ.

الثالثة ــ أن آخر الآية وهو قوله: ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ينبهك على الحكمة على أنه سبحانه يغفر الكبائر ولا يغفر الشرك، وتزرع بُغْضَ الشرك وأهله ومعاداتهم في قلبك، وذلك أن أكبر مسبة بعض الصحابة مثل أبي بكر وعمر ــأن يُجْعَل[1] في منزلته بعض ملوك زماننا مثل سليمان أو غيره، مع كون الكل منهم آدمي، والكل ينتسب إلى دين محمد، والكل يأتي الشهادتين، والكل يصوم رمضان و يصلي ــ فإذا كان من أقبح المسبَّة في زماننا لأ بي بكر أن يسوَّى بينه وبين الملوك في زماننا، فكيف يُجْعَل المخلوق من الماء المهين ــولو كاننبياً ــ بعض حقوق من هذا، بعض عظمته وجلاله: من كونه يُدْعَى كما يُدْعَى، و يُخَاف كما يُخَاف، و يُعْتَمد عليه كما يُعْتمد عليه؟ هذا أعظم الظلم وأقبح المسبة لرب العالمين. وذلك معنى قوله في آخر الآية: ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ولكن رحم الله من تنبَّه للكلام. وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر مع كون القلب بخلاف ذلك، فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي صلى الله عليه وسلم. فافْهَمه فهماً حسناً لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام الذي بادر أباه وقومه بالعداوة عنده.

والله أعلم.

(١) في المطبوعة ١ : ٢٧٧ « ولم يجعل »، وفي المصورة « ولو لم يجعل » و يبدو أن الصواب ما أثبتناه.

من سورة الجن

وهذه مسائل مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تَدْعُوا مع الله أحداً﴾.

قال الشيخ رحمه الله: فيها عشر درجات:

الدرجة الأولى ــ تصديق القلب أن دعوة غيره باطل، وقد خالف فيها من خالف.

آخر ما وجدت[1].

(١) هذه عبارة مؤلف الكتاب أو ناسخه. وقد سقطت الدرجات التسع الأخرى.

من سورة العَلَق

هذه مسائل مستنبطة من سورة « اقرأ » :

الأولى ــ الأمر بالقراءة.

الثانية ــ الجمع بين التوكل والسبب خلافاً لغُلاَة المتفقِّهة وغُلاَة المتصوِّفة.

الثالثة ــ السر الذي في الإضافة في قوله: ﴿ باسم ربك ﴾ المقتضي التوكل.

الرابعة ــ وصفه سبحانه بالخَلْق الذي هو أظهر آياته.

الخامسة ــ ذكر خَلْقِه الإنسانَ خاصةً.

السادسة ــ كونه من عَلَق.

السابعة ــ تكرير الأمر بالقراءة.

الثامنة ــ الوصف بأنه الأكرم.

التاسعة ــ ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة.

العاشرة ــ تعليم الإنسان خاصةً ما لم يعلم.

الحادية عشرة ــ أن الذكر بالقلب واللسان أفضلُ من الذكر بالقلب وحده.

الثانية عشرة ــ الحثُّ على التواضع لقوله: ﴿ من علق ﴾.

الثالثة عشرة ــ معنى: اعرف نفسك تعرفْ ربك.

الرابعة عشرة ــ معنى أن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة.

الخامسة عشرة ــ الجمع بين الخَلْق والتعليم.

السادسة عشرة ــ الدلالة على النبوَّة.

الثامنة عشرة[1] ــ الرد على الجهمية.

التاسعة عشرة ــ أن الاستحالة تطهر.

---

(١) كذا في المطبوعة ١: ٢٧٨ والمصورة ١: ٣٦٧ « الثامنة عشرة » بعد « السادسة عشرة » وسقطت « السابعة عشرة ».

العشرون ـــ الرد على القدرية.
الحادية والعشرون ـــ الرد على الجبرية.
الثانية والعشرون ـــ أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية.
الثالثة والعشرون ـــ ذكر شرف العلم.

وأما آخرها ففيه مسائل:
الأولى ـــ أن الغنى من أسباب الطغيان.
الثانية ـــ أنه ينشأ عن رؤية الغنى لا عن الغنى.
الثالثة ـــ التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال.
الرابعة ـــ أن هذا وصف الإنسان، فإن خرج عن طبعه فبفضل الله و برحمته.
الخامسة ـــ الإيمان باليوم الآخر.
السادسة ـــ الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان.
السابعة ـــ تسلية المطغيِّ عليه بذلك.
الثامنة ـــ كونه إلى رب محمد، ففيه الجزاء على الأعمال.
التاسعة ـــ تقرير الشرع بالعقل لقوله: «أرأيت».
العاشرة ـــ كون ذلك النهي عن آثار الطغيان.
الحادية عشرة ـــ تقرير ذلك بتصوير الحادثة أنه نهى عبداً صلَّى لربه.
الثانية عشرة ـــ التوقف عن ما لا يعلم وإلا فلا يلوم إلا نفسه.
الثالثة عشرة ـــ أن ذلك عامٌّ فيمن ينكر عليه فيما يفعله وفيما يأمر به غيره.
الرابعة عشرة ـــ الاستدلال على الناهي واستجهاله بقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾.
الخامسة عشرة ـــ الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية.
السادسة عشرة ـــ أن العلم بذلك ليس هو الإقرار.
السابعة عشرة ـــ أن العلم بالأسماء والصفات أجلُّ العلوم[1].

(١) في المصورة: «أصل العلوم».

الثامنة عشرة ــ الدلالة على التوحيد.

التاسعة عشرة ــ الدلالة على النبوَّة.

العشرون ــ أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة.

الحادية والعشرون ــ كون العقوبة قد تُعَجَّل في الدنيا.

الثانية والعشرون ــ ما يرجى للحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء.

الثالثة والعشرون ــ أن المال والقوة قد يكونان سبباً لشر الدنيا والآخرة.

الرابعة والعشرون ــ أن بعض أعداء الله قد يُكْشَف له، فيرى بعينه من الآيات ما لا يراه المؤمن، كالسَّامِرِيّ.

الخامسة والعشرون ــ الجمع بين قوله: ﴿ كاذبة خاطئة ﴾ فوصفه بفساد القول والعمل.

السادسة والعشرون ــ أنه لو دعا نادِيَهُ أو دنا من النبي صلى الله عليه وسلم لعوجل، ولكن رُفِع عنه ذلك لكونه ترك ما في نفسه.

السابعة والعشرون ــ النهي عن طاعة مثل هذا.

الثامنة والعشرون ــ أنه ختمها بالسجود الذي هو أشرف أفعال الصلاة، وافتتحها بالقراءة التي هي أشرف أقوالها.

التاسعة والعشرون ــ الأمر بالاقتراب من الله، فيه معنى «أقْرَبُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

الثلاثون ــ تسليةُ المُحِقّ إذا سُلِّط عليه مثل هذا، وأمْره بالصلاة.

من سورة «المدَّثِّر»

وأما قوله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر ﴾ الآيات، ففيه مسائل:

الأولى ـــ الدعوة إلى الله، لا يقتصر على نفسه.

الثانية ـــ خطابة بالمدَّثِّر.

الثالثة ـــ أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها.

الرابعة ـــ تعظيم الله سبحانه علماً وعملاً.

الخامسة ـــ هجران الرُّجْز.

السادسة ـــ قوله: «ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ».

السابعة ـــ قوله: «ولِرَبِّكَ فَاصْبِرْ» فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم فهو الصبر الخالص.

ففيها آداب الداعي، لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها، فمنها: الحرص على الدنيا، فنهى عنها بقوله: «ولا تمنن تستكثر». ومنها: عدم الجدّ، فنبَّهَ عليه بقوله: «يا أيها المدثر». ومنها: رؤية الناس فيه العيوب المنفِّرة لهم عن الدين كما هو الواقع. ومنها: التقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله. ومنها: عدم الصبر على مشاقّ الدعوة. ومنها: عدم الإخلاص. ومنها: عدم هجران الرُّجْز والتقصير في ذلك، وهو من أضرِّها على الإنسان، وهو من تطهير الثياب لكن إفراده بالذكر كنظائره.

فأول «اقرأ» فيه الأمر بالعمل به.

الثانية ـــ أول «اقرأ» فيه معرفة الله، وأول «المدثر» فيه الأدب مع الله.

الثالثة ـــ أول «اقرأ» فيه الاستعانة، وأول «المدثر» فيه الصبر.

الرابعة ـــ أول «اقرأ» فيه الإخلاص والاستعانة، وأول «المدثر» فيه إخلاص الصبر.

الخامسة ـــ أول «اقرأ» فيه الاستعانة، وأول «المدثر» فيه العبادات.

السادسة ــ أول «اقرأ» فيه فضله عليك، وأول «المدثر» فيه حقّه عليك.

السابعة ــ أول «اقرأ» فيه أدب المتعلم، وأول «المدثر» فيه أدب العالم[1].

الثامنة ــ أول «اقرأ» فيه معرفة الله ومعرفة النفس، وأول «المدثر» فيه الأمر والنهي.

التاسعة ــ أول «اقرأ» فيه معرفتك بنفسك وبربك، وأول «المدثر» فيه العمل المختص والمتعدي.

العاشرة ــ أول «اقرأ» فيه أصل الأسماء والصفات، وهما: العلم والقدرة، وأول «المدثر» فيه أصل الأمر والنهي، وهو: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

الحادية عشرة ــ في أول «اقرأ» ذكر العلم الذي لا يستقيم العمل إلا به، وأول «المدثر» فيه ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به.

الثانية عشرة ــ في أول «اقرأ» ذكر التوكل وأنه يفتح المُغْلَق، وأول «المدثر» فيه الصبر الذي يفتحه.

الثالثة عشرة ــ في أول «اقرأ» العمل المختص، وأول «المدثر» فيه العمل المتعدي.

الرابعة عشرة ــ في [أول][2] «اقرأ» ست مسائل من الخبر، وأول «المدثر» ست مسائل من الإنشاء.

الخامسة عشرة ــ في أول «اقرأ» ذكر بدء الخلق، وأول «المدثر» ذكر الحكمة فيه.

السادسة عشرة ــ في أول «اقرأ» ذكر أصل الإنسان، وأول «المدثر» فيه كماله.

السابعة عشرة ــ في أول «اقرأ» الربوبية العامة، وأول «المدثر» الربوبية الخاصة.

---

(١) في المصورة ٣٦٩:١ «أدب العلم».

(٢) زيادة من المصورة ٣٦٩:١.

الثامنة عشرة ــ في أول «اقرأ» شاهد لقوله: «اعقلها وتوكل»، وفي أول «المدثر» الصبر الذي هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

التاسعة عشرة ــ في أول «اقرأ» ابتدأ النبوة، وأول «المدثر» ابتدأ الرسالة.

العشرون ــ في السورتين شاهد لقوله: العلم قبل القول والعمل.

بعد سورة «اقرأ»

ومن «اقرأ» إلى آخره ــ أن قريشاً صريحُ[1] آل إبراهيم، وأيضاً ولاةُ البيت الحرام، وأيضاً خُصُّوا بنِعَمٍ مثل: الرحلتين ودفع الفيل. وأما أهل الكتاب فأهل العلم وذرية الأنبياء، وجرى من الكل على رسالة الله ما جرى.

الثانية ــ أن هذا من[2] الرئيسين أبي لهب وأبي جهل ذكر عنهما ما ذكر.

الثالثة ــ أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم.

الرابعة ــ أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه، ولا يبغي به بدلاً لحسنه وسهولته.

الخامسة ــ أن الذي استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذاباً، و ينبغي للعاقل البعدُ عنه لقبحه وصعوبته.

السادسة ــ أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه، وقبح الذي انتقلوا[3] إليه ومشقته، أُشْرِبوه في قلوبهم فلم ينتقلوا[3] عنه إلا بعد كذا وكذا.

السابعة ــ أنه سبحانه توعَّد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب ومن العامة، وقدَّم أهل الكتاب في الذكر.

الثامنة ــ أن العامَّة أشْرِبوا حُبَّ دينهم، وصبروا على المشقَّة فيه، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً، وهذا من العجائب.

التاسعة ــ التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب بذكر الليلة التي أنزل فيها.

العاشرة ــ أن له سبحانه خصائص من الأزمنة كما له من الأمكنة.

الحادية عشرة ــ أن الأعمال تتضاعف ــ وإن تساوت في الظاهر ــ بما يجلُّ عنه الوصف.

---

(١) الصريح: الخالص النسب.

(٢) في المصورة: «أن هذين الرئيسين».

(٣) في المصورة: «انقلبوا إليه» و«لم ينقلبوا عنه».

الثانية عشرة ـــ عطف الروح على الملائكة.

الثالثة عشرة ـــ أن خشية الله جامعة للدين كله.

الرابعة عشرة ـــ النص على العبادة بالإخلاص.

الخامسة عشرة ـــ ذكر الحنفاء.

السادسة عشرة ـــ عطف العبادتين على ذلك.

السابعة عشرة ـــ نصُّه أنه دين القيِّمة.

الثامنة عشرة ـــ بيان أن من ساء عمله شرٌّ من الجِعْلاَن[1] ولو علم.

التاسعة عشرة ـــ كون الضد خير البرِيَّة.

العشرون ـــ الآية الجامعة الفاذَّة.

الحادية والعشرون ـــ ذكر شيء من تفاصيل القيامة من شهادة الأرض وغير ذلك.

الثانية والعشرون ـــ معاملة الإنسان ربَّه لقوله: ﴿ لَكَنُود ﴾.

الثالثة والعشرون ـــ كونه شاهداً لذلك.

الرابعة والعشرون ـــ نعته بشدة حب المال.

الخامسة والعشرون ـــ ما فيها من ذكر الحساب والحوض والميزان ورؤية النار في الموقف.

السادسة والعشرون ـــ إخلاص الصلاة.

السابعة والعشرون ـــ إخلاص النحر.

الثامنة والعشرون ـــ الأمر بختم العمل بالتسبيح والاستغفار.

التاسعة والعشرون ـــ الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم.

الثلاثون ـــ التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله.

الحادية والثلاثون ـــ التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم.

الثانية والثلاثون ـــ التصريح لهم بالرضا بالله، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً.

الثالثة والثلاثون ـــ بيان العقيدة السلفية.

---

(١) الجعلان: جمع «جعل» بضم الجيم وفتح العين، دابة سوداء من دواب الأرض، قيل: هو أبو جعران، بفتح الجيم.

الرابعة والثلاثون ـــ البراءة من عقيدة المتكلمين.

الخامسة والثلاثون ـــ الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق.

السادسة والثلاثون ـــ الأمر بالاستعاذة من الشيطان.

السابعة والثلاثون ـــ التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك لكونه أفرد له سورة وختم بها المصحف.

الثامنة والثلاثون ـــ [كون التكاثر ألهاهم إلى الموت.

التاسعة والثلاثون][1] ـــ النهي عن الهمز واللمز.

الأربعون ـــ النهي عن الاغترار بالمال.

الحادية والأربعون ـــ النهي عن دعّ اليتيم.

الثانية والأربعون ـــ النهي عن عدم الحضّ على طعام المسكين.

الثالثة والأربعون ـــ النهي عن السهو عن الصلاة.

الرابعة والأربعون ـــ النهي عن الرياء.

الخامسة والأربعون ـــ النهي عن البخل.

السادسة والأربعون ـــ النهي عن شنآنه صلى الله عليه وسلم.

السابعة والأربعون ـــ الاعتبار بأبي لهب في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة يُعْطَاه من هو من أكفر الناس.

الثامنة والأربعون ـــ النهي عن حمل الحطب.

التاسعة والأربعون ـــ النهي عن النميمة.

الخمسون ـــ النهي عن الحسد.

الحادية والخمسون ـــ النهي عن النَّفْث في العُقَد.

الثانية والخمسون ـــ النهي عن الوسوسة في صدور الناس.

الثالثة والخمسون ـــ الإخبار برؤية الجحيم ثم رؤيتها.

الرابعة والخمسون ـــ السؤال عن النعيم.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من المخطوطة: ١٩٤ والمصورة ١: ٣٧١. وقد صححنا أرقام المطبوعة فيما يلي بزيادة واحد إلى كل منها ليتسلسل ترتيبها.

الخامسة والخمسون ـ خسران الإنسان إلا المستثنى.

وفيها: ذكر النار ذات اللهب، وصَلْيها، واطّلاعها على الأفئدة، وكونها مؤصدة.

وفيها من الأعمال الممدوحة: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالصبر، والحثّ على الشكر بذكر الرحلتين.

وفيها: أن النعم ـ إذا كانت خاصة ـ فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل.

وفيها من القصص: قصة الفيل، والرحلتين، وقصة أبي لهب، وقصة سحر اليهود.

وفيها من الوعظ العجب العجاب.

وأما أدلة التوحيد ففي مواضع. وأما أدلة النبوات ففي مواضع[1].

---

(١) إلى هنا انتهى ما في المخطوطة والمصورة. وقد جاء في آخر المصورة ما يلي: «وهذا آخر ما تيسر جمعه من كلام الشيخ رحمه الله تعالى وهو آخر الجزء الأول و يليه الجزء الثاني: كتاب الغزوات والله أعلم وأعز وأكرم.

قد حصل الفراغ من هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب بقلم العبد الفقير إلى الله المقر بالعجز والتقصير في طاعة مولاه محمد بن عثمان بن عيدان غفر الله له ولوالديه ومشايخه وإخوانه في الله والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. وذلك في ٣ ش سنة ١٣١٣».

سورة المسد

وقال رحمه الله ورضي عنه: قصة سبب نزول «تَبَّتْ» إلى آخرها ففيها مسائل:

الأولى ــ ما فيها من دلائل الإلهية.

الثانية ــ ما فيها من دلائل النبوة.

الثالثة ــ ما فيها من فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقوله الحق الذي لا يقدر غيره يقوله.

الرابعة ــ أن هذا هو العقل والصواب، أعني: صعود الجبل، والصياح في هذه المسألة ولو عَدَّه أكثر الناس سفهاً بل جنوناً[1].

الخامسة ــ شدة الخطر العظيم فيمن عذل من فعل ذلك.

السادسة ــ لعل الكلمة التي لا يُلْقِي لها بالاً يكتب الله له بها سُخْطَه إلى يوم يلقاه، ولعله يعتقدها نصيحة أو صلة رحم.

السابعة ــ مراقبة العواقب في إعطاء الله نعم الدنيا من المال والولد والبيت الرفيع والرياسة.

الثامنة ــ تعظيم أمر النميمة.

التاسعة ــ أن الولد من الكسب، ففيه دليل على أن أطيب ما أكلتم من كسبكم وأن أولادكم من كسبكم.

العاشرة ــ أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

---

(١) عن ابن عباس، قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على الصفا، فنادى: يا صباحاه. فاجتمعت إليه قريش. فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقونني؟ قالوا: بلى. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخرها.

سورة الإخلاص

قال رحمه الله في تفسير سورة الإخلاص:

عن عبدالله بن خُبَيْب قال: «خرجنا في ليلة مطر مظلمة، فطلبت النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: قل فلم أقل شيئاً. قال، قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال، قل: هو الله أحد، والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات تكْفِك من كل شيء».

قال الترمذي حديث حسن صحيح.

والأحد: الذي لا نظير له، والصمد: الذي تصمد الخلائق كلها إليه في جميع الحاجات، وهو الكامل في صفات السودد. فقوله: «أحد»، نَفْيٌ للنظير والأمثال. وقوله: «الصمد» إثبات صفات الكمال؛ وقوله: ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ نَفْيٌ للصاحبة والعيال. ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ نَفْي للشركاء لذي الجلال.

تفسير سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل أعوذ برب الفلق ۞ من شر ما خلق ۞ ومن شر غاسق إذا وقب ۞ ومن شر النفّاثات في العُقد ۞ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾.

فمعنى «أعوذ»: أعتصم وألتجىء وأتحرَّز، وتضمنت هذه الكلمة: مستعاذاً به، ومستعاذاً منه، ومستعيذاً به، فأما المستعاذ به فهو الله وحده، ربُّ الفَلَق الذي لا يستعاذ إلا به، وقد أخبر الله عمَّن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رَهَقاً، وهو الطغيان، فقال: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾.

والفلق: هو بياض الصبح إذا انفلق من الليل، وهو من أعظم آيات الله الدالَّة على وحدانيته.

وأما المستعيذ فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل من اتَّبعه إلى يوم القيامة.

وأما المستعاذ منه فهو أربعة أنواع:

الأول ــ قوله: ﴿ من شرّ ما خلق ﴾ وهذا يعمُّ شرور الأولى والآخرة، وشرور الدين والدنيا.

والثاني ــ قوله: ﴿ ومن شرّ غاسقٍ إذا وَقَب ﴾. و «الغاسق»: الليل. «إذا وقب» أي: أظلم ودخل في كل شيئ، وهو محل تسلّط الأرواح الخبيثة.

الثالث ــ «شرّ النفّاثات في العُقَد» وهذا من شر السحر. فإن النفاثات: السواحر التي يعقدْنَ الخيوط و ينفثْنَ على كل عقدة حتى ينعقد ما يريد من السحر. والنفّاثات مؤنث أي الأرواح والأنفس، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة.

الرابع ــ شرّ الحاسد إذا حسد، وهذا يعمُّ إبليس وذريته لأنهم أعظم الحُسَّاد لبني آدم أيضاً. وقوله: «إذا حسد» لأن الحاسد إذا أخفى الحسد ولم يعامل أخاه إلا بما يحبُّه الله لم يضرّه ولم يضرّ المحسود.

تفسير سورة الناس

وأما قوله : ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ فقد تضمنت أيضاً ذكر ثلاثة أمور: الأول ــ الاستعاذة، وقد تقدمت. الثاني ــ المستعاذ به. والثالث ــ المستعاذ منه.

فأما المستعاذ به فهو الله وحده، لا شريك له، ربُّ الناس، الذي خلقهم ويرزقهم، ودبَّرهم وأوصل إليهم مصالحهم ومنع عنهم مضارهم. «ملك الناس» أي: المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، المدبر لهم كما يشاء، الذي له القدرة والسلطان عليهم، فليس لهم ملك يهربون إليه إذا دهمهم أمر سواه، يخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويعطي ويمنع. «إله الناس» أي: معبودهم الذي لا معبود لهم غيره، فلا يُدْعَى ولا يُرْجَى ولا يَخْلُق إلا هو، فخلقهم وصوَّرهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرُّهم بربوبيته، وقهرهم وأمرهم ونهاهم وصرَّفهم كما يشاء بملكه، واستعبدهم بإلهيته الجامعة لصفات الكمال كلها.

وأما المستعاذ منه فهو الوسواس. وهو الخفيُّ الإلقاء في النفس، إما بصوت خفيٍّ لا يسمعه إلا من ألقي إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد وأما «الخنَّاس» فهو الذي يخنس ويتأخر ويختفي، وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء، وهذان وصفان لموصوف محذوف وهو: الشيطان، وذلك أن العبد ــ إذا غفل ــ جثم على قلبه، وبذر فيه الوساوس التي هي أصل الشر. فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به ــ خنس. قال قتادة: الخنَّاس له خرطوم كخرطوم الكلب، فإذا ذكر العبد ربه خنس، ويقال رأسه كرأس الحية يضعه على ثمرة القلب يمنِّيه ويحدِّثه، فإذا ذكر الله خنس. وجاء بناؤه على الفعل الذي يتكرر منه، فإنه كلما ذكر الله انخنس، وإذا غفل عاد.

وقوله: «من الجِنَّةِ والنَّاس» يعني الوساوس نوعان: إنس وجن، فإن الوسوسة: الإلقاء الخفي، لكن إلقاء الإنس بواسطة الأذن، والجنّي لا يحتاج إليها. ونظير

اشتراكهما في الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني في قوله: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطينَ الإنس والجن يُوحِي بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُروراً ولو شاء ربُّكَ ما فعلوه فَذَرْهُمْ وما يفترون ﴾.

والله أعلم.

* * *

هذا آخر ما وجدنا من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه بمنّه وكرمه. آمين.

والحمد لله أوّلاً وآخِراً وظاهراً وباطناً. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرست الموضوعات

من كتب دار الشروق الإسلامية

مصحف الشروق المفسر الميسر
مختصر تفسير الإمام الطبري
تحفة المصاحف وقمة التفاسير
في أحجام مختلفة وطبعات منفصلة لبعض الأجزاء

تفسير القرآن الكريم
الإمام الأكبر محمود شلتوت

الإسلام عقيدة وشريعة
الإمام الأكبر محمود شلتوت

الفتاوى
الإمام الأكبر محمود شلتوت

من توجيهات الإسلام
الإمام الأكبر محمود شلتوت

إلى القرآن الكريم
الإمام الأكبر محمود شلتوت

الوصايا العشر
الإمام الأكبر محمود شلتوت

المسلم في عالم الاقتصاد
الأستاذ مالك بن نبي

أنبياء الله
الأستاذ أحمد بهجت

نبي الإنسانية
الأستاذ أحمد حسين

ربانية لا رهبانية
أبو الحسن علي الحسيني الندوي

الحجة في القراءات السبع
تحقيق وتقديم الدكتور عبد العال سالم مكرم

الفكر الإسلامي بين العقل والوحي
الدكتور عبد العال سالم مكرم

على مشارف القرن الخامس عشر الهجري
الأستاذ ابراهيم بن علي الوزير

الرسالة الخالدة
الأستاذ عبد الرحمن عزام

محمد رسولاً نبياً
الأستاذ عبد الرزاق نوفل

مسلمون بلا مشاكل
الأستاذ عبد الرزاق نوفل

الإسلام في مفترق الطرق
الدكتور أحمد عروة

العقوبة في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي

موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي

الجرائم في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي

مدخل الفقه الجنائي الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي

القصاص في الفقه الإسلامي
الدكتور أحمد فتحي بهنسي

الدية في الشريعة الإسلامية
الدكتور أحمد فتحي بهنسي

الإسراء والمعراج
فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

القضاء والقدر
فضيلة الشيخ متولي الشعراوي
قضايا إسلامية
فضيلة الشيخ متولي الشعراوي
التعبير الفني في القرآن
الدكتور بكري الشيخ أمين
أدب الحديث النبوي
الدكتور بكري الشيخ أمين
الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين
الأستاذ عبد الكريم الخطيب
اليهود في القرآن
الأستاذ عبد الكريم الخطيب
أيام الله
الأستاذ عبد الكريم الخطيب
مسلمون وكفى
الأستاذ عبد الكريم الخطيب
الدعوة الوهابية
الأستاذ عبد الكريم الخطيب
قال الأولون ـ أدب ودين
الأستاذ السيد أبو ضيف المدني
قل يا رب
الأستاذ السيد أبو ضيف المدني
الإيمان الحق
المستشار علي جريشة
الجديد حول أسماء الله الحسنى
الأستاذ عبد المغني سعيد
الجائز والممنوع في الصيام
الدكتور عبد العظيم المطعني

مناسك الحج والعمرة في ضوء المذاهب الأربعة
الدكتور عبد العظيم المطعني
أيها الولد المحب
الإمام الغزالي
الأدب في الدين
الإمام الغزالي
شرح الوصايا العشر
للإمام حسن البنا
القرآن والسلطان
الأستاذ فهمي هويدي
خفايا الإسراء والمعراج
الأستاذ مصطفى الكيك
الخطابة وإعداد الخطيب
الدكتور عبد الجليل شلبي
تأريخ القرآن
الأستاذ إبراهيم الأبياري
الإسلام والمبادئ المستوردة
الدكتور عبد المنعم النمر
سلسلة أعلام الإسلام ١٦/١
سلسلة أهل البيت ٦/١
إسهام علماء المسلمين في الرياضيات
تأليف الدكتور علي عبد الله الدفّاع
تعريب وتعليق الدكتور جلال شوقي
مراجعة الدكتور عبد العزيز السيد
الخبر الواحد في السنة والتراث وأثره في الفقه الإسلامي
الدكتورة سهير رشاد مهنا
الأديان القديمة في الشرق
دكتور رؤوف شلبي

مطابع الشروق
بيروت: مار الياس - شارع سيدة صيدنايا - بناية صفا
ص.ب: ٨٠٦٤ - برقياً: داشروق - تلكس ٢٠١٧٥١٤
SHOROK - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٢ - ٨١٧٧٦٥
٨٦٧٥٥٥ - ٣٠٧٩٨٤